



مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات

العدد الثامن والثلاثون ، الجزء الثاني ، رمضان 1437هـ / حزيران 2016م

مجلة علمية فصلية محكمة



ISSN 2074 - 5648



Journal of Al-Quds Open University for Research and Studies

A quarterly Scientific Refereed Journal

No. 38 - Vol. 2 - Ramadan - 1437H/ June 2016



ISSN 2074 - 5648

جامعة القدس
المفتوحة
مجلة
للأبحاث والدراسات

38
الجزء الثاني

Journal of
Al-Quds Open University
for Research and Studies

مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات



مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات

مجلة علمية محكمة تصدر كل أربعة أشهر
العدد (38) - ج (2) - حزيران 2016م

الناشر:

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
جامعة القدس المفتوحة

توجه المراسلات والأبحاث على العنوان الآتي:

رئيس هيئة التحرير

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

جامعة القدس المفتوحة

الماصيون-رام الله/ فلسطين

ص. ب: 1804

هاتف: +970- 2- 2984491

+970- 2- 2952508

فاكس: +970- 2- 2984492

بريد الكتروني: hsilwadi@qou.edu

sprgs@qou.edu

تصميم وإخراج فني:

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

جامعة القدس المفتوحة

المشرف العام
أ. د. يونس عمرو
رئيس الجامعة

هيئة تحرير المجلة:

رئيس التحرير
أ. د. حسن عبد الرحمن سلوادي
عميد البحث العلمي والدراسات العليا

هيئة التحرير

أ. د. عبد الناصر قاسم الفرا
أ. د. فيصل حسين غوادة
أ. د. محمد محمد الشلش
أ. د. ناجي مطلق الداهودي
أ. د. هاني حسين أبو الرب
د. رشدي يوسف القواسمة
د. عماد عبد اللطيف اشتيه
د. معتصم توفيق خضر

قواعد النشر والتوثيق

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، مع اهتمام خاص بالبحوث المتعلقة بالتعليم المفتوح، وتقبل أيضا الأبحاث المقدمة إلى مؤتمرات علمية محكمة والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث.

يرجى من الأخوة الباحثين الراغبين في نشر بحوثهم الاقتداء بقواعد النشر والتوثيق الآتية:

1. تُقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.
2. أن لا يزيد حجم البحث عن 30 صفحة «7000» كلمة تقريبا بما في ذلك الهوامش والمراجع.
3. أن يتسم البحث بالأصالة ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.
4. يقدم الباحث بحثه منسوخا على «CD» أو عبر البريد الإلكتروني مع ثلاث نسخ مطبوعة منه، غير مسترجعة سواء نشر البحث أم لم يُنشر.
5. يرفق مع البحث خلاصة مركزة في حدود «100 - 150» كلمة. ويكون هذا الملخص باللغة الإنجليزية إذا كان البحث باللغة العربية ويكون باللغة العربية إذا كان البحث باللغة الإنجليزية.
6. ينشر البحث بعد إجازته من محكمين اثنين على الأقل تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة من بين أساتذة مختصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها على أن لا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.
7. أن يتجنب الباحث أي إشارة قد تشير أو تدل على شخصيته في أي موقع من البحث.

مجلة جامعة القدس المفتوحة

للأبحاث والدراسات

العدد (٣٨) - ج (٢)

8. يزود الباحث الذي نشر بحثه بنسخة من العدد الذي نشر فيه، بالإضافة إلى ثلاث مستلآت منه.
9. تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المرجع أو المصدر كتابا فيثبت اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة فيثبت المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة.
10. ترتب المراجع والمصادر في نهاية البحث «الفهرس» حسب الحروف الأبجدية لكثية/ عائلة المؤلف ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر) الجزء أو المجلد.
11. بإمكان الباحث استخدام نمط «APA» Style في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، حيث يشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب الآتي: «اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة».

المحتويات

الأبحاث:

- تطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين 1914-1922م.
أ. د. جهاد شعبان البطش 11
- الجمعيات الاستيطانية الصهيونية في مدينة القدس (جمعية العاد أمودجاً).
أ. د. مروان فريد جرار 45
- سياسة التهجير القسري وسحب الهويات المقدسية من خلال الأنظمة والقوانين
التي تصدرها سلطات الاحتلال.
د. جمال محمد إبراهيم إبراهيم 83
- الصناعة الصهيونية في فلسطين (1918-1948م).
د. زكريا إبراهيم السنوار/ أ. ربا جمال الزهار 121
- حركة التجارة والحجاج في ميناء جدة 1340-1341هـ/ 1922-1923م
دراسة وثائقية.
د. جبر محمد الخطيب/ د. ثابت غازي العمري 157
- أثر استخدام التاريخ الشفوي كمدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في
تحصيل الطلبة وتنمية ثقافتهم التاريخية الوطنية وإيجاد بيئة تدريسية آمنة.
أ. دعاء حيدر محمد العمري/ أ. د هاني حتمل محمد عبيدات 185

مجلة
جامعة القدس المفتوحة
للأبحاث والدراسات

- الأوضاع التعليمية والصحية في اللد أواخر العهد العثماني (1864-1917م).
أ. احمد سلامة المجالي 217
- أخبار ملكة غرناطة في المصادر المشرقية.
د. آمنة محمود الذيابات البطوش 241
- علوم القرآن الكريم والحديث الشريف في القدس منذ قيام الخلافة العباسية حتى
الغزو الصليبي (132-492هـ / 750-1099م) .
د. عبد الحميد جمال الفراني 279
- دور المماليك في الصراع بين أبناء البيت الأيوبي على السلطة (589-637هـ/
1193-1239م) .
د. جلال حسني سلامة 319
- السياسة الصليبية الإسبانية تجاه بلاد المغرب بُعيد سقوط غرناطة
(1492-1504م / 897-910هـ) .
د. عامر أحمد قبح 351
- العساكر السباهية ودورهم العسكري والاقتصادي في فلسطين خلال القرنين
العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.
د. زهير غنaim عبد اللطيف غنaim/ د. معتصم حسن أحمد الناصر 395

الأبحاث

تطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين 1914-1922 م *

أ. د. جهاد شعبان البطش **

* تاريخ التسليم: 2015 / 5 / 27 م، تاريخ القبول: 2015 / 7 / 22 م.
** أستاذ/ نائب الرئيس لشؤون قطاع غزة/ جامعة القدس المفتوحة/ غزة.

ملخص:

تتطرق هذه الدراسة لتطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين 1914 - 1922م، حيث بداية الحرب العالمية الأولى، حتى مصادقة عصبة الأمم على صك الانتداب البريطاني على فلسطين، وقد حملت هذه القيادات فكراً سياسياً تمثلت معالمه برؤية الاستقلال عن الدولة العثمانية في إطار المسعى العربي، والوحدة مع سوريا، هذا إضافة إلى بوادر تطور هذا الفكر باتجاه الوعي لمخاطر البرنامج الصهيوني، والهجرة اليهودية، وانتقال الأراضي لليهود، إذ مارست القيادات المسيحية العمل السياسي بالمشاركة مع القيادات الإسلامية بمنطلقاتها العائلية، وهذا ما تميز به العمل السياسي للقيادات المسيحية الذي تجنب العائلية، وتمت الاستعاضة عن ذلك من خلال تكوين الجمعيات والأطر الأخرى التي مثلت عرب فلسطين في كثير من وسائل العمل السياسي، وفوق ذلك فإنهم كانوا جزءاً من قيادة الجماهير، وممن يوجه العمل المباشر، وأنهم امتنعوا عن تشكيل أي حزب أو تشكيل مسيحي خاص رغم تشجيع بريطانيا لهم، وظل فكرهم السياسي يتطور بفعل الأحداث.

The Development of the Political Thought of the Christian Leaders in Palestine from 1914 to 1922

Abstract:

This study is about the development of the political thought of the Christian leaders in Palestine (1914- 1922) , that is, from the beginning of the World War I until the authentication of the League of Nations of the British Mandate on Palestine. These Christian leaders adopted a political ideology that represented its own characteristics in seeing independence from the Ottoman Empire in the framework of the Arab endeavor and the unity with Syria. It was possible to see the development of this ideology through the awareness of the dangers of the Zionist program, the Jewish immigration and the transfer of land to the Jews. The Christian leaders had practiced the political work in partnership with the Islamic leaders whose allegiance to certain families is their priority. The political work of Christian leaders avoided family power and replaced it with the formation of other associations and frameworks that represented the Arabs of Palestine, in addition to that they were part of the leadership of the masses, who guided the direct action. They refused to form any party with a Christian religious background which British encouraged, and so their political thought continued to develop.

مقدمة:

تتطرق هذه الدراسة لتطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين في الفترة من 1914 - 1922م، وتكمن أهمية الدراسة في أن الدولة العثمانية مارست القمع ضد الوطنيين العرب، وكانت القيادات المسيحية جزءاً من هذا النسيج الوطني، وأن بريطانيا حاولت سلخ القيادات المسيحية عن مجموع القيادات الفلسطينية، لكنها فشلت في ذلك، وبمجيء الاحتلال البريطاني طرأ تطور في الفكر السياسي لهذه القيادات استطاعت من خلاله معارضة المشروع الصهيوني، وسياسة الانتداب، ومشاركة عرب فلسطين في فعالياتهم كافة.

تجيب الدراسة عن سؤال رئيس وهو: ما التطور الذي شهدته الفكر السياسي للقيادات المسيحية خلال فترة الدراسة؟ وتهدف الدراسة إلى إعطاء صورة موجزة عن أحوال المسيحيين وبخاصة السياسية في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وإيضاح تطور أفكارهم تجاه الثورة العربية الكبرى، والاحتلال البريطاني لفلسطين، وكذلك إيضاح خطابهم السياسي تجاه استقلال فلسطين من خلال الوحدة مع سوريا، وتوضيح سلوكهم ودورهم كقيادات في العمل السياسي، والعمل المباشر.

استعان الباحث بالمنهج التحليلي التاريخي، حيث جمعت المادة العلمية من المصادر القريبة، والمتخصصة، وقد تم دراستها وتحليلها ثم الخروج بنتائج واقعية.

قُسمت الدراسة إلى ثلاثة أقسام؛ أولها: تناول وضع المسيحيين، وقياداتهم، وفكرهم السياسي خلال السنوات التي سبقت بداية الحرب العالمية الأولى، وتم التطرق في القسم الثاني: لتطور هذا الفكر السياسي حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين، والموقف من الثورة العربية الكبرى، ووعدهم بلفور، وموقفهم من الاحتلال، وقد تعرّضنا في القسم الثالث: لتطور الفكر السياسي للقيادات المسيحية من خلال تحليل موقفهم، ودورهم في العمل السياسي، وكذلك بالعمل المباشر حتى عام 1922م وهو عام مصادقة عصبة الأمم على صك الانتداب على فلسطين.

استخدم الباحث جملة متنوعة من المصادر والمراجع أهمها: الوثائق المنشورة، وغير المنشورة، وكذلك البيانات الصادرة عن القيادات المسيحية، ولجانها، وجمعياتها، وكذلك مذكرات بعض هذه القيادات، وبعض الكتب الحديثة التي درست، وحللت تطور هذا الفكر،

فيما توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تمحورت في غالبيتها حول تطور مراحل الفكر السياسي للقيادات المسيحية في فلسطين فترة الدراسة.

تعايش المسيحيون في ظل الدولة العثمانية وقوانينها، وتعاملوا مع نمط الحياة مع المسلمين في فلسطين، ومع مرور السنوات أصبحت دائرة الانتماء تسير تبعاً من الدائرة الأوسع إلى الأضيق ضمن مجموعة دوائر الانتماء إلى الأمة الإسلامية، فالعثمانية، فالعربية، فالفلسطينية، حيث كانت تنحو هذا المنحى، ومنهم القيادات المسيحية.

وقد شكّل النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدايات الوعي السياسي للقيادات العربية في بلاد الشام، ومن ضمنها فلسطين، حيث لم تكن معالم هذا الوعي يحددها الخطاب الديني فقط، إنما بدأ المفهوم الوطني يطغى على ذلك، وهذا ما يجد تعبيراً له من خلال تقارير القنصل البريطاني في القدس جيمس فن (1) James Finn التي رفعها إلى رئاسته في العقد السادس من القرن التاسع عشر، حيث تكررت فيها عبارات أن هناك إرهابات وتباشير ووعي سياسي بين العرب في فلسطين، وكان يركز على نظرتهم إلى الدولة العثمانية- التي عبّر عنها بلفظ الأتراك- بأن الخلافة الإسلامية ليست من حقهم، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك باعتبار فهم العرب الفلسطينيين للاستقلال الوطني هو الاستقلال عن الأتراك (Encyclopedia Judaica, 1972, 130). كانت القيادات المسيحية تحمل المفهوم نفسه، هذا إذا تجاوزنا الحيادية الدينية، والتي عكسها يعني الميل المسيحي غير المتفق مع النظرة الإسلامية.

مثل هذا الوعي تلاقياً مع صراع آخر من المؤكد أنه سيفرز قيادات مسيحية جديدة، وهو الصراع الطائفي الداخلي للمسيحيين في بلاد الشام وفي فلسطين بخاصة، حيث اتخذت انطلاقة الأرثوذكس الوطنيين شكل تمرد وعصيان مع الرئاسة الروحية اليونانية لهم عام 1860م، ونتج عنها قيام الحركة الأرثوذكسية العربية التي قادتها السلطات العثمانية إلى أبعد الحدود، وهذا حتماً سيؤدي إلى تجمع هؤلاء الأرثوذكس نحو الانتماء العربي (الغوري، 1973، 15)، ويترك هذا الانتماء المسيحي للعروبة أثراً تجاه القضايا الفلسطينية الوطنية حتى إلى ما بعد فترة الدراسة.

أولاً - أوضاع السكان المسيحيين في فلسطين قبل عام 1914م:

تشير الأرقام الواردة في الإحصاءات التي تناقلتها المصادر المختلفة إلى أن المسيحيين في فلسطين شكّلوا- بشكل دائم- الديانة الثانية التي يدين بها السكان العرب، وأنه لم يكن انتشارهم في فلسطين موزعاً بنسب واحدة في المدن الفلسطينية، وكذلك فإنهم تعرضوا للزيادة والنقصان، وكل هذا كان بفعل عوامل أهمها: الظروف السياسية، حيث

أفرزت هذه الظروف طليعة مثلت نخبة من القيادات المسيحية في مختلف المجالات أهمها: الأدبية، والاجتماعية، والسياسية، واستطاعوا أن يندمجوا في الحياة السياسية وبدون تخطيط، وذلك أسوة ببقية القيادات الفلسطينية من المسلمين، بل إن هذه القيادات المنحدرة من المسيحيين تمكنوا من إثبات وجودهم بنسبة التأثير بنظام سياسي غير متكامل يفوق نسبة عدد المسيحيين في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة.

- التطور الديمغرافي للمسيحيين في فلسطين حتى الحرب العالمية الأولى:

تفيد المصادر التاريخية أنه في العام 1894م كان عدد الفلسطينيين حوالي (322,338) نسمة، شكّل المسيحيون منهم حوالي (42871) نسمة؛ أي حوالي (13.3) % من مجموع السكان الفلسطينيين، ولم يكن آنذاك أكثر من (40,000) يهودي؛ أي ما نسبته (9.3) % من مجموع السكان الفلسطينيين (Sabella, 2005:32) ، (هذا حسب المصادر الأجنبية التي ربما بالغت في الأمر) وهذا يعني أن المسيحيين كانوا حتى ذلك العام يفوقون عدد اليهود، هذا على الرغم من السياسة العثمانية تجاه الطائفتين في فلسطين.

لم تكن هذه النسبة عادلة الانتشار في فلسطين، فقد كانت القدس تمثل المركز السياسي للفلسطينيين إن لم يكن حتى للسلطات العثمانية أو البريطانية فيما بعد، ومركز نشاط اليهود والمسيحيين أيضاً، وبالتالي كانت نسبة الانتشار المسيحي فيها تتميز عن المدن والمناطق الفلسطينية الأخرى، فقد قُدّر عدد سكان القدس عام 1840م ما مجموعه (11,000) نسمة، كان منهم (3,350) يهودياً، وارتفع عدد المسلمين حتى عام 1880م ليصل إلى (13,000) نسمة تقريباً (الداود، 2009، 29) ، وربما تعود هذه الزيادة الكبيرة في أعداد المسيحيين إلى البعثات التي كانت ترسلها الكنائس الغربية من كاثوليكية وبروتستانت إلى القدس، والتي تمخض عنها إقامة كنائس جديدة، وطبيعي أن يتبع ذلك مدارس، ومعاهد، وعيادات، والذي بدوره يشجع على الاستقرار لتوفر عوامل البقاء، بل تشجيع الآتين من الغرب على البقاء أمام عدم معارضة من الدولة العثمانية نتيجة اتفاقياتها المعروفة مع الدول الغربية، والتي كانت تتضمن التغلغل الغربي للقدس تحت شعار رعاية المسيحيين.

وقد كان عدد سكان فلسطين العرب (مسلمين ومسيحيين) عام 1914م؛ أي في بداية الحرب العالمية الأولى حوالي (750,000) ألف نسمة؛ أي (93) % من مجموع السكان الكلي، وبلغ عدد اليهود منهم (56,000) نسمة؛ أي (7) % من المجموع الكلي، وفي عام 1922 كانت الإحصائية الرسمية لإحصاء سلطات الانتداب: (طنوس، 1982، 109)

78%	757,182	مسلمون
9.6%	87,950	مسيحيون
11%	106,000	يهود
1.4%	13,590	آخرون
100%	964,722	المجموع

لم تختلف المصادر العربية والأجنبية كثيراً في تقديرها لعدد المسيحيين في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة عام 1922م، وقد قدرهم عارف العارف بحوالي (14,700) نسمة تقريباً في القدس مقابل (13,413) من المسلمين، وأن عدد المسيحيين في القدس زاد حتى عام 1944م بحوالي عشرة آلاف آخرين (العارف، 1961، 430)، وهذا يعني أن المسيحيين كانوا في بداية الانتداب أكثر من عدد المسلمين في القدس، لكن هذا لا يعني أبداً أن هذه النسبة تندرج على بقية فلسطين.

وقد اتفق الباحثون في الغرب بعامة على الإحصائيات التي ساقها العارف في تقديره لأعداد المسيحيين في فلسطين عام 1922م، حيث أشاروا إلى الأرقام نفسها تقريباً، بل إنهم ذكروا أن المسيحيين بلغ عددهم عام 1931م حوالي (19,350) نسمة متقاربين من مجموع المسلمين البالغ (19,894) نسمة (Maguire, 1981, 97) وهذا يعني أنهم زادوا بنسبة الربع تقريباً بين الأعوام 1922م و1931م، وهنا يجب الإشارة إلى أن سلطات الانتداب حاولت في هذه الأعوام تشجيع المسيحيين، ودعمهم في محاولة منها لفصلهم عن الحركة الوطنية الفلسطينية، وهنا لا يمكن تجاهل أهمية الدراسة السكانية للمسيحيين في فلسطين وفي القدس بخاصة، كون أن مركز أنشطة القيادات المسيحية في الربع الأول من القرن العشرين كان في مدينة القدس، وكذلك فإن هذه الأعداد ستسهم - أيضاً - في تركيبية المؤسسات الاجتماعية، والاقتصادية، وحتى السياسية كالبلديات، والأندية، واللجان القومية، وقيادة الأحزاب التي كانت عادةً تحافظ على وجود العضو المسيحي فيها، ولكن ليس بالأهمية نفسها أو النسبة.

لم تكن هذه الإحصائيات مجرد أرقام، إنما كانت جزءاً من العرب الفلسطينيين الذين شكّلوا النسيج الاجتماعي في منطقته كانت من أكثر مناطق الشرق الأوسط سخونة، ولم يدخر المتصارعون أية ورقة إلا واستخدموها في هذا الصراع، ولم يكن المسيحيون إلا مكوناً - أيضاً - له نظمه الفرعية في المذاهب، ويكاد يكون هذا ديدن الأديان كافة تقريباً، فقد تكوّنت الطوائف المسيحية في فلسطين من: (الداوود، 2009، 31)

أ. المسيحيين الشرقيين، وأهم مذاهبهم: (الأرثوذكس - السريان اليعاقبة - الأرمن الجورجيون - الأقباط - الأحباش) ، وكان عددهم في إحصاء عام 1922م (18,200) نسمة تقريباً.

ب. المسيحيين الغربيين، وأهم مذاهبهم: (اللاتين - الروم الكاثوليك - الأرمن الكاثوليك - السريان الكاثوليك - الكلدان الكاثوليك) .

ومن الثابت أن العنصر الغربي من المسيحيين في فلسطين، وعلى مر مئات السنين ظل مسيطراً على طليعة المسيحيين ونخبهم، أو ما عُرف بالعنصر اليوناني المناقض تماماً للعنصر العربي الذي ينتمي إليه المسيحيون الشرقيون الأرثوذكس، الذين - وحسب السياسة العثمانية في فلسطين - لم يكن لهم إلا فتات الوظائف الدينية.

- الخلافات المذهبية المسيحية في فلسطين:

كانت أولى المعالم لتشكيل فكرة وطنية لدى المسيحيين قد ارتبطت بعناصر عدة أهمها: الأرثوذكس، وعروبهم، وحقوقهم، وأحقيتهم بالرعاية المسيحية بعامه في فلسطين، ويكون لهم رؤية ومضمون وجود فكر سياسي مكون من نواة اجتماعية، ولولا ذلك لما حصلت ما أسماه الأرثوذكس العرب في فلسطين بالانتفاضة الوطنية للأرثوذكس عام 1860م، وعده الآخرون تمرداً (Maguire, 1981, 112)، صحيح أنه لم ينجح في تحقيق الفكرة التي أشرنا إليها بسبب مساندة السلطات العثمانية لليونان الذين اعتمدوا على تأييد هذه السلطات، فقد صدر أول تشريع خاص بالبطيركية عام 1875م، وظل هذا القانون الأساسي للبطيركية حتى بعد فترة الدراسة، إذ لم يشكل الوجود العربي الأرثوذكس ثقلاً كافياً، ولم يحصل على دعم من السلطات الحاكمة، هذا بالرغم من أن القانون قد حسّن ولو قليلاً في موارده من وضع الأرثوذكس في النظارة العليا التي رأسها البطيرك، والتي جعل نصفها من الرهبان اليونان والكهنة العرب، والنصف الآخر من العلمانيين العرب، ومهمتهم جميعاً الإدارة المشتركة، وقد كانت ردة فعل رجال الدين اليونانيين على ما أسموه بتحيز البطيرك نيقوديموس للمسيحيين العرب، فقاموا بإطلاق النار عليه عام 1890م (الغوري، 2009، 13) ، وهذا يُشير إلى أن الصراع المذهبي لدى المسيحيين في فلسطين قد أسهم في إيجاد قيادات حملت هذه الفكرة، وسنلاحظ خلال الدراسة كيف استطاعت هذه القيادات تحويل بوصلة هذه الصراعات المذهبية إلى مساندة القضية الوطنية الفلسطينية.

دخل القرن العشرون، وبدأت معالم أن قرار تسيير الطوائف المسيحية يتم بأيدي قيادات ليست بالضرورة أن تكون دينية، وأن فكرة حقوق العنصر العربي، وسيطرة العنصر الغربي هي أساس اختلاف الفكرة على الأرض.

ومثّل دستور 1908م العثماني دفعة لزيادة حدة الخلاف بين المذهبين، وبالرغم من أن مواد الدستور لم تحقق كل مطالب القيادات المسيحية الأرثوذكس العرب، فإن رجال الدين اليونان انقلبوا على هذه المواد وتنفيذها بطريقة مغايرة، فكانت ردّة فعل الأرثوذكس بخروج مظاهرات في أغلب المدن الفلسطينية واستيلائهم على دار البطريركية المقدسة وأغلب الأديرة، بل فرضوا الصلاة باللغة العربية، فما كان من ردّة فعل السلطات العثمانية إلا القمع، وهبّ المسلمون لمساندة الأرثوذكس العرب، وشاركوهم المظاهرات، وحملوا شعاراتهم، وكان على رأسهم الشيخ موسى كاظم الحسيني⁽²⁾ (طنوس، 1982، 112).

يمكن الاستدلال من أحداث عامي 1908 - 1909م بين الطوائف المسيحية أن هناك مستجدات عدة لم تكن من قبل، أهمها: قدرة القيادات المسيحية الأرثوذكسية العرب التأثير على بنود الدستور العثماني 1908م والذي حسّن من وضع طائفهم في تشكيل ما أسماه الدستور الكنيسة الشرقية، وكذلك قدرة هذه القيادات - والتي لم تكن دينية بحتة - السيطرة على الأرض، وتأثيرهم المباشر باحتلال بيوت القيادة المسيحية ومراكزها أي أنهم يتمتعون بشعبية واسعة في الوسط المسيحي، إضافة إلى أن مشاركة المسلمين مع طائفة معينة يؤكد أن هناك تنسيقاً بين قيادات مسيحية وإسلامية.

لقد كانت نتيجة هذه الثورة الأرثوذكسية الموجهة من قيادات جُلّها إن لم يكن جميعها من العرب الفلسطينيين أن تم تشكيل المجلس المختلط، وذلك عام 1910م، واستمر الأمر حتى احتلال فلسطين من قبل بريطانيا، وبمساعدة سلطات الاحتلال تم تغيير نمط المجمع ليعود العنصر اليوناني للسيطرة، وفي عام 1921م قامت هذه السلطات بإصدار قانون البطريركية الأرثوذكسية لعام 1921م، والذي لم يراع أيضاً حقوق الأرثوذكس العرب (الغوري، 2009، 36).

أدت أحداث الخلاف المذهبي بين الطوائف المسيحية في فلسطين إلى إبراز قيادات مسيحية سرعان ما استطاعت الانخراط في الحركة الوطنية الفلسطينية، وذلك بفهمهم للهموم الوطنية ولمشكلات الشعب بعامه، ويمكن فهم ذلك من خلال تصريحات الرهبان حول أخطر قضية كان يشعر الجميع بنذير انفجارها وتمدها، وهي الخطر الصهيوني، وتزايد قدوم اليهود إلى فلسطين.

لقد نشر الأب هنري لامنس اليسوعي مقالاً مهماً عام 1899م في مجلة المشرف بعنوان: "اليهود في فلسطين ومستعمراتهم"، تحدّث فيها عن انتشار اليهود في فلسطين، وحثّ السلطات العثمانية على مواجهة هذا النشاط الصهيوني (محافضة، الفكر، 1989، 20)، وهذا يعني أنه رجل دين ومهم، وهو من الكاثوليك، ويتمتع بموقف مناهض للصهيونية،

وهذا يعني أن قيادات مسيحية دينية أو علمانية من الأرثوذكس سيكون موقفهم أكثر وضوحاً، بل سيدخل داخل الإحساس الوطني، وليس حبيس الدائرة الدينية.

- موقف القيادات المسيحية من النشاط الصهيوني أواخر الدولة العثمانية:

أثارت كلمات نجيب عازوري (وهو من الوطنيين المعروفين) في كتابه «يقظة الأمة تجاه الخطر الصهيوني» اهتماماً بالغاً، حيث أشار إلى حتمية الصراع بين الحركة الصهيونية، والحركة القومية العربية، ودعا إلى يقظة الأمة العربية تجاه هذا الخطر (عازوري، 1975، 42)، ويمكن هنا ملاحظة كم سترك فكرة رجل مسيحي أثاراً لدى القيادات المسيحية؛ لأن كتابه هذا أصبح ما تضمنه من فكرة مقاومة الصهيونية بمثابة فكرة وطنية ردها القادة المسيحيون فيما بعد، وأصبحت بمثابة الخطاب الوطني المسيحي الذي يوجه سلوكهم بغض النظر عن الخلافات المذهبية، ولا أعتقد أنه حتى ذلك الحين كان هناك خطاب عربي موحد للقيادات الإسلامية في فلسطين، أي له مرجعية ككتاب عازوري هذا.

لقد تركت هذه الفكرة الوطنية أثراً في تلاحم المسيحيين ليس القيادات فقط، بل عموم الناس تجاه اليهود، وليس حتى الصهيونية فقط؛ لأن العامة كما يبدو لم يفرقوا في ذلك الحين بين اليهودي والصهيوني، ويمكن فهم ذلك من خلال المعاملة اليومية، والعلاقات التي بدأ توترها يظهر جلياً، ويزداد ساعة بساعة بين اليهود والعرب في الشارع الفلسطيني وبخاصة في القدس، فيمكن أن نرى تحريضاً من القيادات المسيحية لمعاملة اليهود حتى في الشوارع والأحياء التي يقطنها المسيحيون، كالتضييق عليهم لدى مرورهم في الشوارع، والشتائم التي توجه لهم من قبل الأطفال (الغوري، 1973، 13)، وهذا يعني أن قيماً ثقافية وطنية شكّلت لدى القيادات المسيحية تم تشريبها للعموم المسيحي، لكنه يعدّ بعيداً عن موقف هو في حد ذاته دور وطني يمكن إضافته لكل الوطن الذي يشكل الحركة الوطنية الفلسطينية بغض النظر عن مدى ترتيبها وتنظيمها.

لقد أوضح خليل السكاكيني⁽³⁾ (وهو أحد قادة الأدب بين المسيحيين الفلسطينيين) الخطر الصهيوني على فلسطين، وعلى الأمة العربية، بل إنه كان يذكر كرهه للصهيونية، ويشرح أسباب ذلك من باب قومي عربي، ويسوق ذلك على أن الصهيونية باحتلالها فلسطين ستحول دون تواصل الأمة العربية في الشام، والجزيرة العربية، وأفريقيا (السكاكيني، 1955، 64)، وهذا يعني أن الموقف من الصهيونية ورفضه أصبح موحداً بين القيادات المسيحية سواء أكانت الدينية، أم السياسية، أم الأدباء والكتاب.

وبالرغم من أنه لم يكن هناك مظهر حقيقي لوجود حزب أو تجمع للقيادات المسيحية، فإنه في بداية القرن العشرين وبفعل التطورات الذاتية والموضوعية للفلسطينيين كانت تلك

الأحداث التي تجري في الدولة العثمانية نفسها كفيلة ببلورة فكرة تعطي شيئاً من الشعور بالقوموية العربية من المؤكد أن المشاعر المشابهة لها من جانب الأتراك كانت ستتعارض تماماً معها.

من البدهي أن السواد الأعظم إن لم يكن جل القيادات المسيحية ستنتهي إلى التيار القومي، وليس إلى التركي، ولسنا بصد الحديث عن التباين الديني بين المسيحيين الأتراك، وعليه فعندما تشكلت جمعية الإخاء العربي العثماني في الاستانة كان من مؤسسيها اثنان من القدس، وعندما تأسس لها فرع في القدس لم يكن من الغرابة أن يكون نصفها من القيادات المسيحية (الحوت، 1974، 117 - 118)، وقد كان هذا الاندفاع نحو المشاركة في هذه الجمعية هو تلك المشاعر القومية التي استدرجتها أدبيات هذه الجمعية التي سعت لإعلاء شأن العرب، واللغة العربية ضمن الدولة العثمانية ككل، بل يمكن أن نرى أهداف الجمعية التي تسعى لمساعدة الفقراء والمرضى العرب وإعانتهم.

من الواضح هنا المشاركة المسيحية الواسعة والفعّالة في هذه الجمعية، حيث لم تكن أي مسافة بُعد بين القيادات المسيحية والإسلامية، بل كان الجميع يعمل من خلال خطاب واحد يأخذ شكل العمل القومي الذي سرعان ما توسعت الهوية بينه، وبين نشاط الاتحاديين الذين ما أن علا شأنهم حتى أغلقت هذه الجمعية عقب الانقلاب مطلع عام 1909م (محافظة، 1989، 16).

ثانياً - اتجاهات القيادات المسيحية تجاه بريطانيا وتركيا عقب الحرب العالمية الأولى:

صحيح أنه عند نشوب الحرب العالمية الأولى كانت عامة الناس في فلسطين مازالت تؤيد الدولة العثمانية ورايتها الإسلامية، وبخاصة إن كانت ضد الإنجليز والفرنسيين، وهذا ما يجد تعبيراً له من خلال تلك الأجواء التي سادت القدس عقب نشوب الحرب، والتي تميزت بالعناد والأهازيج، بل إقبال الرجال على الالتحاق بالجيش العثماني. وإن ما يعنينا هنا هو: هل كانت هذه الأجواء تسود نفوس القيادات المسيحية؟ ليس من المنصف إذا افترضنا أن القيادات المسيحية ستدعو إلى اللحاق بالجيش العثماني، بل أن السيد إيميل الغوري⁽⁴⁾ وهو أحد القيادات المسيحية الفلسطينية يذكر: «أن المسيحيين لم يكونوا متحمسين للأتراك، وأن الطوائف التي كانت كلٌ منها باتجاه أحد دول الحلفاء، فالأرثوذكس نحو روسيا، واللاتين نحو فرنسا، والبروتستانت نحو إنجلترا (الغوري، 1973، 17)، بل إن أهم مكان كانت تتجمع فيه القيادات المسيحية قد أغلق أبوابه بمحض إرادته المسيحية، وذلك بغرض عدم إثارة انتباه الأتراك؛ لأن المسيحيين وبلا شك راح كثيرون منهم يعمل في

صفوف الجيش البريطاني، بل إن عارف العارف يذهب إلى أبعد من ذلك عندما وصف كيف أن المسيحيين شكلوا كيانات في المحطات التي كان الجيش البريطاني يفتحها، وبمجرد انتهاء الحرب قامت القيادات المسيحية بإعادة فتح مقر تجمعهم الذي يعود لجمعية الشبان المسيحيين (العارف، 1961، ج2، 153).

- اتجاهات القيادات المسيحية تجاه تعهدات بريطانيا عامي 1916 و 1917م:

لقد مارست القيادات المسيحية أنشطتها هذه، والمؤكد أنها ليست مساندة للأتراك، بل تطورت وأخذت شكلاً مبكراً من أشكال التحريض ضد الالتحاق بالجيش العثماني أو التجنيد، حتى أصبحت ظاهرة في فلسطين بعامة، وفي القدس والجليل بخاصة (الغوري، 1973، 17). ومن هذا الدور يمكن استنتاج ما يأتي:

- أدركت القيادات المسيحية في فلسطين في وقت مبكر أكثر من القيادات الإسلامية عدم صحة الاشتراك مع الدولة العثمانية في الحرب.

- تأثر القيادات المسيحية بتأييد الدولة التي تتشارك فيها بالطائفة.

- لم تشارك القيادات المسيحية أبداً الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

ويمكن القول هنا إن سنوات الحرب العالمية الأولى شهدت تنامياً في الشعور القومي العربي، وبدلاً من قيام الدولة العثمانية باستمالة العرب ومن ضمنهم أهل فلسطين، فإنهم ومن منظور القيادات المسيحية مارسوا القسوة على الفلسطينيين، وأدى ذلك إلى مقتل، أو أسر، وتعذيب، وإبعاد عدد من هذه القيادات، وقد جاءت الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين لتكتمل تطابق الرأي والموقف تماماً بين القيادات الإسلامية والمسيحية في فلسطين تجاه الدولة العثمانية، وهذا ما أدى إلى تعاطف بل اندماج المسيحيين في فلسطين في صفوف الثورة العربية الكبرى، بل إن القيادي المسيحي الفلسطيني خليل السكاكيني ذكر في مقالاته أن هذه الثورة كانت «تبشّر بزوال الظلم التركي عن فلسطين والشام» (السكاكيني، 1972، 17)، وهذا مؤشّر إلى أن المسيحيين لم يعيروا العامل الديني اهتماماً كبيراً في أثناء دخولهم الثورة العربية تحت إمرة الشريف حسين.

اتضح دور القيادات المسيحية من الثورة العربية ليس فقط عبر القيادات المجتمعية منها، بل لم يتوان المسيحيون، وبتحريض من غالبية قياداتهم عن الالتحاق بالثورة، وكانوا بارزين في مكتب التطوع التابع للثورة عام 1917م، حيث سجّل فيه المئات من الشبان المسيحيين لوضع أنفسهم تحت تصرف الأمير فيصل بن الحسين قائد الجيش الشمالي للثورة، فيما عدّ المؤرخون الصهاينة ذلك بمثابة تحريض على المشروع الصهيوني

(Gonny, 1987, 22)، وهنا تبدو المبالغة، وعدم الموضوعية في الموقف الصهيوني من هذا الأمر.

و ميّز الأتراك في كبهم جماع الثورة في فلسطين القيادات المسيحية، مستغلين العامل الديني وحساسيته لدى العرب المسلمين، (وبرغم أن أعواد المشانق العثمانيين لم تفرق بين مسلم ومسيحي) فقد قبضوا على خليل السكاكيني على سبيل المثال، ونفوه إلى دمشق، وزجّوا به في السجن هناك، واستطاع بعض رجال الحركة الوطنية الفلسطينية بمساعدة سوريين تهريبه من السجن، وإخفائه عن أنظار الأتراك في البادية حتى تم التحاقه بمعسكرات جيش الثورة قرب معان (الغوري، 1973، 124)، ومن المؤكد أن هذا الحدث قد زاد من موقف ردود القيادات المسيحية تجاه الثورة العربية الكبرى.

وقد ثبت لدى المؤرخين أن الشريف حسين لم يكن يدرك تلك التفاهات التي حصلت في سايكس بيكو قبل شهر تقريباً من تفاهاته مع المعتمد البريطاني في مصر السير مكماهون، لكن من المستبعد أن المنظمة الصهيونية كانت على الشاكلة نفسها، واهتم الباحثون الصهاينة في معرفة الجهات التي سبقت إلى اتخاذ موقف من سايكس بيكو بين العرب، وقد كانت القيادات المسيحية السبّاقة لذلك، وليس أدل على ذلك من المقالات التي كتبها عازوري والتي تتطرق إلى الربط بين سايكس بيكو والمشروع الصهيوني، بل إنه حمل المسؤولية عن ذلك إلى تركيا (أفنييري، 1986، 102)، وكانت سايكس بيكو حلقة من حلقات الموقف البريطاني تجاه فلسطين، وأحد تعهداتها تجاه فلسطين، والذي سيتبعها وعد بلفور.

وبالرغم من أن اتفاقية سايكس بيكو قد كُشِفَ النقاب عنها بعد مدة من الزمن، فإن القيادات المسيحية لم تألُ جهداً في تفسير ما حصل من زاوية مخاطرها على المشروع القومي العربي، ومن ثم من الصهيونية، وعدّوها "وثيقة منفصلة وأنها نتاج أسوأ الطمع، ونموذج مريع للضياع" (أنطونيوس، 1987، 116)، ومن الواضح أن هذه نظرة تعكس خطر الوثيقة على الشعور القومي، وبالذات بلاد الشام، وكذلك تمييزها بالخداع بغرض خدمة الصهيونية.

لقد كانت القيادات المسيحية أول من كشف العلاقة بين اتفاقية سايكس بيكو ووثيقة وعد بلفور، حيث كشف عزت طنوس⁽⁵⁾ عن اقتراح السير مارك سايكس، وكان وكيل وزارة الحرب البريطانية، أنه من الممكن التحويل على اليهود الأمريكيين في إقناع الإدارة الأمريكية لدخول الحرب لمساندة الحلفاء إذا قامت هذه الأخيرة بوعد اليهود بفلسطين، وهذا الشخص كان الأكثر تحمساً بين الشخصيات البريطانية لهذه الفكرة (طنوس، 1982، 57)

، ويبدو أن الأمر كان منسقاً مع القادة الصهاينة في ذلك الحين، وإلا كيف تم تخريج الوعد عبر رسالة إلى البارون روتشلد آنذاك؟

حاولت بريطانيا وفور احتلالها لفلسطين تسهيل كل ما من شأنه تجميل صورة وعد بلفور، وقد تصدرت القيادات المسيحية الموقف الفلسطيني من الوعد عندما دعا الحاكم العسكري البريطاني مجموعة من القيادات الفلسطينية للاستماع إلى حاييم وايزمان⁽⁶⁾ في القدس، والذي حاول طمأنتهم بكل السبل، فما كان من يعقوب فراج الذي عبّر عن استياء القيادات الفلسطينية جميعاً من كلمات وايزمان، وأنها تنم عن مطامع، بل إن القيادات المسيحية هي من اقترحت تنظيم الجهد العربي، وليس الفلسطيني فقط للتصدي للوعد، ورفض الهجرة اليهودية وانتقال الأراضي (دروزة، 1982، مج 1، 311).

- موقف القيادات المسيحية من الاحتلال البريطاني لفلسطين:

وصلت القوات البريطانية لفلسطين في نهاية 1917م، ولم يكن الأمر سهلاً على الفلسطينيين، ومن المؤكد أن الدافع هو عاطفي وجداني متعلق بالمقارنة في نفوس هؤلاء الفلسطينيين بين الجيش غير المسلم المنتصر، وهو صديق الثورة العربية ممزوجاً بأمل الوفاء بوعدده للشريف حسين في تفاهات مع السير مكماهون، ومخلصاً لعذاب الأتراك وسلوكهم ضد الوطنيين العرب، وبين هزيمة جيش حافظ على العرب لأكثر من أربعة قرون من أخطاء متعددة، وممزوج بحزن لم يمر عليه شهران فقط، ألا وهو وعد بلفور. صحيح أن هذه المشاعر كانت تسري في نسيج عقول القيادات الإسلامية والمسيحية وقلوبهم، ولكن ترجيح الكفة في النهاية لن يتطابق بين هذه القيادات، ومهما تكن فقد حان الوقت لوضوح الصورتين، ففريق الغالبية من المسلمين - تقريباً - بدأوا يبدون الأسف على حكم عثماني إسلامي انهزم أمام الحلفاء، فهذا ضربة للإسلام ونصرة للمسيحية، وفريق آخر توهم بأن هذا الاحتلال نصير للمسيحية، وأغلبه من المسيحيين (السكاكيني، 1972، 90). ويمكن لنا أن نرى رأي القيادات المسيحية بالانحياز إلى الاستبشار بالاحتلال البريطاني بوصف إميل الغوري بأن: «أبناء الطوائف المسيحية كانوا أشد أبناء القدس وبيت لحم حبوراً بوجود البريطانيين بالقدس» (الغوري، 1973، 30)، ما يعني أن الفريقين لم يكونا - أيضاً - متطابقين في الموقف، أو حتى النظرة تجاه الأتراك.

لم تختلف المصادر المسيحية عن المصادر الأخرى في نقلها موقف القيادات الإسلامية من الاحتلال البريطاني، ولكن السؤال هل شاركت القيادات المسيحية القيادات الإسلامية الموقف نفسه؟ لا أعتقد ذلك، ويمكن أن نجد ذلك تعبيراً له من خلال عدم انسحاب القيادات المسيحية من حفل استقبال الجنرال إدmond اللبني⁽⁷⁾ في القدس عقب خطبته التي

تطرق فيها إلى اعتبار دخول قواته للقدس نهاية الحروب الصليبية (الغوري، 1973، 73)، لكن ذلك لا يعني أن هذه القيادات المسيحية قد أصبحت حليفاً للبريطانيين، فليس هناك روايات تتناقض مع هذا المفهوم.

إن المتتبع لاحتفالات دخول البريطانيين للمدن الفلسطينية يدرك أن غالبية القيادات التي كانت ترحب بالبريطانيين هي من القيادات المسيحية لهذه المدن، إضافة إلى قيادات أخرى من المسلمين، وما يدل على ذلك كلمات هذه القيادات المسيحية كإسحق فانوس في حفل الرملة واللد، وخطبة يوسف العيسي في حفل يافا، واحتفال عكا الذي كاد أن يكون جميع القيادات الفلسطينية فيه من المسيحيين (خلة، 1974، 199)، ومن المؤكد أن هذه الخطابات والكلمات ستترك أثراً في صناعة وتشكيل الموقف من الاحتلال البريطاني.

كان يمكن ملاحظة فتور الاحتفالات والسعادة بالنصر البريطاني، ودخول قواتهم إلى فلسطين يوماً بعد يوم، لكن يبدو أن الناس كانوا يتأثرون برأي قيادتهم، وكان من السهل رؤية مواسم الأعياد المسيحية (الميلاد، ورأس السنة، والطهور، والغطاس) لدى الطوائف المسيحية بعد بضعة أسابيع من الاحتلال، والناس يحتفلون بها على غير شاكلة الأعوام السابقة، فقد امتلأت القدس وبيت لحم بالآلاف من البريطانيين، والفرنسيين، والإيطاليين، وهم يحتفلون وينفقون الأموال بالتسوق، وكان المسيحيون يصفون ذلك بأنه نتيجة بركة الاحتلال البريطاني (الغوري، 1973، 31). ويبدو أن هذه الآلاف هم من الجنود والعساكر، وليسوا من الحجاج، فليس من المعقول أن يأتوا للحج بهذه السرعة في وقت كانت بلادهم أصلاً مستعرة بالحروب، لكن يمكن اعتبار هذا التغيير في طقوس الاحتفالات المسيحية نتيجة تغير الظروف، وموقف القيادات المسيحية تجاه هذا الاحتلال.

وقد بدا واضحاً أن موقف القيادات المسيحية تجاه الاحتلال البريطاني لم يكن ناتجاً كردة فعل على حدث معين أكثر مما هو قناعة لفكرة وممارستها، ما يعني أنه تطور ما بالفكر السياسي لهذه القيادات، وبخاصة إذا رأينا أن هذا التطور قد تغلغل في عقول غالبية القيادات المسيحية.

إن التعبير عن فكرة اجتماعية بحماسة تعني أنها ارتقت إلى دافعية ناتجة عن قناعات، وأنها ستأخذ تغيراً في سلوك هذه القيادات لتجميع هذه الأفكار في فكرة موحدة بين عدد من القيادات لممارسة فكر سياسي في حزب سياسي، وهذا ما يجد تعبيراً له من خلال تكوين حزب عربي فلسطيني موالٍ لبريطانيا بمعنى الكلمة، وأن المتقدمين لتأسيسه هم من المثقفين الذين يحملون خلفيات مسيحية تبشيرية، وبرئاسة نجيب نصار⁽⁸⁾ صاحب جريدة الكرمل، ولو أنها ضمت قيادات إسلامية، لكن في تشكيلها قيادة الحزب النهائية

كانت الصبغة المسيحية تغطي على هذا الحزب (الحوت، 1974، 85)، ولا يمكن هنا نفي تقارب مواقف نجيب نصار والتي تجدّ تعبيراً لها في مواقف الصحيفة التي تعبر عن القرب من مواقف الاحتلال البريطاني.

صحيح أن الفكر السياسي لقادة حزب معين لا يمكن التعبير عنه أو رؤيته بشكل رئيس إلا من خلال أدبيات هذا الحزب التي عبّر عنها رئيسه نجيب نصار، والذي حاول إبراز أهداف حزبه بأنها خدمة لمصالح العرب الاجتماعية، والاقتصادية، ولجمع كلمتهم، بل عدّ أن هناك ربطاً بين الأمة العربية والأمة البريطانية، واستعرض فضائل بريطانيا على العرب في تخليصهم من الاحتلال التركي (جريدة الكرمل، 19/11/1918). ولكن إلى أي حد سيستمر سلوك هذا الحزب؟ وبخاصة إذا اتسعت الهوة بين ممارسات بريطانيا تجاه قضية فلسطين والمشروع الصهيوني.

كانت الإجراءات البريطانية تجاه العرب في فلسطين، وتجاه اليهود والصهاينة ليست على النسق نفسه، فهي مرتبطة بوعود تهم العرب عبر الشريف حسين وللصهاينة عبر وعد بلفور، لكن الظروف لم تكن نفسها قبل أعوام عدة؛ أي أن الالتزام مع الشريف حسين لم يعد ممكناً، بينما تزداد الحماسة لتنفيذ الوعود للصهاينة بإقامة وطن قومي في فلسطين، ومن المؤكد بأن القيادات المسيحية لن تقبل هذه المعادلة، وبهذا الوضع.

ويمكن القول هنا إنه لم تكن ملامح الفكر السياسي للقيادات المسيحية ووعيهم لأهمية مناهضة الصهيونية فكراً ونشاطاً إلا من خلال اندماج هذا الفكر ضمن المكون الكلي للفكر السياسي لقيادات الحركة القومية العربية تجاه هذا الأمر، حتى وإن لم يكن ذلك ضمن أطر حزبية أو منظمة لهذه القيادات، ولم يكن هناك خلاف بين إدارات الدولة العثمانية سواء أكان في القدس، أم في الاستانة، وبين القيادات العربية حول النظرة العامة للصهيونية؛ لأنه ببساطة ستكون هذه السلطات هي المسؤولة عن أية إجراءات تتخذ ضد النشاط الصهيوني في فلسطين.

وقد كان التعبير عن موقف التيارات المسيحية وحتى الإسلامية - أيضاً - يلزمه أطر اجتماعية أو سياسية لكي تنظم جميع الفكرة تجاه الصهيونية، ويبدو أن بوابة معارضة المشروع الصهيوني ومناهضته كانت المدخل لإنشاء الجمعيات الإسلامية المسيحية، وكأنها توضح لبريطانيا أنها ليست ضدها، إنما ضد المشروع الصهيوني.

عدّ عزت طنوس أن استياء عرب فلسطين للنشاط الصهيوني لإقامة الوطن القومي لليهود هو السبب في بحث الفلسطينيين (مسلمون ومسيحيون) عن إطار يجمعهم بغض النظر عن الدين، أو أن ذلك استمرراً لتلك الوحدة التي نشأت قبل الاحتلال البريطاني

لفلسطين ضد تركيا (طنوس، 1982، 100)، وهنا يريد إضفاء الوحدة الوطنية على هذه الحالة الوجودية.

لم يكن إميل الغوري يبتعد عن هذا الاستنتاج، فقد عدّ تكوين الجمعيات الإسلامية المسيحية كرد فعل طبيعي ضد السياسة البريطانية الموالية للصهيونية، و ضد نشاط البعثة الصهيونية في فلسطين (الغوري، 1955، 106). ويلاحظ هنا في آراء القادة المسيحيين حرصهم الكبير على إبعاد العامل الطائفي عن صورة هدف إنشاء هذه الجمعيات.

تبدو الصورة من منظور بريطانيا تجاه هذه الجمعيات مغايراً تماماً، فهي لم تدعم أن تكون هذه الجمعيات بمثابة أداة أو وسيلة يتصدى فيها العرب - مسلمون ومسيحيون - للمشروع الصهيوني الذي التزمت بريطانيا بدعمه، ولم تكن هذه الفكرة هي الطاغية على الفكر السياسي لكل القيادات المسيحية، فهناك من ارتأى غير ذلك، وأنه من الممكن أن تكون بريطانيا غير هذه الصورة غير الحسنة، فحاولوا التقرب من بريطانيا، وبالتالي شهد الفكر السياسي خلال السنوات التي تلت وعد بلفور واحتلال بريطانيا لفلسطين موقفاً غير متطابق من قبل هذه القيادات، ويمكن فهم ذلك من خلال تعبير خليل السكاكيني الذي يصف فريقاً من القيادات المسيحية بقوله: «الصعاليك من ينتظر مجيء الإنجليز لتعتز النصرانية، بل إنه كان يهدد بأن بريطانيا لن تنجح في إفهام العالم الخارجي أن المسيحيين راضون عن هذا الاحتلال» (السكاكيني، 1955، 91).

سعت بريطانيا إلى تأسيس جمعية «محبى القدس»؛ لتحاول إبراز صورة القيادات المسيحية الموالية للسياسة البريطانية، والتي حاولت إعلان هدفها على أنها ستحسن مدينة القدس عمرانياً وأثرياً؛ للمحافظة على قدسيتها، ولكن كان من الملفت أنها حقاً تضم شخصيات إنجليزية، وعربية، ويهودية، وأغلب العرب هم من المسيحيين (العارف، 1996، 386). ويبدو أن هذا الأمر كان يشكل خطورة على الفهم العام للقيادات المسيحية في فكرهم السياسي تجاه القضية التي أصبحت تختص بها فلسطين سواءً أكانت الصهيونية، أم السلوك البريطاني.

وتميزت الأعوام 1918 و1919م من خلال مشاركة القيادات المسيحية في إحياء المناسبات الإسلامية، بل دعوتهم للمسيحيين بعامة للمشاركة في ذلك عبر كثير من النوادي التي أسست من قبل القيادات الإسلامية الشابة، وكان منها: النادي العربي الذي أسسه محمد أمين الحسيني⁽⁹⁾ وبعض القيادات المسيحية أمثال: بولس شحادة⁽¹⁰⁾. وبطبيعة الحال لم تكن عائلة النشاشيبي «المنافسة» ببعيدة عن ذلك، فقد شكّلت هي الأخرى المنتدى الأدبي لتشارك فيها قيادات مسيحية أهمهم: صليب الجوزي، وتضمنت أدبيات النادييين

الوحدة مع سوريا، ومكافحة الصهيونية (الحوت، 1974، 87). ويلاحظ هنا بدايات تنافس بين عائلتي النشاشيبي والحسيني في إطار سياسي شهد إيلاجاً للقيادات المسيحية بداخله، وأن أدبيات هذا الفكر لم تتضمن صراحة مناهضة الاحتلال البريطاني، مما سيسهم ذلك مستقبلاً في نسج علاقة الحركة الوطنية الفلسطينية بسلطات الانتداب.

لقد أسهمت هذه الجمعيات والنوادي في تقريب الفكر السياسي للقيادات المسيحية والإسلامية، وخاصة إذا ذكرنا أن المسيحيين شاركوا في إحياء مناسبات إسلامية أخذت الشكل الاجتماعي بل والديني أيضاً، وإلا فكيف تُفسر مشاركة عدد كبير من القيادات المسيحية في احتفالات النبي موسى (جبارة، 1995، 27)، فهذا يعد صورة راقية من الوحدة ليس عرضها مجرد إحياء مناسبة كهذه، إنما إرهاصات فكر سياسي مشترك ستظهر نتائجه فيما بعد.

- دور الجمعيات المسيحية بتشكيل اتجاهات الفكر السياسي للقيادات المسيحية:

ليس من تخصص هذه الدراسة البحث في جملة تشكيل الجمعيات المسيحية، ولكن فقط مناقشة دور هذه الجمعيات في تشكيل الفكر السياسي للقيادات المسيحية وتطوره، وأن معرفة تاريخ تشكيل أول جمعية إسلامية مسيحية يعطي صورة عن الظروف التي تشكلت في ظلها؛ لأنها نبعت من فكر القيادات الإسلامية والمسيحية، وبغض النظر عن الروايات المختلفة لكيفية إنشاء هذه الجمعيات، فإن مصادر الدراسة لم تختلف على أن وعد بلفور وخطاب وايزمان فيما بعد أمام القيادات الفلسطينية كان سبباً مهماً في تشكيل إطار يوحد الجهود التي ستقف في وجه المشروع الصهيوني (دروزة، 1980، 311).

إن المتتبع للأسماء المشكلة لهذه الجمعية يمكن له أن يرى صورة جزئية للفكر السياسي للقيادات المسيحية، كأنتوني الغوري⁽¹¹⁾ وخليل السكاكيني، وإلياس مشبك، وجميعهم يحملون فكراً قومياً بعيداً عن النظرة الدينية، وكانوا سابقاً قد أشادوا بالثورة العربية الكبرى، وإن لم يشاركوا فيها فعلياً، وأن الرأي العام للقيادات المسيحية كان يدعمهم ويمتثل لتعليماتهم (الغوري، 1973، 37). وقد كان التطور في الفكر السياسي للقيادات المسيحية - في موضوع تشكيل الجمعية الإسلامية المسيحية - هو إبراز فكرة زعماء حركة وطنية، وإيجاد إطار يمثل الفلسطينيين، وأن هذه الجمعية ليست عميلة لبريطانيا أو أنها على وفاق معها، وهذه أفكار أيضاً ستحدد مسار سلوك القيادات المسيحية فيما بعد.

سعت بريطانيا إلى فض أي مظهر للوحدة بين المسيحيين والمسلمين في فلسطين، ويمكن القول إن بريطانيا لم تكن تتوقع هذه الوحدة بين الديانتين، وكانت تعول على عدم مشاركة المسيحيين للمسلمين مقارعة المشروع الصهيوني ودور بريطانيا فيه، وبالتالي

لعبت على وتر الديانة، حيث قام عدد من القساوسة البروتستانت البريطانيين ومطران القدس بنفسه، وهو بريطاني، ببذل جهود كبيرة للتأثير على القيادات المسيحية من بوابة أن بريطانيا تميزهم عن المسلمين. ومما يدل على أهمية هذا الأمر بالنسبة لبريطانيا أن استعانت بمطران بيروت المطران مبارك الموالي لفرنسا لأجل هذه الغاية، بل إنها توجهت لبابا الفاتيكان بنفسه ليسهم في إقناع المسيحيين في فلسطين بتغيير فكرهم السياسي الذي أصبح معادياً لبريطانيا (الغوري، 1973، 317)، ويبدو أن توجههم للفاتيكان يعني أن الحكومة في بريطانيا نفسها بذلت هذا الجهد، فلا يعقل أن يقوم الحاكم العسكري البريطاني في فلسطين بالاتصال بالبابا بهذا الشأن، مما يعني أهمية الأمر لدى بريطانيا.

حرصت القيادات المسيحية عند تشكيلها لهذه الجمعية أن تبعد الصفة الدينية عن الموضوع، ولم يكن تسميتها بالإسلامية المسيحية خيارها ولا حتى خيار القيادات الإسلامية تسميته «الجمعية العربية» وهي التي اقترحت أن تكون التسمية بالجمعية الإسلامية المسيحية (فاين، 1997، 139). ويبدو أن ذلك مطلب بريطانيا، حيث كانت حريصة في خطابها في التعامل مع الفلسطينيين على أنهم من الطوائف غير اليهودية، وذلك كما ورد في وعد بلفور، وأن اسم الجمعية المرتبطة بالدين سيساعدها على إبراز الطائفية بالأمر، وافترضها أن ذلك لن يستمر.

لقد تخوفت بريطانيا من مسألة الوفاق بين الفلسطينيين الذين تجاوزوا أمراً ليس بالسهل، وهو اختلاف الدين، وأن يتطور هذا الأمر إلى أن يعد العرب هذه الجمعية جهة ممثلة لهم، بفرض وحسب تصريحات مسؤولين حكوميين بريطانيين أن هذه الجمعية هي مقاومة للنشاط الصهيوني وبالذات انتقال الأراضي (أرشيف دولة إسرائيل، 1919). ونستطيع القول إن هذا المفهوم لم يكن بعيداً عن فكر القيادات سواء أكانت الإسلامية أم المسيحية، ولكن يُسجل هنا تحوّل كبير في الفكر السياسي للقيادات المسيحية الذي يحول تمثيل الفلسطينيين إلى جهة جديدة غير أعيان العائلات أو رؤساء البلديات، وكذلك فإن هذه الجهة تتجاوز الطائفية أو الدين، ما يعني أنه سيكون لها قاعدة جماهيرية واسعة.

ويمكن القول هنا إنه ثبت قطعاً بأن فكرة الاستجابة لجهود بريطانيا هو إبعاد القيادات المسيحية عن الفكر السياسي الفلسطيني العام، والذي كان توجهه نحو التعاون مع بريطانيا في دعم أو حتى مهادنة المشروع الصهيوني، وقد وجد ذلك تعبيراً له من خلال الانقلاب الذي حصل في الحزب العربي الموالي لبريطانيا، والذي كان أغلبيته من القيادات المسيحية، لكن ليس به أغلب القيادات المسيحية، حيث وجدت قيادات هذا الحزب نفسها معزولة تجاه حضورها المؤتمر الذي دعت إليه الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس في يناير 1919م بغرض تحديد الموقف من مؤتمر السلم الدولي الذي سيعقد قريباً

في باريس، حيث بذلت هذه القيادات المسيحية جهداً للحصول على موافقة بريطانيا على تغيير اسم الحزب ليصبح جمعية إسلامية مسيحية في حيفا (جريدة فلسطين، ع 41، 21/01/1919م). ويشار هنا إلى أن هذا التحول لا بد أن يتبعه - ولو قليلاً - تحول في الفكرة السياسية للقيادات السياسية في الحزب العربي الموالي لبريطانيا، فانتقالهم إلى الجمعية الإسلامية المسيحية يعني موافقتهم على برنامج هذه الجمعية، والذي لم يكن موالياً لبريطانيا، أو على الأقل لم يكن قريباً منها كالحزب السابق.

إن توحيد فكر القيادات المسيحية كافة في تجمع سياسي واحد وهو الجمعية الإسلامية المسيحية كان بمثابة ضربة لمهندسي السياسة البريطانية التي حاولت جاهدة شق الصف الفلسطيني من بوابة القيادات المسيحية، حيث إن مشاركة القيادات المسيحية والإسلامية كافة في مؤتمر استطاع انتخاب جهة سنسميها ولو بأقل التسميات التنظيمية هيئة موحدة، ويعد ذلك انتصاراً لما سيصبح أن نطلق عليه الحركة الوطنية الفلسطينية، حيث شملت هذه الجهة عدداً من القيادات المسيحية التي فازت بأعلى الأصوات في دوائر القدس، والناصر، وبيت لحم (عن هذه الانتخابات أنظر جريدة فلسطين، ع 43، 30/01/1919). لكن ذلك لا يعني أبداً أن نفترض بأن كل القيادات المسيحية في هذا المؤتمر كانت متطابقة الرأي، أو الفكرة السياسية، أو حتى أن نفترض أن القيادة المسيحية التي كانت قبل بضعة أيام موالية لبريطانيا قد غيرت من فكرها السياسي تماماً.

ثالثاً - القيادات المسيحية وسلطات الانتداب البريطاني حتى عام 1922م:

انعقد مؤتمر السلم في قصر فرساي بفرنسا عام 1919م، وقدم الفلسطينيون برئاسة الأمير فيصل الذي مثل العرب مذكرة إلى المؤتمر التي تخص مطالب العرب، وليس عرب فلسطين وحدهم، حيث طالبوا بالاستقلال بمنطقة (الإسكندرون حتى المحيط الهندي) ومن ضمنها فلسطين، وقد تبين أن المذكرة التي شاركت في صياغتها القيادات المسيحية في فلسطين لم تكن هي نفسها التي عرضها الأمير فيصل، أو على الأقل في الشق الذي يتعلق بفلسطين، فقد بدا من مذكرة الأمير أنها صيغت بألفاظ وعبارات لا تعني رفض المشروع الصهيوني ووعد بلفور، إنها أقل من ذلك بكثير (شوفاني، 1981، 363)، والمقصود هنا إعفاء القيادات المسيحية مما قد يعده الباحثون مهادنة، أو استجابة الأمير فيصل للضغوطات البريطانية عبر مذكرة لا تُعبّر عن الفكر السياسي لدى القيادات المسيحية حتى عقد مؤتمر الصلح في باريس عام 1919م بأنها كانت على ثوابت نبعت من أفكار الجمعية الإسلامية المسيحية التي نصت على المطالبة باستقلال سوريا المتحدة من طوروس حتى رفح، ورفض الهجرة اليهودية، وأن اليهود أقلية من السكان، وبالأصل هذه هي نصوص

المذكرة التي رفعها الفلسطينيون لتكون جزءاً من مذكرة الأمير فيصل (الكيالي، 1988) وهذا يعني بلا شك أن الفكرة الوطنية الفلسطينية تجاه حدود وطنية لفلسطين لم يكن قد تطبع بعد في نسيج الفكر السياسي لدى القيادات المسيحية في فلسطين، وكذلك لدى القيادات الإسلامية.

- دور القيادات المسيحية في اللجان والوفود الوطنية:

ساد مؤتمر الصلح في باريس كثير من الخلافات بين فرنسا وبريطانيا، وكان الصراع على المنطقة العربية جزءاً من هذا الصراع، لكن يبدو أن فلسطين لم تكن ضمن هذا الإطار الخلافي، ذلك أن الولايات المتحدة لم يعنها بالأمر سوى استمرار الالتزام بوعده بلفور، وعليه فقد دعا الرئيس الأمريكي ولسون إلى إرسال لجنة تقصي حقائق إلى المنطقة وبخاصة إلى سوريا (من ضمنها فلسطين) ووافقت على ذلك بريطانيا وفرنسا اللتان لم تشتركا في اللجنة، لكن المؤتمر وقبل أن تنتهي اللجنة من عملها كان قد أقرّ ميثاق عصبة الأمم الذي تضمن بنداً لم يسمّ فلسطين، وهو مبدأ وضع مناطق وشعوب كانت تحت إدارة من هزموا بالحرب تحت انتداب الدول الكبرى لمساعدتها في الاستقلال، ووافق الأمير فيصل على هذه المعاهدة (Winston, 1950, 116)، ويلاحظ هنا الخدعة التي تعرّض لها الوفد العربي، فهذا الأمر لم يسر فيما بعد إلا على مناطق عربية ومن ضمنها فلسطين.

لقد مثّل الموقف من لجنة كينغ كراين التي أفرزها مؤتمر الصلح في باريس محطة مهمة في الفكر السياسي للقيادات العربية في فلسطين، ومن بينها المسيحيون، فقبل وصول اللجنة اجتمع عدد من هذه القيادات، وكان على رأسهم يعقوب فراج⁽¹²⁾ وخليل السكاكيني، واتفقوا على ما يشبه نصوص مبادئ يجب عدم التنازل عنها، أو مفاوضة اللجنة عندما تأتي إلى فلسطين، وأهمها مطلب استقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية، ورفض الوطن القومي لليهود بما يحمل من تفاصيل وعلى رأسها الهجرة اليهودية. وقد نظر الباحثون الصهاينة إلى هذا الاجتماع على أنه اجتماع الثوابت، لما بادر هؤلاء الباحثون إلى تسميته نسق حركة وطنية فلسطين (Porath, 1969, 102)، لكن في ذلك فصل وتباين بين خطاب الفكر السياسي لعرب فلسطين وما ورد في مذكرة الأمير فيصل، وأن هذه القيادات بدا وأنها لن تعول على بوابة الوحدة العربية، أو على الأقل أنها تعمل لوحدها، وكذلك كان التطور الأهم هو مشاركة المسيحيين كقيادات في هذا النسق الذي يعد لأول مرة في عقده منذ زمن كممثل لعرب فلسطين.

شاركت القيادات المسيحية في صياغة الكيفية التي سيتم فيها استقبال عرب فلسطين للجنة كينغ كراين، فقد عدّت المظاهرات الشعبية في مارس 1919م الأضخم في فلسطين

حتى ذلك العام، حيث عمّت جميع أنحاء فلسطين تقريباً، وكانت المظاهرات مميزة في كل المدن الكبيرة، حيث استجابت لبيان الجمعية الإسلامية المسيحية الذي يتضمن المطالب الوطنية والدعوة لهذه المظاهرات، هذا البيان الذي شاركت في صياغته القيادات المسيحية، وكانت المظاهرة الأهم هي تلك التي خرجت من المسجد الأقصى، وتقدمها من باب السلسلة القيادات المسيحية، ومعهم حشد مسيحي شعبي، وكما تصفه المصادر المسيحية بأنه تعانق بيرق شباب باب حطة وبيرق شباب الأرثوذكس العرب، وأن أحد القادة المسيحيين هو الذي سلم مذكرة إلى القنصليات التي توجهت إليها المظاهرة، وهي: الفرنسية، والأمريكية، والإيطالية، والبلجيكية (الغوري، 1973، 38). ويبدو أن القيادات المسيحية أرادت من خلال هذه المشاركة المميزة التعبير لبريطانيا عن الموقف المميز والجديد للمسيحية في فلسطين تجاه سياستها المناهضة للمشروع الصهيوني.

لقد أقرت لجنة كينغ كراين بأن كافة العرائض التي قدمت لها من عرب فلسطين لم تشذ ولم تختلف في نظرتها الراضة للبرنامج الصهيوني والهجرة اليهودية، هذا على الرغم من إشارتها إلى أن الموقف من مصير الحكم قد شابه بعض الاستثناءات وصفها التقرير بالطفيفة (زعيتر، تقرير لجنة كينغ كراين). وهنا يمكن الاستنتاج بأن اللجنة كانت تراهن وبمساعدة بريطانيا على أن يكون هناك خلاف بين عرب فلسطين عائلات، أو طوائف، أو جمعيات على البرنامج الصهيوني، وهذا ما لم يحصل، وإنما ذلك نجاح لأداء القيادات الإسلامية المسيحية، فقد كانت هناك بعض الأندية والجمعيات كبلديات الناصرة، وبيت لحم مثلاً مسيحية بالأكثرية، لكن ذلك لم يعفها من أن تحمل الفكرة الوطنية نفسها لعرب فلسطين.

تنبهت القيادات المسيحية للاختلاف الطفيف الذي ورد في العرائض التي قدمت للجنة كينغ كراين، وكانت مشورتهم للسيد موسى كاظم الحسيني لتقديم مذكرة للجنة، وبما يفيد بإحالة أي سؤال يتعلق بمصير الحكم إلى المؤتمر السوري في أثناء انعقاده في دمشق (زعيتر، مذكرة إلى لجنة كينغ كراين مقدم من موسى كاظم الحسيني)، وهذا يعني أن القيادات المسيحية قد شاركت وبفعالية حتى في صياغة التفاصيل تجاه القضايا المهمة، والتي كان التعامل الوطني مع لجنة كينغ كراين من أهم القضايا.

استمرت القيادات المسيحية بالمشاركة الفاعلة في الدفاع عن ما يمكن تسميته بالمشروع الوطني، لم لا وقد بدا واضحاً سلوك بريطانيا بعد ثلاثة أعوام تقريباً من احتلالها لفلسطين بأنها مصرّة على الوقوف إلى جانب المشروع الصهيوني عبر تأكيدها على الالتزام بتنفيذ وعد بلفور، وقد كان الانتداب حلقة من حلقات تنفيذ هذا الوعد، وأن مؤتمر سان ريمو سيعقد في أبريل 1920م، وكان واضحاً أن أهم قراراته ستكون إقرار

التفاصيل المتعلقة بالانتداب على شعوب المنطقة العربية، والذي أثر بشكل عام في مؤتمر السلم عام 1919م.

لقد كان الانتداب على فلسطين ضمن صفقة تتعلق بتوزيع مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا مرة أخرى في تجاوز لخلافات اتفاقية سايكس بيكو، وهذه المرة مختبئة وراء ما يسمى بالانتداب، حيث أقر المؤتمر الانتداب البريطاني على فلسطين (British Policies, 1964, 112)، ولكن كيف فكرت القيادات المسيحية في

التعامل مع قرار مؤتمر سان ريمو الخاص بهذا الانتداب؟

لقد تنبّهت القيادات الفلسطينية لضرورة عمل شيء ما قبل انعقاد المؤتمر، وكان ينبغي تشكيل وفد من عرب فلسطين، إلا أن بريطانيا رفضت ذلك، وتم عقد اجتماع أسفر عن بيان شارك في صياغته القيادات المسيحية، وحمل توقيع الجمعيات الإسلامية المسيحية، حيث احتج على نوايا فرض الانتداب، وعدم فصل فلسطين عن سوريا، والهجرة اليهودية، وانتقال الأراضي (السفري، 1937، 276). ويمكن هنا ملاحظة اللهجة الشديدة في هذا البيان، ما يعني أن هذه القيادات تكاد تكون متأكدة من أن المؤتمر سيسفر عن إقرار الانتداب، وقد كانت نظراتهم هذه صحيحة، إضافة إلى أن هذا البيان قد حمل توقيع الغالبية العظمى من الجمعيات الإسلامية المسيحية.

مثل عام 1920م بوادى الانتقال المنظم للأراضي للحركة الصهيونية بموازرة من السلطات التي أصبح بمفهومها هي سلطات انتداب لمساعدة الشعوب، إنما كانت في فلسطين تنقل الأراضي للمهاجرين اليهود، ويعود ذلك لعوامل عدة أهمها: أن الحركة الصهيونية كانت تولي أهمية خاصة لانتقال الأراضي، فهذه الأخيرة والهجرة هما رحم نشاط الحركة الصهيونية، إضافة إلى أن هذا العام مثل نشاطاً مميزاً لتلك المؤسسات، والتي تشكلت بعد عام 1904م، ووجدت مساحة للعمل والنشاط تحت أجواء الاحتلال البريطاني لفلسطين وقدم المندوب السامي.

استمرت القيادات المسيحية تؤمن بمبدأ العمل السلمي حتى عام 1922م، ولم تفقد الأمل في إقناع بريطانيا بوجهة نظرها، وكانت تشجع على إرسال وفد إلى لندن، وربما ذلك - أيضاً - بتأييد من المصريين، وبخاصة بعد الإعلان عن أن البرلمان البريطاني سيناقش صك الانتداب في مايو 1921م، وبالفعل سار الوفد، وكان يضم عدداً من القيادات المسيحية، ونجح في مقابلة رئيس وزراء بريطانيا ولسون تشرشل، لكنهم قوبلوا برفض الأخير لوجهة نظرهم، وطرح عليهم البديل، وهو التباحث مع حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية آنذاك، ولم يكن رد بقية المسؤولين البريطانيين مغايراً، أو بعيداً عن موقف

رئيس وزراء بريطانيا، واكتفى الوفد بإقناع بعض أعضاء البرلمان بوجهة نظره (محافظة، 1989، 47). ويبدو أن القيادات الفلسطينية اصطدمت بخيارات عديدة تدور في فلك التحايل على الأمر، وفي جوهره استمرار للسياسة البريطانية المساندة للبرنامج الصهيوني مثل: دستور فلسطين، والمجلس التشريعي، والتحاوور مع المنظمة الصهيونية.

كان تتابع الأحداث وتصعيدها من قبل بريطانيا كفيلاً بإحداث أجواء من عدم التنظيم في تعامل القيادات العربية في فلسطين معها، ومن ضمنها القيادات المسيحية، وكان التطور في التفكير السياسي أن كانت القيادات المسيحية إلى جانب فكرة الاجتماع مع وايزمان كما ورد في تشجيع رئيس الوزراء البريطاني للوفد الفلسطيني قبل بضعة أشهر، وقد شاركت هذه القيادات في اجتماع الوفد الفلسطيني مع حاييم وايزمان في محاولة لتأجيل رفع بريطانيا لإقرار صك الانتداب أو تصحيح صيغته، لكن كان رد وايزمان برفض أي تغيير أو تعديل لصك الانتداب، وبعد ذلك قدم الوفد الفلسطيني ملاحظاته إلى الحكومة البريطانية التي بالطبع رفضتها مطلقاً، ووضعت الصيغة النهائية لصك الانتداب (British Policies, 1964, 76). ولا يمكن هنا إنكار دور الوفد الفلسطيني فعلاً في إقناع عدد من النواب البريطانيين برفض صك الانتداب ليسهم في قرار المجلس.

صادقت عصبة الأمم على صك الانتداب في قرارها المُنحرر في 24 / 07 / 1922م، ولم يكن رد الحركة الوطنية الفلسطينية - إن جاز التعبير - بالحجم الذي سبق المصادقة، فقد لوحظ التراخي من اللجنة التنفيذية العربية، والتي تضم - أيضاً - قيادات مسيحية، حيث طالبت بتأسيس حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي مشكل حسب التمثيل النسبي للسكان (زعيتر، وثيقة رقم 16)، والملاحظ أن هذه الصيغة لا تختلف عما ورد في الكتاب الأبيض بهذا الشأن.

ويمكن هنا الاستنتاج بأن سلوك بريطانيا ومساندتها للمشروع الصهيوني لم يكن بعيداً عن استفزاز وجدان عامة الفلسطينيين سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين، وفي الوقت الذي كان الفكر السياسي للقيادات المسيحية يراوح مكانه في دائرة مركزها العمل الدبلوماسي المتعلق بالبيانات، والاحتجاجات، والندوات، وما شابه، كان الشباب المسيحي يمثلون تعبئة ضد الصهيونية، وضد بريطانيا التي تحاول - دائماً - تذكيرهم بأنها تشترك معهم في الدين، حيث دخل عام 1920م وكانت ملامح التطورات الدراماتيكية تطفو على السطح، فالثلاثة أعوام الأخيرة كانت تشهد كل يوم حدثاً جديداً، وكان الواضح منها دعم الصهاينة وتراجع القضية العربية.

- توجهات القيادات المسيحية تجاه ثورة 1920م:

صحيح أن الجمعية الإسلامية المسيحية كانت تتمتع باحترام مصدره العامة من عرب فلسطين، وأن تعليماتها كانت غالباً ما تلقى آذاناً صاغية، إلا أن هناك من الشباب العربي من لم يرق له ما يراه من دبلوماسية القيادات، وكان يؤمن بأن السيف أصدق أنباءً من الكتب، فشهدت الأشهر الأولى من عام 1920م مزيداً من الأعمال التي لا ضير من تسميتها بالنضالية أو الجهادية، أهمها: مظاهرة 21 / 2 / 1920م التي ضمت عشرات الآلاف من الشبان المسلمين والمسيحيين، وضمت قيادات مسيحية، وقد توجهت إلى مقر الحاكم العسكري البريطاني في القدس، وقبل وصولها كان الرصاص البريطاني قد حصد عشرات الجرحى. وفي الأول من مارس شنت مجموعتان فلسطينيتان هجوماً على مستوطنات يهودية ثبت أنها كانت تضم بين أعضائها شباناً مسيحيين، فقتلت سبعة من المستوطنين اليهود. وفي الثامن من مارس اشتبك الشبان العرب واليهود على باب أحد الكنائس، فأصيب عشرة من اليهود على الأقل (جريدة فلسطين، 12 / 03 / 1920)، وهذا يكفي لإعطاء صورة أن هذا الشباب المسيحي قد خرج عن نطاق سيطرة القيادات المسيحية.

لقد اقترب موسم أعياد النبي موسى في الرابع من نيسان وسط هذه الأجواء المشحونة، والتي تعبر عن مدى الإحباط الممزوج بالحماسة الكبيرة للشباب العربي ضد الصهيونية وضد بريطانيا، وليس من تخصص الدراسة التطرق إلى تفاصيل هذا العيد إلا من زاوية دور القيادات المسيحية في هذه الأحداث التي أخذت أهمية كبيرة مثل: تجمع قوافل المحتفلين الآتين من المدن الفلسطينية الأخرى يوماً مركزاً للعيد، وفعلاً عندما اكتملت هذه الوفود بقدم وفد الخليل إلى باب الخليل كانت ساحة هذا الباب قد تجمع فيها عشرات الآلاف من الشبان العرب، وليس في ذلك غرابة في المشاركة الفعالة للقيادات المسيحية، ومن ضمن أربعة خطابات أقيمت في هذا الاحتفال كان خطاب القائد المسيحي خليل بيدس⁽¹³⁾ أكثرهم حماسة وتحريضاً ضد بريطانيا والصهيونية، والذي قبل أن ينهي خطابه اشتبك الشبان المسيحيون والمسلمون مع مجموعة من اليهود (الطباع، 1991، ج10، ص248). ويمكن القول هنا إن أحداث الشهرين اللذين سبقا موسم النبي موسى كانت كفيلة بعدم استعداد المحتفلين لسماع أية خطبة لا تتحدث عن معاداة الصهيونية وبريطانيا، وهذا ما ثبت من خلال تعاطيهم مع خطبة أمين الحسيني وخليل بيدس.

ويروي إميل الغوري المشارك في هذه الأحداث أنه وزملاءه المسيحيين تجمعوا في حارة النصارى لينظموا أنفسهم، وأخذوا البيرق من كنيسة مار يعقوب بالقرب من كنيسة القيامة، وانطلقوا بالمنات في مظاهرة حماسية ليساندوا إخوانهم المسلمين في باب الخليل،

وبعض الحارات التي وصلت إليها الاشتباكات (الغوري، 1973، 53). ومن المستبعد أن يصل هذا العدد من الشبان المسيحيين بدون تحريض من قيادات مسيحية معينة، ما يعني أن تفكير هذه القيادات بدأ يتأثر بالتطورات على الأرض، وربما سيسير إلى تحول معين باتجاه العمل المباشر.

أسفرت أحداث موسم النبي موسى عن مقتل خمسة من اليهود، وجرح ما لا يقل عن مائتين آخرين، واستشهاد أربعة من العرب، وجرح واحد وعشرين، كان منهم ستة من الشبان المسيحيين أصيبوا قبل وصول مسيرتهم إلى باب الخليل، إضافة إلى ما تبع ذلك من أحكام بالسجن على قيادات مسيحية ومسلمة، ومن هذه القيادات: خليل بيدس، وبعض الشبان المسيحيين، حيث حكم عليهم بالسجن لفترات بين ثلاث وخمس سنوات (السفري، 1973، 47 و 68)، وأن وصف الغوري وغيره يعطي صورة تحمس القيادات المسيحية لإبراز دورهم في هذه الأحداث.

شاركت القيادات المسيحية في العمل الدبلوماسي بشكل فعّال، بل كانت تتصدر - أحياناً - صياغة البيانات، والوفود، وإدارة الجمعيات، وبالذات الإسلامية المسيحية، لكن عند الحديث عن العمل المباشر أو أعمال العنف فلم تكن الصورة كذلك، فلم تشارك تلك القيادات المسيحية في تلك الأنشطة، وكذلك لم تكن مشاركتهم متشابهة من مدينة لأخرى، ولا من وقت لآخر، لكن عندما تكون الأمور تتعلق بعمل انتفاضة أو هبة جماهيرية بعامة فهنا يكون السباق إلى هذه الأعمال، وفعلاً يمكن القول هنا إن هذه القيادات كانت بفكرها السياسي أسيرة لفكر القيادات الإسلامية، فكثيراً ما كانت تتميز عنهم سواءً أكان بالتهدة أم بالتصعيد.

تسبب الشيوعيون اليهود في الأول من مايو عام 1921م في وقوع ما أسماه الباحثون العرب بانتفاضة يافا التي أسفرت فيها الاشتباكات بين العرب واليهود عن مقتل ما لا يقل عن 47 يهودياً، وعدد مماثل من العرب، وإصابة المئات من الطرفين، وهنا ظهرت حملات التحريض للقيادات المسيحية للشبان المسيحيين والمسلمين للمشاركة في دعم أهل يافا ومساندتهم، وقد تصدرت القيادات الإسلامية هذه المرة تهدة العرب، ومناشدتهم التوقف عن أعمال العنف (الطباع، 1991، ج10، 234)، وبالتالي يمكن إجمال خلاصة الأمر بأن الفترة التي تلت عام 1914م قد شهدت أحداثاً مهمة في فلسطين والمنطقة، وأن القيادات المسيحية في فلسطين قد تأثرت بهذه الأحداث، التي لا نبالغ إن قلنا أنها أسهمت إلى حد كبير في صياغة فكر سياسي أكثر من قضية مواقف من أحداث، وقد وجد ذلك تعبيراً له من خلال سلوكهم الذي أخذ نسقاً منظماً، وليس مواقف فردية تعبر عن هذا القائد أو ذاك، بل أن هذا السلوك قد حكّمته مجموعة من الأدبيات «مبادئ شعارات منطلقات أهداف» وهذا ما

يثبت أن هناك فكراً سياسياً لهذه القيادات كان يتطور بفعل الأحداث، وأيضاً بفعل الظروف الذاتية والموضوعية التي أحاطت بهذه القيادات.

الخاتمة:

توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج من أهمها:

1. برزت مجموعة من القيادات المسيحية قبل عام 1914م نتيجة الصراعات المذهبية المسيحية، وأن تجاهل طائفة الروم الأرثوذكس، وهي ذات أغلبية في فلسطين، مهد الطريق لبروز قيادات استطاعت أن تحمل خطاباً وطنياً.
2. إن غالبية القيادات المسيحية في فلسطين أيدت الثورة العربية الكبرى، لكنهم شاركوا مشاركة متواضعة في هذه الثورة سعياً وراء الاستقلال عن الدولة العثمانية.
3. كانت القيادات المسيحية أكثر الطوائف في فلسطين ابتهاجاً باحتلال بريطانيا لفلسطين في بداية الأمر، ولكن سرعان ما تغير هذا الموقف عندما اكتشفوا سياسة بريطانيا تجاه المشروع الصهيوني في فلسطين.
4. فشلت بريطانيا مبكراً في فصل القيادات المسيحية عن الخطاب الوطني، الذين اكتشفوا الأساليب كافة التي انتهجتها بريطانيا لتفضيل المسيحيين عن المسلمين على الرغم من تدخل البابا نفسه في هذا الأمر.
5. شاركت القيادات المسيحية في تشكيل إطار أصبح، ولمدة معينة، ممثلاً لعرب فلسطين، وهو الجمعية الإسلامية المسيحية، ولوحظ تأييد غالبية عرب فلسطين لهم.
6. أدت الأحداث المتوالية منذ عام 1914م إلى صياغة الفكر السياسي للقيادات المسيحية، وتطوره، وبخاصة في الإصرار ولفترة معينة على الوحدة مع سوريا، والحفاظ على الثوابت في مقاومة الانتداب البريطاني والصهيونية، وفي رفضهم فكرة الوطن القومي والهجرة اليهودية.
7. مثلت القيادات المسيحية جزءاً من توجه الشعب الفلسطيني بممارسة العمل النضالي المباشر، وتمثل ذلك في مشاركة بل تزعم بعضهم لأحداث احتفالات النبي موسى وأحداث يافا.

وعليه توصي الدراسة بما يأتي:

1. أن تتيقظ الحركة الوطنية الفلسطينية من محاولة إسرائيل والغرب من تفضيل المسيحيين، وسلخ قياداتهم عن قيادات الشعب الفلسطيني.

2. توثيق آراء القيادات المسيحية في فترة الانتداب البريطاني، وذلك لتحليل سلوكهم لمعرفة تطور الفكر السياسي لديهم خلال تلك الفترة.
3. الحفاظ على وحدة الطوائف المسيحية عبر زيادة الوعي السياسي والوطني لقيادات الطوائف، وأن لا يكون الخلاف الطائفي عاملاً سلبياً في الحركة الوطنية الفلسطينية.
4. أن تدرك القيادات المسيحية أن التمسك بالإطار الوطني كدائرة مهمة هو من أكثر الدوائر المدنية في إبراز فكرهم السياسي.
5. تعزيز الوحدة الوطنية، والعمل على تقوية النسيج الاجتماعي الفلسطيني بين المسلمين والمسيحيين.

الهوامش:

1. جيمس فن James Finn: هو القنصل البريطاني في القدس 1845 - 1863م، وتعد مذكراته مهمة؛ لأنه تكلم عن التغلغل الأوروبي، وتنافس القناصل الأوربية على هذا التغلغل. انظر: (Encyclopedia Judaica, 1972, vol 16).
2. موسى كاظم الحسيني: مواليد القدس 1853م، تعلم في استنطبول وتم تعيينه عام 1918م رئيساً لبلدية القدس، وقاد مظاهرات عام 1920م، أقاله الحاكم العسكري البريطاني وعين راغب المنشاشيبي مكانه، أنظر: (جبارة، 1995، 116).
3. خليل السكاكيني: أديب فلسطيني مسيحي دعا إلى تعريب الكنيسة، تعرض للسجن من قبل السلطات التركية، وشارك في الثورة العربية الكبرى عام 1916م. انظر (السكاكيني، 1972، 7 - 10).
4. ايميل الغوري: مسيحي فلسطيني ينحدر من أسرة وطنية، ولد وعاش في القدس، وشارك في عدد من الوفود الوطنية، وكان مقرباً من الحاج محمد أمين الحسيني، أنظر: (الغوري، 1973، 9 - 12).
5. عزت طنوس: مسيحي فلسطيني وهو طبيب، انتدبته الهيئة العربية العليا عقب الحرب العالمية الثانية لتمثيلها في الأمم المتحدة، شارك بوفود فلسطين المختلفة أثناء فترة الانتداب، انظر: (طنوس، 1982، 13 - 15).
6. حاييم وايزمان: يهودي صهيوني روسي، خلف ثيودور هرتسل في رئاسة الحركة الصهيونية، وكان له دور كبير في استصدار وعد بلفور، وترأس إسرائيل في الفترة من 1949 - 1952م، انظر: (وايزمان، 2009، أنظر تقديم الكتاب ص 3 - 9).
7. إدموند اللنبي Edmund Allenbi، قائد بريطاني لقوات بلاده في مصر، وكان له دور مهم أثناء الحرب العالمية الأولى، وانتصر في معركة غزة الثالثة، ودخل القدس، وبعد تقاعده عمل مندوباً سامياً في مصر، انظر: (Porath, 1969، 11-16).
8. نجيب نصار: أديب وصحفي لبناني الأصل، استقر في حيفا بفلسطين، ولقب بشيخ الصحافة الفلسطينية، وكان من رواد مناهضي الحركة الصهيونية، أسس صحيفة الكرمل 1908م وتخصصت بالكتابة عن صفقات بيع الأراضي لليهود، توفي عام 1948م ودفن في مدينة الناصرة، انظر: (نصار، 2012، 14 - 25).
9. محمد أمين الحسيني: قائد فلسطيني من مواليد القدس، ينتسب لعائلة وطنية معروفة، ترأس الأوقاف الفلسطينية في القدس، وكذلك تزعم الحركة الوطنية الفلسطينية، للمزيد:

انظر (جبارة، 1995، 16 - 22).

10. بولس شحادة: مسيحي فلسطيني، مواليد رام الله 1882م، وكان معلماً للغة العربية، ومن الوطنيين، حيث حكمت عليه السلطات التركية عدة أعوام، وهو من الذين أسسوا الصحافة في عهد الانتداب، انظر (الحوت، 1974، 215).

11. أنطوني الغوري: مسيحي فلسطيني من مواليد القدس، كان له دور في صراع الطائفة المسيحية، وكان يدعو إلى تعريب الكنيسة، وكان يحمل أفكاراً قومية وطنية ضد الدولة العثمانية، ومن أصحاب فكرة الجمعيات الإسلامية المسيحية، انظر: (الغوري، 1955، 32، حيث يتحدث بإسهاب عن والده).

12. يعقوب فراج: مسيحي فلسطيني، كان مقرباً في البداية من الحاج أمين الحسيني، وكان عضواً في اللجنة العربية العليا، ومعروفاً بمقاومته للانتداب البريطاني والصهيونية، تعرض مرات عدة للاعتقال، انظر: (الحوت، 1974، 113).

13. خليل بيدس: مسيحي فلسطيني من مواليد الناصرة عام 1874م، حكمت عليه السلطات التركية بالإعدام إبان الثورة العربية الكبرى، وخفف عليه الحكم بالسجن إلى 12 عاماً، أمضى منها حوالي أربعة أعوام، قاوم الانتداب بقلمه وخطاباته الحماسية، انظر: (العارف، 1961، ج3ص136).

المصادر والمراجع:

أولاً- الوثائق:

1. أرشيف دولة إسرائيل 2/ ن / 155، قرار الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس، 20/ 2 / 1919م.
2. أكرم زعيتر، أوراق خاصة، المجموعة الثانية، وثيقة رقم (7)، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
3. أكرم زعيتر، أوراق خاصة، المجموعة الثانية، وثيقة رقم (11)، أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
4. أكرم زعيتر، أوراق خاصة، المجموعة الثانية، وثيقة رقم (16) أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
5. عبد الوهاب الكيالي، وثائق المقاومة الفلسطينية، ط2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1988م.

ثانياً- المراجع:

1. آرييه أفنيري: دعوى نزع الملكية- الاستيطان اليهودي والعرب في الفترة من 1878 - 1948م، ترجمة: بشير البرغوثي، ط1، دار الجليل، عمان، 1986م.
2. إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1981م.
3. إميل الغوري:
4. المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين وحق العرب، ط1، القاهرة، دار العلم للملايين، 1955م.
5. فلسطين عبر ستين عاماً، ط1، مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1973م.
6. تاريخ القضية الأرثوذكسية- نضال مستمر منذ 500 عام، ط1، رسائل محددة، (ب. ن)، عمان، 2009م.

7. بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 - 1948م، ط3، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1974م.
8. تيسير جبارة، الحاج أمين الحسيني، ط1، دار الفرقان، إربد، 1995م.
9. جورج أنطونيوس: يقظة العرب - تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة وتحقيق: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ط 8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
10. حاييم وايزمان: مذكرات قادة الدولة الصهيونية، ط1، مكتبة النافذة، القاهرة، 2009م.
11. خليل السكاكيني:
12. كذا أنا يا دنيا، ط1، المطبعة التجارية، القدس، 1955م.
13. مذكرات خليل السكاكيني 1953-1978م رواد النهضة الفكرية والأدبية وأعلامها في فلسطين، ط1، (ب. ن)، القدس، 1972م.
14. عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ط1، مكتبة الأندلس، القدس، 1961م.
15. عزت طنوس، الفلسطينيون ماضٍ مجيد ومستقبل باهر، جزءان، ط1، مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1982م.
16. علي محافظة، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918 - 1948م، ط1، مركز الكتب الأردني، عمان، 1989م.
17. عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ط1، حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، بيروت، 1973م.
18. مصطفى الطباع، بلادنا فلسطين، ط1، 10 ج، دار الهدى، كفر قرع، فلسطين، 1991م.
19. محمد عزة دروزة، مذكرات سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن، 1887 - 1984، ط 1، دار العرب الإسلامية، عمان، 1980م.
20. نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة: أحمد أبو ملح، (ب. ط)، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1975م.
21. نجيب نصار، الصهيونية، ملخص تاريخها، وغايتها، وامتدادها حتى سنة 1915م، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

ثالثاً. الدوريات والندوات:

1. جريدة فلسطين، صحيفة فلسطينية كانت تصدر في فلسطين منذ عام 1911م (الأعداد) : ع 41، 21 / 01 / 1919م، ع 43، 30 / 01 / 1919م، ع 101، 12 / 03 / 1920م.
2. جورج الداود، المسيحيون في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ضمن ندوة القدس بمناسبة احتفالية الأردن بالقدس عاصمة الثقافة العربية لعام 2009م، عمان، 2009م.
3. سارة فايز، العلاقات الإسلامية المسيحية، مجلة الأسوار، ع 16، عكا، 1997م.

رابعاً. المراجع الأجنبية:

1. Bernard Sabella, *Palestinian Christians: Challenge and Hopes*, Bethlehem University, 2005.
2. *British Policies, Palestine: A Study of Jewish, Arab*, Esco Foundation for Palestine, London, 1964.
3. Churchill, Winston: *The Second World War*, vol. 3, *The Grand Allinace*, London, Cassed and ltd, 1950.
4. *Encyclopedia Judaica*, Keter Publishing House, Jerusalem, 1972.
5. *Gonny: Zionist and The Arabs 1882- 1948*, Oxford, Clarendon Press, 1987.
6. Kate Maguire, *The Judaization of Jerusalem*, Dar Al- Afuq Al- Jadide, Beirute, 1981.
7. Yowshaa Porath, *The Emergency of the Palestine National Movement 1918- 1929*, Frank Cass, 1969.

الجمعيات الاستيطانية الصهيونية في مدينة القدس (جمعية العاد أنموذجاً) *

أ. د. مروان فريد جرار **

* تاريخ التسليم: 2014 / 12 / 13م، تاريخ القبول: 2015 / 1 / 13م.
** أستاذ/ تاريخ العرب الحديث والمعاصر/ فرع جنين/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

جاء تشكيل جمعيّة العاد نتيجة لتنامي قوة التيارات الدينية المتطرفة في الشارع الإسرائيلي في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، وما رافقه من بروز للمدارس الدينية التي أفرزت جمعيّات استيطانية مثل جمعيّة العاد؛ تلك الجمعيّة التي بدأت استثمارات استيطانية في سلوان تحت إشراف دافيد بنيري وعصابته بذرائع دينية ميثولوجية، دفعتها للربط بين تشريد سكان سلوان، واستيطانها من قبل الصهاينة، وإحياء مدينة داود (الأسطورية)، وبين رضا الله، وقدم المسيح المخلص، وبدء العصر المشيخاني (عصر النور والسعادة).

تتلقى العاد دعماً داخلياً من مصادر حكومية وغير حكومية، ودعماً خارجياً من يهود المهجر، وبخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية، ممثلين بأصدقاء جمعيّة العاد، ومجموعة من أصحاب رؤوس الأموال في مقدمتهم إرفين موسكوفيتش.

تمارس العاد نشاطات استيطانية متنوعة سعياً لتهويد سلوان (المكان، والتاريخ، والإنسان)، فتسلب الأرض، وتشرّد الفلسطينيين بعد سلب عقاراتهم بطرق مصحوبة بالاحتيال، والغش، والخداع. وتحفر في أرض سلوان بحثاً عن بقايا مدينة داود، وتعلن أن كل ما تعثر عليه هو بقايا لمدينة داود. وتمارس نشاطات تعليمية؛ فتعقد حلقات العلم، وتفتتح المدارس، وتنظّم المؤتمرات حول الحفريات في سلوان، وتمارس نشاطات سياحية تجني من خلالها الأموال.

Zionist Settlement Foundations in Jerusalem: Elad Foundation as a Model

Abstract:

Elad formation came as a result of the growing strength of right-wing extremists in Israel, during the seventies and eighties of the past century, and was accompanied by the emergence of a clear role of extremist religious schools that produced the foundations of the settlements such as Elad, which exceeded the government's role in settlement activity. It began settlement building in Silwan under the supervision of David Be'eri and his gang who were trying by all means to expel Silwan residents from their homes and displaced them by Zionist immigrants to revive the City of David. These activities were done for the satisfaction of God and paved the way for the coming of Christ, the Savior, to start mythological era of happiness.

Elad receives internal support from the government and other sources. It has strong ties with those who have the same religious and political views toward settlement activities living in the Diaspora, particularly in the US, especially from friends of Elad, and a number of dignitaries led by Irving Moskowitz. Elad tried through settlement activities to Judaize the place, history, and even human beings in Silwan. Elad looted Palestinians' properties and displaced them by Jewish settlers using fraud and deception. Elad tried to find the remains of the City of David in Silwan and declare explicitly that everything found is Jewish and the remains of the City of David regardless of scientific facts about the excavations.

Elad practices educational activities through workshops and conferences organized by the schools inaugurated in Silwan, Jewish allegations are exposed. It calls through media means Zionists and Christians to visit archaeological sites in Silwan after preparing the city for tourists who paid for their visit to archaeological sites.

مقدمة:

تحدثت الدراسة عن جمعية العاد الاستيطانية والتي تعني مدينة داود أو العودة إلى مدينة داود. وهي جمعية تمارس نشاطاتها بسرية، وتتكتم على بياناتها المالية، وقياداتها، ومخططاتها، ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة في كشف خطورة هذه الجمعية.

هدفت الدراسة إلى التعرف على أهمية القدس في الفكر الصهيوني بعامة، ولدى العاد بخاصة، وكشف الظروف التي سبقت وأحاطت بتشكيل العاد، والقائمين عليها، وفكرها، وتمويلها، والأنشطة التي تمارسها، وردود الفعل على نشاطاتها.

ولتحقيق هذه الأهداف كان لزاماً على الباحث طرح الأسئلة الآتية: ما أهمية القدس في الفكر الصهيوني؟ من هي الجهة المسؤولة رسمياً عن الاستيطان في القدس؟ ما علاقة الجمعيات الاستيطانية الصهيونية بموضوع الاستيطان في القدس؟ ما هي الظروف التي سبقت تشكيل العاد؟ هل هنالك علاقة بين تشكيل العاد وتصاعد قوة الأحزاب الدينية الصهيونية؟ متى تشكلت العاد؟ من هم القائمون عليها؟ ما خلفياتهم الإيديولوجية؟ ما هو فكر العاد وأهدافها؟ كيف تمّول العاد نشاطاتها؟ من هي الجهات التي توفر الدعم المادي والسياسي والأمني للعاد؟ هل هنالك جهات خارجية تدعم العاد؟ من هي؟ كيف تدعمها؟ ما هي أساليب عمل العاد؟ هل تسيطر العاد على أراضي الفلسطينيين وعقاراتهم؟ ما هي حججها؟ هل تقوم العاد بحفريات في سلوان؟ ولماذا؟ هل تمارس العاد نشاطات تعليمية؟ وكيف؟ هل تمارس العاد نشاطات سياحية؟ وكيف؟ ما هي ردود الفعل على نشاطات العاد؟ .

وبعد عمل مسح للدراسات السابقة ذات العلاقة بمتغيرات الدراسة، لم يجد الباحث أية دراسات سابقة لها علاقة بموضوع الدراسة، وكل الكتابات السابقة، بحثت بعمومية وبإيجاز في الجمعيات الاستيطانية بعامة، مما وضع عراقيل أمام الباحث.

ضمت الدراسة تمهيداً، وأربعة أقسام، جاء التمهيد لمناقشة مركزية القدس في الفكر الاستيطاني الصهيوني، وتم استعراض نماذج من الكتابات بهذا الشأن، وخلفيات قائلها. وعالج القسم الأول تشكيل جمعية العاد والقائمين عليها، والظروف التي أحاطت بتشكيلها. وخصّص القسم الثاني لبحث فكر جمعية العاد وأهدافها، في حين عالج القسم الثالث مصادر تمويل جمعية العاد. وركز القسم الرابع على استكشاف نشاطات العاد (مصادرة ممتلكات الفلسطينيين، حفريات، تعليم، سياحة).

استخدمت الدراسة مناهج البحث المتاحة جميعها من وصفية، وتحليلية، ومقارنة في سبيل تحقيق غرضها العلمي.

تهديد:

اتخذت الصهيونية فكرة وحركة وقيادات من مدينة القدس (أورشليم) أساساً ومنطلقاً لعملها، وربطت بين القدس ومصير الشعب اليهودي، استناداً إلى أساطير توراتية، وذرائع تاريخية؛ تتصل بحكم داود وسليمان للمدينة، وحقوق الشعب اليهودي فيها⁽¹⁾. وأصبحت القدس، برأيهم، تلك "المدينة التي عشقها الملك المحارب داود"⁽²⁾ "فحصنها بالأسوار، وزاد في قوتها وجمالها"⁽³⁾، وعشقها سليمان" فأقام فيها البيوت، والأسوار، والقلع والحدائق، والبرك" وهي عاصمة داود وسليمان، وعاصمة اليهود التاريخية"⁽⁴⁾ ومدينة الله، ورمز خلاص الشعب اليهودي، وتحرره من آثامه وآلامه⁽⁵⁾، وهي المكان المناسب "لتأدية الشعائر الدينية اليهودية، وبلوغ الكمال"⁽⁶⁾، ولا "معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل" بإجماع الأحزاب الدينية الصهيونية⁽⁷⁾.

وإذا انتقلنا من الطرح الفكري إلى الطرح العملي، نجد سياسات الإحلال والمحو التي اتبعتها الصهاينة (حكومات وجمعيات استيطانية) لتهويد القدس، قد انتظمت في أربعة محاور متشابكة، وهي المحور الديموغرافي (من خلال تبني خطط قومية استيطانية وتطويرية كبرى وتنفيذها يتم بواسطتها استجلاب المستوطنين اليهود وتوطينهم في القدس الشرقية، وقلب التركيب الديموغرافي للحيز الذي تم احتلاله، والمحور الرمزي (الذي يعمل على المحو الرمزي للسكان الأصلي، من خلال اعتبار الحيز المحتل حيزاً خالياً، واعتبار الأراضي المحتلة جرداء)، والمحور القانوني (من خلال شرعنة وجود المقدسين على أسس من الوقتية والعرضية مقابل فئة المواطنين الدائمين)، والمحور الأمني - الجسدي (من خلال اعتبار الجسد الفلسطيني في القدس مصدراً للخطر والفوضى الديموغرافية والأمنية، مما يتوجب مواجهته بالإبعاد والإزالة عن الحيز من أجل الحفاظ على السلامة العامة للجماعة)⁽⁸⁾.

وبالرغم من أن الاستيطان الصهيوني في القدس بعد العام 1967م كان من مسؤوليات الحكومة الإسرائيلية، استناداً إلى قرارات ضم القدس وقوانينها، واعتبار القدس جزءاً من أرض إسرائيل وعاصمتها الأبدية، فإن هنالك دوراً لعدد من المؤسسات والحركات غير الحكومية في النشاطات الاستيطانية فيها⁽⁹⁾.

وتعالج الدراسة التي بين أيدينا واحدة من الجمعيات الاستيطانية العاملة في القدس الشرقية⁽¹⁰⁾، وهي جمعية العاد (Elad Foundation) أو غير دافيد (Foundation Ir

David التي تعني أولياء مدينة داوود أو العودة إلى مدينة داوود (El Ir David: to the City of David) التي تعدّها العاد الجزء الشرقي من سلوان⁽¹²⁾ القريب من سور الحرم⁽¹³⁾. وتأخذ العاد بصفتها هيئة لحفظ التراث على عاتقها، إحياء هذه المدينة واسترجاعها من أيدي (محتليها) الفلسطينيين وفقاً لقولها⁽¹⁴⁾.

تشكيل جمعية العاد والقائمين عليها:

لا اعتقد أن من الجدوى الحديث عن تشكيل العاد وبنيتها والقائمين عليها، دون البحث في الظروف التي أحاطت بتشكيلها. فلم يكن ظهورها جمعيةً استيطانية ناشطة في القدس وليد صدفة، بل محصلة لتنامي قوة التيار اليميني المتطرف في الشارع الإسرائيلي في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، وما رافقه من انتشار للمدارس التلمودية (اليشيفاه) التي عدّت استيطان اليهود في القدس فريضة إلهية⁽¹⁵⁾.

ويرجع ازدياد نفوذ التيارات الدينية في إسرائيل إلى ما يعرف بظاهرة التحول نحو الإيمان، إما من خلال تأثير وسائل الإعلام، أو بسبب الحاجة للشعور بالإيمان لعوامل عدة منها: إخفاقات الحياة أو رفض سلوك اليسار وغيره. وينظر التيار الديني إلى الصراع وإلى كل ما يخص الأرض المحتلة من منظور توراتي؛ فالقدس جزء أصيل من أرض إسرائيل يمنع التنازل عنها⁽¹⁶⁾.

وأبرز هذا الفكر المتطرف عدداً من الجمعيات الاستيطانية مثل جمعية العاد التي تشكلت في القدس عام 1979م كجمعية أو شركة غير ربحية، وأعلن عنها في أوائل الثمانينات⁽¹⁷⁾، وبدأت نشاطها في تسعينات (القرن الماضي) من خلال تأسيس أول بورّة استيطانية في سلوان بعد أن سيطرت على بيوت فلسطينية تحت ذريعة الشراء⁽¹⁸⁾.

ارتبطت العاد بمؤسسها دافيد بئيري (David Be'eri (David'le)، أحد الطلبة للذين تتلمذوا في المدارس الدينية التي تخص جمعية عطيرت كوهنيم (Ateret Cohanim) واقتنع بئيري بما تروجه الجمعية من أن سلوان هي مدينة داوود⁽¹⁹⁾، فزارها في ثمانينات القرن الماضي بصفته نائباً لقائد وحدة الدوفدوفان الخاصة في الجيش الإسرائيلي منتحلاً صفة مرشد سياحي⁽²⁰⁾. وعندما وجد آثارها مغطاة بالقمامة، ثارت حفيظته، فترك الجيش، ونذر حياته لإحياء مدينة داوود⁽²¹⁾ مدعوماً من زوجته ميكال⁽²²⁾ (Michal)، وحاخام القدس بنتزال⁽²³⁾ (Bentzal Avigdor)، والمتحدث باسم العاد راجونس⁽²⁴⁾ (Ragones Ody)، والمهندس يهونتان تساحور (Tshur Yahunthan)⁽²⁵⁾ وهم من أبرز الناشطين في الجمعية.

وتتكتّم العاد، في العادة، على قياداتها وأعضائها⁽²⁶⁾، والذين هم في الأصل شبان يهود أصوليين امتنعوا عن الخدمة العسكرية في الجيش، بذريعة اعتكافهم لدراسة الدين والتاريخ اليهوديين، متخلين عن الحياة الرغيدة في المدن الإسرائيلية ليسكنوا في ظروف خطيرة في المنازل التي استولت عليها في سلوان⁽²⁷⁾.

ويتبع لجمعية العاد جهاز قضائي خاص⁽²⁸⁾، ومليشيات من قدامى المحاربين، وأفراد من الجيش، وشركة حراسة تتولى طرد الفلسطينيين من منازلهم دون اللجوء إلى الشرطة⁽²⁹⁾ وتحرص العاد على استقطاب موالين لها من مختلف الدوائر الحكومية، والأجهزة الأمنية، وبخاصة (الشين بيت)⁽³⁰⁾.

فكر جمعية العاد وأهدافها:

تعدّ العاد من أكثر الجمعيات الاستيطانية نشاطاً في القدس⁽³¹⁾. وحددت أهدافها العلنية في: توثيق الروابط اليهودية بالقدس من خلال الزيارات، والإرشاد، والسكن، ونشر التوعية⁽³²⁾. لكن للجمعية أهدافاً أخرى مشتقة من فكرها، والذي هو فكرٌ استرجاعيٌّ مغلفٌ بأيدولوجيات دينية، ومنهج براغماتي في العمل، دفعها للتحالف مع السلطتين الدينية والسياسية في إسرائيل، وسلوك كل الوسائل لتحقيق غاياتها⁽³³⁾.

استمدت (إلعاد) فكرها من فكر الحاخام أبراهام كوك (Kook Abraham)، والحاخام تسفي كوك (Tzvi Kook)، وهما من رواد التطرف والاستيطان ورفض وجود الآخرين. وترى العاد (الصهيونية) حركة عودة للجماعات اليهودية من المنافي، لاستعادة رسالتهم الإلهية وتحقيق نبوءة الخلاص⁽³⁴⁾. وتعتقد أن الرؤية (المشيحانية)⁽³⁵⁾ والخلاص، لا يتضاربان مع التاريخ، بل هما جوهر الحركة التاريخية المقررة سلفاً، والتي تتجه نحو الخلاص عبر الماشياح. والصهيونية، بنظرها، هبة من الله، والصهاينة هم يد الله، تنفذ المهمات السماوية لتقريب موعد الخلاص، وبهجرتهم إلى فلسطين يساعدون عمل الرب نحو الخلاص الأكبر، ويحررون العالم الذي ينتظر نور إسرائيل وفقاً للحاخام أبراهام كوك⁽³⁶⁾.

وتروجّ (إلعاد) لاعتبار أراضي فلسطين أراضي يهودية يحرم التنازل عنها بموجب التوراة، وهذا هو فكر الحاخام تسفي كوك⁽³⁷⁾.

إذن، تشرّبت (إلعاد) فكر أبراهام كوك وتسفي كوك، وبدأت تبشّر بين أتباعها باقتراب ظهور الماشياح (المخلص) لتحقيق التحرر الكامل، مما يتطلب الإعداد العملي من جانب اليهود عبر الاستيطان، وإقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين وفقاً لتعاليم التوراة. وهي تؤمن أن الأساس التوراتي هو الأساس القومي لليهود، ويتجسد في خصوصيتهم

الدينية، وفي هدف الصهيونية الدينية. وتتخذ من مقولة (أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بموجب تورا إسرائيل) شعاراً لها (38).

وفي موضوع القدس، نجد أن الأيدولوجيا التي تحرّك العاد هي خليط من الأفكار الدينية والقومية، حيث تؤمن أن القدس ملك للشعب اليهودي لا يمكن تقسيمها، ويجب العمل على تحريرها لتعجيل عودة المسيح (39). وتطالب بحسم هوية القدس الثقافية والدينية كعاصمة مقدسة للشعب اليهودي من خلال تدمير المقدسات الإسلامية، والمسيحية، وإحلال المقدسات اليهودية المزعومة (40).

وإذا كانت القدس بحدودها الجغرافية الواسعة هدفاً لنشاطات جمعية العاد، فإن سلوان هي الهدف الأهم عندها (41)، فتهدف إلى الاستيلاء على أراضي سلوان ومنازلها، وتحويل منطقة وادي حلوة إلى منطقة سياحية وأثرية تحت اسم مدينة داوود، وتكثيف أعمال الحفر في سلوان، وطرد أكبر عدد من الفلسطينيين، وإحلال مستوطنين جدد، وتحويل شارع وادي حلوة إلى شوارع يهودية وتوسيعهما، وعمل مواقف سيارات، ومحطة باصات للمستوطنين الذين تستقطبهم من خلال روايتها عن سلوان (42).

وفلسفة العاد، كما يلاحظ، فلسفة إحلالية، وهي فكرة متجذرة في العقلية الصهيونية، وتتمثل في إحلال الكتلة البشرية الجديدة (المستوطنين) مكان الفلسطينيين، ومحو تاريخ البلد (43)، وتحريم إقامة الأغيار (غير اليهود) فيها بموجب الشريعة اليهودية (44)، وتتأثر في ذلك، بفكر شلومو أفينر (45) (Shlomo Aviner) وفكرة أن العرب في فلسطين "غزاة ولصوص وليس لهم أي حق تاريخي أو قانوني أو ديني" (46).

مصادر دعم جمعية العاد وتمويلها:

يصر القائمون على جمعية العاد، على استقلاليتها، وأنها أقرب إلى الشركة أو الجمعية غير الربحية (47). ويبقى السؤال يدور حول تمويل العاد في ضوء نشاطاتها الواسعة، وحجم الأموال التي تُنفقها، مع العلم أن الإجابة عن هذا السؤال ليس بالأمر الهين، لكون العاد تتكتم على بياناتها المالية، ولكون الدعم المالي يأتي إليها بطرق مختلفة. ولا يقتصر الأمر على الدعم المالي، بل يمتد إلى الدعم الذي يأخذ شكل تسهيلات سياسية، وأمنية، وقضائية تقدّم للجمعية.

ويلاحظ في ضوء المتوافر من المعلومات، تنوع مصادر دعم جمعية العاد وتمويلها:

أ. الدعم والتمويل الداخلي لجمعية العاد.

تتنوع مصادر الدعم الداخلي الذي تحصل عليه العاد في إسرائيل، فهناك الدعم

الحكومي أو الدعم القادم من شخصيات في الحكومة، إضافة إلى الدعم القادم من البلدية، وقد يأخذ هذا الدعم شكل التنسيق معها تحت مسميات مختلفة، إن لم يكن دعماً مالياً مباشراً. ولا ننسى مصادر التمويل الذاتية، مثل جباية رسوم الدخول من المواقع التي تشرف عليها، والأموال التي تحصل عليها من بيعها للسلع السياحية وغيرها.

ولنبداً بالدعم القادم من حزب الليكود وقياداته في الحكومة فقد نشط الحزب في دعم النشاطات الاستيطانية، وبخاصة في مدينة القدس، لاعتباره القدس عاصمةً أبديةً لإسرائيل (48). وشجع على اختراق الأحياء العربية، والاستيطان فيها لجعلها جزءاً معزولة (49).

ولوحظ أن دور الليكود، في هذا المجال، أكبر من دور حزب العمل الذي اكتفى بتوفير الدعم المالي والإداري للنشاطات الاستيطانية (50).

ومع مرور الوقت، بدأ تورط حكومات الليكود في النشاطات الاستيطانية أكثر وضوحاً، وفقاً لتقرير كلوجمان (Haim Klugman) الصادر في عام 1993م (51). وبحسب التقرير فإن (32 مليون شيكل) من أموال الدولة قد تم إنفاقها في القدس الشرقية على حركة الاستيطان، خلال حكم الليكود؛ وقد تم تحويلها من قبل وزارات متعددة لحساب الجمعيات الاستيطانية ومنها العاد. واستخدمت هذه الأموال في الإنفاق على المهاجرين الجدد، وإصلاح البيوت المخلاة، وصيانة بيوت المستوطنين (52)، وتمويل شراء ممتلكات الفلسطينيين، وقد تضاربت التقديرات بشأن الأموال المقدمة، مع وجود إشارات إلى دفعة بلغت (8.2 مليون دولار)، ودفعة أخرى بلغت (35 ألف دولار) قدمت للسيطرة على بيت عائلة عباسي في سلوان. وفي المجمع أنفقت الحكومة في العام 1985م وحده قرابة (12 مليون دولار) لإصلاح البيوت التي تم انتزاعها من العرب في سلوان وغيرها (53).

واستمر الدعم الحكومي لجمعية العاد وغيرها بالرغم من صدور تقرير كلوجمان، ففي آب 2005 خصصت الحكومة الإسرائيلية بالتنسيق مع العاد (54) مليون شيكل لمدة ثماني سنوات، لتطوير الحوض المقدس (55). وخصّصت في أيار 2012م (350 مليون شيكل) لإكمال العمل في المشروع في الأعوام (2013 - 2019) (56).

وتقوم الحكومة بتوفير الحماية للمستوطنين سواء أكانت الحماية الشخصية أم حماية الممتلكات التي آلت إليهم، وبلغت تكلفة حراسة الدولة لهم في القدس (19 مليوناً و700 ألف شيكل في السنة، خصّصت من قبل وزارة البناء والإسكان لشركة الاستخبارات المدنية. وهذا المبلغ لا يشمل تكلفة حراسة قوات الجيش لهم (57).

وتوجد تقديرات أخرى تفيد أن تكلفة حراسة البور الاستيطانية في سلوان والبلدة

القديمة حتى العام 2011م، بلغت قرابة (81 مليون) شيكل إسرائيلي، دفعتها وزارة الإسكان لشركات الحماية. وبهذه الطريقة تدعم الحكومة العاد، علماً أن هذه الأموال تُقْتطع من الاحتياجات الاجتماعية مثل الإسكان وغيره (58).

وكان الدعم الذي تلقته العاد من الحكومة ودوائرها المختلفة مثار نقاش في أحد تقارير منظمة بتسيلم (B'Tselem) الإسرائيلية الصادرة في 1/1 /2011، وجاء فيه " الحكومة الإسرائيلية وبلدية القدس تدعمان الجهود الرامية إلى الاستيطان في قلب الأحياء الفلسطينية في شرقي المدينة، وتخصصان لهذه الجيوب قوات حماية ممولة من أموال الضرائب، وتساعد الحكومة في تمويل مشاريع البناء في الجيوب الاستيطانية وتطويره، وفي الحديقة الأثرية" (59).

وإلى جانب الدعم الذي تحصل عليه العاد من الحكومات الإسرائيلية، تحصل على دخل لا يستهان به من الرسوم التي تجبها من الدخول إلى المواقع الأثرية التي تتحكم بها، والحفلات، والمعارض، والبازارات التي تنظمها، وتبيع فيها: التحف، والكتب، والأزياء، والرموز اليهودية الأخرى (60).

ب. الدعم والتمويل الخارجي لجمعية العاد.

يتدفق إلى جمعية العاد دعم مالي من جهات خارجية عدة، حيث تقيم علاقات مع يهود المهجر، ومع المسيحيين الصهاينة في دول مختلفة (61).

ويعدّ الدعم المادي القادم من الولايات المتحدة الأمريكية الأكبر في هذا المجال. وتتنوع مصادره، ومنها الأثرياء الذين يمولون العاد لقناعات دينية، وفي مقدمتهم المليونير اليهودي ارفين موسكوفيتش (Irving Moskowitz) صاحب مؤسسة ((C&M))، والذي يعدّ العاد الأقرب إلى قلبه (62).

وبعد تولي اريئيل شارون (63) (Ariel Sharon) وزارة الإسكان (1988 – 1992م) ، تورط موسكوفيتش أكثر في دعم النشاطات الاستيطانية، وخصّص ملايين الدولارات لامتلاك العقارات والأراضي في القدس لتحقيق حلمه بتغيير ملامحها (64). وقد زار القدس عدة مرات لهذا الغرض (65).

ويصعب حصر المبالغ التي قدمها موسكوفيتش ومؤسسته، لذا سأشير إلى نماذج من هذا الدعم، ومنها شراء (70 عقاراً) ، وبناء حي (معاليه هزيتيم) ، وهو لا يبعد سوى (150م) هوائي عن المسجد الأقصى، واشتمل على (132) وحدة استيطانية، وإقامة حي (معاليه ديفيد) ، واشتمل على (104) وحدة سكنية، وتمويل حفر نفق أسفل المسجد الأقصى (66).

وعلق عضو الكنيست الإسرائيلي الدكتور أحمد الطيبي على جهود موسكوفيتش في دعم الاستيطان في القدس بقوله "إن المليونير اليهودي الأمريكي موسكوفيتش قد دفع لتهويد المدينة أكثر مما دفعه كل العرب لحمايتها من التهويد" (67).

وتتلقى (إلعاد) الدعم من جهات أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية، منها جمعية أصدقاء العاد (Ir David Friends of) التي تقدم للجمعية (2 - 4) مليون دولار سنوياً (68)، ومن روبن ماتيوس (Matias Rubin) أحد محرري الصحف الأمريكية، وتيري هوفر (Terry Hoover) أحد أقطاب صناعة النفط في هيوستن، وأحد أعضاء الجماعات الأصولية المسيحية الأمريكية التي تعتقد أن النبوءة الإنجيلية تقضي ببناء الهيكل حتى ينزل المسيح (69). كما تتلقى دعماً من المحامي سعاديا شيبير (Saadie Shepherd)، ومارك بلسبرغ (Mark Bilsborough)، وماركوس كاتس (Marcus Katz) وآخرين (70).

وتلجأ العاد وغيرها من الجمعيات الاستيطانية الصهيونية إلى الالتفاف على القوانين الأمريكية في سبيل حصولها على الدعم المالي، وهذا ما أشار إليه تقرير معهد الأبحاث الأمريكي التابع للكونغرس ونشرته صحيفة هآرتس (Haaretz) حول سياسة الخداع والتسويق التي مارستها الجمعيات اليمينية الإسرائيلية تجاه السلطات الأمريكية، وجمعها ملايين الدولارات لدعم الاستيطان تحت مسميات مختلفة، مع العلم أن قانون الضرائب الأمريكي يفرض على المؤسسات غير الهادفة للربح أن تعمل في مجالات مثل التعليم، والصحة، والدين، والدعم الاجتماعي، ويحظر عليها العمل من أجل دعم آراء ومواقف سياسية (71).

نشاطات جمعية العاد:

تعدّ العاد الجمعية الاستيطانية الصهيونية الأولى في سلوان (72)، وتمارس أنشطة استيطانية مختلفة منها: وضع اليد على أراضي الفلسطينيين وعقاراتهم، الحفريات، التعليم بأنواعه، والنشاطات السياحية.

أ. وضع اليد على أراضي الفلسطينيين وعقاراتهم

سعت العاد إلى اختراق الأحياء العربية والمواقع الأثرية والدينية والاستيلاء على أراضي الفلسطينيين وعقاراتهم لخلق ملكية يهودية، ووجود يهودي يسمح ببعث مدينة داود على أنقاض سلوان العربية، وبناء الهيكل الثالث مكان المسجد الأقصى كتتويج لتهويد القدس (73)

وركزت العاد في مساعيها بداية (وفقاً لزعمها) على استعادة الأراضي التي اشتراها

البارون روتشيلد (Rothschild) في القرن العشرين. ثم سعت لتحرير ممتلكات اليهود اليمينيّين العائدة لنهاية القرن التاسع عشر. ووظفت العاد قانون أملاك الغائب لسنة 1950م (74)، وقانون أملاك الغائب رقم (58) لسنة 1967م، لخدمتها. وقد عرّف القانون الأخير (الغائب)، بأنه " ذلك الشخص الذي ترك منطقة الضفة الغربية قبل 7 حزيران 1967م، أو في ذلك اليوم نفسه أو بعده". وبموجبه حوّلت جميع ممتلكاته إلى حارس أملاك الغائبين الذي يحق له التصرف بها بالبيع والشراء والتأجير. وبذلك، سيطرت إسرائيل على مساحات واسعة من الأراضي والعقارات في القدس وحولتها إلى دائرة أراضي إسرائيل. كما قامت سلطات الاحتلال بإصدار قانون مكمل له، أطلقت عليه: قانون أملاك الغائبين " تعويضات" لسنة 1973م، بهدف تصفية أملاكهم التي سيطرت عليها بشكل قانوني وشرعي، واستدعت من عدتهم غائبين عن المدينة، وأقاموا في الضفة الغربية أو في البلاد العربية، لتعويضهم عن ممتلكاتهم (75).

وبموجب قوانين أملاك الغائبين، تم نقل ممتلكات الفلسطينيين الغائبين إلى وزارة الإسكان، فالصندوق القومي، ومن ثم إلى الجمعيات الاستيطانية، ومنها العاد (76).

وتلجأ العاد إلى الوسائل السرية والعلنية كافة التي تمكنها من سلب ممتلكات الفلسطينيين (77). وفي مقدمة هذه الوسائل: توريث الفلسطينيين في قروض بنكية تؤدي للحجز على ممتلكاتهم، وتوظيف حالات الوفاة، وعدم وجود وريث لصالحها (78)، وعرض مبالغ كبيرة على الفلسطينيين ثمناً لممتلكاتهم، والاحتيال عليهم بتوقيع عقود بيع مع مستأجرين ثانويين، أو مع أشخاص لا يمتون بصلة لأصحاب الممتلكات (79).

وتستغل العاد جهازها القضائي في تزوير الوثائق والمستندات وعمليات السلب، كما تستفيد مما لديها من السماسرة العرب (80) الذين يأخذون بصمات العجائز على أوراق بيع باعتبارها طلبات للحصول على مخصصات التأمين الوطني. وقد يقوم السمسار بإيهام الناس أنه يقوم بالبناء على الأرض لحمايتها من المصادرة، مما يسهل عليه الحصول على التواقيع اللازمة بمساعدة دائرة العقارات الصهيونية، أو قد يستغل السمسار غياب أصحاب الأرض ويقوم بوضع يده عليها ببناء عمارة أو منزل لحساب الصهاينة. كما يجري التلاعب، أيضاً بالأرض المشاع حيث يستخدم المزورون أسلوب البلطجة، فضلاً عن استغلال طيبي القلوب والجاهلين بالقوانين (81).

ولست بصدد تتبع مسيرة العاد في سيطرتها على عقارات الفلسطينيين في سلوان، فهذا الأمر يطول، ولا مجال لبحثه في هذه الدراسة الموجزة والمتواضعة، لذا سأكتفي باستعراض نماذج من عمليات السلب. ففي العام 1987م سيطر بييري بدعم من اريئيل

شارون ووزارة الإسكان على بيت لعائلة العباسي تحت ذريعة أملاك الغائب⁽⁸²⁾. وكانت النتيجة أن وجدت العائلة نفسها مطرودة في العراق⁽⁸³⁾.

ويفاخر دافيد بئيري، في أعقاب ذلك، بقدرته على خداع العائلة التي استقبلته بصدق، كمرشد سياحي، مما مكنه من التوصل إلى أن البيت في أساسه أملاك غائبين، ووفر بذلك للسلطات الإسرائيلية ذريعة لمصادرتها، ونقله إلى العاد دون أن تتحقق السلطات من المعلومات التي قدمها بئيري، والتي تبين لاحقاً، بموجب تقرير كلوجمان، أنها مغلوبة وقائمة على الغش والتزوير⁽⁸⁴⁾.

وفي تشرين الأول من عام 1991م قامت العاد بإنشاء حي يهودي في مدينة سلوان بعد أن سيطرت على عدة بيوت ادعت أنها اشترتها خلال السنوات السبع الماضية. وبعد ذلك صدر أمر من محكمة العدل العليا الإسرائيلية بمنع الشرطة من طرد المستوطنين من أحد هذه البيوت. وفي الثاني عشر من كانون أول 1991م سمح مجلس الوزراء الإسرائيلي لعائلات يهودية تتبع جمعية العاد بالسيطرة على ست بنايات في سلوان، وتشكيل نواة لحي يهودي⁽⁸⁵⁾.

وتجاهلت الحكومة تحذيرات وزير الخارجية دافيد ليفي (David Levy) من النتائج المرتبة على ذلك في الأوساط الدولية⁽⁸⁶⁾، ومعارضة رئيس بلدية القدس تدي كوليك (Teddy Kollek) لهذا العمل "لأنه يرفض ما يقال عن حق اليهود في العيش في أي موقع يرغبون به في القدس"⁽⁸⁷⁾.

وفي نيسان 2006م سيطرت العاد بقرار من المحكمة على بيت لعائلة غزلان في سلوان، ولم ينفع العائلة كتاب الشكر الذي بحوزتها لدورها في حماية اليهود في اشتباكات عام 1929 بين العرب واليهود⁽⁸⁸⁾.

وبعامة ضاعفت العاد من نشاطاتها الاستيطانية في العام 2011⁽⁸⁹⁾. ليرتفع عدد المستوطنين في سلوان إلى (400 مستوطن) ⁽⁹⁰⁾. ولا تزال عمليات سلب ممتلكات الفلسطينيين مستمرة، ومنها السيطرة على (23) شقة سكنية في سلوان في 30 أيلول 2014م⁽⁹¹⁾.

وتقوم العاد بنشر إعلانات على شبكات التواصل الاجتماعي، تبحث فيه عن مستوطنين لحراسة البيوت التي صادرتها في سلوان، بأجر يومي يصل إلى (500) شيكل، وكل ما يطلب من المستوطن "هو إبقاء سلاحه محشواً، حتى يتم إيجاد عائلات تسكن فيها"⁽⁹²⁾

ولا يمكن لجمعية العاد أن تقوم بكل هذه النشاطات دون تنسيق مع الدوائر الإسرائيلية،

وفي مقدمتها: وزارة السياحة⁽⁹³⁾ ودائرة أملاك الغائب⁽⁹⁴⁾ التي سلمت "بيت العين" بعد 3 سنوات على مصادرته، إلى جمعية العاد مقابل أجرة شهرية لا تتعدى (24 شيكل شهرياً) ، ومن ثم قامت في العام 2006م بتوقيع عقد أجار معها لمدة (49 سنة) مقابل (650) شيكل شهرياً⁽⁹⁵⁾.

وتتعاون العاد مع الصندوق القومي اليهودي (الذي يقوم بوضع اليد على ممتلكات الفلسطينيين، ومن ثم ينقلها إلى العاد)⁽⁹⁶⁾ ، مما دفع بعضو الصندوق سيث موريسون (Seth Morrison's) إلى الاستقالة احتجاجاً على ذلك، بعد أن اكتشف تورط الصندوق القومي في الإجراءات التي أدت إلى طرد عائلة سميرين من بيتها في سلوان⁽⁹⁷⁾.

وتحصل العاد على دعم من بلدية القدس التي تنسق معها نشاطاتها الاستيطانية⁽⁹⁸⁾. ويحضر ممثلون عنها مداورات البلدية بشأن المخططات الهيكلية للمدينة⁽⁹⁹⁾. وتمكنت العاد بدعم منها من الاستيلاء على (150) دونماً خصصتها لبناء مساكن للمستوطنين، كما حصلت على ترخيص لبناء كنيس يهودي في سلوان ضم مكتبة، وحضانة أطفال، وعشر غرف سكنية، ومواقف سيارات تحت الأرض⁽¹⁰⁰⁾.

وبالرغم من حملات الانتقاد التي توجه لجمعية العاد⁽¹⁰¹⁾ ، إلا أنها واصلت سلبها لممتلكات الفلسطينيين وتهويدها، ولم تعد حملات الاحتجاج جميعها "بيتاً واحداً، ومن يتجول في سلوان، يرى الأعلام الإسرائيلية ترفرف على أسطح بعض المنازل التي احتلها المستوطنون المسلحون بالبنادق، والذين يتسببون في قتل الفلسطينيين وجرحهم"⁽¹⁰²⁾.

ودافع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو (Benjamin Netanyahu) عن نشاطات العاد الاستيطانية في سلوان، باعتبارها مدينة داود، وقال: "لقد عاش اليهود في سلوان حتى عام 1948م أي حتى تم احتلالها من قبل الأردنيين، وطرد سكانها اليهود. لكن اليهود الذين يشتررون اليوم أراضي وبيوت في سلوان يتعرضون لعاصفة دولية، ويواجهون الادعاء الذي يمنح اليهود من الإقامة هناك، حتى لو لم يكن هناك أي خطأ في حقوق الشراء الفردية. سلوان هي شيلوه المكرائية (الواردة في العهد القديم) ، وإن النبع والبركة التي تقع في أسفلها، هما اللذان كانا يزودان القدس بالمياه في عهد الهيكل الأول، وحول هذا الموقع المائي، الوارد ذكره في التناخ (العهد القديم) والذي ما زال قائماً حتى هذا اليوم، بنى الملك داود عاصمته وحصنها"⁽¹⁰³⁾. وعدّ نتنياهو "أن من حق كل يهودي امتلاك بيت والسكن فيه في كل أنحاء القدس".

ورفض الانتقاد الأمريكي الذي تضمن نعت المستوطنين "بالمجموعة المتطرفة"⁽¹⁰⁴⁾.

ووقف إلى جانب العاد وزير الثقافة ليمور لفنانت (Lifnant lemur) ، ووزير التربية والتعليم جدعون ساعر⁽¹⁰⁵⁾ ونائب وزير الخارجية داني أيلون (Danny Ayalon) ووزير الإسكان الإسرائيلي أوري اريئيل (Uri Ariel) ، وكلهم زاروا البور الاستيطانية في سلوان⁽¹⁰⁶⁾

ب. حفريات جمعية العاد في سلوان

لقد أشرنا فيما سبق إلى مشروع الحوض المقدس، وقلنا إنه أساس الصراع في مدينة القدس أو لنقل جوهره. ويضم الحوض المقدس: البلدة القديمة، وجبل الزيتون، وقرية سلوان ومحيطها، وهي منطقة غنية بالمواقع الأثرية، وتقدر مساحتها ب (2.5 كم²)⁽¹⁰⁷⁾.

ومنذ انطلاقة المشروع الصهيوني، تحولت الآثار إلى وسيلة لإثبات حقوق اليهود المزعومة، وخلق الوعي لديهم⁽¹⁰⁸⁾. وانصب اهتمامهم في الحفريات على المرحلة الأخيرة من العصر البرونزي المتأخر، والعصر الحديدي لاعتقادهم أنهما الفترتان اللتان شهدتا استقرار اليهود وازدهارهم⁽¹⁰⁹⁾.

بدأت الحفريات في سلوان في الفترة ما بين (1853 – 1857م)⁽¹¹⁰⁾ عندما ادعى جيمس جراهام (James Graham) عثوره على قمة مدينة داوود⁽¹¹¹⁾. وتلا ذلك، حفريات بلس وديكي (Dickey & Bils) في تسعينات القرن التاسع عشر، وحفريات فنسنت (Fincint) عام 1911م، وحفريات ماكليستر (Macalester)، ودنكن (Dinkan) في الفترة (1923 – 1925م) ، وحفريات جونز (k Johns) في أربعينات القرن الماضي⁽¹¹²⁾ وحفريات ديفيد أوسشكن (Ussishkin) عام 1968م، ومن ثم حفريات ايتان وروث اميران (A.Etan R Amiran & Kathleen) ⁽¹¹³⁾. وقام ييغال شيلوح⁽¹¹⁴⁾ (Yigal Shilohj) وكاتلين كينيون (Kathleen Kinyon) ، وايلات مازار (Eilat Mazaras) بحفريات أخرى في سلوان⁽¹¹⁶⁾.

ويبدو أن طريقة التنقيب التي اتبعت، والتفسيرات العلمية للمكتشفات الأثرية لم تُشبع رغبات الحاخامات. لذا وبتأثير منهم، وضعت السلطات الإسرائيلية هذه المنطقة تحت إشرافهم، ثم نقلتها في العام 1987م إلى جمعية العاد التي ادعت ملكيتها للمنطقة المحيطة بوادي حلوة، وربطتها بالقصص التوراتية، لتخرج لاحقاً باستنتاج أنها مدينة داود التوراتية⁽¹¹⁷⁾.

وفي العام 2005، حصلت العاد على حق الإشراف على مدينة داود (المزعومة) ، وتطوير الحوض المقدس⁽¹¹⁸⁾ وهو قلب المشاريع الصهيونية الرامية إلى تهويد القدس. وتتلخص أهدافه في مصادرة الأراضي، وإفراغ المنطقة من أهلها، وعزلها عن الأحياء العربية، ومحو الهوية العربية الإسلامية، وإحلال الهوية اليهودية⁽¹¹⁹⁾.

وتشرف العاد على الحفريات (120) في مواقع الظهور، ومجرى نهر ستنا مريم (121)، والحديقة الوطنية، ورمون حنتزيف، وفي جبل الزيتون، وطريق هيرودوت (122) وعين سلوان التحتا، والمنطقة ما بين عين سلوان الفوقا وباب المغاربة، وفي هعوفل (إلى الجنوب من الحرم) (123)، وفي موقع جفعاتي (جنوب شرق بوابة المغاربة، على طرف سلوان، وعلى مقربة من الحرم الشريف) (124) والذي يعد المشروع الأضخم.

وكشف تقرير لصحيفة هآرتس نقلته صحيفة القدس بتاريخ 21 / 11 / 2014م، عن حجم التعاون والتنسيق بين الدوائر الحكومية الإسرائيلية، وبخاصة سلطة الآثار، وبين جمعية العاد لإنجاز هذا المشروع. وجاء التقرير بعنوان (على أسوارك يا مدينة داود). ويثبت التقرير كيف تحولت السلطات الإسرائيلية من معارض لجمعية العاد إلى متعاون معها، وماذا حصل للقبور التي أقيم فوقها مركز لزوار مدينة داود، ومن الذي يمول هذه الاعتداءات. يقول نير حسون في تقريره "من يغادر ساحة حائط البراق عن طريق باب المغاربة ويتوجه شمالاً باتجاه الحديقة الاستيطانية يشاهد حفرة ضخمة، موجودة في المنطقة التي كانت تسمى ذات يوم موقف جفعاتي، والتي تم حفرها تدريجياً خلال السنوات السبع الأخيرة. وتعد هذه الحفرة الأثرية الأكبر في مدينة القدس خلال السنوات العشر الأخيرة، والهدف من ورائها إقامة مركز تاريخي، مبنى مكون من جزئين، يستخدم كمركز للزوار، ومتحف ومدخل إلى الحديقة الاستيطانية". ويشير التقرير إلى التحول في سياسة سلطة الآثار من معارض لإقامة مبنى في المكان، إلى داعم متحمس ومخطط للبناء. ويتعرض التقرير إلى تفكيك المقبرة الإسلامية، وحقيقة وجود قبور يهودية مزيفة. وذكر أن دافع الضرائب في إسرائيل هو الممول الرئيس لتلك الحفريات، وليس جمعية العاد الاستيطانية (125).

وأشار حسون إلى الدعم الذي تتلقاه العاد من رئيس بلدية القدس (نير بركات) ومن سلطة حماية البيئة والحدائق، التي تدير رسمياً ما تسمى بالحديقة الوطنية في القدس، ومن معظم جهات التخطيط في المدينة المقدسة ومن سلطة الآثار (126).

ولتعويض النقص في المكتشفات الأثرية، لجأت العاد إلى استثمار المتنزه التاريخي (الحديقة الوطنية) (127)، وملأته بنماذج ومجسمات ورموز توراتية (128) متجاهلة حقيقة عدم قدرة الباحثين التوراتيين على إثبات صحة ما ورد في التوراة عن المدينة، وتأكيدهم أن مملكة داود وسليمان لم تكن مملكة إقليمية واسعة، بل مملكة قبلية صغيرة الحجم (129).

واحتج عدد من علماء الآثار الإسرائيليين على إشراف جمعية العاد على الآثار في سلوان، والطريقة التي تنقّب بها، ووجود أهداف سياسية خاصة بها. ومن الذين احتجوا يورام زافريير (Yoram Zafriir) مدير معهد الآثار في الجامعة العبرية (130) وإيلات

مازاراس (Mazaras Elate) التي تعمل في حفرية تابعة لجمعية العاد⁽¹³¹⁾، وأستاذ علم الآثار في الجامعة العبرية زائير زاكوفيتش⁽¹³²⁾ (Zair Zakovitch)، والمستشار القضائي لسلطة الآثار، المحامي يورام سيلع⁽¹³³⁾ (Yoram Sela) ومنظمة عيمق شيبه (Emek Shavah) التي ضمت علماء آثار إسرائيليين رفضوا الطريقة التي تنقّب فيها العاد عن الآثار في سلوان⁽¹³⁴⁾.

ت. نشاطات جمعية العاد التعليمية والسياحية.

تقوم جمعية العاد بنشاطات تعليمية وسياحية لتمتين صلة اليهود بسلوان، وزيادة معرفتهم بتاريخها، واستقطاب وتأطير مزيد من الطلبة وأفراد الجيش الذين يزورون سلوان كجزء من نشاطات فيلق المتعلمين، وبتنسيق بين العاد، والجيش، ومؤسسة الحائط الغربي للتراث، ومؤسسة ياد بن زيف، وحركة الشبيبة الصهيونية المتدينة (بني عكيفا) وتقدّم العاد للزائرين قصة تجسد وجهاً واحداً فقط، من خلال التركيز على فترة الملك داود والهيكل الثاني، وتهميش تاريخ المدينة قبل الملك داود، ومنذ تدمير الهيكل وحتى التاريخ المعاصر⁽¹³⁵⁾.

وتدير العاد في سلوان مدرستين دينيتين، وحضانة أطفال، ومركزاً لاستقبال طلاب المدارس الدينية المتطرفة⁽¹³⁶⁾ الذين لا يخدمون في الجيش بحجة اعتكافهم لدراسة الدين والتاريخ اليهوديين⁽¹³⁷⁾.

وتشرف العاد في سلوان على معهد ميغاليم (Megalim Institute) المتخصص في البحث في التاريخ اليهودي والكتاب المقدس⁽¹³⁸⁾.

وإلى جانب اهتماماتها التعليمية، تنشط العاد في مجال السياحة، والتي تشكل مصدراً للدخل من خلال رسوم الدخول إلى المواقع الأثرية، وبيع السلع السياحية للزوار⁽¹³⁹⁾ الذين يتزايد عددهم مع مرور الوقت. ففي العام 2001م استقطبت مدينة داود (25) ألفاً، وفي العام 2006م (250) ألفاً، وفي العام 2007م (350) ألفاً، وفي العام 2011م (450) ألفاً⁽¹⁴⁰⁾.

وتنظّم العاد للزائرين جولات سياحية وفق مسار يتجاهل المقدسات الإسلامية، ويربط بين الآثار الإسلامية والمسيحية، والمدينة اليهودية التاريخية، ويصور الوجود الإسلامي في المدينة كوجود طارئ، ومنفصل عن الوجود المسيحي واليهودي⁽¹⁴¹⁾، وتتجاهل العاد في روايتها عن سلوان أن المواقع الأثرية فيها تقع أسفل بيوت الفلسطينيين مما قد يعرض حياتهم للخطر⁽¹⁴²⁾.

ولتسهيل حركة دخول الزائرين والمستوطنين وخروجهم من سلوان إليها، وتنشيط الحركة السياحية، وربط البور الاستيطانية في سلوان بالأحياء اليهودية في القدس، تنفذ العاد مشروع (قديم يروشالايم - أورشاليم أولاً)، أو (مخطط زاموش). ويتم بموجبه إقامة شبكة جسور للمركبات. ويمتد الجسر الرئيس من باب النبي داوود (أحد أبواب البلدة القديمة بالقدس من الجهة الجنوبية الغربية)، ويتجه شرقاً مروراً بباب المغاربة (باب السور التاريخي للقدس من الجهة الجنوبية) عند نقطة الالتقاء مع مدخل حي وادي حلوة - سلوان، ويستمر شرقاً إلى منطقة القصور الأموية (جنوب شرق المسجد الأقصى). ويتفرع من الجسر الرئيس جسر فرعي يربط ما بين ساحة البراق (باب المغاربة الخارجي)، والجسر الرئيس.

وتلغي شبكة الجسور هذه المدخل الرئيس لحي وادي حلوة وبلدة سلوان من الناحية الشمالية، وتحوله إلى طريق مشاة مرصوف. ويتم ربط البور الاستيطانية في سلوان فيما بينها بنفق أرضي، يخترق سور القدس وباب المغاربة الخارجي ويصل إلى أسفل منطقة البراق، ومن ثم تُربط بالأنفاق والمنشآت اليهودية أسفل المسجد الأقصى، وفي محيطه، وتلتقي عند باب المغاربة. ويتم بموجب هذا المشروع، إقامة مركز استيطاني كبير في الجهة الجنوبية للجسر (مقابل القصور الأموية) على أن يُربط لاحقاً بالجسر الرئيس⁽¹⁴³⁾.

الاستنتاجات:

1. تعدّ القدس جوهر المشروع الصهيوني، وتهويدها قضية أجمعت عليه الجمعيات والأحزاب الصهيونية. واكتمال هذا التهويد هو المؤشر على نجاح أو عدم نجاح هذا المشروع.
2. تولت المنظمة الصهيونية بدواثرها المختلفة مهمة تهويد القدس قبل ولادة الدولة العبرية. وبعد ولادة هذه الدولة وتوسعها خلال الفترة (1948 - 1967م)، برز الدور الحكومي الرسمي في عمليات التهويد الكبرى، كما برز دور الجمعيات الاستيطانية ومنها العاد في عمليات التهويد التي من خلالها تم اختراق الأحياء العربية وزرع بور استيطانية وسطها بعد سلب ممتلكات الفلسطينيين.
3. استندت العاد إلى فكر استرجاعي توراتي مغلف بمسحة أسطورية، وربطت بين تهويد القدس وبين رضا الله وعودة الماشياح والدخول في عصر النور أو عصر تحرير اليهود من الآلام والآثام. وبالتالي روجت العاد لفكرة أنها هي يد الله التي تنفذ المهمات السماوية أو لنقل تحضّر لها.

4. الهدف الأسمى لجمعية العاد هو تهويد سلوان بالكامل وإعادة إحياء مدينة داود الأسطورية على أنقاضها، وبناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى. وتستخدم العاد كل الوسائل السرية والعلنية لتحقيق هذه الغاية مستفيدة من الدعم الداخلي والخارجي الذي تتلقاه.

5. لا يمكن النظر إلى العاد ونشاطاتها بمعزل عن سياسات الحكومة الإسرائيلية الرامية إلى الاستيطان في القدس. وهي لا تخرج عن كونها ذراعاً حكومياً، ينفذ مهمات استيطانية قد لا تستطيع الحكومة تنفيذها.

6. نشاطات العاد ونجاحاتها وبرامجها كبيرة وتفوق حجمها، وهذا يدل على خبرة في العمل، ورؤية واضحة، ودعم لا محدود من جهات متنفذة في إسرائيل وخارجها.

7. لكون العاد تمتلك غطاءً سياسياً حكومياً (بشكل أو آخر) وتملك تمويلاً مالياً داخلياً وخارجياً، فإن استمرار وجودها أمر مفروغ منه. وبالتالي يتوجب البحث عن وسائل لإعاقة عمل هذه الجمعية، وتجفيف مصادر تمويلها (إن أمكن) عبر وسائل قانونية وإعلامية في الداخل والخارج، ومن خلال التوعية في صفوف المقدسيين، وتوفير مصادر الدعم لهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأراضي والعقارات المهددة بالانتقال إلى أيدي الجمعية.

الهوامش:

1. العمري، منصور (2006). الإرهاب الصهيوني في فلسطين (1948 – 1973م). رسالة ماجستير غير منشورة. إشراف الأستاذ الدكتور يوسف الثقافي. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ص35، وسيشار إليه: العمري، الإرهاب
2. Bovet , Felix (1882) . Egypt, Palestine, and Phoenicia: A Visit to Sacred Lands. Translated by W. H. Lyttelton ,M. A , Hodder & Stoughton, P95- 96
وسيشار إليه: Bovet ,. Egypt, Palestine, and Phoenicia
3. The Religious Tract Society (Great Britain) . (1863) , Pictorial journey through the Holy Land, or, Scenes in Palestine, London. , p56
وسيشار إليه: The Religious Tract Society, Pictorial journey
4. نوفل أحمد. (2001). قضية القدس من المنظور الإسرائيلي (. في: القدس بين الحاضر والماضي (بحوث ندوة جامعة البتراء) ، جامعة البتراء، كلية الآداب، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص204، وسيشار إليه: نوفل، قضية القدس
5. المرجع نفسه، ص204
6. أبو كثة، حسين (2013). تهويد الأسماء العربية في مدينة القدس والآثار الخطيرة المترتبة على ذلك من طمس لهوية المدينة المقدسة الثقافية: دراسة وصفية. مجلة امارباك (تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا) المجلد الرابع، العدد الثامن، ص14، وسيشار إليه: أبو كثة، تهويد الأسماء العربية
7. السيد حسين، عدنان. (1989م) التوسع في الإستراتيجية الإسرائيلية. ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 50، وسيشار إليه: السيد حسين، التوسع
8. غنيم، هنيذة (د. ت) . السياسة الحيوية للاستعمار الاستيطاني: إنتاج المقدسين كمارقين. في: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) : مجلة قضايا إسرائيلية. السنة الثانية عشرة، العدد السابع والأربعون، ص (95) . وسيشار إليه: غنيم، السياسة الحيوية
9. عناب، محمد. (2001). الاستيطان الصهيوني في القدس 1967 – 1993م. ط1. بيت المقدس للنشر والتوزيع، الرام، فلسطين، ص116، وسيشار إليه: عناب، الاستيطان
10. مصاروه، إيمان. (2004). الاستيطان في القدس القديمة. (د. ط) ، مركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية، القدس، ص 86 – 87. وسيشار إليه: مصاروه، الاستيطان

11. كفاقي، زيدان. (2012). سلوان بين الآثار والتوراة. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. عدد خاص، ص 272، وسيشار إليه: كفاقي، سلوان
12. مصاروه، الاستيطان، ص 88
13. أبو عطا، محمود، وتبقى سلوان ملحمة صمود، مؤسسة الأقصى للوقف والتراث
[http:// www. foraqsa. com/ content/ news/ news. php?start_from=&ucat=2&subaction=showfull&id=1235934655&archive=1236186758&go=reports](http://www.foraqsa.com/content/news/news.php?start_from=&ucat=2&subaction=showfull&id=1235934655&archive=1236186758&go=reports)
14. Elad's Settlement in Silwan [http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/](http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf)
15. عليان، محمد (2001). الجمعيات اليمينية والاستيطان في القدس: أساليب وسياسات. (د. ط)، (د. ن)، القدس، ص 49، وسيشار إليه: عليان، الجمعيات
16. الآغا، راني (2013). التوجه الإسرائيلي نحو اليمين وأثره على قضية القدس (2000 - 2011). رسالة ماجستير. إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم أبراش، جامعة الأزهر، غزة، ص 106 - 108، وسيشار إليه: الآغا، التوجه الإسرائيلي
17. مصاروه، الاستيطان، ص 89
18. غوشة، صبحي، أكثر من 20 تنظيماً يهودياً تتنافس على مصادر تمويل النشاطات الاستيطانية في القدس، صحيفة القدس / العدد (10443) 20 / 9 / 1998 م.
19. Pedahzur, Ami. (2012). The Triumph of Israel's Radical Right. Writers club press. Lincoln, P89
وسيشار إليه: Pedahzur, The Triumph
20. الجعبة، نظمي. (1987). الإسكان في القدس بين مطرقة الاستيطان والإمكانات المتاحة. ط 7، رام الله، معهد السياسات العامة، ص 50، وسيشار إليه، الجعبة، الإسكان.
21. The Ir David Foundation
<http:// www. cityof david. org. il/ en/ The- Ir- David- Foundation>
22. The republic of Elad
<http:// www. haaretz. com/ print- edition/ features/ the- republic- of- elad- 1. 185892>
23. مصاروه، الاستيطان، ص 88
24. Court favors right- wing group on City of David park
<http:// www. jpost. com/ National- News/ Court- favors- right- wing- group- on- City- of- David- park>

25. ملحق هآرتس يكشف تفاصيل مثيرة لتهويد القدس
[http:// www. akhbarak. net/ articles/ 16896255](http://www.akhbarak.net/articles/16896255)
26. Ir David Foundation
[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Ir_David_Foundation](http://en.wikipedia.org/wiki/Ir_David_Foundation)
27. مصاروه، الاستيطان، ص 89
28. المرجع نفسه، ص 89
29. انظر: مقال للكاتب جمال جمال. [http:// www. addustour. com](http://www.addustour.com)
30. - Elazar. Stern (2012) . Struggling Over Israel's Soul. Paper back, u k, P51
وسيشار إليه: Elazar, struggling
31. الهرش، محمد جميل (2005) . نظرة في واقع الإحلال الصهيوني. ط1، دمشق، ابن القيم، ص 511 – 512، وسيشار إليه: الهرش، نظرة
32. مصاروه، الاستيطان، ص 89
33. الرفاتي، إياد. (2013) . الاستيطان في فكر الأحزاب الدينية الصهيونية في إسرائيل وأثره على التسوية السياسية (1991 – 2009) . رسالة ماجستير جامعة الأزهر، غزة، ص 37، وسيشار إليه: الرفاتي، الاستيطان
34. المرجع نفسه، ص 34
35. أنظر: الحفني، عبد المنعم (1994) . موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية. ط1، مطبعة مدبولي، القاهرة، ص 244، وسيشار إليه: الحفني، موسوعة
36. ديبه، نايفه. (2012) . القوى الدينية اليهودية وعلاقتها بالصهيونية 1902 – 1948م. رسالة ماجستير، إشراف الدكتور زكريا السنوار، الجامعة الإسلامية، غزة، ص 63 – 68، وسيشار إليه: ديبه، القوى الدينية
37. العمري، الإرهاب الصهيوني، ص 85
38. ديبه، القوى الدينية، ص 63 – 70
39. الآغا، التوجه الإسرائيلي، ص 144 – 151
40. المرجع نفسه، ص 159 – 160
41. مصاروه، الاستيطان، ص 89
42. مركز أبحاث الأراضي، اعتداءات الاستيطان الاستعماري على أراضي وعقارات سلوان مستمرة.

http://www.poica.org/editor/case_studies/view.php?recordID=736

43. الرفاتي، الاستيطان، ص29
44. المصري، عماد (2011) مواقف الأحزاب الإسرائيلية اليهودية من مسألة القدس 1979 - 1991م. مجلة اماراباك (مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا)، المجلد الثاني، العدد الثالث، ص86، وسيشار إليه: المصري، مواقف الأحزاب
45. شلومو أفينر: حاخام يهودي أرثوذكسي، ولد في فرنسا عام 1943م، ويعد من رموز الحركة الاستيطانية في القدس، وهو منظر لما يعرف بالصهيونية الدينية/ انظر: Rabbi Shlomo Chaim Ha- Cohen Aviner
http://en.wikipedia.org/wiki/Shlomo_Aviner
46. العمري، الإرهاب الصهيوني، ص85 - 86 / على، نهاد. (2007). الأصولية الدينية اليهودية وإسقاطاتها المحلية والإقليمية. مجلة قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، السنة السابعة، العدد الخامس والعشرون، ص16، وسيشار إليه، علي، الأصولية الدينية.
47. مصاروه، الاستيطان، ص89
48. ربابعة، غازي (1993). القدس في الصراع العربي الإسرائيلي. ط1، دار الفرقان، عمان، ص50، وسيشار إليه، ربابعة، القدس
49. الفر، يوسي (1995). المستوطنات والحدود في مؤتمر الاستيطان تحدي السلام. ط1. دار القدس للنشر والتوزيع، القدس، ص56 - 57، وسيشار إليه: الفر، الاستيطان
50. - (2009) Gheshin, Amir, Hutman, Bill, Melamed, Avi, Separate and Unequal: The Inside Story of Israeli Rule in East Jerusalem, Harvard University Press, p212
وسيشار إليه: Gheshin, Hutman & Melamed, Separate and Unequal
51. تقرير صدر عن لجنة خاصة عينها رئيس الحكومة الإسرائيلية اسحق رابين، وكانت برئاسة مدير عام وزارة العدل حاييم كلوجمان/ أنظر: المدلل، وليد. (2005). الاستيطان في البلدة القديمة، في عوده خليل، وموسى، حماد (محرران): مؤتمر يوم القدس السابع بعنوان: الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس. جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص640. وسيشار إليه: المدلل، الاستيطان
52. المرجع نفسه، ص640

Gheshin ,Hutman& Melamed, Separate and Unequal, pp212- 222. **53**

54. سليمان، أحمد، جمعية العاد الاستيطانية تستوطن غابة السلام، القدس، القدس، 17 /
7 /2009 أنظر:

Masalhah, Nur- eldeen. (2007) . The Bible and Zionism: Invented Traditions, Archaeology and Post- colonialism in Palestine- Israel London, Zed Books ,p180

وسيشار إليه: Masalhah, The Bible and Zionism

55. Roundup of Recent News

[http:// sevenmonthsintelaviv. com/ category/ silwan](http://sevenmonthsintelaviv.com/category/silwan)

56. المدلل، الاستيطان، ص 639 – 640

57. Roundup of Recent News

[http:// sevenmonthsintelaviv. com/ category/ silwan](http://sevenmonthsintelaviv.com/category/silwan)

58. أنظر: الجيوب الاستيطانية في القدس الشرقية

[http:// www. btselem. org/ arabic/ jerusalem/ settler_ enclaves](http://www.btselem.org/arabic/jerusalem/settler_enclaves)

59. Ir David-

[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Ir_ David_ Foundation](http://en.wikipedia.org/wiki/Ir_David_Foundation)

To Lonely Planet: Include Arab history on City of David

60. الآغا، التوجه الإسرائيلي، ص 144 – 148

61. غوشة، صبحي، أكثر من 20 تنظيماً يهودياً تتنافس على مصادر تمويل النشاطات
الاستيطانية في القدس، صحيفة القدس، العدد (10443) 20 /9 /1998 م

62. المرجع نفسه

63. اريئيل شارون: ولد في مستوطنة كفار ملال في فلسطين المحتلة عام 1933م، واسمه

الأصلي اريئيل صموئيل مردخاي شرابير، وهو من أصول بولندية، درس التاريخ

والعلوم الإستشرافية في الجامعة العبرية، وأكمل تحصيله العلمي في كلية الحقوق

بجامعة تل أبيب، شارك في مجزرة قبيه مع وحدته التي شكلها (الوحدة 101)، وشارك

في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، كقائد للواء مدرع، وأصبح رئيساً لهيئة

أركان المنطقة الشمالية (1964 – 1969) ثم قائداً للمنطقة الجنوبية (1969 –

1973) ونجح في انتخابات الكنيست لعام 1977، وأصبح وزيراً للزراعة ثم للدفاع

في فترة حكم الليكود/ للمزيد أنظر: عناب، الاستيطان، ص 84

64. Pedahzur, The Triumph, p86.
65. حول نشاطاته صحيفة القدس، القدس، العدد 11258، 23 / 12 / 2000 / ص 18، العدد 12027 / 15 / 2 / 2003، ص 4
66. أنظر: النص الكامل لتقرير الجمعيات الأمريكية التي تموّل الاستيطان
<http://www.masress.com/misrelgdid/5871>
67. أحمد الطيبي: المليونير موسكوفيتش دفع لتهويد القدس أكثر مما دفعه العرب
<http://www.alqudsalarabi.info/index.asp?fname=today\06qpt952.htm&arc=data\2012\03\03-06\06qpt952.htm>
68. City of David and the Settler Organization Elad
<http://www.truah.org/issuescampaigns/justiceforjerusalem/inside-neighborhoods/silwan/city-of-david-elad.html>
69. الصليبي، محمد علي (2005). الأثر الديني والسياسي للاستيطان الصهيوني في القدس. في مؤتمر يوم القدس السابع بعنوان: الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس. جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص 455 - 456، وسيشار إليه، الصليبي، الأثر الديني
70. غوشة، صبحي، أكثر من 20 تنظيماً يهودياً تتنافس على مصادر تمويل النشاطات الاستيطانية في القدس، صحيفة القدس، العدد (10443) 20 / 9 / 1998
71. نقلا عن وكالة ميلاد الإخبارية / 17 - 8 - 2009، www.milad.ps/id3429
72. خاطر، حسن. (2004). موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك. الاستيطان والاحتلال والمواقف الدولية. ط 1، م 3، المجلس العلمي الفلسطيني للدراسات والأبحاث الموسوعية، نابلس، ص 65، وسيشار إليه، خاطر، موسوعة
73. دحلان، أحمد. (2013). الصراع الإسرائيلي الفلسطيني على المكان في مدينة القدس. دراسة جيوبوليتيكية. مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون العدد الثاني، ص 351، وسيشار إليه: دحلان، الصراع
74. عناب، الاستيطان، ص 57
75. أبو عامر، عدنان (2009). السياسة الإسرائيلية تجاه مدينة القدس. ط 1، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، ص 61، وسيشار إليه: أبو عامر، السياسة الإسرائيلية
76. Elad's Settlement in Silwan

[http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf](http://alt-arch.org/en/wp-content/uploads/2013/04/Elad-article-for-the-website.pdf)

77. غوشة، صبحي، أكثر من 20 تنظيماً يهودياً تتنافس على مصادر تمويل النشاطات الاستيطانية في القدس، صحيفة القدس، العدد (10443) 20 /9 /1998

78. الهرش، نظرة ص 511 – 512

79. غوشة، صبحي، أكثر من 20 تنظيماً يهودياً تتنافس على مصادر تمويل النشاطات الاستيطانية في القدس، صحيفة القدس، العدد (10443) 20 /9 /1998

80. مصاروه، الاستيطان، ص 89

81. الهرش، نظرة، ص 512

82. Pedahzur, The Triumph, p89

83. Gheshin, Hutman& Melamed, Separate and Unequal, p212

84. Elad's Settlement in Silwan

[http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf](http://alt-arch.org/en/wp-content/uploads/2013/04/Elad-article-for-the-website.pdf)

85. مصاروه، الاستيطان، ص 88

86. Ayalon, Ami (Editor) (1993) . Middle East Contemporary Survey 1991, Volume 16, The Moshe Dayan Center ,p460

وسيشار إليه: Ayalon, Middle East

87. Gheshin, Hutman& Melamed, Separate and Unequal, pp212- 215

88. Elad's Settlement in Silwan

[http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf](http://alt-arch.org/en/wp-content/uploads/2013/04/Elad-article-for-the-website.pdf)

89. محارب، محمود (2014) . الهجمة الاستيطانية غير المسبوقة هي مشروع حكومة نتنياهو الوحيد. مجلة سياسات عربية، العدد السادس، يناير 2014م، ص 28،

وسيشار إليه: محارب، الهجمة

90. دحلان، الصراع، ص 315 – 361

91. في سابقة خطيرة.. مستوطنون يستولون على 23 شقة سكنية في سلوان

[http:// www. maannews. net/ arb/ ViewDetails. asp?ID=730893](http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=730893)

92. مديحه الأعرج: دولة المستوطنين توافق على موجة جديدة من المخططات الاستيطانية

www.amad.ps/ar/?Action=Details&ID=45231

93. مجلة البيادر السياسي: مخططات وقوانين لتعزيز تهويد القدس العربية... نشرة تكشف سياسة التفرقة والتمييز والمعاملة الفظة:

<http://www.al-bayader.com/readarticle.aspx?articleid=19291>

94. The republic of Elad

<http://www.haaretz.com/print-edition/features/the-republic-of-elad-1.185892>

95. مجلة البيادر السياسي / مخططات وقوانين لتعزيز تهويد القدس العربية / نشرة تكشف سياسة التفرقة والتمييز والمعاملة الفظة

<http://al-bayader.com/readarticle.aspx?articleid=19291>

96. Ir David

http://en.wikipedia.org/wiki/Ir_David_Foundation

97. Seth Morrison-

JNF board member resigns to protest eviction of East Jerusalem Palestinian family

<http://www.haaretz.com/jewish-world/jnf-board-member-resigns-to-protest- eviction-of-east-jerusalem-palestinian-family-1.401416>

98. غوشة، صبحي، أكثر من 20 تنظيماً يهودياً تتنافس على مصادر تمويل النشاطات الاستيطانية في القدس، صحيفة القدس، العدد (10443) 20 / 9 / 1998 / العدد 13844 / 4 / 3 / 2008، ص 2 / العدد 13439 / 18 - 1 - 2008، ص 9

99. جمعية العاد الاستيطانية تشارك بإعداد مخططات البناء في القدس الشرقية / صحيفة القدس، القدس، العدد (10104) 1 / 1 / 1997

100. الآغا، التوجه الإسرائيلي، ص 185 - 186

101. The republic of Elad

<http://www.haaretz.com/print-edition/features/the-republic-of-elad-1.185892>

102. فخري أبو دياب <http://www.grassrootsalquds.net/ar>

103. نتنياهو، بنيامين (1994). مكان تحت الشمس. ط4. ترجمة محمد عودة الدويري، دار الجليل للدراسات والنشر، عمان، ص 229 - 230، وسيشار إليه: نتنياهو، مكان تحت الشمس

104. وكالة قدس برس / وزير إسرائيلي ينوي الاستيطان في بلدة سلوان جنوب المسجد الأقصى / 26 / 10 / 2014م [http:// www. qudspress. com/](http://www.qudspress.com/)
105. وزيران بحكومة نتنياهو يقومان بجولة استفزازية في سلوان [http:// silwannet. net/ ?p=12088](http://silwannet.net/?p=12088)
106. زيارة استفزازية لداني أيلون لبور استيطانية بسلوان [http:// silwannet. net/ ?p=14271](http://silwannet.net/?p=14271)
107. الآغا، التوجه الإسرائيلي، ص 159 – 160 / صالح، محسن (2011). معاناة القدس والمقدسات تحت الاحتلال الإسرائيلي. ط1، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. ط1، بيروت، ص17، وسيشار إليه: صالح، معاناة
108. مستقبل آخر للأثریات [http:// alt- arch. org/ ar/ another- future- ar/](http://alt-arch.org/ar/another-future-ar/)
109. كفاقي، سلوان، ص 278 – 281
110. Jerusalem — The City of David [http:// www. jewishvirtuallibrary. org/ jsourc/ Archaeology/ jerdavid. html](http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsourc/Archaeology/jerdavid.html)
111. Mobile Reference (2011). Jerusalem Sights: A Travel Guide to the Top 30 Attractions in Jerusalem, Israel. Includes Detailed Tourist Information about the Old City
وسيشار إليه: Mobile Reference. Jerusalem Sights
112. كفاقي، سلوان، ص 278 – 281
113. علاونة، شامخ. (2012م). الحفريات الأثرية في مدينة القدس ما بين الأعوام 1863م – (2009م) والحق التاريخي للعرب منذ تأسيسها. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السابع والعشرون (1) حزيران، 2012م، ص 364، وسيشار إليه: علاونه، الحفريات
114. كفاقي، سلوان، ص 278 – 284
115. Randall ,Price. (1997). The Stones Cry Out. Harvest House Publishers, p165
وسيشار إليه: The Stones Cry Out , Randall
116. Reinhard,G, Kratz,Hermann. (2010) (Editors) . One God – One Culture – One Nation: Archaeological and Biblical Perspectives, Björn Corzilius, Tanja Pilger, Walter de Gruyter ,212

وسيشار إليه: One God Reinhard & Kratz،

.117 كفاي، سلوان، ص 272 - 282

.118 Elad's Settlement in Silwan

[http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf](http://alt-arch.org/en/wp-content/uploads/2013/04/Elad-article-for-the-website.pdf)

.119 كفاي، سلوان، ص 159 - 160 / صالح، معاناة، ص 17

.120 أنظر: جامعة تل أبيب تشارك في الحفريات الأثرية بسلوان

[http:// www. alzaytouna. net/ permalink/ 45040. html](http://www.alzaytouna.net/permalink/45040.html)

City of David and the Settler Organization Elad

[www. truah. org/ issuescampaigns/ justiceforjerusalem/ insideneighbor- hoods/ silwan/ city- of- david- elad. html](http://www.truah.org/issuescampaigns/justiceforjerusalem/insideneighborhoods/silwan/city-of-david-elad.html)

.121 كفاي، سلوان، ص 278 - 281

.122 The Ir David Foundation

[http:// www. cityofdavid. org. il/ en/ The- Ir- David- Foundation](http://www.cityofdavid.org.il/en/The-Ir-David-Foundation)

.123 مركز أبحاث الأراضي، اعتداءات الاستيطان الاستعماري على أراضي وعقارات سلوان مستمرة.

[http:// www. poica. org/ editor/ case_ studies/ view. php?recordID=736](http://www.poica.org/editor/case_studies/view.php?recordID=736)

.124 The Ir David Foundation

[http:// www. cityofdavid. org. il/ en/ The- Ir- David- Foundation](http://www.cityofdavid.org.il/en/The-Ir-David-Foundation)

.125 هآرتس تكشف "تكاملاً في الأدوار بين العاد الاستيطانية وسلطة الآثار" / نقلاً عن صحيفة القدس / 21 / 11 / 2014م

[http:// www. alquds. com/ news/ article/ view/ id/ 533267](http://www.alquds.com/news/article/view/id/533267)

.126 المرجع نفسه

.127 كفاي، سلوان، ص 278 - 281

.128 دحلان، الصراع، ص 340 - 341

.129 علاونة، الحفريات الأثرية، ص 369

.130 Elad's Settlement in Silwan

[http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf](http://alt-arch.org/en/wp-content/uploads/2013/04/Elad-article-for-the-website.pdf)

- Eric H. Cline (2009) . Biblical Archaeology: A Very Short Introduction. .131
Oxford University Press, p58
وسيشار إليه: Cline, Biblical Archaeology
The once and future city .132
[http:// www. jpost. com/ Local- Israel/ In- Jerusalem/ The- once- and- future- city](http://www.jpost.com/Local-Israel/In-Jerusalem/The-once-and-future-city)
- ملحق هآرتس يكشف تفاصيل مثيرة لتهويد القدس .133
[http:// www. akhbarak. net/ articles/ 16896255](http://www.akhbarak.net/articles/16896255)
- City of David and the Settler Organization Elad .134
[www. truah. org/ issuescampaigns/ justiceforjerusalem/ insideneighor- hoods/ silwan/ city- of- david- elad. html](http://www.truah.org/issuescampaigns/justiceforjerusalem/insideneighborhoods/silwan/city-of-david-elad.html)
- Elad's Settlement in Silwan .135
[http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf](http://alt-arch.org/en/wp-content/uploads/2013/04/Elad-article-for-the-website.pdf)
- جميل، أحمد. جمعية العاد الاستيطانية تستولي على 12 منزلاً و5 دونمات في سلوان والبلدة القديمة من القدس / 17 / 1 / 2008
/ [http"/ Palestine- pmc. com/ Arabic/ inside1. asp?x=3675&cat=2&opt=1](http://Palestine-pmc.com/Arabic/inside1.asp?x=3675&cat=2&opt=1)
- مصاروه، الاستيطان، ص 89 .137
Ir David .138
[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Ir_David_Foundation](http://en.wikipedia.org/wiki/Ir_David_Foundation)
- أبو عطا، محمود، وتبقى سلوان ملحمة صمود، مؤسسة الأقصى للوقف والتراث .139
[http:// www. foraqsa. com/ content/ news/ news. php?start_from=&ucat =2&subaction=showfull&id=1235934655&archive=1236186758&go=reports](http://www.foraqsa.com/content/news/news.php?start_from=&ucat=2&subaction=showfull&id=1235934655&archive=1236186758&go=reports)
- Ir David- .140
[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Ir_David_Foundation](http://en.wikipedia.org/wiki/Ir_David_Foundation)
- الآغا، التوجه، ص 154 .141
Ahdaf Soueif/ The dig dividing Jerusalem .142
[http:// www. theguardian. com/ world/ 2010/ may/ 26/ jerusalem- city- of- david- palestinians- archaeology/ print](http://www.theguardian.com/world/2010/may/26/jerusalem-city-of-david-palestinians-archaeology/print)
- مؤسسة الأقصى تعرض تفاصيل مخطط الاحتلال في سلوان و"البراق" .143
[http:// silwannet. net/ ?p=14839](http://silwannet.net/?p=14839)

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

1. البابا، عبد الحميد. (1992). شخصيات إسرائيلية. ط1، دون ناشر، رام الله، فلسطين
2. الجعبة، نظمي. (1987). الإسكان في القدس بين مطرقة الاستيطان والإمكانات المتاحة. ط7، رام الله، معهد السياسات العامة.
3. الحفني، عبد المنعم (1994). موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية. ط1، مطبعة مدبولي، القاهرة.
4. خاطر، حسن. (2004). موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك: الاستيطان والاحتلال والمواقف الدولية. ط1، م3، المجلس العلمي الفلسطيني للدراسات والأبحاث الموسوعية. ط1، م3، نابلس.
5. ربابعة، غازي (1993). القدس في الصراع العربي الإسرائيلي. ط1، دار الفرقان، عمان.
6. السيد حسين، عدنان. (1989م) التوسع في الإستراتيجية الإسرائيلية. ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
7. صالح، محسن (2011). معاناة القدس والمقدسات تحت الاحتلال الإسرائيلي. ط1، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. ط1، بيروت.
8. عبودي، هنري. (1991). معجم الحضارات السامية. ط2، جروس برس، طرابلس
9. عليان، محمد. (2001). الجمعيات اليمينية والاستيطان في القدس: أساليب وسياسات. (د. ط)، (د. ن) القدس.
10. عناب، محمد. (2001). الاستيطان الصهيوني في القدس 1967 - 1993 م. ط1. بيت المقدس للنشر والتوزيع، الرام، فلسطين.
11. الفر، يوسي (1995). المستوطنات والحدود في مؤتمر الاستيطان تحدي السلام. ط1. دار القدس للنشر والتوزيع، القدس.
12. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون. (1983). موسوعة السياسة. (د. ط). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

13. المسيري، عبد الوهاب. (1999) . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (نموذج تفسيري جديد) . ط1، دار الشروق، القاهرة.
14. مزاروه، إيمان. (2004) . الاستيطان في القدس القديمة. (د. ط) ، مركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية، القدس
15. معتوق، سمير. (1992) . الأساس الجغرافي للاستعمار الاستيطاني الصهيوني في الضفة الغربية (1967 – 1985م) . ط1، دار البشير، عمان.
16. ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم. (1994) . لسان العرب. ط3، دار صادر، بيروت.
17. نتنياهو، بنيامين (1994) . مكان تحت الشمس. ط4. ترجمة محمد عودة الدويري، دار الجليل للدراسات والنشر، عمان.
18. الهرش، محمد جميل (2005) . نظرة في واقع الإحلال الصهيوني. ط1، ابن القيم، دمشق.

ثانياً - المراجع الأجنبية:

1. Ayalon, Ami (Editor) (1993) . Middle East Contemporary Survey 1991, Volume 16, The Moshe Dayan Center
2. Bovet , Eugene Victor Felix (1882) . Egypt, Palestine, and Phoenicia: A Visit to Sacred Lands. Translated by W. H. Lyttelton ,M. A , Hodder & Stoughton
3. Elazar. Stern (2012) . Struggling Over Israel's Soul. Paper back, u k (3)
4. Eric H. Cline (2009) . Biblical Archaeology: A Very Short Introduction. Oxford University Press.
5. Gold hill ,Simon. (2009) . Jerusalem: City of Longing. Harvard University Press.
6. Warner, Charles Dudley. (2002) . In the Levant, Travels in Palestine, Lebanon and Syria. Gorgias Press, LLC. U. S. A
7. Gheshin, Amir, Hutman, Bill, Melamed, Avi. (2009) Separate and Unequal: The Inside Story of Israeli Rule in East Jerusalem, Harvard University Press

8. *Masalhah, Nur- eldeen. (2007) . The Bible and Zionism: Invented Traditions, Archaeology and Post- colonialism in Palestine- Israel. London: Zed Books*
9. *Pedahzur, Ami. (2012) . The Triumph of Israel's Radical Right. Writers club press. Lincoln*
10. *Pullan, Britt Baillie (Editors) . (2013) . Location Urban Conflicts: Ethnicity, Nationalism and the every day, Palgrave Macmillian,U. k*
11. *Rogers, Mary Eliza. (1865) . Domestic life in Palestine. Published by Poe& Hitchcock, Cincinnati*
12. *Reinhard, G. Kratz,Hermann (2010) (Editors) One God – One Culture – One Nation: Archaeological and Biblical Perspectives, Björn Corzilius, Tanja Pilger, Walter de Gruyter*
13. *The Religious Tract Society (Great Britain) . (1863) , Pictorial journey through the Holy Land, or, Scenes in Palestine, London*

ثالثاً - أبحاث في دوريات:

1. حسان، كمال. (2007). المدرسة التلمودية: اليشيفاه ومكانتها في الدولة والمجتمع الإسرائيلي في: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية: مجلة قضايا إسرائيلية. السنة السابعة، العدد الخامس والعشرون.
2. دحلان، أحمد. (2013) الصراع الإسرائيلي الفلسطيني على المكان في مدينة القدس. دراسة جيوبوليتيكية. مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون العدد الثاني.
3. علاونة، شامخ. (2012م). الحفريات الأثرية في مدينة القدس ما بين الأعوام 1863م-2009م) والحق التاريخي للعرب منذ تأسيسها. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السابع والعشرون (1) حزيران.
4. على، نهاد. (2007). الأصولية الدينية اليهودية وإسقاطاتها المحلية والإقليمية. مجلة قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) ، السنة السابعة، العدد الخامس والعشرون.

5. غنيم، هنييدة (د. ت) . السياسة الحيوية للاستعمار الاستيطاني: إنتاج المقدسين كمارقين. في: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار): مجلة قضايا إسرائيلية. السنة الثانية عشرة، العدد السابع والأربعون.
6. أبوكتة، حسين (2013). تهويد الأسماء العربية في مدينة القدس، والآثار الخطيرة المترتبة على ذلك من طمس لهوية المدينة المقدسة الثقافية: دراسة وصفية. مجلة اماراباك (تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا) المجلد الرابع، العدد الثامن.
7. كفاقي، زيدان. (2012). سلوان بين الآثار والتوراة. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. عدد خاص.
8. محارب، محمود (2014). الهجمة الاستيطانية غير المسبوقة هي مشروع حكومة نتنياهو الوحيد. مجلة سياسات عربية، العدد السادس، يناير 2014م.
9. المصري، عماد (2011) مواقف الأحزاب الإسرائيلية اليهودية من مسألة القدس 1979 – 1991م. مجلة اماراباك (مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا). المجلد الثاني، العدد الثالث.
10. نوفل أحمد. (2001). قضية القدس من المنظور الإسرائيلي في: القدس بين الحاضر والماضي (بحوث ندوة جامعة البتراء)، جامعة البتراء، كلية الآداب، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

رابعاً. فصل في كتاب:

1. الصليبي، محمد علي (2005). الأثر الديني والسياسي للاستيطان الصهيوني في القدس. في مؤتمر يوم القدس السابع بعنوان الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس. جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
2. المدلل، وليد. (2005). الاستيطان في البلدة القديمة، في عوده خليل، وموسى، حماد (محرران): مؤتمر يوم القدس السابع بعنوان: الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس. جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

خامساً: رسائل ماجستير

1. الآغا، راني (2013). التوجه الإسرائيلي نحو اليمين وأثره على قضية القدس (2000)

- 2011). رسالة ماجستير. إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم أبراش، جامعة الأزهر، غزة
2. ديبه، نايفه. (2012). القوى الدينية اليهودية وعلاقتها بالصهيونية 1902 - 1948م. رسالة ماجستير، إشراف الدكتور زكريا السنوار، الجامعة الإسلامية، غزة.
3. الرفاتي، إياد. (2013). الاستيطان في فكر الأحزاب الدينية الصهيونية في إسرائيل وأثرها على التسوية السياسية (1991 - 2009). رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة.
4. الشرافي، ياسر (2012). يهودية دولة إسرائيل وأثرها على عملية التسوية في الشرق الأوسط (2003 - 2011م). رسالة ماجستير. إشراف الدكتور رياض الاسطل. جامعة الأزهر.
5. شمعة، سهيل (2012). أيديولوجية القوى الدينية الراضة للصهيونية ودورها في الحياة السياسية في إسرائيل (2004 - 2010). رسالة ماجستير. إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم أبراش، جامعة الأزهر، غزة.
6. العمري، منصور (2006). الإرهاب الصهيوني في فلسطين (1948 - 1973م). رسالة ماجستير غير منشورة. إشراف الأستاذ الدكتور يوسف الثقفي. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى.

سادساً - صحف:

اسم الصحيفة	العدد	التاريخ
القدس	10104	1997 /1 /1
	10443	1998 /9 /20
	11258	2000 /12 /23
	12027	2003 /2 /15
	31439	2008 /1 /18

سابعاً - مواقع انترنت:

1. الإرهاب الإسرائيلي.. إرهاب الدولة والمنظمات [http:// drabbass. wordpress. com](http://drabbass.wordpress.com)

2. Ir David Foundation
[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Ir_David_Foundation](http://en.wikipedia.org/wiki/Ir_David_Foundation)
3. أبو عطا، محمود، وتبقى سلوان ملحمة صمود، مؤسسة الأقصى للوقف والتراث
[http:// www. foraqa. com/ content/ news/ news. php?start_from=&ucat=2&subaction=showfull&id=1235934655&archive=1236186758&go=reports](http://www.foraqa.com/content/news/news.php?start_from=&ucat=2&subaction=showfull&id=1235934655&archive=1236186758&go=reports)
4. Mary Eliza Rogers
[http:// woodcarverschildren. weebly. com/ mary- eliza- rogers1. html](http://woodcarverschildren.weebly.com/mary-eliza-rogers1.html)
5. Elad's Settlement in Silwan
[http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf](http://alt-arch.org/en/wp-content/uploads/2013/04/Elad-article-for-the-website.pdf)
6. - The republic of Elad
[http:// www. haaretz. com/ print- edition/ features/ the- republic- of- elad- 1. 185892](http://www.haaretz.com/print-edition/features/the-republic-of-elad-1.185892)
7. Court favors right- wing group on City of David park
[http:// www. jpost. com/ National- News/ Court- favors- right- wing- group- on- City- of- David- park](http://www.jpost.com/National-News/Court-favors-right-wing-group-on-City-of-David-park)
8. مقال في صحيفة القدس للكاتب جمال جمال.
[http:// www. addustour. com](http://www.addustour.com)
9. Elad's Settlement in Silwan
[http:// alt- arch. org/ en/ wp- content/ uploads/ 2013/ 04/ Elad- article- for- the- website. pdf](http://alt-arch.org/en/wp-content/uploads/2013/04/Elad-article-for-the-website.pdf)
10. Court favors right- wing group on City of David park
[http:// www. jpost. com/ National- News/ Court- favors- right- wing- group- on- City- of- David- park](http://www.jpost.com/National-News/Court-favors-right-wing-group-on-City-of-David-park)
11. Rabbi Shlomo Chaim Ha- Cohen Aviner
[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Shlomo_Aviner](http://en.wikipedia.org/wiki/Shlomo_Aviner)
12. مركز أبحاث الأراضي، اعتداءات الاستيطان الاستعماري على أراضي وعقارات سلوان مستمرة.
[http:// www. poica. org/ editor/ case_ studies/ view. php?recordID=736](http://www.poica.org/editor/case_studies/view.php?recordID=736)
13. Roundup of Recent News
[http:// sevenmonthshintelaviv. com/ category/ silwan](http://sevenmonthshintelaviv.com/category/silwan)

14. الجيوب الاستيطانية في القدس الشرقية

[http:// www. btselem. org/ arabic/ jerusalem/ settler_enclaves](http://www.btselem.org/arabic/jerusalem/settler_enclaves)

15. وزير الإسكان "الإسرائيلي" يقر بتقديم تسهيلات للجمعيات الاستيطانية في القدس

[http:// paltoday. ps/ ar/ post/](http://paltoday.ps/ar/post/)

16. To Lonely Planet: Include Arab history on City of David

[http:// www. jpost. com/ National- News/ To- Lonely- Planet- Include- Arab- history- on- City- of- David](http://www.jpost.com/National-News/To-Lonely-Planet-Include-Arab-history-on-City-of-David)

17. City of David and the Settler Organization Elad

[http:// www. truah. org/ issuescampaigns/ justiceforjerusalem/ inside- neighborhood/ silwan/ city- of- david- elad. html](http://www.truah.org/issuescampaigns/justiceforjerusalem/inside-neighborhoods/silwan/city-of-david-elad.html)

18. Ir David

[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Ir_David_Foundation](http://en.wikipedia.org/wiki/Ir_David_Foundation)

19. جميل، أحمد. جمعية العاد الاستيطانية تستولي على 12 منزلا و5 دونمات في سلوان والبلدة القديمة من القدس / 17 / 1 / 2008

[/ http:// Palestine- pmc. com/ Arabic/ inside1. asp?x=3675\\$cat=2&opt=1](http://Palestine-pmc.com/Arabic/inside1.asp?x=3675$cat=2&opt=1)

20. نشرة تكشف سياسة التفرقة والتمييز والمعاملة الفظة

[http:// al- bayader. com/ readarticle. asp?articleid=19291](http://al-bayader.com/readarticle.aspx?articleid=19291)

21. مجلة البيادر السياسي: مخططات وقوانين لتعزيز تهويد القدس العربية

[http:// www. al- bayader. com/ readarticle. asp?articleid=19291](http://www.al-bayader.com/readarticle.aspx?articleid=19291)

سياسة التهجير القسري وسحب الهويات المقدسية من خلال الأنظمة والقوانين التي تصدرها سلطات الاحتلال *

د. جمال محمد إبراهيم إبراهيم **

* تاريخ التسليم: 2015 / 2 / 7م، تاريخ القبول: 2015 / 3 / 10م.
** أستاذ مشارك/ تاريخ وسياسة العالم العربي المعاصر / عميد القبول والتسجيل والامتحانات/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

تتحدث الدراسة عن الأنظمة، والقوانين، والقرارات التي تصدرها سلطات الاحتلال وتطبيقها. حيث كان الهدف منها تهجير المقدسيين من القدس منذ احتلالها عام 1967، وحتى نهاية عام 2014، وقد ركزت الدراسة على مدى خطورة القوانين على الفلسطينيين مثل قانوني "الجنسية (المواطنة)"، والدخول إلى إسرائيل اللذين صدرا عام 1952، والقانون الخاص بمركز الحياة الذي صدر عام 1988 وبدأ تطبيقه عام 1995، والقرار رقم 1813 الذي كان ظاهر إصداره معالجة ملفات جمع الشمل الخاص بالفلسطينيين، ولكن غايته كانت عكس ذلك. كما تحدثت الدراسة عن خطورة إصدار البطاقة الممغنطة (الهوية الذكية) التي بدأت وزارة الداخلية الإسرائيلية تصدرها في عام 2013.

وخلصت الدراسة إلى أن الهدف من إصدار الأنظمة والقوانين والقرارات التي تصدرها سلطات الاحتلال الإسرائيلي كان محاربة الخطر الديمغرافي، وتقليل عدد الفلسطينيين في القدس ليصل عددهم فيها مع حلول عام 2030 حوالي 12% من إجمالي عدد سكانها.

Policy of Compulsory Displacement and Withdrawal of Identity-Cards from the Palestinian Living in Jerusalem Owing to Laws and Regulations Issued by Israeli Occupation Authorities

Abstract:

This study deals with the laws, regulations and decrees issued and enforced by the occupation authorities, the aim of which has been to force Jerusalemite citizens to leave Jerusalem since its occupation in 1967 and up to 2014. The study has focused on the extent to which these laws can be dangerous for Palestinians, particularly, the two laws of "citizenship" (nationality) and entry into Israel which were issued in 1952; the law of Domicili, which was issued in 1988 and was enforced in 1995, in addition to law No. 1813 which, prima facie, was issued to deal with the unification of Palestinians, but in reality its aim was contrary to that. The study also tackled the gravity of the magnetized (intelligent) identity cards which the Israeli Ministry of Interior started to issue in 2013.

In conclusion, the study has pointed out that the aim of the laws, regulations and decrees issued by the Israeli occupation authorities has been to combat the demographic danger and to decrease the number of Palestinians in Jerusalem to become approximately 12% of its population in 2030.

مقدمة:

نتيجة للاطلاع على معاناة عدد كبير من المقدسيين الذين فقدوا حق إقامتهم في القدس بسبب ارتباطهم بأشخاص يسكنون المناطق المحاذية لها في الضفة الغربية، بسبب الزواج، أو لعدم السماح لهم بالبناء، أو ترميم منازلهم داخل القدس، أو نتيجة إخراج الجدار بيوتهم وأماكن سكنهم خارج حدود البلدية، أو بسبب عملهم في المناطق المحاذية للقدس، ما اضطرهم للذهاب والإياب يومياً عبر الحواجز المحيطة بالقدس أو السكن في الأماكن القريبة من مكان عملهم في الضفة الغربية، فكان لا بد من التعرف على حقيقة المعاناة وأسبابها ودوافعها، وبالتالي معرفة دوافع سلطات الاحتلال من إصدار الأنظمة والقوانين والقرارات المتعددة، وأسباب إصرارها على ضرورة إثبات الفلسطينيين في القدس، أن القدس مركز حياتهم، وحاجتهم إلى إحضار ملفات وأوراق ثبوتية عديدة في كل زيارة لهم إلى مكتب وزارة الداخلية أو مكتب التأمين الوطني.

اعتمد الباحث في دراسته على عدد كبير من المقالات، والتقارير، والوثائق، وبعض الدراسات التي أعدها مهتمون في إحدى جوانب الدراسة، الأمر الذي جعله يقرأ ويراجع عشرات المقالات، والتقارير، والوثائق التي تحدثت عن أحد جوانب الدراسة. كما قام الباحث بمقابلة أ.زياد الحموري مدير مركز القدس للدراسات والحقوق المدينة والاجتماعية فهو مرجع مهم في هذا الموضوع، كما اطلع على عدد كبير من الإحصائيات التي صدرت عن المركز الذي يديره. وتأتي أهميتها كذلك إلى عدم وجود دراسات وأبحاث علمية سابقة تحدثت عن سحب الهويات المقدسية منذ احتلال القدس إلى الآن (2014)، فحاول الباحث توضيح الأهداف والدوافع من إصدار سلطات الاحتلال للأنظمة والقوانين والقرارات لتخرج الدراسة كما هي عليه الآن، ما جعل الدراسة تمتاز باطلاعها على معظم ما كتب في الموضوع من جوانبه المختلفة.

اعتمدت الدراسة الأسلوب التاريخي الوصفي التحليلي للأنظمة والقوانين والقرارات التي أصدرتها سلطات الاحتلال، وكان هدفها إخراج الفلسطينيين من القدس، وسحب هوياتهم الزرقاء خلال فترة الدراسة التي امتدت من عام 1967 حتى العام الحالي (2014). وبالتالي تقليل عددهم في القدس لتحقيق هدفها في جعل سكان القدس الفلسطينيين أقلية لا تتجاوز 12% مع حلول عام 2030. وتحدثت عن الوسائل والطرق البيروقراطية والعنصرية التي استخدمتها سلطات الاحتلال ولا زالت تستخدمها مع الفلسطينيين في

القدس. فقد تحدثت عن أهم الأنظمة وأخطرها والقوانين والقرارات التي يهدف الاحتلال من إصدارها، تجريد الفلسطينيين في القدس من هوياتهم الزرقاء، وتحدثت بنوع من التفصيل والتوضيح عن قانوني "الجنسية (المواطنة)"، و "الدخول إلى إسرائيل" اللذين صدرا عام 1952، أي بعد أقل من ثلاثة أعوام من نشأة دولة الاحتلال. كما تحدثت عن القانون الخاص بمركز الحياة الذي صدر عام 1988 وبدأ تطبيقه على الفلسطينيين مع حلول عام 1995، وتحدثت عن القرار رقم 1813 الخاص بمعالجة قضايا المقيمين التي تعدّ سلطات الاحتلال إقامتهم في القدس غير قانونية، وقضايا لم الشمل الذي صادقت عليه الكنيست الإسرائيلي عام 2003 بالإضافة إلى حديثها عن القانون الخاص بالبطاقة الممغنظ (البيومتريه) الذي أقرته الكنيست الإسرائيلي عام 2012.

تهنئة:

لم يكن لليهود وجود في مدينة القدس منذ قام الامبراطور الروماني تيتوس بتشتيتهم عام 70م، ولم يسجل في القدس خلال هذه الفترة وحتى العهد العثماني سوى وجود عائلتين يهوديتين عام 1267م، ولكن بفعل التسامح الديني في العهد العثماني، ونتيجة للاضطهاد والضغوط الاقتصادية والمالية التي تعرضوا لها في أوروبا بدأ اليهود بالهجرة إلى الدولة العثمانية، ومن ضمنها فلسطين، وبدأ عددهم يزداد حتى بلغ عام 1525م ستة آلاف يهودي، وأخذ وجودهم يزداد يوماً بعد يوم ولكنه لم يكن ثابتاً، وخلال فترة الانتداب ارتفع عددهم بسبب الهجرة اليهودية ليصل عام 1931 حوالي 51200 أي نحو 56.6% (السهلي، حزيران 2007، والسهلي، آذار، 2007)، ووصل عام 1947 بسبب الهجرة اليهودية حوالي 99400 يهودي أي نحو 60.4% من إجمالي عدد السكان البالغ 164500 نسمة (السهلي، حزيران، 2007)، أما بالنسبة للفلسطينيين فقد زادت نسبتهم فيها منذ عام 1967 حتى 2006 بسبب زيادة مواليدهم، حيث كانت نسبتهم عام 1967 حوالي 26% وأصبحت 34% في عام 2006 (صالح، 2008، ص346).

وتراوح متوسط أعداد أفراد الأسرة الفلسطينية في القدس ما بين عام 1997 و 2007 حوالي 5,2 شخصاً، وبلغ متوسط الخصوبة لدى المرأة الفلسطينية في الضفة الغربية ومن ضمنها القدس عام 2007 حوالي 4,2 مولود لكل امرأة (صالح، 2008، ص328 و 330) وقد أشارت التقارير أن عدد السكان الفلسطينيين في القدس ارتفع أكثر بمرتين من نسبة ارتفاع عدد اليهود خلال عشر سنوات (منتصف تسعينيات القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين). وارتفع عددهم خلال السنوات الأربعين الماضية (منذ احتلال القدس حتى أوائل القرن الواحد والعشرين) بمعدل 257 في المائة من 68 ألفاً إلى 245 ألفاً، في

حين ارتفع عدد اليهود بمعدل 140 في المائة من 200 ألف إلى 475 ألفاً وتراوح معدل الولادات بين الفلسطينيين في القدس خلال منتصف تسعينيات القرن الماضي ومنتصف العقد الأول من القرن الحالي، أكثر بمرتين من معدل الولادات لدى اليهود (شبكة النبأ، 2007). أما المصادر الإسرائيلية فقد أشارت إلى أن النسبة أكثر من ذلك بكثير، فوفقاً لما جاء في مؤتمر هرتسليا عام 2000 الذي عقد تحت عنوان "المناعه والأمن القومي اتجاهاً لسياسه عامه"، الذي شارك فيه أكثر من 300 شخصيه يمثلون النخب الصهيونية في مختلف المجالات، ذُكر في الوثيقة التي صدرت عنه وناقشت "الخطر الديمغرافي" للفلسطينيين، أن الشعب الفلسطيني يضاعف نفسه مرة كل عشرين عاماً، وذكر أن نسبة الولادة في أوساط الفلسطينيين في (إسرائيل) بلغت 4.6% مولود للمرأة. وهذا ضعف نسبة الولاده عند اليهود تقريباً البالغة 2.6 للمرأة. لذلك أوصت الوثيقة التي تمخضت عن المؤتمر بإلغاء مخصصات التأمين عن العائلات الفلسطينية الكبيرة في القدس، وعمل ترنسفير للسكان الفلسطينيين (مجلة الدفاع 2003 و الزغير، 2007، ص 7). لكن رغم هذه السياسات إلا أن سلطات الاحتلال ظلت عاجزه عن تقليل نسبة الفلسطينيين في القدس.

تعدّ المشكلة الديمغرافية، المشكلة الرئيسة التي يواجهها الاحتلال في القدس بسبب زيادة عدد الفلسطينيين فيها يوماً بعد يوم، فكان لا بد له من سحب الهويات المقدسية منهم بشتى الطرق للمحافظة على نقاء القدس، وجعل غالبية سكانها من اليهود، فلجأت سلطات الاحتلال إلى استخدام السبل المختلفة لزيادة عددهم فيها. فعلى سبيل المثال عند احتلال القدس عام 1967 كانت نسبة اليهود إلى الفلسطينيين ثلاثة إلى واحد، "على وجه التقريب لكن معدل النمو المتسارع لعدد السكان الفلسطينيين عدّ من جانب إسرائيل بمثابة قنبلة ديمغرافية موقوتة"، ما جعل مهندسة المدن في بلدية القدس إينوار بارزاكي، تفصح عن السياسة التي اتبعتها الحكومة بعد مرور عقدين ونصف من احتلال القدس، تحديداً عام 1993، لحل المشكلة الديمغرافية، بعملها على إبقاء النسبة بين السكان الفلسطينيين والسكان اليهود في القدس "بمعدل 28% عربياً (فلسطينياً) و 72% يهودياً" (وايزمان، 2009، ص 21). ولزيادة عدد اليهود أقدمت سلطات الاحتلال عام 1997 على بناء عشرة أحياء استيطانية يهودية لتلف المدينة وتحاصرها، الأمر الذي أدى إلى جعل اليهود الموجودين في القدس الكبرى يشكلون حتى بداية عام 1998 نحو 11.1% من إجمالي عدد اليهود في فلسطين التاريخية (إسرائيل) الذي بلغ 4.8 مليون يهودي (السهلي، حزيران، 2007). ووفقاً للمؤتمر الذي عقده مركز القدس للدراسات الإسرائيلية في شهر آذار عام 2007 في القدس، كانت نسبة السكان في القدس بشرطيهما الشرقي والغربي 66% يهوداً و 34% فلسطينياً (أيوب، 2014). أما بالنسبة للقدس الشرقية لوحدها فقد بلغ عدد

السكان الفلسطينيين فيها عام 2012 ما يقرب من 360.882 فلسطينياً، شكلوا 38% من إجمالي سكان القدس الشرقية والغربية (جمعية حقوق المواطن، 2012). أي أن اليهود شكلوا 62% من عدد السكان بشقيها الشرقي والغربي، ما يعني أن نسبة الفلسطينيين واليهود في القدس لم تتغير كثيراً منذ عام 1931 وحتى عام 2012، حيث تراوحت ما بين 56.6% و 74% رغم المحاولات المستمرة لتهميدها، وطرد سكانها الفلسطينيين منها ورغم اعتماد نسبة الزيادة عند اليهود على الهجرة واعتمادها لدى الفلسطينيين على الزيادة الطبيعية.

لذا سعت سلطات الاحتلال إلى طرد الفلسطينيين من القدس بشتى الطرق لتكون نسبتهم مع حلول عام 2030 (88%) يهوداً مقابل 12% فلسطينياً، لكن الحقيقة تقول غير ذلك، فقد أظهرت دراسات أجراها معهد القدس للدراسات الإسرائيلية عام 2007 بمناسبة مرور 40 عاماً على احتلال القدس، أن وتيرة الزيادة السكانية لدى الفلسطينيين في القدس تجعلهم يتساوون عددياً مع اليهود بحلول عام 2035 إذا ما حافظوا على وتيرة الزيادة هذه، أي سيصبح عدد الفلسطينيين 50% من عدد سكان القدس (صالح، 2008، ص 342 وشبكة النبا، 2007 والزرو، 2011). ولأن زيادة السكان الفلسطينيين في القدس تشكل تحدياً كبيراً لسلطات الاحتلال، فقد لجأت بعد احتلال المدينة إلى إصدار الأنظمة والقوانين والقرارات التي تعمل على تهجير الفلسطينيين من القدس، وتدعم وجود اليهود فيها.

نظرة في أهم القرارات والأنظمة الخاصة بسياسة الترنسفير (الطرد) وسحب الهويات المقدسية:

أصدرت سلطات الاحتلال بعد احتلالها لفلسطين الأنظمة والقوانين والقرارات التي كانت في صالح اليهود بغض النظر عن مكان إقامتهم، فأصبح من حق اليهودي القادم إلى فلسطين من دول العالم المختلفه الحصول على المواطنة في القدس "لا يفقدها حتى لو غاب سبع سنوات أو سبعين سنة"، أو حتى لو حصل على جنسيه أخرى (السهلي، 2014) فحق المواطنة، والجنسية، واختيار مكان السكن لليهودي كفلته القوانين التي أصدرتها سلطات الاحتلال بغض النظر عن مكان سكنه، ولا يفقدها أبداً، في الوقت الذي سلبت فيه من الفلسطينيين جميع الحقوق، وضربت بعرض الحائط القرارات التي كانت من الممكن أن تعطيه نوعاً من الحقوق، فتجاهلت القرار الصادر عن الأمم المتحدة رقم 181 الذي تبنته الجمعية العامة في جلستها رقم 128 عام 1947 أي قبل قيام إسرائيل، الذي نص على أنه "يصبح جميع المقيمين (عرباً ويهوداً) بحكم الواقع مواطنين في مدينة القدس، وأعطى القرار الحماية، والحقوق لمواطني القدس الفلسطينيين أينما سكنوا بنفس الدرجة

التي أعطيت فيه الحقوق لليهود. كما نص القرار على ضمانات "حرية العقيدة الدينية، واللغة، والتعليم، وحرية القول، وحرية الصحافة..." لجميع المواطنين دون تمييز بين السكان " بسبب الأصل، أو الدين، أو اللغة، أو الجنس" (قرارات الأمم المتحدة (د.ت) والجزيرة، 2006، والترك، 2013). ولكن تطبيق سلطات الاحتلال للقرارات على أرض الواقع كان مختلفاً وفي غير صالح الفلسطينيين داخل القدس، حيث أصدرت سلطات الاحتلال الأنظمة والقوانين التي تهدف إلى طردهم من القدس للتغلب على الخطر الديمغرافي الذي يهدد عدد اليهود فيها. بعد احتلال فلسطين بعامين أقر الكنيست الإسرائيلي بتاريخ 5 تموز 1950، "قانون العوده" الذي أعطى بموجبه كل يهودي أينما كان موطنه الأصلي، ومهما كانت جنسيته التي يحملها الحق بالهجرة إلى فلسطين، كما أعطى الحق لكل المهاجرين اليهود الجدد جميع الحقوق أسوة بمن هاجروا إلى فلسطين في أثناء الانتداب البريطاني وقبله، أو الذين ولدوا فيها (أبو غزاله، 2009). كما أعطى القانون الحق لليهود "بالهجرة لإسرائيل، والتمتع بالمواطنة بشكل تلقائي وفوري"، وأعطى الحق نفسه لأبنائهم وأحفادهم وزوجاتهم وأبناء أحفادهم في الوقت الذي لم يمنح القانون أي حقوق من هذا القبيل للفلسطينيين حتى لو كانوا قد ولدوا في فلسطين التاريخية (شحاده، 2013، ص 10). وبعد عامين تقريباً من إصدارها لقانون العوده أقرت الكنيست بتاريخ 1 نيسان 1952 قانوناً آخر أسمته قانون "الجنسية (المواطنة)" الإسرائيلية لسنة 1952 الذي منح بموجبه المهاجرين اليهود الجنسية الإسرائيلية فور وصولهم إلى فلسطين (أبو غزاله، 2009 وشحاده، 2013، ص 10، ومجلة الدفاع، 2003)، في المقابل حرمت المادة (3) من القانون على الفلسطينيين (الذين كانوا يقيمون في فلسطين ما قبل عام 1948) من حقهم في الحصول على الجنسية أو الإقامة في القدس (شحاده، 2013، ص 10). ووفر هذا القانون الغطاء القانوني لسحب هويات المقدسيين حتى عام 1988 (JCSER، 2010). حيث كان الهدف من هذا القانون "جعل اليهود أكثرية في القدس (مجلة الدفاع، 2003)، وقد أجرت سلطات الاحتلال تعديلاً عليه عام 2008 و 2011 حولت للمحاكم الإسرائيلية الحق بإسقاط الجنسية عن الأشخاص المدانين بالتجسس والخيانة ومساعدة العدو في وقت الحرب (شحاده، 2013، ص 10). بمعنى آخر حول هذا التعديل سحب الجنسية من الفلسطيني الذي يتهم بمساعدة جهات معادية لإسرائيل.

كما أصدرت سلطات الاحتلال عام 1952 قانوناً آخر أسمته "قانون الدخول إلى إسرائيل لعام 1952" الذي عدّ الفلسطينيين في القدس "بمثابة مقيمين Residents في إسرائيل وليسوا مواطنين Citizens" وعليهم (الفلسطينيين) التقيد بالشروط التي تليها عليهم شروط الإقامة في (إسرائيل) مثلهم مثل "المواطنين الأجانب القادمين من الخارج"

للعمل فيها (أيوب، الحق في الإقامة، ص58 وأيوب، 2012، ص7)، وبالتالي عدّ القانون الفلسطينيين المقيمين في القدس على أنهم "موجودون بتصريح هوية تتيح لهم العمل والسكن على غرار أي أجنبي مقيم في القدس" (وفا، 2011) وليس لهم حقوق المواطنة. حيث أصبح هذا القانون فيما بعد مرجعاً لوزارة الداخلية الإسرائيلية تعتمد في جميع المعاملات التي يقدمها الفلسطيني، واستمر العمل به حتى يومنا هذا (2014)، وبموجب هذا القانون تطلب وزارة الداخلية الإسرائيلية من الفلسطيني في القدس الذي يتقدم بطلب لم (جمع) الشمل في هذه الأيام (2014)، تعبئة نموذج يوقع عليه ويذكر فيه المدة التي أقام فيها في القدس، وأنه لم يرتكب أعمال ضد الشعب اليهودي أو أمن إسرائيل، وأنه لم يكن "عضواً أو مؤيداً بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بما في ذلك..الدعم المالي" لأي حركة أو منظمة كانت تعمل ضد إسرائيل "مكانياً أو مواطنياً"، وأنه لم يقترف أي مخالفات جنائية، وأنه لم يعتقل، أو قدمت ضده لائحة اتهام بالسجن، وأنه لم يصدر بحقه قرار طرد وإبعاد من إسرائيل ولم يطلب منه مغادرة إسرائيل (تصريح، 5203). وقد عدت سلطات الاحتلال على هذا القانون عند إصدارها للبطاقة الممغنطة لاحقاً، حيث اعتبرت الفلسطينيين في القدس مقيمين وليسوا مواطنين بموجب قانون الدخول إلى إسرائيل لعام 1952، وهذا يأتي في إطار سياسة تهجير السكان الفلسطينيين من القدس، باستغلال موضوع الإقامة ومركز الحياة "باعتبار النظرة للفلسطيني في القدس على أنه مقيم وليس مواطناً ويطبق عليه قانون الدخول لإسرائيل لعام 1952 (شاشه، 2013). فعلى سبيل المثال استخدمته سلطات الاحتلال أواخر عام 2014 في سحب معاملة لم الشمل من نادية أبو جمل زوجة الشهيد غسان أبو جمل⁽¹⁾ (صحيفة القدس، 2014، ص1) ما يعني حرمانها من حق الإقامة، وترك أطفالها في القدس، لأن خروجها إلى مناطق الضفة الغربية ومعها أطفالها يفقدهم حق الإقامة في القدس، دون أي وجه حق. وهكذا فرغم مضي أكثر من 62 عاماً على إصدار قانون الدخول إلى إسرائيل إلا أن سلطات الاحتلال لا زالت تستخدمه بحق الفلسطينيين في القدس وفقاً للحاجة.

وفي عام 1974 أي بعد سبع سنوات من احتلال القدس أدخلت سلطات الاحتلال تعديلاً على "قانون الدخول إلى إسرائيل لسنة 1952" أعطى بموجبه وزير الداخلية سلطة إلغاء الإقامة عن أي شخص سواءً كانت إقامته مؤقتة أم دائمة. فقد نصت المادة 11 (أ) من التعديل، على أن الشخص يفقد إقامته الدائمة في القدس في حال أقام في دولة أجنبية مدة سبعة أعوام، أو إذا حصل على إقامة دائمة أو إذا تجنس بجنسية بلد أجنبي. وعدّ القانون المذكور أعلاه الفلسطيني الذي يقيم خارج حدود القدس فاقداً للإقامة الدائمة كأنه أقام في بلد أجنبي، حتى لو كان مقيماً في الضفة الغربية على حدود القدس (أيوب، الحق في

الإقامة، ص 59 والزغير، 2007، ص 15 وزبيدات، 2011 والسهلي 2014، وأيوب، 2014 و وفا، 2011 و 2013 (PNN). فقد ذكرت المحامية منال الحزان أبو سنينه مديرة الدائرة القانونية في مؤسسة سانت ايف (أبو خضير، 2014، ص 31)، أن الفلسطيني الذي يحمل الهوية المقدسية لا يعدّ مواطناً في دولة إسرائيل، لأن "إسرائيل تستطيع متى شاءت سحب الهوية" منه حتى لو كان "مقيماً وعاملاً في المدينة"، لأن سلطات الاحتلال خولت وزير الداخلية الإسرائيلي "سحب البطاقة الدائمة" من الشخص الذي يراه "يشكل خطراً" على دولة إسرائيل، وسحبت البطاقة الزرقاء من الأشخاص الذين ولدوا في الضفة أو خارج فلسطين (عبد الرحمن، 2012). وهذا يؤكد بأن الفلسطيني المقيم في القدس، ليس له الحقوق نفسها التي يملكها اليهودي، لأنه منح حق الإقامة الدائمة، ما يجعله عرضة إلى فقدانها تحت أية ذريعة أو سبب.

سعت سلطات الاحتلال بعد حرب الأيام الستة عام 1967 إلى ضمان سيطرة الاحتلال على القدس الشرقية بإحضار أعداد كبيرة من اليهود للاستيطان فيها حيث قال دافيد بن غوريون بعد الحرب "يجب علينا أن نجلب إلى القدس الشرقية يهوداً بأي ثمن ويجب أن نوطن العديد" منهم فيها "...خلال فترة قصيرة" (مارجلت، 2011، ص 39). فانطلاقاً من هذه السياسة اصدر الجنرال الإسرائيلي عوزي نركيس قائد ما يسمى بالمنطقة الوسطى أمراً عسكرياً بعد احتلال القدس عام 1967، حمل الرقم (2)، ألغى بموجبه "الإدارة المدنية الأردنية" فيها، وقرر ضمها، وفرض عليها القانون الإسرائيلي الصادر في 26/7/1948، ونتيجة للقرار ألغت الحكومة الإسرائيلية البلدية الأردنية والمؤسسات الأردنية والفلسطينية في القدس، وجعلتها تحت سلطة الاحتلال (الهندي، 2009، ص 35). وفي العام نفسه (1967)، أصدرت سلطات الاحتلال أمراً عسكرياً آخر حمل الرقم 5، حظر على الفلسطينيين داخل الخط الأخضر ومن ضمنها القدس، الدخول إلى الضفة الغربية أو الخروج منها دون الحصول على تصريح، استمر العمل به حتى عام 1971 عندما أعطت سلطات الاحتلال للفلسطينيين تصريحاً عاماً بدخول القدس وإسرائيل، ولكنها كانت تعلق العمل به بين الحين والآخر، واستمر هذا الوضع لغاية 17/1/1991 يوم اندلاع حرب الخليج، حيث قامت سلطات الاحتلال بإلغاء هذا التصريح العام واستبدلته بتصريح خاص، أي أنها طلبت من كل "شخص (فلسطيني) معني بالدخول إلى القدس" الحصول على تصريح خاص، وزاد الأمر تعقيداً مع نهاية شهر آذار 1993 (مركز الدراسات والحقوق، 1998، ص 1) حيث منع الفلسطينيين الذين يحملون الهوية (الخضراء) من دخول القدس أو فلسطين التاريخية (إسرائيل) دون الحصول على تصريح.

سعت سلطات الاحتلال كذلك بعد احتلالها للقدس الشرقية عام 1967، إلى اتخاذ

إجراءات متعددة تهدف إلى طرد الفلسطينيين من القدس، منها منح الفلسطينيين حق الإقامة الدائمة بموجب القانون، وعدم منحهم حق المواطنة حيث أن الفرق بينهما واضح، إذ أن حق المواطنة يعني أن حقهم في البقاء، وحمل الجنسية أبدي لا يملك أحد إلغائه، أما حق الإقامة الدائمة فيعطي لوزير الداخلية الإسرائيلي الحق والسلطة لحرمان أي شخص وسحب الإقامة منه في القدس (وفا، 2011). وتحقيقاً لهذه الغاية (منح الفلسطينيين في القدس الإقامة وليس المواطنة) أقدمت سلطات الاحتلال إلى "تنظيم سجل لسكان القدس الفلسطينيين، فأدرجتهم ضمن فئة المقيمين الدائمين في إسرائيل، شريطة أن يثبتوا أنهم يقيمون فعلاً في المدينة، وأن يكونوا قد وجدوا فيها إبان إجراء عملية التسجيل" وقامت بإعطاء الإقامة للذين وجدوا في القدس فقط في أثناء "مرحلة الإحصاء" واستثنت "تلقائياً المقدسيين، الذين كانوا يقيمون في الخارج آنذاك، بمن فيهم كل من كان مقيماً خارج حدود بلدية القدس التي أقرتها وزارة الداخلية الإسرائيلية في حزيران 1967"، فكانت النتيجة حرمان هذه الفئة من الذين كانوا خارج القدس في أثناء الإحصاء حق الإقامة الدائمة في المدينة، ولم تسمح لهم بالعودة إليها، ومنذ ذلك الوقت أصبح كل من يغادر القدس من الفلسطينيين وقيم في مكان آخر مدة سبع سنوات "يواجه خطر فقدان حقه المتمثل في الإقامة الدائمة بالمدينة" (أيوب، 2014). فعدم منح سلطات الاحتلال الجنسية للفلسطينيين ومنحهم حق الإقامة فقط، كان هدفة تجريد الفلسطينيين في القدس من هويتهم المقدسية لأن صلاحيات سحب الإقامة أعطيت بموجب القوانين الإسرائيلية إلى وزير الداخلية الذي استخدمها كيف ما ومتى شاء، لكن الجنسية لم تعطه هذا الحق.

وأقدمت سلطات الاحتلال بتاريخ 30 / 7 / 1980 على ضم القدس رسمياً، وجعلتها عاصمة لها، وأصدرت قراراً في الكنيست نصت مادته الأولى على أن "القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل" (الزغير، 2007، ص5). على إثر هذا القرار بدأت سلطات الاحتلال تتعامل مع القدس المحتلة ومواطنيها الفلسطينيين كأنهم يحملون المواطنة (الجنسية)، وأنهم جزء من إسرائيل، وبدأت تطبق قوانينها عليهم ومن ضمنها إجراءات لم الشمل (أيوب، الحق في الإقامة، ص59). رفض مجلس الأمن الدولي الإجراء الإسرائيلي، ورد عليه بإصداره قراراً آخر بتاريخ 20 / 8 / 1980، حمل الرقم 478، عدّ الإجراء الإسرائيلي باطلاً ومخالفاً للقانون الدولي (حليبي، 2006، ص10، والزغير، 2007، ص5). حيث نص القرار على أن "جميع الإجراءات والأعمال التشريعية والإدارية التي قامت بها إسرائيل، دولة الاحتلال، بخصوص ضم القدس باطلة" ويجب إلغاؤها فوراً" (مارجليت، 2011، ص21). ولكن سلطات الاحتلال لم تكتفِ لهذا القرار، وبدأت بإجراءات عملية لتهوديد القسم الشرقي من القدس، فأقدمت على ترسيم حدود البلدية من جانب واحد، وضمت إليها "أكثر

من 700 ألف دونم تضم عدة مستوطنات يهودية، وأخرجت تجمعات سكانية فلسطينية من حدودها، وذلك للتقليل من السكان العرب" في القدس (مارجلت، 2011، ص 21 والزغير، 2007، ص 5). حيث كان الهدف من هذا الإجراء إخراج التجمعات الفلسطينية من حدود البلدية وضم المستوطنات اليهودية، للمحافظة على نقاء القدس وجعل غالبية سكانها من اليهود. ولتحقيق غايتها تلك بدأت بعدة إجراءات كان أحدها مباشرة "مؤسسة التأمين الوطني منذ مطلع عام 1984" التصيق على الفلسطينيين في القدس، فحرمت الذين نقلوا مكان سكنهم إلى خارج حدود بلدية القدس (في الضواحي المتاخمة للقدس) من مخصصات التأمين الوطني المختلفة، متذرعة بحجج واهية منها: مكان ولادتهم، أو لأنهم يسكنون خارج القدس، أو لأنهم يشكلون مساساً بأمن إسرائيل، وفي عام 1993 أيدت محكمة العدل العليا الإسرائيلية الإجراءات التي اتخذها التأمين الوطني ضد المقدسيين (أيوب، الحق في الإقامة، ص 59)، ما يعني تجاهل السلطات الإسرائيلية لقرار مجلس الأمن الدولي واستمرارها في سياستها تجاه الفلسطينيين في القدس.

أصدرت الحكومة الإسرائيلية في أيار 2002 "القرار رقم 1813"، لمعالجة "قضايا المقيمين غير القانونيين في إسرائيل"، وقضايا "لم جمع شمل الأسر"، وصادقت عليه الكنيست بتاريخ 31 / 7 / 2003 تحت اسم "قانون المواطنه والدخول إلى إسرائيل لعام 2003" (أيوب، 2012، ص 9 وأيوب، 2014). حيث كان الهدف من إصداره إيقاف منح جمع شمل الأسر التي يكون فيها أحد الوالدين من أصل فلسطيني، أو من سكان الضفة الغربية، أو قطاع غزة (أيوب، 2012، ص 8، وأيوب، الحق في الإقامة، ص 59) وجاء كذلك داعماً ومكماً لقرار وزير الداخلية الإسرائيلي حينها "إلي يشاي" زعيم حزب شاس الصهيوني الصادر في شهر آذار 2000 القاضي "بتجميد البت في ملفات لم الشمل والتجنس" وعدم قبول طلبات جديدة في هذا الشأن (Souaissy, 2010). إذ صدر القرار المعني في البداية كإجراء مؤقت لمدة عام ولكن تم تمديد سريانه دورياً (Society of St.Yves, 2010). وورد في القرار كذلك عدم السماح بتقديم أية طلبات لمنح مكانة قانونية لفلسطينيين، وعدم المصادقة على أية طلبات عالقة في وزارة الداخلية بخصوص منح مكانة قانونية لأزواج فلسطينيين في إسرائيل، من سكان السلطة أو من أصل فلسطيني حتى في الحالات التي نال فيها أحد الزوجين تصريحاً أو منح مكانة ما، "فإنه لن يتم تعديل هذه المكانة إلى مكانة متقدمة أكثر..." أي أنه سيتم تجميد المكانة التي نالها أحد الزوجين مثل مقيم مؤقت أو مقيم دائم (أيوب، الحق في الإقامة، ص 59)، وهكذا فقد فرضت على الأزواج الذين تزوجوا من هذه المناطق العيش منفصلين لأن القانون منع الفلسطينيين "الذين تزوجوا من مواطنين إسرائيليين أو مقيمين دائمين في إسرائيل من السكن معهم

داخل إسرائيل... " (أيوب، 2012، ص 9، 8 وأيوب، 2014). في المقابل منح القانون كافة الصلاحيات من سحب، ومنح الإقامة، أو الجنسية لوزير الداخلية، ومن هذه الصلاحيات النظر بإيجابية تجاه الفلسطينيين الذين يتجسسون (العلاء) على الفلسطينيين لصالح سلطة الاحتلال (أيوب، 2012، ص 9 و حلمي، 2006، ص 19). وبالتالي فقد تميز هذا القانون بالعنصرية ضد الفلسطينيين، لأنه حرّمهم من الزواج من أقاربهم الفلسطينيين الذين لا يحملون الهوية الزرقاء. كما أن هذا القانون تبعه خطوات أخرى، كان آخرها الاتجاه نحو إقرار يهودية الدولة على الكنيست الإسرائيلي. أدخلت سلطات الاحتلال لاحقاً تعديلاً على القانون بتاريخ 27 / 7 / 2005 زادت التعقيبات فيه تعقيداً، فعلى سبيل المثال اشترطت أن يكون عمر المتقدم لطلب لم الشمل 35 عاماً للرجال، و 25 عاماً للمرأة (أيوب، 2012، ص 9 وأبو غزاله، 2009، وحلمي، 2006 ص 19) ، وأعطى القانون الجهات الأمنية إمكانية رفض منح التأشيرات للأشخاص الذين يوجد عليهم توصيات (الزغير، 2007، ص 12 وحلمي، 2006، ص 19 وأيوب، الحق في الإقامة، ص 60) أمنية دون إبداء الأسباب. بمعنى آخر اشترطت للم شمل الأشخاص "أن تكون سجلات (المتقدمين) خالية من السوابق الجنائية أو الأمنية..." بحيث يشمل ذلك الزوج والزوجة والوالد والوالدة والابن والبنت والإخوة وزوجاتهم، وفي حالة وجود أي مشكلة أمنية عند أحدهم "سيؤدي ذلك إلى رفض طلب لم شمل الزوجين وإن كانت سجلاتهم خالية تماماً من أي سوابق... وهو أمر يعد نوعاً من أنواع العقاب الجماعي..." (Society of St.Yves, 2010). بمعنى آخر صدر هذا القانون وأجرت عليه تعديلات متعاقبة هدفت إلى معاقبة الفلسطينيين الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية أو الذين يحملون الإقامة في القدس، ولكنهم يتهمون بمساعدة المنظمات المعادية للاحتلال.

وفي العام نفسه الذي أصدرت فيه سلطات الاحتلال القانون رقم 1813 الخاص بحق الإقامة أقدمت سلطات الاحتلال عام 2002 على بناء الجدار العازل بطول بلغ "أكثر من 850 كم منها 168 كم (حول) القدس أسمته حاضن القدس أو غلاف القدس" (الهندي، 2009، ص 42). حيث كان لبنائه كما ذكر المكتب الوطني للدفاع عن الأراضي في فلسطين، هدفاً واضحاً يتلخص في تخفيض عدد الفلسطينيين في القدس، حيث "أبقى الجدار المناطق ذات الكثافة السكانية الفلسطينية خارج غلاف القدس" لأنه هدف إلى عزلها "عن الضفة الغربية وعن القرى المحيطة بها تمهيداً لتفريغها من" المقدسين، الأمر الذي أجبر ما يقرب من 59% من سكان القدس على تغيير مكان إقامتهم والعودة للإقامة داخل القدس بسبب القوانين الإسرائيلية التي هددتهم بسحب هوياتهم المقدسية (ابحيص، 2010) وهكذا كانت "القدس إحدى أهم المناطق التي طالها جدار العزل الإسرائيلي" حيث عمل على عزل القدس عن الضفة الغربية وحاصرها من جهاتها الشرقية والشمالية

والجنوبية، وعزلها عن الأحياء التي كانت جزءاً منها، وفي المقابل ضم الجدار عشرات الآلاف من المستوطنين إلى حدود المدينة (أريج، 2008). حيث كان هدف سلطات الاحتلال من ذلك واضحاً وجلياً متمثلاً بسحب الهويات الزرقاء من الفلسطينيين. وهذا كان ظاهراً من رأي المسؤولين الإسرائيليين في بلدية القدس، فقد علق ياكير سيغيف مسؤول شرق القدس في بلدية القدس على "أن الفلسطينيين القاطنين خارج الجدار، توقفوا عن كونهم جزءاً من سكانها"، وتحدث مسؤولون إسرائيليون آخرون، مراراً عن أن المناطق التي أصبحت خارج الجدار قد تسلم للسلطة الفلسطينية على أنها القدس الشرقية (الهيئية الاعلامية، 2010).

وبعد بناء الجدار وعزل عدة أحياء وقرى فلسطينية عن القدس، بدأت سلطات الاحتلال كما يقول الحموري "بتنفيذ خطة إخلاء المدينة من الفلسطينيين بوضع الحواجز العسكرية" لقطع "التواصل بين أهالي الضفة والقدس..." "لأن المدينة كانت مركز الحياة لمحيطها والمدن والقرى القريبة منها، وبعد اتفاقية أوسلو بثلاث سنوات قامت بسحب الهوية الإسرائيلية من الذين لا يعيشون داخلها،" ما دفع أعداداً كبيرة من المقدسيين للعودة والسكن داخلها" (صوت الغد، 2014). وقد استغلت سلطات الاحتلال هذه المعابر بإقدامها على مصادرة بطاقات الهوية عليها، وأسقطت "قيود السكان عن الحاسوب المركزي وعن سجلات قيود السكان دون علم أصحابها" بالإضافة إلى سحبها الهويات عند مراجعة المقدسيين مكاتب وزارة الداخلية (الزغير، 2007، ص 18). وشرع الاحتلال كما قال الحموري في "فصل القدس عن الضفة عبر البوابات"، وتغريم "كل مقدسي يحمل مواد غذائية أو خضاراً من الضفة" بمنعه من الدخول إلى القدس، ومصادرة "المنتجات التي يحملها مثل اللحوم ومشتقات البترول، فقد عمد الاحتلال أوائل 2009 إلى اعتبار البوابات الواقعة على حدود القدس كأنها حدود دولية مثل تلك التي مع الأردن ومصر تماماً". حيث هدف من إنشائها، استكمال خطة أرئيل شارون لعام 2005، "المكونة من شقين: الأول: فرض تصاريح على سكان القدس الذين يريدون دخول الضفة الغربية كما هو معمول به مع قطاع غزة". والثاني: "تفعيل قانون ما يسمى بـ (حارس أملاك الغائبين) أي طرد المقدسيين إلى الضفة الغربية واعتبارهم غائبين عن القدس، والسيطرة على أملاكهم" (الدستور، 2009). وقد بدأت سلطات الاحتلال فعلاً العمل على تفعيل قانون أملاك الغائبين الذي صدر عام 1950 مع مطلع عام 2004 ومنحت القيم على أملاك الغائبين في القدس الشرقية صلاحيات كبيرة (الهندي، 2009، ص 36). وهكذا فإن بناء الجدار العازل حول القدس، ووضع المعابر على مداخلها، ومنع الفلسطينيين من إدخال المواد لداخل القدس، وتفعيل قانون أملاك الغائبين كان منها التضيق على الفلسطينيين وإجبارهم على مغادرتها للعيش في مناطق الضفة الغربية، وبالتالي سحب هوياتهم الزرقاء.

الإجراءات البيروقراطية التي تستخدمها سلطات الاحتلال بحق الفلسطينيين في القدس عند تقديمهم للمعاملات:

كان لوزارة الداخلية الإسرائيلية ومؤسسة التأمين الوطني الدور المباشر في ممارسة سياسة عنصرية وبيروقراطية مهينة للفلسطينيين في القدس للتضييق عليهم إذا ما أرادوا تقديم " طلبات جمع لم الشمل لعائلاتهم " أو إذا أرادوا تسجيل أولادهم في هوياتهم. حيث عمدت وزارة الداخلية الإسرائيلية إلى إلغاء حق الإقامة عن الفلسطينيين، ورفضت طلبات "لم شملهم أو تسجيل أولادهم" وربطت جميع المعاملات مع مؤسسة التأمين الوطني لأنها تستخدم المخبرين والمحققين الذين وظفوا لجمع المعلومات عن الفلسطينيين في القدس، فربطت وزارة الداخلية مع مؤسسة التأمين الوطني أدى إلى الحصول على جميع البيانات التي جمعت عن الفلسطينيين في القدس بحيث تقوم وزارة الداخلية الإسرائيلية باستخدامها عندما يتقدمون بطلبات للم شمل، أو إذا أرادوا تسجيل أولادهم أو تجديد تصاريحهم الدائمة، ما جعل وزارة الداخلية الإسرائيلية ترفض طلبات كثيرة بناءً على البيانات التي حصلت عليها من مؤسسة التأمين الوطني (الزغير، 2007، ص22).

ولم يقتصر الأمر على حصول الوزارة على جمع البيانات الخاصة بالفلسطينيين في القدس، فقد استخدمت بالإضافة لذلك إجراءات معقدة مع الفلسطينيين الذين يقدمون معاملة "لم الشمل"، حيث كانت المعاملة تخضع حتى عام 2002 لمسار تدريجي، بحيث يمنح المتقدم لهذا الطلب عند تقديمه "تصريحاً مؤقتاً لمدة عام بعد إثباته الإقامة في القدس، وبعد مرور عام كان يقدم طلب تمديد، وبعد 27 شهراً من حصوله على التصاريح المؤقتة كان المتقدم يمنح الإقامة المؤقتة (أ/ 5) ويتم تمديدتها سنوياً لمدة ثلاث سنوات" وبعد انتهائها وإثباته إقامته الدائمة في القدس خلال هذه الفترة يمنح الإقامة الدائمة (Society of St. Yves, 2010 وحلبي، 2006، ص 17، 18، هذا هو الإجراء النظري ولكن التطبيق على أرض الواقع كان غير ذلك، حيث كان يمضي على معظم المعاملات المقدمة عدة سنوات وتبقى عالقة دون اتخاذ قرار بحقها (عبد الرحمن، 2012).

بالإضافة إلى الإجراءات العنصرية التي ذكرت اعتمدت وزارة الداخلية مركزاً واحداً لمراجعة الفلسطينيين في المنطقة الواقعة ما بين وادي الجوز والشيخ جراح "لا يستوعب مراجعة الآلاف الأشخاص لتغيير بطاقتهم"، ما يزيد من معاناتهم (أبو الرب، 2012). كما تستخدم سلطات الاحتلال إجراءات أخرى تشكل حالة إذلال للمقدسيين، فعلى سبيل المثال قبل انتقال وزارة الداخلية إلى المبنى الجديد كان يعرف مواطني القدس الطوابير الطويلة التي كانوا ينتظرون فيها لساعات طويلة خارج المبنى للسماح لهم بالدخول لتقديم

معاملاتهم، وبعد دخولهم إلى المبنى كانوا يلاقون معاملة مهينة وإجراءات بيروقراطية من قبل الموظفين في الداخل، وبعد انتقال الوزارة إلى المبنى الجديد، استمرت باستخدام الأساليب المهينة ذاتها، على الرغم من حداثة المبنى إلا أن الإجراءات لم تختلف كثيراً فما زالت الطوابير من المواطنين الفلسطينيين في القدس الذين يحتاجون إلى مراجعة الداخلية موجودة، وأصبح المواطن يحتاج للمرور بثلاثة طوابير الأول خارج المبنى على مدخل التفتيش، والثاني قبل الدخول إلى المبنى، وبعد المرور عن التفتيش، والطابور الثالث قبل المكاتب (الزغير، 2007، ص 22)، بالإضافة إلى الإجراءات المعقدة والطلبات العديدة التي يحتاجونها عند تقديمهم للطلب، من أوراق ثبوتية عددها بالعشرات.

القانون الخاص بإثبات مركز الحياة Domicili:

يعني هذا القانون أنه يجب أن يعيش حاملو الهوية الإسرائيلية الزرقاء " داخل حدود القدس الرسمية" وإذا ثبت أن حامل هوية القدس سكن خارج المدينة (كمركز حياة) سيؤدي الأمر إلى سحب هويته المقدسية (الزغير، 2007، ص 8). علماً أن تطبيق القانون اقتصر على الفلسطينيين في القدس، ولم يطبق بحق اليهود الذين سمح لهم بالإقامة في أي مكان داخل فلسطين التاريخية (إسرائيل). كما أن هذا التعريف اقتصر على حدود القدس وفق ما رسمتها سلطات الاحتلال.

لذا استمرت السلطات الإسرائيلية في العمل على تطبيق القوانين والأنظمة والقرارات على المواطنين الفلسطينيين بخصوص إقامتهم الدائمة في القدس حتى عام 1988 عندما استحدثت معياراً جديداً للإقامة في القدس أسمته مركز الحياة الذي أتاح سحب الهويات من الفلسطينيين في القدس وإن كانوا يعيشون خارج القدس فترة أقل من 7 سنوات (JCSER, 2010)، حتى لو كان ذلك في الضفة الغربية أو قطاع غزة (زبيدات، 2011)، حيث ارتبط إصدار القانون بقرار محكمة العدل العليا الإسرائيلية الذي صدر عام 1988 ويحمل الرقم (88 / 282) الذي رفضت بموجبه الالتماس الذي تقدم به مبارك عوض⁽³⁾ ضد رئيس الحكومة الإسرائيلية بخصوص إقامته في القدس (حلبي، 2006، ص 11، 10 وأيوب، الحق في الإقامة، ص 59)، فبالإضافة لما ذكر، خول القانون كذلك لوزير الداخلية الإسرائيلي سحب بطاقة الهوية من المقدسي إذا أصبح مركز حياته خارج مدينة القدس (أيوب، الحق في الإقامة، ص 59 وأيوب، 2012، ص 8 وأيوب، 2014، والزغير، 2007، ص 16)، حتى لو كانت أقل من سبع سنوات، وأعطاه الحق برفض طلب الحصول على الهوية لمن يستفيد منها، إذا كان مقدم الطلب غير يهودي، وسحب هوية "...المقدسي الذي يقيم ويملك حق الإقامة في القدس ولكنه يعمل أو يدرس في منطقة أجنبية بالتعريف

الإسرائيلي " مثل الضفة الغربية (عبد الرحمن، 2012). أو إذا أقام خارج الوطن للدراسة أو العمل أو يحمل جنسية أخرى (وفا، 2011 و 2013، PNN)، وكغيره من القوانين التي أصدرتها، طبقت سلطات الاحتلال على الفلسطيني، ولم تطبقه على اليهودي الذي سمح له بازواجية الجنسية والسكن والإقامة في أي مكان شاء داخل فلسطين التاريخية.

ومع بداية شهر كانون أول عام 1995 بدأت وزارة الداخلية الإسرائيلية تنفذ القانون، فأصبح الفلسطيني في القدس "مضطراً تبعاً لذلك إلى ترك بيته، الذي يسكنه في مناطق الضفة الغربية على حدود القدس أو المناطق التي كانت تعدّ من حدودها سابقاً مثل الرام والعيصرية وأبوديس..."، بالعودة للإقامة داخلها لأنه سوف يحرم من "...كل حقوقه الاجتماعية..." وستعده سلطات الاحتلال كأنه انتقل "للإقامة في دولة أخرى، خارج إسرائيل،" ويمكن لحقه في "المواطنة أن يلغى" (صالح، 2004). وبدأت وزارة الداخلية الإسرائيلية تشدد من تضييقها على الفلسطينيين بخصوص إقامتهم في القدس، وبدأت تلغي حق الإقامة عن الفلسطينيين في القدس إذا لم يثبتوا أن مركز حياتهم فيها، فعمدت إلى سحب الهوية الزرقاء من الذين لم يستطيعوا إثبات أن مركز حياتهم القدس، لأن إقامتهم فيها وفق التعريف الإسرائيلي مؤقتة، وذلك وفقاً للمادة "11 (ج) من قانون الدخول إلى إسرائيل الذي ينص، على أن سريان مفعول الإقامة المؤقتة سينتهي...إذا ترك حامل التصريح إسرائيلي واستوطن...أو إذا أقام أو بقي خارج البلاد أو في حالة الحصول على إقامة دولة أخرى أو جنسية دولة أخرى" (الزغير، 2007، ص 16 وصالح، 2004). الأمر الذي كان له الأثر الكبير على عشرات آلاف المقدسيين الذين اضطروا ودفعت بهم ضائقة السكن (للعيش) في البلدات المحاذية للقدس، بالإضافة إلى الأشخاص الذين تزوجوا ممن لا يحملون هوية القدس ويعيشون معهم خارجها، وأصبحت الموافقة على جمع شملهم وتسجيل أطفالهم من شبه المستحيل ما أدى إلى "فرض هجره قسرية للفلسطينيين" (أيوب، 2014، وأيوب، الحق في الإقامة، ص 59، وأيوب، 2012، ص 8). وأجبر الآلاف منهم للعودة للعيش في القدس بعد بناء الجدار "وذلك لإثبات أنهم من سكان القدس تحسباً من أن تنزع هوياتهم" (الزغير، 2007، ص 8)، الأمر الذي أثقل كاهلهم لأنهم اضطروا إلى استئجار بيوت جديدة داخل القدس أو ترك شريك حياتهم الآخر في الضفة الغربية لأنه لا يستطيع دخول القدس.

لغايات جمع المعلومات عن الفلسطينيين الذين يعيشون في القدس، ولا يحملون الهوية الزرقاء لم تكتف وزارة الداخلية بالمعلومات التي حصلت عليها من المخبرين في مؤسسة التأمين الوطني، فعمدت منذ عام 1987 على تضييق الخناق عليهم في القدس، واستخدمت تجاههم سياسة التمييز العنصري "تمثلت في حرمان كل شخص غير مكان

سكنه إلى خارج المدينة" من مخصصات التأمين الوطني، وحرمت أطفالهم من مخصصات التأمين الاجتماعية، وقد أيدت محكمة العدل العليا القرار لاحقاً في عام 1993 (أيوب، 2012، ص8) ، وأعلنت بطريقة استخباراتية أنها "ستصلح أوضاع من لا يحملون تصاريح" من الفلسطينيين الذين يحملون هوية الضفة وقيميون في القدس، فيقول العموري بأنه بالفعل "تقدم نحو 820 شخصاً بطلبات تثبت الإقامة، (أواخر عام 1987) ، لكن الاحتلال أعطى تصاريح للإقامة بالقدس لعدد قليل منهم (دي برس، 2010) ، وأوقع الآخرين منهم في "فخ" عملته لهم وزارة الداخلية الإسرائيلية عندما طلبت منهم تقديم طلب "لتثبيت إقامتهم ومركز حياتهم" في القدس وللأسف لم تكن الوزارة تهدف من ذلك تسوية وضعهم بل كان الهدف تجريدهم من "حقهم في الإقامة"، لأنها بدأت "ملاحقتهم" لطردهم من المدينة وتجريدهم من الإقامة فيها" (صحيفة الشعب، 2010). هذا الإجراء "مكّن الداخلية الإسرائيلية لاحقاً من جمع معلومات تفصيلية عن أعداد كبيره من مواطني الضفة الغربية المقيمين في أحياء وبلدات تقع ضمن حدود بلدية الاحتلال (القدس) ، (ما كان) لها أن تحصل عليها من خلال أطقم التحقيق التابعة لها ولمؤسسة التأمين الوطني "لأن...المعلومات التي قدمها المواطنون إلى الداخلية على أساس أنها ستسرع بالموافقة على طلبات جمع الشمل المقدمة إلى الوزارة" باتت تستخدم "ضدهم كدليل إدانة" (العربية، 2009). بمعنى آخر تم الحصول "على معلومات كاملة عنهم، وعلم أين يتواجدون، ومن أقربهم، وبالتالي كل المعلومات الخاصة والشخصية.." عنهم (دي برس، 2010). وهكذا فقد كان لهذا أثر كبير في طرد الفلسطينيين الذين يحملون البطاقة البرتقالية (التي أصبحت خضراء فيما بعد) من القدس، لأنهم يحتاجون إلى إثبات إقامتهم فيها من جهة، ومن جهة أخرى لا يوجد لديهم التصاريح اللازمة للإقامة، الأمر الذي أدى إلى رفض معاملات معظمهم وبالتالي إخراجهم من القدس.

كما تعرض الفلسطينيون في القدس إلى معاناة أخرى إذا ما كان أحد الزوجين يحمل هوية الضفة الغربية، تتعلق بالحاجة إلى إثبات مركز الحياة عند ولادة أطفال جدد لهم، تتمثل في الحصول على الرقم القومي من وزارة الداخلية الإسرائيلية لمواليدهم بعد الولاده، فيتطلب من الفلسطيني في القدس للحصول على هذا الرقم إجراءات كثيرة تبدأ عند ولادة الطفل. فعلى سبيل المثال الطفل "...الذي يولد لأبوين مواطنين" في القدس يحصل "على رقم قومي وهو في المستشفى، وبعد ذلك يتقدم والداه إلى وزارة الداخلية" لإصدار شهادة ميلاد له، تحمل الرقم القومي الخاص به، يسجل بعدها في بطاقة هوية والديه مع الرقم. أما الطفل الذي يكون فيه أحد والديه لا يحمل الهوية المقدسية يتخذ بحقه "إجراء مختلف فبعد الإنجاب يحصل والداه على استمارة تسمى (بلاغ عن إنجاب مولود) دون تحديد للرقم

القومي، وحينما يتقدمون إلى وزارة الداخلية للحصول على شهادة الميلاد، يحصلون عليها دون وجود رقم قومي للطفل المولود. وللحصول على الرقم القومي يطلب من والديه إحضار "أدلة على أن مركز حياة الأسرة هو القدس". وهذه الإجراءات، الخاصة بالرقم القومي، لا يعلم به الكثيرون من الذين يحصلون على شهادات ميلاد بعد الولاده ولا يوجد فيها هذا الرقم، فتسلم الشهادة للوالدين دون توضيح من الموظفين في "وزارة الداخلية (ودون لفت) انتباه الوالدين إلى أنه يجب عليهما البدء في إجراءات تسجيل الطفل... " فموجب هذا الإجراء فشل عدد كبير من الفلسطينيين في القدس من تسجيل أطفالهم والحصول على رقم قومي لهم بموجب "المادة 30 (أ) من قانون تسجيل السكان في إسرائيل، والتي تنص على أنه "من يولد في إسرائيل ومسجل في دفاتر تسجيل السكان، يحق له الحصول على بطاقة هويه" (صالح، 2004). ما يشير إلى أن الطفل المقدسي الذي يكون أحد والديه غير مسجل في دفتر تسجيل السكان لا يحصل على الرقم القومي.

أواخر عام 1995، بدأت وزارة الداخلية الإسرائيلية تطلب من الفلسطينيين المقيمين في القدس الذين يرغبون تقديم طلبات من أي نوع كان، اثبات أن مركز حياتهم القدس وأنهم ما زالوا يقطنون فيها، وعليهم إحضار الوثائق التي تطلبها الوزارة مهما كان الحصول عليها صعباً. وقد وصلت التعقيدات في هذه المطالب حداً أن إحضار هذه الوثائق يصعب إحضارها على الأشخاص الذين يقيمون طوال حياتهم داخل مدينة القدس (صالح، 2004). فعلى سبيل المثال طالبت منهم إحضار الوثائق الآتية: عقد زواج، ووثائق تتعلق بالحالة الشخصية (مطلق، أعزب، ووفاة الزوج) وحلف يمين عن عزوبية وإذا كان هناك أولاد من زوج سابق، وحدانية الزواج موقع من قبل محام، وعقد ايجار أو ملكية البيت باسم مقدم الطلب منذ يوم زواجه، وحسابات تتعلق بالسكن على اسم مقدم الطلب مثل أرنونا (ضريبة المسقفات)، وكهرباء، وماء، وتلفون، وكتاب من البلدية أو المجلس القروي يثبت مركز الحياة في القدس، وشهادة ميلاد للأولاد أو تبايغ الولادة، وكتاب من كوبات حوليم (التأمين الوطني) يثبت حصوله على الخدمات الطبية مثل (بطاقات التطعيمات والعضوية)، وكشف حساب البنك بين مخصصات الحصول على التأمين الوطني، وكشف المعاش لمقدم الطلب والمطلوب، وإثباتات دراسية وشهادات نهائية لكل الأولاد لمراحل التعليم المختلف من سن 6 سنوات فأعلى، وشهادة حسن سلوك إذا كان المتقدم من سكان الضفة الغربية أو غزه، وشهادة حلف يمين من المقدم له الطلب على أنه خال من الأمراض المعدية موقعه من محام، وكتاب توضيحي يفصل فترات الإقامة داخل إسرائيل وخارجها لمقدم الطلب والمقدم له الطلب، وتأشيرة دخول لإسرائيل سارية المفعول، وصور من حفلة الزفاف تشمل مقدم الطلب والمقدم له وأفراد العائلة، و 3 صور شخصية للمقدم له الطلب

ومقدم الطلب، وإذا كان مقدم الطلب يسكن في مكان غير مسجل باسمه عليه إحضار قسم مشفوع من محام أو من محكمة، بالإضافة لهذه الوثائق قد يطلب من مقدم الطلب أوراق أو وثائق إضافية لإثبات مركز الحياة في القدس (طلب جمع الشمل، 2014). وفي حالة عدم المقدرة على إحضار الأوراق التي تثبت إقامتهم في القدس تلغى عنهم الإقامة وتسحب الهوية المقدسية، ويرفض طلب لم الشمل الذي قدم ويرفض تسجيل أطفالهم في هوية الوالدين المقدسية ولا يعطوا أرقام هوية ولا يسجلون في سجل السكان (الزغير، 2007، ص 17). الأمر الذي أدى إلى تجريد الآف الفلسطينيين من هوياتهم الزرقاء، كما أنه حرم آلاف آخرين من الحصول على حق الإقامة الدائمة لعدم مقدرتهم إحضار الوثائق التي تطلبها وزارة الداخلية الإسرائيلية.

خطورة إصدار البطاقة المغنطة (البيومترية) أو الهوية الذكية:

أصدرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي سنة 2009 قانوناً أسمته "قانون تصميم وسائل تشخيص البيومترية ومعطيات تشخيص بيومترية في مستندات التشخيص وجمع المعلومات" وقد أطلق عليه "قانون البيومتريا" أو "البطاقة الذكية" (الوثائق الذكية، 3450). وأقر الكنيست الإسرائيلي لاحقاً في عام 2012 "تمديد مدة صلاحية الهوية الإسرائيلية لمدة عشر سنوات من تاريخ إصدارها" (أبو خضير، 2014، ص 31) لإجبار الفلسطينيين على تجديدها. ومع بداية عام 2013 بدأت وزارة الداخلية الإسرائيلية بإصدار بطاقات (الهوية الذكية) ضمن مرحلة تجريبية لمدة عامين " (أبو خضير، 2014، ص 31 والوثائق الذكية، 3450) لتخفيف شدة المعارضة الفلسطينية لها، لأنها ستصبح إلزامية بعد انتهاء الفترة التجريبية.

حاولت سلطات الاحتلال الترويج لهذه البطاقة، وإظهار الجانب الايجابي من إصدارها على النحو الآتي: أولاً، يصعب تزويرها لأن البطاقة الجديدة تظهر الملامح الشخصية لحاملها. فعلى سبيل المثال ذكرت الناطقة بلسان وزارة الداخلية الإسرائيلية صابين حداد (الحموري، مقابله، 2014) بأن الهدف من إصدارها هو الحد من تزيف الهويات، وانتحال الشخصية لأنها تحتوي على "وسائل أمنية خفية عديدة لا يمكن تزيفها، وتحتوي على رقاها الإلكترونية" على الجهة الثانية " مطبوع عليها صورة وجه صاحبها وملامحه وتفاصيل " عنه، كما زودت البطاقة بنظام يصف معلومات "...جسمانية فيزيولوجية، لا تتغير في حياة الشخص، ويمكن تمييزها بصورة رقمية بطريقة تمكن من تشخيص الانسان بشكل قطعي تقريباً..." كما تأخذ "صورة لبصمات أصبع السبابة..." ما يجعل تزيفها صعباً (أبو خضير، 2014، ص 31). الأمر الذي يحد من فقدانها. ثانياً: سهولة التعامل

مع البطاقة بتسهيلها إجراء المعاملات الشخصية والرسمية كما أنها تحفظ الهوية من السرقة، والتزوير، وانتحال الشخصية (الوثائق الذكية، 3450)، فقد أشارت الناطقة باسم وزارة الداخلية الإسرائيلية بأنها ستتيح لحاملها "مروراً ميسراً في المطارات والمعابر، وتسهل إجراءات الفحص الحدودية" وإنها "تمكن حاملها من التعريف عن نفسه في البيت بشكل موجه وآمن...بواسطة كتابة كلمة السر التي تعطى لصاحب الهوية الذكية من أجل التحقق من هويته إلكترونياً، كما ستتيح التوقيع الإلكتروني المصدق" بحيث "تعطى الكلمة السرية الشخصية لصاحب الطلب عند استلام الهوية البيومترية الذكية، حيث أعدت كلمة السر لتنفيذ أعمال معينة بواسطتها"، ويمكن تشخيص توقيع صاحب الهوية باستخدام كلمة سر واحدة "تتألف من أربعة أرقام، يختارها صاحب البطاقة الذكية..." (أبو خضير، 2014، ص31)، كما أنه يمكن إلغاؤها في "حالة ضياع الهوية الذكية أو سرقتها أو إساءة استخدامها من جهة" شخص غير معروف، بالاتصال على مركز الخدمة والمعلومات على "الرقم 3450"، في جميع أوقات اليوم خلال "24 ساعة يومياً" (الوثائق الذكية، 3450 و أبو خضير، القدس، 2014، ص31). ثالثاً: صغر حجم البطاقة وسهولة التعامل معها لأن حجمها صغير كحجم بطاقة الاعتماد البنكية الأمر الذي يسهل حملها (أبو خضير، القدس، 2014، ص31) والتعامل معها.

بدأت الحكومة الإسرائيلية تصدر البطاقة الذكية اختياريًا لمدة عامين لتصبح إجبارية بعد "انتهاء المرحلة التجريبية" (خزمو، 2014) فكما ذكرت الناطقة بلسان الداخلية الإسرائيلية "ستكون فترة تجريبية، لمدة سنتين، وخلالها يتم إصدار توثيق ذكي لمن يريد ذلك، والقرار بتبديل الهوية القائمة لهوية بيومترية قرار اختياري..." (أبو خضير، 2014، ص31) هذا طبعاً في بدايته وسيكون إلزامياً فيما بعد، وهذا ما نصت عليه النشرة (الوثائق الذكية، 3450) التي توزعها على الجمهور وهذا ما بدأت تطبقه مؤخراً (2014).

أما حقيقة إصدار البطاقة وأسبابها كانت غير ذلك، فإن كان ما ذكرته سلطات الاحتلال فيه جزء من الحقيقية إلا أنها أخفت الهدف الرئيس من إصدارها المتمثل في طرد الفلسطينيين من القدس وسحب الهويات الزرقاء منهم بوسائل حديثة وجديدة. فإن كان ظاهر الأمر كما تدعي سلطات الاحتلال التسهيل على حاملها وحفظها من التزوير إلا أن الهدف الحقيقي غير ذلك، حيث كان الهدف الرئيس من وراء إصدارها هو الإيقاع بالفلسطينيين وحرمان عشرات الآلاف منهم من حق الإقامة في القدس، وتقليص وجودهم فيها (أبو خضير، 2014، ص31). فكان أهم أهداف الاحتلال من إصدارها تعود إلى الآتي، أولاً: هدف الاحتلال من إصدارها إلى تحديد طبيعة وعدد مرات تنقل المقدسيين وأماكن إقامتهم، عن طريق نقل البطاقة حركات المقدسيين إلى مركز معلومات خصص

لهذه الغاية، وبالتالي سيتم حصر المقيمين داخل القدس، والذين "يسكنون خارجها" (عبد الرحمن، 2012، و الرجوب، 2012) الأمر الذي سيتضرر من جرائه عشرات الآلاف من المقدسيين الذين يسكنون في القرى والبلدات المجاورة والملاصقة للقدس التي كانت جزءاً من المدينة ولكن "أخرجها الجدار... العازل" عنها، الأمر الذي أدى إلى "تهديدهم بسحب حقهم في الإقامة" ما سيجعل سلطات الاحتلال تُقدم لاحقاً على اختلاق الذرائع والحجج لسحب الهويات منهم بحجة عدم الإقامة في القدس (عبد الرحمن، 2012)، وهذا ما تم عندما بنت الجدار العازل وأخرجت أحياء كاملة من حدود القدس كانت تعدّ سابقاً جزءاً منها، يقول الحموري في هذا المقام بأن هذه البطاقة ستحدد أماكن تواجد الفلسطينيين، وستمكن سلطات الاحتلال "من كشف تحركات حاملها اليومية، ومكان سكناه، من دون اللجوء إلى الإحصاء أو التفتيش" فإذا أضيف إلى ذلك الضغط الذي يتعرض له الفلسطينيون نتيجة عدم السماح لهم بالبناء داخل القدس وعدم قدرتهم على دفع الإيجارات المرتفعة... (أبو خضير، القدس، 2014، ص31) ويقول في مكان آخر: إنها ستكشف تحركات المقدسيين خلال أيام الشهر وستكشف أين يذهبون؟ وأين يسكنون؟ ما يجعلهم يعرفون أين يسكن الشخص "دون اللجوء إلى الإحصاء أو التفتيش" ما سيؤثر سلباً على "وجود الفلسطينيين في المدينة، وعلى ارتباطهم بذويهم داخل الجدار وخارجه في الضفة الغربية وفي القدس" (ماهر، 2009) وقد علق عدد من المواطنين من القدس على البطاقة في هذا السياق، فقد قالت منى حمودة إحدى المواطنات المقدسيات بأن الجدار جعلها تسكن خارج المدينة، وتضيف "أنا أشعر بالقلق والخوف الكبير..." من إقدام سلطات الاحتلال على سحب هويتي المقدسية، وتقول آيه شويكي وهي مواطنة أخرى أسكنها الجدار خارج حدود المدينة، "سنختم بها (البطاقة) عندما ندخل الحاجز، وستحسب علينا كل حركة نقوم بها، وستخلق مشكلة كبيرة أمام الطلاب المقدسيين الذين يدرسون في الضفة" فعلى سبيل المثال "العبور من قلنديا سيتم عبر البطاقة، التي تسجل مرات وأوقات عبوره، ما قد يعرضه لمساءلة سلطات الاحتلال" (حماد، 2012). وهكذا فقد أصبحت البطاقة الجديدة تشكل أدهام لمراقبة تحركات الفلسطينيين عبر الحواجز داخلين إلى الضفة الغربية أو خارجين منها، ومن خلالها سيتم تسجيل متى وأين وعدد المرات التي يمر بها المقدسيون عبر الحواجز، ما يشكل دليلاً على سكن بعضهم خارج حدود القدس كما تُعرفها إسرائيل، وبالتالي فإن إصدار البطاقة يُشتم منه رائحة سحب الهويات من المقدسيين وإجبارهم على السكن داخل القدس التي تضيق عليهم يوماً بعد يوم، ففي الوقت الذي تسمح فيه سلطات الاحتلال لليهودي بالسكن في أي مكان يجبر الفلسطيني بالسكن داخل القدس للمحافظة على هويته أو بمعنى آخر على إقامته فيها.

♦ ثانياً: خطوره البطاقة تظهر عند حاجة الشخص لتجديد بطاقة هويته أو حاجته لإصدار بطاقة هوية جديدة لأنه سيطلب منه عند ذلك كل المعلومات التي يصعب توفيرها، ولا تجدد أو تصدر البطاقة دونها وتبقى قضيته معلقه بخصوص إقامته في القدس (خزمو، 2014). وبالتالي تشكل البطاقة عائقاً أمام الذين لا يستطيعون إحضار أوراق ثبوتية (تم نكرها سابقاً)، فقد أوضح الحموري أسباب خشيته من البطاقة، بقوله: "الخطر الحقيقي على المواطنين الفلسطينيين الذين لا يستطيعون التوجه إلى الداخلية الإسرائيلية لأخذ البطاقة أو تجديد البطاقة القديمة، لأنهم لا يملكون الأوراق الثبوتية، وستجد (العائلات) نفسها بعد فترة وجيزه في خطر فقدان الهوية وحق الدخول والإقامة في القدس" (أبو خضير، القدس، 2014، ص31، وماهر، 2014). فإذا ما تبين لنا أن القوانين أعطت سلطات الاحتلال الحق "بسحب الإقامة من كل فلسطيني يحمل بطاقة القدس (الهوية الزرقاء)، إذا ما ثبت عدم سكنه في حدود بلدية القدس"، فإن سلطات الاحتلال ستقدم على "سحب الهويات من أبناء المدينة الذين يدرسون أو يعملون بالخارج". الأمر الذي حرم وسيحرم آلاف المقدسيين من بطاقتهم المقدسية لأنهم يقطنون خارج حدود بلدية القدس (أبو الرب، 2012). وهكذا، رغم تلميح الناطقة باسم وزارة الداخلية الإسرائيلية للبطاقة إلا أنها لم تستطع إقناع الفلسطينيين بها، لأنها كما ذكر زياد الحموري، مقدمة لسحب هويات عشرات الآلاف من المقدسيين الأمر الذي يحرمهم "من الدخول إلى القدس وفق الخطة الإسرائيلية 2020 التي تم تطويرها لتصبح 2030، وترمي إلى خفض الوجود الفلسطيني في القدس من 35% إلى 12% مع حلول العام 2030" (أبو خضير، القدس، 2014، ص31، وماهر، 2014). وقد عدّ الفلسطينيون في القدس هذه البطاقة أنها وسيلة لتهجيرهم من القدس، كما أن "الحصول عليها سيتطلب وجود الشخص في حدود بلدية القدس لمدة سنتين من تاريخ تسلمها، أي أن من لديه عمل أو دراسة خارج هذه الحدود لن يتمكن من الحصول عليها، ويفقد حق الإقامة بالقدس..." (أبو الرب، 2012) وهكذا يتوجب على الفلسطيني في القدس في هذه الحالة إحضار عشرات الأوراق والوثائق لإثبات إقامته في القدس.

♦ ثالثاً: رصد ملامح الوجهة والبصمات و الـ DNA (الحامض النووي) للفلسطينيين، فمن خلال البطاقات الجديدة (الممغنطة) يتم التعرف على ملامح الوجهة وبصمات العين والأيدي وبصمة الشاهدين حتى معرفة الـ DNA الخاص بالأشخاص وبالتالي كان الهدف من إصدارها، جمع البيانات الشخصية عن حامل الهوية الإسرائيلية من خلال الحصول على كافة البيانات الشخصية والجسدية من ملامح الوجهة والبصمات وأماكن السكن ومكان العمل ومركز حياة وأفراد العائلة، وترسل إلى بنك معلومات بيرومترية لتخفظ فيه (أبو خضير، 2014، ص31) وهكذا، فمن خلال البنك يتم التعرف على التفاصيل الخاصة بحاملها كافة.

♦ رابعاً: هدفت سلطات الاحتلال من خلال هذه البطاقة إلى سحب الهويات المقدسية بحجة عدم دفع ضريبة المعارف وغيرها من الضرائب، أو بحجة عدم تسديد الديون التي فرضتها سلطات الاحتلال عليهم (عبد الرحمن، 2012). فقد طلبت من الفلسطينيين قبل حصوله على هذه البطاقة تسديد "كل ما عليه من ديون وضرائب ورسوم تأمين" (أبو الرب، 2012)، مثل ضرائب التلفاز والسكن (الأرنونا) والصحة والتأمين وغيرها حتى أصبح المقدسي لا يكاد يفلت من ضريبه ما، حتى يقع في ضريبة أخرى، فقد وصل عدد المؤسسات الإسرائيلية المسؤولة عن هذه الضرائب حوالي "25 مؤسسة وظيفتها الضغط على المقدسيين"، الأمر الذي أصبح فيه المقدسي لا يستطيع التحرك بحرية أو السفر. فكل من يريد الحصول على حسن السلوك أو يريد أن يسافر عليه "تسديد الديون والضرائب" التي فرضت عليه (الرجوب، 2012). وهكذا أصبح المقدسي غير قادر على تجديد هويته أو المرور عن الحواجز إذا لم يدفع جميع الضرائب المفروضة عليه.

♦ خامساً: هدفت سلطات الاحتلال من إصدارها للبطاقة الذكية إلى سلخ الآف المقدسيين عن "القرى والبلدات التي أخرجها الجدار العازل عن المدينة" وهددهم بسحب هوياتهم المقدسية (الرجوب، 2012) فقد أشار زياد الحموري إلى ذلك بقوله: "ليست الهوية وحدها تتصف بالذكاء، فكل الإجراءات الإسرائيلية المكشوف منها، والمستتر تتصف بالذكاء، هدفها تصفية الوجود الفلسطيني في القدس" لأن سلطات الاحتلال باتت "تواجه صعوبة في إحصاء المقدسيين خارج الجدار، وتحاول سحب الهويات منهم، لإتمام مخططاتها، وقلب الميزان الديمغرافي في القدس لصالح المستوطنين" اليهود، ويضيف قائلاً: "إن الحكومة الإسرائيلية لن تجد هوية المقدسي إلا "لن تثبت من استقراره داخل حدود المدينة الخاضعة لبلدية الاحتلال في القدس". الأمر الذي سيهدد الآف المقدسيين الموجودين خارج الجدار كأهالي الرام وبيرنبالا، والعيزرية، وأبو ديس، والزعيم، وقلنديا وغيرها من البلدات المحيطة بالقدس كما أنها "...ستحرم المقدسيين خارج البلاد من حق العودة" إليها (حماد، 2012). بمعنى آخر فإنها لن تمنح الهوية المقدسية وتجدها إلا لمن يثبت من أن مركز حياته هو القدس.

♦ سادساً: حددت سلطات الاحتلال صلاحية البطاقة بعشر سنوات لإجبار الفلسطينيين مراجعة الداخلية كل 10 سنوات. فالمشكلة ليست في تجديدها كل عشر سنوات، وإنما تكمن في إجبار الفلسطينيين على إحضار جميع الأوراق والملفات الخاصة بها وبعائلتها عند كل تجديد، فتقول منال حزان إن "تحديد صلاحية بطاقات الهوية لمدة عشر سنوات فقط... من شأنه أن يجبر المواطن المقدسي مراجعة الداخلية مرة كل عشرة أعوام لتجديد البطاقة" الأمر الذي سيجبر المقدسي على "تقديم أدله بشكل مستمر على أن مركز

حياته في القدس. وفي حالة لم يتمكن المواطن المقدسي من توفير كل ما تطلبه الوزارة فإن إقامته في القدس سوف تكون تحت خطر الإلغاء... " (أبو خضير، 2014، ص31) وهذا ما ظهر في البطاقات التي تسلمها بعض من جددوا بطاقة هوياتهم مؤخراً، فقد "برز فيها لأول مرة إضافة كلمة (مقيم) ... " ومدة الإقامة في القدس عشر سنوات، أي أن البطاقة التي أصدرت بتاريخ 2014 ستكون صالحة حتى عام 2024 وعلى المقدسي تجديدها في العام 2024 " وإلا يهجر من المدينه " (شاشه، 2013) ، بمعنى آخر أصبح كل مقدسي ليس مواطناً في القدس، وإنما هو حاصل على حق الإقامة وبالتالي فإن هذا الحق "سيسحب منه في أي وقت، وتحت أي ذريعة يختلقها الاحتلال، أو تحت طائلة أي قانون يسن من قبله" (خزمو، 2014) وهكذا فإن إظهار كلمة مقيم وتحديد مدتها بعشر سنوات يعني أن إقامة الفلسطيني الذي يحمل البطاقة مدتها عشر سنوات قد تجدد بعد ذلك وقد يرفض تجديدها.

♦ سابعاً: أشارت البطاقة الجديدة إلى ديانة حاملها وقوميته الأمر الذي سيزيد من سياسة "...التمييز العنصري ضد الفلسطينيين في القدس" لأنه سيتم التعرف من خلالها "على الخلفية القومية والدينية لحامل الهوية علماً أنه على مر الأعوام كان التوجه القانوني.. هو إلغاء بندي القومية والدين من بطاقات الهوية.. " (أبو خضير، القدس، 2014، ص31) فكتابة ديانة حامل البطاقة تعني التمييز في التعامل ما بين المواطنين، فإذا ما ظهر أن ديانة الشخص غير يهودية ستجعل معاملته لدى الجهات العامة والخاصة الإسرائيلية أصعب، وقد يتعرض إلى معاملة مهينة على الحواجز الثابتة والطيارة.

الختام:

فبعد القراءة المتأنية للقوانين والنظم الإسرائيلية الجائرة بخصوص المقدسيين اتضح لنا أن تلك الأنظمة والقوانين والقرارات التي أصدرتها سلطات الاحتلال كان الغاية منها سحب البطاقة الزرقاء من الفلسطينيين، وتفريغ القدس منهم حيث كان أخطرها، قانون "الجنسية (المواطنه)" وقانون "الدخول إلى إسرائيل" اللذين صدرا عام 1952، وفرضاً شروطاً على الفلسطينيين لإقامتهم داخل القدس، والقرار رقم 282 /88 الخاص بمركز الحياة الذي صدر عام 1988 وبدأت سلطات الاحتلال تطبقه بحق الفلسطينيين عام 1995، والقرار رقم 1813 الذي صدر عام 2002 لمعالجة قضايا المقيمين "غير القانونيين في إسرائيل" وصادقت عليه الكنيست الإسرائيلية عام 2003، والقانون الخاص بالبطاقة الممغنطة (البيومترية) الذي صدر عام 2009 وأقرته الكنيست الإسرائيلي عام 2012 وبدأت تطبقه وزارة الداخلية الإسرائيلية عام 2013.

وبينت الدراسة أن وزير الداخلية الإسرائيلي كان وراء إصدار الأنظمة والقرارات والقوانين وتطبيقها على الفلسطينيين، فقد أعطته القوانين سلطات مطلقة، فحولته سلطة سحب وتطبيق القرارات بحق الفلسطينيين في القدس دون الحاجة إلى تفسيرها أو توضيحها أو تبريرها، لأن الغاية من إصدارها يتمثل في تفرغ القدس من الفلسطينيين تنفيذاً للمخطط الإسرائيلي الذي يهدف إلى تخفيض عدد المقدسين فيها، ليصل عددهم فيها مع حلول عام 2030 حوالي 12% فلسطينياً مقابل 88% يهودياً، وقد نتج عن تطبيق القرارات والأنظمة أن سحبت سلطات الاحتلال ما بين عام 1967 (العام الذي احتلت فيه القدس) وعام 2013 هويات 14.802 (4) عائلة وصل عدد أفرادها 86.226 شخص (الحموري، الداخليه، 2014).

و تنفيذاً لسياسة تفرغ القدس من الفلسطينيين، وجعل نسبتهم فيها لا تتعدى 12%، عمدت إلى سحب ما يزيد عن 86 ألف بطاقة هوية (زرقاء) من المقدسين وفق الإحصائيات الإسرائيلية (والحقيقة تزيد عن ذلك) وأخرجت بعد بنائها الجدار العازل عشرات الآلاف من الفلسطينيين خارج حدود بلدة القدس، وخارج الجدار ما يعني رفع المسؤولية عنهم، وسحب هوياتهم المقدسية لاحقاً، كما صرح به بعض المسؤولين الإسرائيليين مؤخراً، بعدم مسؤولية الحكومة الإسرائيلية عن الفلسطينيين الذين يسكنون خارج الجدار. بمعنى آخر سحب هوياتهم والتأمين الوطني منهم. ولاستكمال حلقة التهجير للفلسطينيين من القدس منعت سلطات الاحتلال الفلسطينيين من البناء أو ترميم بيوتهم أو إضافته ولو "سنتمتر واحد" عليها (عموري، 2014). بهدف الضغط عليهم للخروج من القدس إلى الضفة الغربية مقابل ذلك فإنها منحت كافة التسهيلات لليهود للإقامة في القدس، فقدمت لهم المنح والقروض وكافة التسهيلات لجلبهم إليها، بالإضافة إلى ضمها عدداً من المستوطنات القريبة من القدس لزيادة عددهم فيها. علماً أن المستوطنات التي ضمت إلى حدود بلدية القدس تعد أبعد جغرافياً من البلدات الفلسطينية المحاذية للقدس التي أخرجها الجدار لأن غالبية سكانها فلسطينيون، فعلى سبيل المثال بلدة أبو ديس العربية أقرب على القدس من معاليه أديمم اليهودية.

وهكذا فقد استنتجت الدراسة أن السياسة الإسرائيلية تجاه فلسطيني القدس والقوانين والأنظمة التي أصدرتها جعلت أعداداً كبيرة منهم تغادر المدينة للسكن في المناطق المحيطة بالقدس، فعلى سبيل المثال إذا كان أحد الأزواج لا يملك هوية مقدسية يضطر شريكه الآخر إلى نقل مكان سكنه إلى المناطق المحاذية للقدس، والمقدسي الذي أخرج بيته الجدار خارج حدود البلدية لا يستطيع استئجار بيت آخر داخل القدس، وترك بيته الذي ولد ونشأ وترعرع فيه، والشخص الذي يعمل في مناطق قريبة من القدس جعلته الحواجز التي تحيط بالقدس

يضطر للسكن في مناطق محاذية للقدس، لأن الشخص الذي يعمل في رام الله، على سبيل المثال يحتاج في كثير من الأحيان إلى أكثر من ساعتين ذهاباً بسبب الحواجز والتعقيدات عليها. وهكذا فقد استخدمت سلطات الاحتلال السبل المختلفة لتنفيذ سياستها الهدامة معتمدة سياسة أسلوب النفس الطويل لتفريغ القدس من سكانها الفلسطينيين.

الهوامش:

1. أحد منفذي الهجوم على الكنيس اليهودي في القدس بتاريخ 18 / 11 / 2014، من سكان بلدة جبل المكبر في القدس، أب لثلاثة أطفال هم وليد وسلمى ومحمد استشهد وعمره 27 عاماً ينتمي إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، قتل في العملية 5 إسرائيليين وجرح 8 (جندي، 2014).
2. مواطن فلسطيني يحمل الجنسية الأمريكية تقدم بطلب لمحكمة العدل العليا ضد رئيس الحكومة الإسرائيلية للحصول على الإقامة في القدس ولكن طلبه رفض (الحموري، مقابله، 2014) حيث أيد قضاة المحكمة "قرار وزير الداخلية الإسرائيلي القاضي بسحب الإقامة الدائمة من مبارك عوض.. بسبب تركه للقدس والذهاب للولايات المتحدة الأمريكية للدراسة، والزواج هناك وحيازة الجنسية الأمريكية (أيوب، الحق في الإقامة، ص60).
3. للمزيد بخصوص أعداد الهويات المقدسية (الزرقاء) التي سحبت من الفلسطينيين منذ احتلال القدس عام 1967 وحتى عام 2013 أنظر الملحق رقم (2).

المصادر والمراجع:

1. ابحيص، حسن وعاید، خالد (2010) الجدار العازل في الضفة الغربية، تحرير محسن صالح، مركز الزيتون للدراسات والاستشارات، بيروت، 2010.
2. أريج (2008)، حرب إسرائيل الديموغرافيه في مدينة القدس لتمويل صراع الحقوق إلى صراع وجود، معهد الابحاث التطبيقية (أريج)، القدس، 10 December 2008.
3. أبو الرب، محمد (2012)، إسرائيل تصدر "بطاقات ذكية" تقنن التهجير... المصري اليوم، 23 / 2 / 2012.
[http:// www. almasryalyoum. com/ news/ details/ 153937#](http://www.almasryalyoum.com/news/details/153937#)
4. أبو خضير، محمد، (2014)، بعد نشر الداخلية الإسرائيلية تفاصيل كاملة حول البطاقة البيومترية: تحذيرات من تبعات وتداعيات البطاقة الجديدة على إقامة عشرات الآف المقدسيين، صحيفة القدس، عدد 16011، 10 آذار 2014، ص 1 و 31.
5. أبو غزاله، ميساء (2009)، قانون الجنسية في إسرائيل ولم شمل المقدسيين، الحوار المتمدن، العدد 2705، 12 / 7 / 2009.
[http:// www. ahewar. org/ debat/ show. art. asp?aid=177851](http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=177851)
6. أيوب، نزار (2012)، التطهير العرقي في القدس، حوليات القدس، العدد الثالث عشر، صيف 2012.
7. أيوب، نزار (2014)، جدليات: التطهير العرقي في القدس، جديله، 25 شباط 2014.
[http:// arabic. jadaliyya. com/ pages/ index/ 15935/ %D8%A7%D9%84%D8%AA- %D3](http://arabic.jadaliyya.com/pages/index/15935/%D8%A7%D9%84%D8%AA-%D3)
8. أيوب، نزار (د.ت)، الحق في الإقامة: انتهاكات إسرائيل لحق الفلسطينيين في الإقامة في القدس، القدس، الإئتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس.
9. الترك، نادر خميس (2013)، الوضع القانوني لمدينة القدس... مركز الزيتونه للدراسات، 28 / 5 / 2013.
[http:// www. alzaytouna. net/ permalink/ 43593. html](http://www.alzaytouna.net/permalink/43593.html)
10. تصريح، (5203)، تصريح للحاصلين على مكانة إقامة دائمة بموجب قانون دخول إسرائيل، 1952، وزارة الداخلية الإسرائيلية، مديرية السكان، الوثيقة رقم 5203 / - 001، (الوثيقة مرفقه في الملحق).

11. الدستور، (2009)، الحموري، المعابر حول القدس مثل الحدود الدولية...، الدستور
الأردنين، 21 / 2 / 2009.

<http://www.addustour.com/15307/%D8%A7%D9%8>

12. دي برس (2010)، مخطط إسرائيلي لـ "طرد" نصف المقدسيين، 8 / 8 / Dr News،
2010.

<http://www.dp-news.com/pages/detail.aspx?articleid=48775>

13. الرجوب، عوض (2012)، مقدسيون: البطاقة الذكية فسخ إسرائيلي، مجلة الحرية، 29
فبراير 2012. <http://alhouriah.org/article/>

14. زبيدات، ابتهاج (2011)، إسرائيل سحبت هويات 170 ألف فلسطيني مقدسي، عمون،
5 / 12 / 2011.

<http://www.ammonnews.net/article.aspx?articleNO=87242>

15. الزرو، نواف (2011)، القدس: صراع هوية وسيادة ومستقبل...، الدستور الأردنية، 2
كانون ثاني 2011.

[http://addustour.com/15987/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3%](http://addustour.com/15987/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3%8)

16. الزغير، هنادي (2007)، التهجير الصامت: إلغاء الإقامه الفلسطينية من القدس، تقرير
تمهيدي، الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس، إعداد الملتقى
الفكري العربي، القدس، أيار 2007.

17. الجزيره، (2006)، نص قرار التقسيم رقم 181، 24 / 7 / 2006.

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/>

18. JCSE (2010)، في الذكرى الـ 62 للنكبة... مركز القدس للحقوق الاجتماعية
والاقتصادية ينشر معطيات جديدة وخطيرة عن الإجراءات الإسرائيلية... مركز
القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية، 19 مايو 2010.

http://www.jcser.org/ara/index.php?option=com_content&view

19. جميعة حقوق المواطن في إسرائيل (2012)، القدس الشرقية بالارقام - أيار 2012،
16 / 5 / 2012. <http://www.acri.org.il/ar/?p=2314>

20. جندي، أسيل (2014)، الاحتلال يحتجز جثمانى شهيدى "كنيس القدس"، الجزيرة نت، 2014 /11 /18

[http:// www. aljazeera. net/ news/ reportsandinterviews/ 2014/ 11/ 18/](http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/11/18/)

21. حلبى، أسامه (2006)، القانون والقضاة الإسرائيلىين أداتان لتحقيق أهداف سياسة: المرحلة الأساسية فى تثبيت السيطرة الإسرائيلىة على مدينة القدس وتجاهل القانون الدولى، الإئتلاف الأهلى للدفاع عن حقوق الفلسطينين فى القدس، تموز 2006.

22. حماد، شذى (2012)، البطاقة الممغنطة وسيلة جديدة لتهجير آلاف الفلسطينين، راديو البلد، 2012 /11 /4 .
[http:// ar. ammannet. net/ news/ 176457](http://ar.ammannet.net/news/176457)

23. الحمورى، زياد (2014)، مقابلة شخصية مع الباحث فى الرام بتاريخ 4 /11 /2014

24. الحمورى، زياد (2014)، الداخلىة، رسالة موجه من أ. زياد الحمورى إلى الباحث بتاريخ 11 /11 /2014 (مرفقه فى الملحق).

25. خزمو، ندى الحاىك (2014)، القدس... إذا أبعد أبناؤها عنها ماذا سىبقى من عربتها! ، البىادر السياسى، العدد 1047، السنة الرابعة والثلاثون، 15 /11 /2014.

26. السهلى، نبىل محمود (آذار، 2007)، السياسات الإسرائيلىة إزاء أهم المقدسات...، شبكة فولتير، 15 آذار 2007.

[http:// www. voltairenet. org/ article146222. html](http://www.voltairenet.org/article146222.html)

27. السهلى، نبىل (حزيران، 2007)، الصراع الديموغرافى بين العرب واليهود فى مدينة القدس منذ مؤتمر بازل 1897، جماعة العدل والاحسان، 7 حزيران 2007.

[http:// www. aljamaa. net/ ar/ document/ 5975. shtml](http://www.aljamaa.net/ar/document/5975.shtml)

28. السهلى، نبىل (2014)، الطرد الصامت يلاحق المقدسىين، الجزيرة، 11 /1 /2014.

[http:// aljazeera. net/ knowledgagate/ opinions/ 2014/ 1/ 11/](http://aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/1/11/)

29. Society of St. Yves، (2010)، المسار التدرجى للحصول على مكانه قانونية فى حالات لم الشمل، Catholic Center for Human Rights.

[http:// saintyves. org/ index. php?option=com_content&view](http://saintyves.org/index.php?option=com_content&view)

30. شاشه (2013) ، الاحتلال يقرر تحويل هويات المقدسيين إلى مؤقتة، شاشه نيوز،
2013 /7 /24

[http:// www. shasha. ps/ more/ 72564#. UyS7SJ38LIU](http://www.shasha.ps/more/72564#.UyS7SJ38LIU)

31. شبكة النبا (2007) ، تهويد القدس يعود بقوة...، شبكة النبا المعلوماتية، 18 آيار
2007
[http:// www. annabaa. org/ nbanews/ 63/ 174. htm](http://www.annabaa.org/nbanews/63/174.htm)

32. (2013) PNN، الإسلامية المسيحية: إسرائيل تمارس تطهير عرقي ضد المقدسيين
أداته سحب الهويات، شبكة فلسطين الإخبارية، 2013 /7 /24.

[http:// www. pnn. ps/ index. php/ policy/ 61915](http://www.pnn.ps/index.php/policy/61915)

33. شحاده، نديم، (2013) ، الإطار القانوني للمواطن من الدرجة الثانية في إسرائيل،
جريدة حق العودة، العدد 52، السنة الحادية عشرة، بديل: المركز الفلسطيني لمصادر
حقوق المواطنة واللاجئين، 5 /3 /2013، ص10.

34. صلاح، رائد (2008) ، رسالة القدس عربتكم، منتديات أحلى عالم، 9 /8 /2008.

[http:// a5la. ahlmountada. com/ t4686- topic](http://a5la.ahlamountada.com/t4686-topic)

35. صالح، محسن محمد وآخرون (2008) ، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2007،
مركز الزيتونه للدراسات والاستشارات، مؤسسة القدس الدولية، لبنان، بيروت، الطبعة
الأولى، 2008.

36. صالح، محمد أحمد (2004) ، السياسه الصهيونية لتغيير التركيبة الديمغرافية قبل
أن تضيع القدس، كتاب العربي، كتاب ربع سنوي يصدر كملحق لمجلة العربي تصدره
وزارة الاعلام بدولة الكويت لمحبي الآدب والفنون، العدد 56، نيسان 2004.

37. صحيفة الشعب، (2010) ، مركز فلسطيني: إسرائيل تهدد بإبعاد 20 ألف فلسطيني
من القدس بسبب الهوية، صحيفة الشعب اليومية أونلاين (صحيفة صينية) ، 9 /8 /
2010
[http:// arabic. people. com. cn/ 31662/ 7097714. html](http://arabic.people.com.cn/31662/7097714.html)

38. صحيفة القدس (2012) ، مركز القدس: سحب هويات 95 مقدسياً خلال العام 2011،
6 يناير 2012
[http:// www. alquds. com/ news/ article/ view/ id/ 323246](http://www.alquds.com/news/article/view/id/323246)

39. صحيفة القدس (2014) ، استدعاء زوجة الشهيد غسان أبو جمل لتسليمها قرار سحب
"لم الشمل" ، القدس، عدد 16270، 29 تشرين الثاني 2014، ص1.

40. صوت الغد (2014)، كيف تعمل إسرائيل للتخلص من 190 ألف فلسطيني...؟، صوت الغد، 22 /2 /2014. <http://ghad.ps/145855.html>

41. طلب جمع الشمل (2014)، المعاملة الأولى لتقدم طلب لجمع الشمل: تحتوي على الوثائق والمعلومات التي يحتاجها مقدم الطلب (الوثيقة مرفقه في الملحق).

42. عبد الرحمن، اسعد (2012)، الهوية المقدسية: مجزرة سحب البطاقات، صحيفة الاتحاد الاماراتية، 6 /4 /2012 وصحيفة الرأي، تحت عنوان مجزرة سحب بطاقات الهوية المقدسية، 6 /4 /2012.

<http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=65105>

<http://www.alrai.com/article/504049.htm>

43. عداله (2011)، قوانين ومشاريع قوانين...، المركز القانوني لحقوق الأقليات العربية في إسرائيل، تموز 2011.

<http://adalah.org/upfiles/discremenatory%20laws%20arabic.doc>

44. العربية للصحافة، (2009)، مركز القدس: أكثر من 20 ألف مواطن فلسطيني متزوجون من مقدسيات مهددون بالترحيل الجماعي عن القدس، (العربية للصحافة)، 10 /4 /2009. <http://www.al-arabeya.net/articles/?articid=23446>

45. عموري، سعيد (2014)، كيف تعمل إسرائيل للتخلص من 190 ألف فلسطيني، صحيفة القدس، 22 /2 /2014

<http://www.alquds.com/news/article/view/id/490134>

46. قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي (د. ت)، 1947 - 1974، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الدورة 2، ملحق رقم 11، المجلد الأول إلى الرابع.

http://www.palestineinarabic.com/Docs/inter_arab_res/UNGA_Res_181_A.pdf

47. مارجليت، مائير، (2011)، إسرائيل والقدس الشرقية: إستيلاء وتهويد، ترجمة مازن الحسيني، منشورات مركز القدس للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، القدس، حزيران 2011.

48. ماهر، محمد (2014)، مسوؤل فلسطيني يعتبرها واحدة من معارك الديمغرافية في المدينة المقدسة: هوية إسرائيلية بيلوجية ممغنطة ترصد تحركات المقدسيين وخطة لطردهم، صحيفة اليوم السعودي، 28 / 2 / 2014.

[http:// www. alyaum. com/ article/ 3123872](http://www.alyaum.com/article/3123872)

49. مركز الدراسات والحقوق المدنية والاجتماعية، بيت الشرق، القدس، تقرير شهر ابريل 1998

50. Mohamed, Souaissy (2010)، قانون الإقامة الإسرائيلي، موسوعة المعرفة، 16 / 4 / 2010. [http:// blog. marefa. org/ node/ 259](http://blog.marefa.org/node/259)

51. مجلة الدفاع الوطني (2003)، الديموغرافيا الفلسطينية في حسابات الامن القومي الإسرائيلي، الموقع الرسمي للجيش اللبناني، 1 / 7 / 2003.

[http:// www. lebarmy. gov. lb/ ar/ news/ ?2748#. VlgBu538LIV](http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?2748#.VlgBu538LIV)

52. موسى، حلمي (2012)، "إسرائيل" تعدل قانون المواطنة لمنع لم شمل... الموقف، 13 كانون ثاني 2012. [http:// almawqef. com/ spip. php?article4862&lang=ar](http://almawqef.com/spip.php?article4862&lang=ar)

53. الهيئة الاعلامية (2010)، قرار نهائي لبلدية القدس: اسقاط حق الاقامة عن 50 ألف فلسطيني يعيشون خارج الجدار "لأنهم توقفوا عن كونهم جزءاً من سكانها"، الهيئة الاعلامية العالمية لدفاع عن القدس، 11 / 1 / 2010.

[http:// www. al- quds. ps/ prt/ index. php?option=full&cid=1&nid=525](http://www.al-quds.ps/prt/index.php?option=full&cid=1&nid=525)

54. الهندي، عليان (2009)، مستقبل القدس الشرقية وفق الرؤيه الإسرائيلية، كتب بالتعاون بين هيئة التوجيه السياسي الوطني وبين جامعة النجاح، مؤتمر يوم القدس العاشر، 25 / 2 / 2009.

55. وايزمان، إيال (2009)، الهندسة المعمارية الديمغرافية في القدس، حوليات القدس، العدد الثامن، شتاء - ربيع 2009 - 2010.

56. الوثائق الذكية، (3450)، نشره أصدرتها دائرة سجل السكان والهجرة الإسرائيلية مؤخراً (مركز الخدمة والمعلومات الإسرائيلي) بخصوص التوثيق البيومتري الذكي (مرفقه في الملحق).

57. وفا (2011)، السياسة الإسرائيلية إزاء أهالي القدس، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، وفا. [http:// www. wafainfo. ps/ atemplate. aspx?id=3578](http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3578)

الوثيقة رقم (1)

وثيقة يعيها مقدم طلب لم الشمل يؤكد فيها مقدم الطلب انه لم يخل بامن اسرائيل، أعطت في التوثيق اسم (تصريح، 5203).

001-5203

وزارة الداخلية - مديرية المكان
تصريح للخاصين على مكانة إقامة دائمة (الثلاثون)
بحسب قانون دخول إسرائيل، 1952 (أيما يبي - الثلاثون)

إلى صرح أثناء: _____
اسم العائلة _____
الاسم الشخصي _____
رقم الهوية _____

أصرح بذلك، دعماً لطبقي للحصول على مكانة الإقامة الدائمة في إسرائيل، كما يلي:

- أرى الإقامة في إسرائيل.
- أرى بصورة جيدة في إسرائيل على التراب، منذ يوم _____
- لم لم يابي أصل ضد الشعب اليهودي، أمن الدولة أو المنطقة.
- لم تكن منخرط في مذبحة - بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بما في ذلك برتبة قدم قتلتي - في أي جهة منظمة أو حركة منحت ولار فضل ضد دولة إسرائيل، مكالها أو مواطنها.
- لم ألتزم في مخالفت جائرة وإستثناء مخالفت السير وام يسير وعلى أمر احتجاز وام أمن حائزاً لدى سلطات الشرطة الأمن والرخن الثلاثين لأي دولة كانت.
- لم يسبق وعلى قد لم وانشره/الإفصاح عن إسرائيل وام إلتزامي على أي مكانة رسمية سابقة دولة إسرائيل.
- أم وام إلتزامي، وام قديم وعلى لأزمة اتهام، وام أفراداً ضد عسكرية في المدين بنهية مخالفة للثلاثين، باستثناء مخالفت السير.
- لم تكن مذبحة إسرائيل كما يتكلم خلالها على سلامة اليهود وسنته.
- كنت مذبحة بمرضى خالي.

في حجة للحصول على مكانة الإقامة في إسرائيل:

- حاد في زوجتي الوحيدة وأنا متزوج بها منذ _____
- زوجتي غير متزوج وأمرأه لزوجتي الوحيدة.
- زوجتي هي زوج سابق وام يهدف للحصول على مكانة الإقامة في إسرائيل، منذ _____
- كنت مسجوناً في مذبحة فلسطيني في سنول التمان في مكان لاس.

13. لا يملك التمسك بالثلاثين، وبسبب لأزمة واحدة أو أكثر من المذكورة أعلاه، فإرجاء أن تفرغ من قبيل

الوثيقة رقم (2)

رسالة موجه من أ. زياد الحموري إلى الباحث يشير فيها إلى أعداد الفلسطينيين في القدس الذين سحبت هوياتهم الزرقاء، أعطت في التوثيق اسم (الحموري، الداخلية، 2014)

Subjects: الداخليه

حضرة الدكتور جمال إبراهيم المحترم
تحية طيبة وبعد
أرفق لكم بعض الإحصائيات المتعلقة بسحب الهويات بناء على مراسلات مع وزارة الداخلية الإسرائيلية، أرجو أن تصاحبكم في بحثكم .
مع تمنياتي لكم بالتوفيق والنجاح
ملاحظة: مرفق بعض الردود من الداخلية مع احترامي وتقديري.
زياد الحموري

هذه المعلومات التي حصل عليها المركز من وزارة الداخلية الإسرائيلية رداً على مذكرة استجواب قديمها بخصوص أعداد المتدبرين فاقدى حق الإقامة حتى نهاية كانون الأول (ديسمبر) من عام 2011 إلى قيام الوزارة الإسرائيلية خلال العام 2009 بسحب إقامة ما مجموعه مواطنين مقدسياً 721 في حين تم سحب إقامة 95 مواطن من منذ مطلع العام 2011 حتى نهايته وبناء على المعلومات الجديدة التي حصل عليها مركز القدس، يصل عدد المواطنين المقدسيين الذين فقدوا حق الإقامة منذ العام 1967 وحتى نهاية عام 2013 ما مجموعه 14802 عائلة مقدسية، يصل عدد أفرادها مجتمعة نحو 86 ألفاً و 226 مواطناً، بمعدل 6 أفراد للعائلة الواحدة، لافتاً إلى أن العام 2008 شهد أكبر عدد من سحب الهويات، بموزعين حسب السنوات على النحو التالي:

السنة	العدد	السنة	العدد	السنة	العدد
1999	414	1983	616	1967	105
2000	307	1984	101	1968	395
2001	150	1985	99	1969	178
2002	120	1986	84	1970	327
2003	273	1987	23	1971	126
2004	32	1988	2	1972	93
2005	220	1989	32	1973	77
2006	1,362	1990	36	1974	45
2007	229	1991	20	1975	54
2008	4672	1992	41	1976	42
2009	721	1993	32	1977	35
2010	191	1994	45	1978	36
2011	95	1995	91	1979	91
2012	135	1996	739	1980	158
2013	106	1997	1,067	1981	51
		1998	788	1982	74

العدد الإجمالي: 14802 عائلة

الوثيقة رقم (4)

هذه الوثيقة أعدتها وزارة الداخلية الإسرائيلية للترويج للبطاقة الذكية "البيومترية"، أعطت في التوثيق أسم (الوثائق الذكية، 3450)



الانتقال إلى التوثيق البيومتري الذكي

تفيد وأسرقي كل عام عشرات الآلاف بطاقات الهوية ومستندات السفر (جوازات السفر و"لاسي باسيه") لمواطني إسرائيل وسكانها. وفي الكثير من الحالات يتم تزوير البطاقات المسروقة واستخدامها لأهداف التحال شخصية صاحب البطاقة لإرتكاب أعمال عنف وخداع أصل إجرامية، وأصل تجريبية عوارية.

تتميز حكومات إسرائيل - منذ زمن بعيد - بالحاجة إلى استبدال بطاقة الهوية ومستندات السفر القائمة بالتوثيق بيومتري ذكي، يشمل عناصر معرفة بيومترية والتكنولوجيا حديثة وحصرية. يجري الحديث عن توثيق ذكي وأمن لن يسمح بتزوير هوية صاحب البطاقة.

مع دخول دولة إسرائيل إلى عصر التوثيق الذكي ستعتمد إلى نزاجة عالمية تنحو نحو التوثيق البيومتري الذكي.

قانون البيومتريا

عام 2009 من البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) -معلقون تصميم وسائل لتكهنس بيومترية ومعلومات شخصية بيومترية في مستندات التثخص ومجمع المعلومات، 2009 (قانون البيومتريا). يقرر القانون ترتيبات منتج لتكهنس - والتعلق من - هوية سكان إسرائيل من خلال تجميع معلومات بيومترية في مستندات التثخص، بطريقة تسمع التزوير واستخدام هوية أخرى. كما أن القانون ينظم إنشاء مجمع معلومات بيومتري لتتبع سلطة مختصة ومنفصلة سلطة إدارة المجمع البيومتري، حيث ستحفظ فيها المعلومات البيومترية بصورة مؤمنة، مشفرة، ومسؤولة عن أي شبكة الاتصالات أخرى، وخصوصاً عن سجل السكان. أن تشمل في المجمع أي تفاصيل لشخصه لسكان إسرائيل.

بعد بحث القانون، يحمّل التوثيق الذكي - بطاقة الهوية ومستندات

السفر - وسائل ومعلومات بيومترية: صورة لسمات الوجه وصورة ليمصفي السنانين، حيث أنها وسائل لشخصين جامدة لمع التزوير والتحال الهوية.

إيجابيات التوثيق البيومتري الذكي

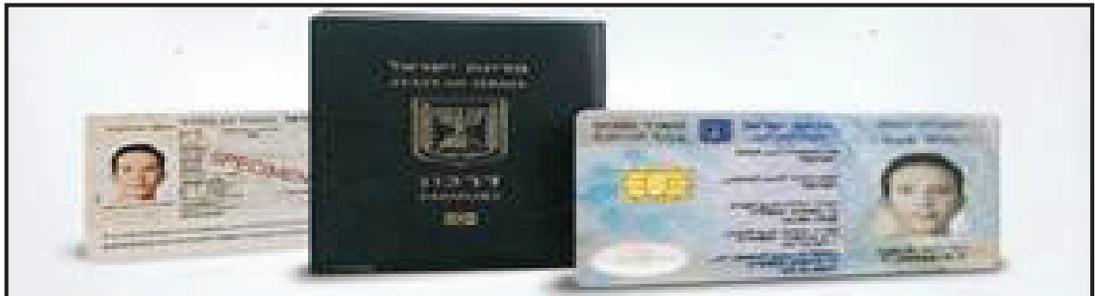
التوثيق الذكي الذي يشمل وسائل حماية مكشوفة ومستقرة كثيرة، غير قابلة للتزوير، سيكسب حامله الشعور بالأمان الشخصي والهوية التثخص من تزوير البطاقة ومن التحال هوية من قبل شخص آخر سيتظاهر بأنه صاحب البطاقة. وإلى جانب هذا الميزة الأساسية، أن لاستعمال التوثيق الذكي ميزات إضافية:

بطاقة الهوية الذكية ستتمن حاملها - كما أن ذلك - أن يعزب بنفسه من البيت، من خلال الشبكة (الإنترنت) وبصورة آمنة، لدى لقائه للحصول على خدمات مختلفة من خدمات الحكومة ومن مواقع الإنترنت الحكومية، وذلك من خلال كلمة مرور شخصية (تعرض التحفظ من الهوية بصورة الكترونية). وهكذا يستطيع حاملها أن يوفر مجهوداً ووقفاً كبيرين. كما أن بطاقة الهوية الذكية ستتمن من استعمال التوقيع الإلكتروني المتصلق عليه لمن يختار ذلك.

جواز السفر الجديد ينف في الواجهة العالمية لاستعمال الوسائل المطورة ضد التزوير، وقد صمم بموجب معيار منظمة الطيران المدني الدولية (ICAO) التي تعمل تحت رعاية الأمم المتحدة. أكثر من مائة دولة تقوم بإصدار جوازات ومستندات سفر ذكية الكترونية بموجب هذا المعيار. إن التقنية المتبعة في الجواز الجديد ستتيح انتقالاً أسرع في الموانئ الجوية وفي المعابر الحدودية، في البلاد والعالم، وستسهل عملية الرقابة والتفتيش على الحدود.

إصدار التوثيق البيومتري الذكي

كل مواطن وكل حامل مقيم يستحق بطاقة هوية أو سفر (جواز سفر أو "لاسي باسيه") في إمكانية أن يطلب توثيقاً ذكياً في دولة مملكة السكان، والجمدة المنتشرة في



واجب الحفاظ على بطاقة الهوية الذكية

على ضوء أهمية بطاقة الهوية الذكية، وبموجب قانون السجل المدني من عام 1965، يجب على المقيم أن يحرس على البطاقة على هويته معه وتحت سيطرته، كالتالي: يجب أن يحملها معه دائماً، ويجب أن لا يسمح لأحد شخص آخر باستخدامها لغرض التحقق من هوية أو توقيع شخص، إلا بموافقة خطية من أي حال من ضباط البطاقة أو سرفتها أو إعادة استخدامها من قبل شخص آخر، يجب القيادة فوراً، بتأجيل مركز الهاتف الذي يحمل 24 ساعة في اليوم، عبر الرقم *3450* أو دائرة سلطة السكان والهجرة في ساعات استغلال الجمهور.

بسبب عدم الحفاظ على بطاقة الهوية، من الممكن أن يقوم شخص آخر بالتدخل الشخصية منسخت بطاقة الهوية، وأن يعرض نفسه بالعصه من أجل القيام بأعمال مختلفة، وكذلك لغرض التحقق أو التوقيع من خلال بطاقة الهوية، من يتدخل المقيم مسؤولة الضرر الذي سيلحق به من جراء عدم قيامه بتخصيص آخر بتوثيق موافقة الخطية.

النساء اللواتي في المرحلة الأولى يتم إجراء التحقق من هوية طالب التوثيق وذلك من خلال عدد من الأسئلة التي سيطلبها مقيم الخدمة بصورة شخصية، وبعد ذلك سوف يتم مقيم الخدمة بإجراء تصوير لفصمات الوجه وبالصيغ الإلكترونية، لفصمات طالب التوثيق. المعلومات البيومترية سيتم تخزينها وتحويلها إلى المجمع البيومتري لغرض التحقق من هوية طالب التوثيق. سيتم حفظ المعلومات في المجمع بصورة مؤقتة ومتفرقة، وسامضى من حواسيب دائرة سلطة السكان.

بطاقة الهوية الذكية مطمأن طالب التوثيق في أي دائرة سلطة السكان، حسب اختياره، وذلك خلال عشرة أيام على الأكثر من يوم تقديم الطلب. وثيقة السفر (جواز السفر أو لاسي بامية) سيتم إرسالها إلى بيت طالب التوثيق بالبريد المسجل، خلال عشرة أيام عمل.

لدى تسليم بطاقة الهوية الذكية سيطلب طالب التوثيق مبلغاً وقدره كلمة مرور شخصية لتفعيلها والتفعيل الإلكتروني، وكذلك كلمة مرور لتفعيل التوقيع الإلكتروني، إذا طلب ذلك.

فترة تجريبية

من أجل أن تكون التجربة إلى الحد الأقصى، فإننا نطلب منك عدم مشاركة هويتك مع أي شخص آخر، بما في ذلك أفراد عائلتك، حتى لا يتم الكشف عن هويتك. كما نطلب منك عدم مشاركة هويتك مع أي شخص آخر، بما في ذلك أفراد عائلتك، حتى لا يتم الكشف عن هويتك. كما نطلب منك عدم مشاركة هويتك مع أي شخص آخر، بما في ذلك أفراد عائلتك، حتى لا يتم الكشف عن هويتك.

من أجل أن تكون التجربة إلى الحد الأقصى، فإننا نطلب منك عدم مشاركة هويتك مع أي شخص آخر، بما في ذلك أفراد عائلتك، حتى لا يتم الكشف عن هويتك. كما نطلب منك عدم مشاركة هويتك مع أي شخص آخر، بما في ذلك أفراد عائلتك، حتى لا يتم الكشف عن هويتك.

لمزيد من المعلومات زوروا موقع الإنترنت www.smartID.gov.il
أو اتصلوا بمركز الخدمة والمعلومات القشري *3450*.

الصناعة الصهيونية في فلسطين * (1918-1948 م)

د. زكريا إبراهيم السنوار **
أ. ربا جمال الزهار ***

* تاريخ التسليم: 2014 / 2 / 1 م، تاريخ القبول: 2014 / 5 / 21 م.
** أستاذ مشارك/ تاريخ حديث ومعاصر / الجامعة الإسلامية/ غزة.
*** باحثة/ تاريخ حديث ومعاصر / غزة.

ملخص:

اهتمت الحركة الصهيونية منذ إنشائها باستلاب فلسطين، وتهويد الأرض، وطرد الإنسان، وتهويد الثقافة، والاقتصاد، ورأت أن التهويد يجب أن يكون بشكل شمولي متكامل؛ لذا سعى الصهاينة إلى امتلاك اقتصاد قوي؛ لأنه أحد أركان الدولة، التي لا بد للمشروع الصهيوني من إنجازها.

إن المفهوم الشامل للمشروع الاقتصادي، جعل الصهاينة يهتمون بالزراعة، والصناعة، والتجارة، وقطاع الخدمات، على حد سواء، وقد تأثرت الصناعة بعوامل عدة، منها: ما هو صهيوني داخلي، ومنها ما هو دولي خارجي، وقد وظّف الصهاينة تلك العوامل؛ لإنجاح الصناعة، وامتلاكها في فلسطين، جزءاً من أجزاء الإحلال الصهيوني محل العربي. تطورت الصناعة الصهيونية في فلسطين، متأثرة بالتطورات السياسية والأمنية والعسكرية في داخل فلسطين، وخارجها، واستغلت أي حدث لخدمة المشروع.

يكثر الحديث عن الأوضاع السياسية في فلسطين ما بين 1918 - 1948 م، والحديث عن الأوضاع الاقتصادية أقل بكثير، ومع ذلك فإنه حديث عام، لا يفصل بين المقدرات والإمكانات العربية والصهيونية؛ الأمر الذي دفع إلى إعداد هذه الدراسة لبيان درجة التغلغل الصهيوني في الصناعة في فلسطين خلال فترة الاحتلال البريطاني، ما بين عامي 1918 - 1948 م.

The Zionist Industry in Palestine from 1918 to 1948

Abstract:

Since its establishment, The Zionist Movement focused on looting Palestine and Judaize the land, culture and economy. This Movement used every means to expel the Palestinians from their land, and they tried to have a powerful economy because this is one of the pillars to establish a Zionist state. Thus they developed agriculture, industry, trading and services sector alike. Industry had been affected by several factors both internal and external, and Zionists utilized these to develop industry and used it as a tool to replace Arabs. Its development was influenced by political, security and military factors.

The Zionists took every opportunity to expel the Palestinians and exploited any event to fulfill their aims.

Many wrote about the political situation in Palestine between 1918-1948 but few wrote about the economic situation. Thus we tried through this paper to write about that era during British mandate.

ارتكز المشروع الصهيوني على ركائز عدة: لإقامة (دولة) على أرض فلسطين، تجمع الصهاينة من بقاع الأرض، وكان من تلك الركائز الاقتصاد، الذي اهتم به الصهاينة كثيراً، وكان للصناعة أهمية كبرى تلي الزراعة، وقد توفرت في فلسطين عوامل عدة أسهمت في إنجاح الصناعة الصهيونية، التي تم تطويرها، بتوظيف المتغيرات الكثيرة والمتلاحقة التي مرت بها فلسطين، ولدراسة الصناعة الصهيونية، لابد من دراسة أبرز مقوماتها، ومعيقاتها، وتطورها التدريجي عبر مراحل تاريخية فاصلة.

أولاً - أبرز مقومات الصناعة الصهيونية في فلسطين ومعيقاتها:

شهدت فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م)، نهضة صناعية كبيرة، حققت معدل نمو أعلى من مثيله في البلدان المجاورة، وظهر ذلك في زيادة عدد المؤسسات الصناعية، وارتفاع الرأسمال المستثمر، ودخول التقنية الآلية بشكل واسع، وبروز فروع صناعية جديدة، إضافة إلى مساهمة المؤسسات الصهيونية، بشكل لافت للنظر، وإسهامها في خدمة المشروع الصهيوني في فلسطين⁽¹⁾. وكان لذلك التقدم الصناعي، عدداً من المقومات التي أسهمت في توسعه وتطوره.

1. مقومات الصناعة الصهيونية:

أ. المواد الخام:

تكاد تخلو فلسطين من المواد الخام الضرورية للصناعة، كالفحم، والحديد، وغيرها من المعادن اللازمة للصناعات، باستثناء بعض الأملاح المعدنية المتوفرة في مياه البحر الميت؛ لذلك كانت الصناعات الصهيونية في البداية صناعات تحويلية، اعتمدت على المحصولات الزراعية بشكل أساس⁽²⁾. ومع بداية الانتداب البريطاني على فلسطين حصل الصهاينة على امتياز باستخدام مياه نهر الأردن مصدراً للطاقة الهيدروكهربائية الرخيصة؛ الأمر الذي وفرّ لصناعاتهم ما تحتاج إليه من الكهرباء، كما حصلوا على امتياز آخر سمح لهم باستغلال الأملاح المعدنية من البحر الميت، من بوتاس وبروم، وغير ذلك، والتي أقيمت عليها صناعة الأسمدة، والمواد الكيماوية⁽³⁾؛ الأمر الذي أسهم في تزايد الإنتاج، حتى أصبح يوفر نصف صادرات فلسطين الصناعية عام 1938م، وبسبب قلة الموارد الطبيعية؛ اعتمدت الصناعات الصهيونية على المواد الخام المستوردة⁽⁴⁾.

ب. الأيدي العاملة:

امتازت الصناعة الصهيونية بتدفق مستمر للعمالة الصهيونية ذات الخبرة من خلال

موجات الهجرة الصهيونية، وكان السواد الأعظم من المستوطنين يعملون بالصناعة في البلدان التي جاءوا منها، وبخاصة الذين قدموا من ألمانيا، حيث حُظر عليهم الخروج بأموالهم؛ فاستبدلوها بألات، ومعدات صناعية حملوها معهم إلى فلسطين، وأنشأوا بها مصانع، قصروا العمل فيها على العمال الصهاينة فقط (5). ومن أبرز الصناعات التي أنشأها الوافدون من ألمانيا: صناعة الجوارب، والحقائب الجلدية، والأسنان الصناعية، كما ضمت الموجة التي بدأت عام 1933م، مجموعة من ذوي المواهب الفاتقة في العلوم، والمهن الحرة، كما وصل عدد من العلماء والأطباء، والمحامين (6).

ت. رأس المال:

اعتمدت الصناعة الصهيونية على تدفق رأس المال الأجنبي إلى فلسطين، مما سمح لها بالتقدم خلال وقت قصير بما تسمح به إمكانيات فلسطين الاقتصادية، فبين عامي 1922 - 1939م، تدفق مبلغ 126 مليون جنيه فلسطيني على الحركة الصهيونية في فلسطين، إلا أن الصناعة الصهيونية نالت جزءاً ضئيلاً لم يتجاوز 11% من رأس المال الداخل (7)، وبينما اتجهت الاستثمارات إلى قطاع البناء، والإسكان، وتطورت الصناعة الصهيونية من خلال تمويل الصناعات المنتجة للسلع الاستهلاكية، وبازدياد عدد المستهلكين، وتوسع حجم السوق الصهيونية، والحاجة إلى السكن، نما النشاط الصناعي الصهيوني (8).

لا يمكن إغفال دور المؤسسات الصهيونية، في توفير التمويل اللازم للصناعة الصهيونية، فقد قام الكيرن هايسود (الصندوق التأسيسي الفلسطيني) (9) بتأمين المال اللازم، وتوفير الضمانات للقروض التي قدمتها مؤسسات التمويل الأخرى كالبنك الأنجلو فلسطيني للصناعة الصهيونية؛ الأمر الذي انعكس على تطوير الصناعة الصهيونية، لا سيما خلال فترة الحرب العالمية الثانية، كما أسهمت الوكالة اليهودية بما نسبته 40% من التمويل الصهيوني الصناعي (10).

وارتفع رأس المال المستثمر في الصناعة الصهيونية من 600.000 جنيه فلسطيني عام 1921م (11)، إلى 5.371.136 جنيهاً فلسطينياً عام 1933م (12).

ث. الأسواق الداخلية والخارجية:

كانت فلسطين - بعدد سكانها البالغ 750 ألف نسمة عام 1922م - تمثل سوقاً محلية محدودة، كما أن السوق المحلية للصناعة الصهيونية كانت أصغر من ذلك بكثير؛ لاقتصارها على المستوطنين الصهاينة، وفي عام 1935م لم يشتر المواطنون العرب الذين كانوا يمثلون (70%) من السكان سوى 10% من الإنتاج الصناعي الصهيوني (13)، ونتيجة لذلك التفت الصهاينة إلى الأسواق العالمية، لتسويق منتجاتهم بها، وقد ساعدتهم

حكومة الانتداب للوصول إلى تلك الأسواق، بعقدتها الاتفاقيات التجارية مع الخارج باسم فلسطين، ومن الأمثلة على ذلك: الاتفاقية التي عقدها حكومة الانتداب مع سوريا عام 1929م، والتي حددت بموجبها البضائع المصدرة لسوريا، وكانت جميعها من إنتاج المصانع الصهيونية في فلسطين⁽¹⁴⁾.

ج. الخبرة الصناعية:

كانت الغالبية العظمى من الوافدين الصهاينة إلى فلسطين، من ذوي المهارات الصناعية، وبخاصة الذين وفدوا في الموجة الخامسة ما بين (1933 - 1938م)، إلى جانب وجود طبقة عمال مهنية مدربة بشكل جيد على الصناعة؛ مما أسهم في تقدم الصناعة⁽¹⁵⁾. كما انتشرت المدارس الصناعية التي قدمت التدريب المهني للصهاينة في فلسطين، ومنها مدرسة ماكس باين (Meax Bean) في تل أبيب، التي ركزت على أعمال ميكانيكا السيارات، والسباكة، وصناعة الأقفال، والنجارة، والمدرسة البحرية في حيفا، التي قدمت دورات في صناعة السفن⁽¹⁶⁾. كذلك أتاح معهد التخنيون⁽¹⁷⁾ الفرصة اللازمة للطلاب للتدريب العملي من خلال أربعة عشر معملًا⁽¹⁸⁾.

ويتضح بذلك أن الصهاينة اهتموا كثيراً بالبحث العلمي وبخاصة في المجال التقني، ووظفوا الخبرات الصناعية لخدمة المشروع الصهيوني.

ح. المواصلات:

ساعد تواجد أرض فلسطين بين ثلاث قارات (آسيا، وأفريقيا، وأوروبا) في أن تكون مركزاً تجارياً عالمياً، ولذلك كان على الذين يضعون الخطط الاقتصادية، حل مشكلة المواصلات، التي تشكل شرطاً أساسياً للتطور الصناعي والتجاري في فلسطين؛ لأن المواصلات تفتح الأسواق الخارجية للصناعات⁽¹⁹⁾؛ فأنشأت عدداً من الطرق التي ربطت بين مدن فلسطين، وبين فلسطين والدول المجاورة.

كما أسهمت طرق المواصلات الداخلية في تنشيط الحركة الصناعية، والتجارية، حيث كانت الحكومة العثمانية قد عملت على تحسين شبكة الطرق البرية في فلسطين؛ لمقتضيات نقل الجيش والعتاد، في الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م). وما أن تسلم الاحتلال البريطاني الحكم في فلسطين عام 1918م، حتى بدأ في إصلاح طرق المواصلات القديمة التي خربتها الحرب، وشق طرق جديدة لخدمة جيوشه، والصهاينة في فلسطين⁽²⁰⁾.

خ. الحماية الجمركية:

لم تكن الصناعة الصهيونية في فلسطين قادرة على الاستمرار، والتطور، دون حمايتها

من الرسوم الجمركية المرتفعة، التي وفرتها لها حكومة الاحتلال البريطاني، فتم إعفاء الآلات، والمواد الخام اللازمة للصناعة الصهيونية من الرسوم الجمركية (21)، فلحماية إنتاج شركة مطاحن فلسطين الكبرى ألغت سلطات الانتداب الرسوم الجمركية على القمح المستورد، وفي الوقت نفسه زادت سلطات الانتداب الضريبة على الدقيق الوارد من الخارج (22)، كما أصدرت حكومة الاحتلال البريطاني بتاريخ 15 آب (أغسطس) 1924م، قانون الرسوم الجمركية، الذي أعفى مواد البناء المستوردة من الخارج كالحديد، والخشب، والقرميد، من الرسوم الجمركية. كما تم إعفاء جميع آلات، ومعدات مصنع نيشنر للأسمنت من رسوم الاستيراد، كما أعفت لوازم الإنتاج مثل الفحم المستخدم في الأفران، والبراميل، والأكياس الورقية من الجمارك (23). وبينما أعفت سلطات الانتداب شركة (عيسيس) الصهيونية لحفظ الثمار والخضراوات من الرسوم الجمركية، فقد رفعت التعرفة الجمركية إلى 25% من قيمة جميع أصناف الطعام الذي تصنعه الشركة محلياً (24). كما أعفت سلطات الانتداب الشركات الصهيونية لصناعات المربي، وعصير الفواكه ومشتقاته من دفع رسوم على السكر المستعمل في الصناعة، وعلى الفاكهة المستوردة (25)، بينما رفعت سلطات الانتداب رسوم الاستيراد على المربي لحماية الشركة الصهيونية (26).

د. الطاقة الكهربائية:

اهتم واضعو الخطط الاقتصادية الصهيونية بدراسة المياه، وذلك لإنتاج الكهرباء، التي بدونها لا يمكن للصناعة أن تتقدم.

تم للصهاينة ما أرادوا، وتحقق سعيهم في عام 1921م، عندما منح هيربرت صموئيل بنحاس روتنبرغ (27) امتيازين، الأول امتياز العوجا بتاريخ 12 أيلول (سبتمبر) 1921م، الذي سمح له بإنتاج الطاقة الكهربائية بواسطة القوة المائية في منطقة يافا، مدة 36 عاماً، أما الامتياز الثاني فكان في منتصف الشهر ذاته (أيلول «سبتمبر») 1921م وهو امتياز نهر الأردن، وروافده الذي سمح بإنتاج الطاقة الكهربائية مدة 70 عاماً، وتوريدها للإنارة، والصناعة، والري، على أن يبدأ العمل بالمشروع في غضون عامين (28).

تمكن الصهاينة من الاستفادة من مشروع روتنبرغ لإنتاج الطاقة الكهربائية، سواء أكان من خلال بناء مستوطنات جديدة على الأراضي الفلسطينية، بعد نزع ملكيتها من أصحابها الفلسطينيين مثل: مستوطنة نهاريم، أم من خلال بناء المصانع التي يتم تشغيلها بقوة الكهرباء؛ وذلك لاستيعاب الوافدين الصهاينة اقتصادياً، بينما حجب عن الفلسطينيين توليد الكهرباء للإنارة، والمقاصد الزراعية والصناعية (29). كما أدى إعفاء المواد والبضائع التي تستوردها شركة الكهرباء الفلسطينية، وإعفاؤها من دفع ضرائب على أرباحها لمدة

طويلة، إلى تدعيم الصناعة الصهيونية⁽³⁰⁾. وتوسيعها وبذلك أصبحت الكهرباء أساس تطور الاقتصاد الصهيوني في فلسطين، من خلال توفيرها لمتطلبات الطاقة، التي سمحت بالتطورات المتسارعة في مناحي الحياة.

2. أبرز المشكلات التي واجهت الصناعة الصهيونية في فلسطين:

عانت الصناعة الصهيونية في فلسطين من مشكلات عدة، يمكن تلخيص أهمها بالآتي:

أ. ظلت الصناعة الصهيونية حتى عام 1922م، صناعة استهلاكية خفيفة غلب على بعض فروعها الطابع المهني، فقد كانت قليلة المواد الخام، اللازمة لتطور الصناعة مثل: النفط، والفحم الحجري والحديد وغير ذلك؛ مما أدى لارتباط تطور الصناعة بالزراعة، واعتمادها على المنتجات الزراعية⁽³¹⁾.

ب. جاء في نتائج الإحصاء الصناعي، الذي تم إجراؤه، وجمعت نتائجه في عام 1927م، أن الصناعة الصهيونية في فلسطين حتى ذلك العام كانت تعاني من مشكلات أبرزها:

- اعتمدت الصناعة بشكل كبير على العمل اليدوي، وكان استخدام الآلات محدوداً، فقد تم إحصاء 815 محركاً، كان نصفها محركات كهربائية.

- معظم المصانع كانت صغيرة، وهي تطوير لورش حرفية.

- استثمار الأموال في الصناعات كان قليلاً، فكان أعلى حد للاستثمار في معظم المصانع يصل إلى 1.000 جنيه فلسطيني، وكان حوالي 1.5% من المصانع يصل حجم الاستثمار فيها إلى 100.000 جنيه⁽³²⁾.

- تركزت معظم المصانع في صناعة المنسوجات، والغذاء، وبلغت نسبة تلك المصانع 50%، وكان يعمل فيها 40% من العاملين في الصناعة آنذاك.

- تطورت الصناعة الجديدة في حيفا، وتل أبيب، أما في باقي المدن فقد كان التطور بطيئاً، وكانت تلك المدن مجرد سوق تجاري لتلك الصناعات⁽³³⁾.

ت. عانت الصناعة الصهيونية في فلسطين من مشكلة ضيق نطاق السوق المحلية الفلسطينية في مجتمع يعتمد على الزراعة⁽³⁴⁾.

ث. كانت بداية الصناعة الصهيونية في فلسطين عبارة عن استثمارات فردية، وكانت الأمور التي تشجع الاستثمارات الفردية قليلة، وبخاصة وأن فلسطين فقيرة في المصادر الطبيعية⁽³⁵⁾. رافق ذلك مشكلة نقص القروض، والدعم المالي طويل المدى، وطالب ممثلو الاتحادات الصناعية، وأصحاب الصناعات بإنشاء بنك صناعي خاص للصناعة؛ لتقديم

القروض للمشروعات الصناعية، لكن مدير «بنك إيفك» عارض الاقتراح، وفي عام 1933م، أقيم بنك للصناعة، وبنطاق مقلص⁽³⁶⁾.

ج. قاطع العرب في فلسطين، المنتجات الصناعية الصهيونية في بعض الأوقات، وكان من نتائج ذلك أن أغلق مصنعان صهيونيان أحدهما للكبريت في حيفا، والآخر للطوب في تل أبيب، واشتدت المقاطعة على إثر ثورة البراق عام 1929م⁽³⁷⁾، وفي عام 1935م لم يشتري العرب في فلسطين، الذين كانوا يشكلون 70% من السكان سوى 10% من الإنتاج الصناعي الصهيوني⁽³⁸⁾، وبلغت المقاطعة ذروتها عام 1936م، حيث تألفت في المدن الفلسطينية، وقرائها لجان لمقاطعة التجارة، والصناعة الصهيونية. وفي عام 1946م، تسببت تلك المقاطعة في تقليص حجم الإنتاج الصناعي للأسواق العربية المجاورة، التي كانت خلال سنوات الحرب العالمية الثانية السوق الاستهلاكي الأول للصناعات الصهيونية⁽³⁹⁾.

ح. ويرى البعض أنه لعدم قدرة السوق المحلية في فلسطين على استيعاب الإنتاج الصناعي الصهيوني، التفت الصهاينة إلى الأسواق الخارجية، وفي السنوات الأولى ركزوا على مصر، وسوريا، إلا أن مصر، وسوريا بدلاً من أن تكونا أسواقاً للصناعة الصهيونية، أصبحتا تصدران إلى فلسطين، من السلع الصناعية أكثر مما تستوردان منها⁽⁴⁰⁾، ففي عام 1937م استوردت فلسطين من مصنوعات مصر، وسوريا بقيمة 750 ألف جنيه فلسطيني، بينما صدرت لهما بقيمة 210 آلاف جنيه فلسطيني فقط⁽⁴¹⁾.

خ. أحد أهم المشكلات المادية التي واجهتها الصناعة الصهيونية في بدايتها: النقص في الإدارة، وضعف الأخذ بالتقنيات الحديثة⁽⁴²⁾، والعجز في إيجاد الصناع المهرة⁽⁴³⁾، إضافة إلى الافتقار إلى موانئ حديثة، كما تعذر توفير وسائل مواصلات، وتسهيلات مرورية ملائمة؛ مما تسبب في زيادة التكاليف على كاهل أرباب الصناعة، الأمر الذي اضطرهم إلى رفع مستوى الاستثمار للتغلب على العقبات المالية التي واجهتهم⁽⁴⁴⁾.

ثانياً - تطور الصناعة الصهيونية في فلسطين (1918-1948 م) :

تطورت الصناعة الصهيونية في فلسطين، - بعد الحرب العالمية الأولى، ووقوعها تحت الاحتلال البريطاني- تطوراً ملموساً، وكان ذلك تمثيلاً مع سياسة الاحتلال التي عملت على تشجيع الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، فقد كان المستوطنون مزودين بالخبرة الصناعية التي اكتسبوها من البلدان التي قدموا منها، وحملوا معهم إلى فلسطين - إضافة لخبرتهم- رأس المال اللازم لإقامة الصناعة نقداً، وعيناً.

1. الصناعة الصهيونية في فلسطين ما بين عامي (1918-1936 م) :

لعبت السنوات العشر الأولى التي تلت الحرب العالمية الأولى، الدور الأهم والأبرز في تاريخ الصناعة، بل الاقتصاد الصهيوني في فلسطين، فعلى الرغم من النقص في التمويل، والدعم الرسمي، والحكومي للصناعة الصهيونية في فلسطين، إلا أنها تطورت بشكل كافي، وليس كمي (45).

تغير وضع الصناعة الصهيونية، مع وصول موجة الهجرة الثالثة (1919 - 1923م) من أبناء الطبقة الوسطى من شرق أوروبا، فانتقلت من صناعة بسيطة إلى صناعة بالمقاييس الحديثة (46)، فتم استيراد الآلات، كما تم البدء باستخدام مولدات كهربائية -تعمل على النفط- في تشغيل عدد من المصانع، و تم تشغيل محطة لتوليد الكهرباء في تل أبيب أشرف عليها بنحاس روتنبرغ عام 1923م (47)، وأسس اتحاد أصحاب الصناعات الصهيونية في يافا (48)، وارتفع عدد المصانع الصهيونية في فلسطين حتى بلغ عام 1921م- حسب الإحصائيات الصهيونية - 1850 مصنعاً (جميعها خاصة)، وقد شغلت 4750 عاملاً (49)، وذلك يعني أن متوسط عدد العاملين في المصنع الواحد 2.5 عامل، وهو ما يتناسب مع المنشأة الصناعية في ذلك الوقت. وبالنظر للمال المستخدم، ولقيمة الإنتاج، يتضح أن من الطبيعي جداً لأي منشأة في عامها الأول ألا تجني أرباحاً، وإن كان هناك ربح فهو قليل.

ارتفع حجم رأس المال المستثمر في الصناعة الصهيونية عام 1923م، إلى 966.548 جنيهاً فلسطينياً (50). ومن أوائل المصانع الصهيونية التي أقيمت خلال تلك الفترة: المطاحن الكبرى في حيفا، ومصنع إنتاج الملح بعثليت (Atlit)، ومصنع إنتاج الفوسفات في البحر الميت، ومصنع (شيمن) لصناعة الزيوت في حيفا، ومصنع (سلكيت) لحجارة البناء في تل أبيب، ومصنع (محتسبوت عثليت) لحجارة البناء، ومصنع (نيشر) للأسمنت في حيفا (51).

ويتضح مما سبق أن الصهاينة ركزوا في تلك الفترة على صناعة الأسمنت، ومواد البناء، والأثاث، وذلك تلبية لحاجة المستوطنين الجدد، الذين كانوا بحاجة لكل شيء تقريباً.

وكانت حيفا المركز الصناعي الأول؛ بسبب وجود الميناء فيها، مع تقاطع السكك الحديدية، فمنذ عام 1928م، تركز فيها 9% من المشروعات الصناعية في فلسطين، و 16% من مجموع العاملين في مجال الصناعة، واستثمر فيها ما يعادل 35% من إجمالي الأموال المستثمرة في قطاع الصناعة الصهيونية في فلسطين (52)، حيث تركز وافدو الموجة الرابعة (1924 - 1931م) من أبناء الطبقة الوسطى في المدن الرئيسية: تل أبيب،

ويافا، والقدس، وحيفا، وقد استثمر الصهاينة أموالهم في مجالات الصناعة، والتجارة، حيث أسست نواة الصناعة الصهيونية فأقيمت مصانع حديثة، مثل: مصنع (عيسى) للمعلبات، ومصنع السجائر في حيفا، و (لودجيا) للنسيج، ومشروع الكهرباء في طبريا، كما تم تشغيل المصانع التي أسست فترة الهجرة الثالثة مثل: مصنع (شيمون) للزيوت، و (نيشر) للأسمت (53).

واحتلت مدينة تل أبيب مركزاً صناعياً بارزاً، فكان تنوع الصناعات فيها الأعلى بين كل المدن، والمراكز الصناعية الصهيونية في فلسطين، حيث اشتملت عام 1918م على 12 منشأة صناعية (54)، وخلال عام 1924م، أقيم فيها لوحدها 61 ورشة مهنية، عمل فيها حوالي 850 عاملاً، وفي عام 1926م بلغ عدد الورش 170 ورشة، عمل فيها 1780 عاملاً، مع العلم أن حوالي 38% من مصانع تل أبيب كانت تستوعب في المتوسط ما بين (4 - 5) عمال، و 60% استوعبت عشرة عمال، و 2% كانت تستوعب في المتوسط 80 عاملاً فأكثر (55).

كما أدى تنوع إنتاج مدينة يافا، إلى جعلها إحدى أكبر المدن الصناعية وأهمها عند الصهاينة في فلسطين، حيث أنتجت عام 1928م، حوالي 22% من مجموع المنتجات الصناعية الصهيونية في فلسطين، وتركز فيها حوالي 30% من إجمالي الأموال الصهيونية المستثمرة في المجال الصناعي في فلسطين (56)، كما شكلت مدينة القدس إحدى المراكز الأولى للصناعة الصهيونية في فلسطين، حيث أنتجت معظم الصناعات المهنية، والحرفية تقريباً، ما عدا الصناعات الكيماوية (57).

عمل في الصناعة الصهيونية عام 1925م، حوالي ثلث جمهور العمال الصهاينة في المدن، وكانت فروعها الرئيسية تشمل صناعة المواد الغذائية، ومواد البناء، وصناعة النسيج، والطباعة، وصناعة الجلود. فقد تقلص عدد العاملين في معظم المصانع إلى ما بين (10 - 15) عاملاً في المصنع؛ وذلك لنقص الطلب في الأسواق الداخلية المحلية، ولنقص الاستثمارات (58)، حيث بدأت تظهر بوادر أزمة اقتصادية ازدادت حدتها عام 1926م، وعلى الرغم من أن الصناعة الأكثر تضرراً كانت صناعة مواد البناء، إلا أن الصناعات الأخرى تضررت، حيث أغلق حوالي 101 مصنع، معظمها تم تأسيسه في عامي (1924 - 1925م)، منها سبعة مصانع للنسيج، كما تم إغلاق 4 مصانع لصناعة خيوط الخياطة كانت قد أنشئت عام 1924م، واستثمر كل واحد منها حوالي 3.000 جنيه مصري، و في مجال صناعة الملابس تم إغلاق، 27 مصنعاً وإفلاسه، استثمرت فيها أموال بقيمة 23.318 جنيهاً مصرياً (59).

وفي فرع صناعة الجلود أغلق 11 مصنعاً، استثمر فيها مبلغ 3.765 جنيهاً مصرياً، وفي مجال صناعة الأخشاب أغلق 23 مصنعاً، استثمر فيها مبلغ 2.260 جنيهاً مصرياً، وفي فرع الطباعة وصناعة الورق تم إغلاق 5 مصانع، وفي مجال صناعة الأغذية والأطعمة تم إغلاق 20 مصنعاً، استثمر فيها مبلغ 39 ألف جنيه مصري، كذلك تم إغلاق ثلاثة مصانع لصنع السجائر⁽⁶⁰⁾.

بلغ عدد العاطلين عن العمل عام 1927م، حوالي 8000 شخص، منهم 7000 في المدن، وحوالي 1000 في المستوطنات، وهو ما شكل حوالي 35% من نسبة القوى العاملة الصهيونية⁽⁶¹⁾.

عظمت الأزمة الاقتصادية في مدينة تل أبيب؛ لاعتمادها على صناعة مواد البناء التي كانت أكثر الصناعات تضرراً، وكانت الأزمة في حيفا أقل؛ لوجود مشروعات صناعية أخرى لا تعتمد على فرع البناء، حيث كان هناك مصنع (شيمن) للزيوت، والمطاحن الكبرى لإنتاج الدقيق، ومحطة الكهرباء، وقد وفرت تلك المشروعات فرص عمل ثابتة للعمال⁽⁶²⁾، وقد تضرر مصنع (نيشر) بسبب تراجع الطلب على الأسمت، فطلبت إدارة المصنع من حكومة الاحتلال البريطاني فرض ضريبة على الأسمت المستورد من الخارج، وفرضت حكومة الاحتلال في عام 1927م، 60 قرشاً على كل طن أسمت مستورد؛ مما دعم مصنع نيشر، وأصبح إنتاجه يقدر بحوالي 72% من إجمالي احتياجات فلسطين عام 1927م، و 88% من احتياجاتها عام 1928م⁽⁶³⁾؛ الأمر الذي يفسر ارتفاع متوسط حجم الاستثمار في حيفا عام 1927م، مقارنة بالمدن الأخرى، حيث بلغ 3.827.000 جنيه فلسطيني، بينما في تل أبيب 2.483.000 جنيه فلسطيني، وفي يافا 1.693.000، وفي القدس 451.000 جنيه فلسطيني⁽⁶⁴⁾.

الصناعة الصهيونية بعد انتهاء الأزمة الاقتصادية:

لم تستمر الأزمة الاقتصادية الصهيونية في فلسطين طويلاً فخلال عام 1927م، بدأت الأزمة بالانفراج حيث قامت حكومة الاحتلال البريطاني بدعم قطاع الخدمات العامة، والاستثمار فيها، كما رافق ذلك حدثان مهمان منحاً الاقتصاد الصهيوني الفرصة للنهوض من جديد، أولهما: كان إصدار العملة المحلية (الجنيه الفلسطيني) بدلاً من الجنيه المصري، وبدء التعامل به، وثانيهما: تقديم القروض للصهاينة من البنوك البريطانية الموجودة في فلسطين⁽⁶⁵⁾، كذلك تم إنشاء عدد من المصانع الجديدة، وزادت نسبة التصدير الصناعي للدول المجاورة من أسمت، وملبوسات، وغذاء؛ مما ساعد على إنعاش الاقتصاد الصهيوني من جديد⁽⁶⁶⁾.

وفي تقرير اتحاد أصحاب الصناعات الصادر في نيسان (أبريل) عام 1928م ورد ما يأتي:

1. زاد عدد العمال في مجال الصناعة عام 1927م، حوالي 1.500 عامل.
2. بلغ إجمالي إنتاج الصناعة الصهيونية في فلسطين عام 1927م، حوالي 1.250.000 جنيه فلسطيني، مقابل 570.000 جنيه عام 1926م.
3. صُدّرت خلال عام 1927م، بضائع بمبلغ 200.000 جنيه فلسطيني، مقابل 40.000 جنيه عام 1926م.
4. عملت معظم المصانع خلال عام 1926م، نصف يوم، وبالمقابل عملت فترتين عام 1927م⁽⁶⁷⁾.

وبحلول عام 1928م، أعلنت حكومة الاحتلال البريطاني حسب إحصاء لها أجري حول الصناعة الصهيونية في فلسطين لعام 1928م، عن وجود 1.098 مصنعاً، عمل فيها 7.386 عاملاً⁽⁶⁸⁾، في حين ذكرت الوكالة اليهودية⁽⁶⁹⁾ أنه كان تحت ملكية الصهاينة 2.265 مصنعاً، استثمر فيها 1.1 مليون جنيه فلسطيني، وعمل فيها 9.529 عاملاً⁽⁷⁰⁾. رغم أحداث ثورة البراق التي نشبت في آب (أغسطس) 1929م، كانت الصناعة الفرع الأهم من ناحية تشغيل الأيدي العاملة، واستثمار الأموال فيها، ومن ناحية العائدات الصافية التي تدخلها على الاقتصاد الصهيوني⁽⁷¹⁾، وحسب معطيات الإحصاء الذي أجرته الوكالة اليهودية على الصناعات الصهيونية، اتضح أن عدد المصانع بلغ عام 1929م (2.475) مصنعاً وورشة، كان منها 160 مصنعاً، 464 ورشة حرفية، 1.851 ورشة صناعات صغيرة، وقد بلغ عدد العاملين فيها 10.968 عاملاً، ووصل إجمالي الأموال المستثمرة فيها 2,235,000 جنيه فلسطيني، وبلغت قيمة الإنتاج السنوي 2.510.000 جنيه فلسطيني⁽⁷²⁾.

ولقد تركزت المصانع الصهيونية خلال عام (1929م) في مدينتي تل أبيب وحيفا⁽⁷³⁾. وبحلول عام 1933م تطورت الصناعة الصهيونية في فلسطين بشكل لافت للانتباه، وكان العامل الأبرز الذي أسهم في ذلك، هو صعود النازية إلى الحكم في ألمانيا عام 1933م؛ الأمر الذي قاد إلى هجرة صهيونية من ألمانيا إلى فلسطين، كان معظم أفرادها من أصحاب رأس المال، وأصحاب الخبرات العالية؛ مما أعطى الصناعة الصهيونية دعماً على صعيدي رأس المال والخبرات⁽⁷⁴⁾، فبلغ عدد المنشآت الصناعية 3.388 منشأة، وعدد

العاملين فيها 19.595 عاملاً، وبلغ حجم رأس المال المستثمر فيها 5.371.136 جنيهاً فلسطينياً⁽⁷⁵⁾، وبلغت قيمة منتجاتها 5.352.497 جنيهاً فلسطينياً⁽⁷⁶⁾.

أدت اتفاقية النقل (هاغافارا)⁽⁷⁷⁾ التي وقعتا الحركة الصهيونية مع النازية الألمانية عام 1933م، دوراً بارزاً في استقطاب الوافدين الصهاينة إلى فلسطين، كما أسهمت الإجراءات البريطانية التي رافقت صعود النازية، والتي سمحت بدخول السياح الصهاينة إلى فلسطين وبشكل استثنائي، فدخل ما بين (1933 - 1935م) حوالي 10,300 سائح، ولم يغادروها⁽⁷⁸⁾، إضافة إلى تدفق رؤوس الأموال، فبلغ دخل فلسطين عن طريق البنوك الألمانية بصورة رسمية تنفيذاً لاتفاقية هاغافارا ما بين (1933 - 1936م) ما قيمته 4.7 مليون جنيه فلسطيني، أو ما يعادل 81 مليون مارك ألماني، عدا عن أموال الصهاينة الألمان الواردة من غير ذلك الطريق الرسمي، وعدا الأموال الواردة من مصادر أخرى⁽⁷⁹⁾.

رافق ذلك تغير في وجهات نظر قيادات الاستيطان الصهيوني في فلسطين، وقيادات الحركة الصهيونية في الخارج حول الصناعة، وبدأ التوجه العملي لدعم الصناعة الصهيونية في فلسطين، حيث تبين لهم أن استيعاب الوافدين الجدد في المجال الصناعي، له تكلفة أقل من استيعابهم في الزراعة، وقد ذكر ديفيد هورويتش⁽⁸⁰⁾: «إن الزراعة تحتاج إلى مبالغ كبيرة من الأموال لدعمها، لكنها لا تجذب رؤوس الأموال الشخصية للاستثمار فيها»⁽⁸¹⁾.

وتبعاً لذلك ارتفعت قيمة الآلات المستوردة من 134.888 جنيهاً عام 1927م إلى 991.892 جنيهاً عام 1935م، التي كانت سنة الذروة من سنوات العمل باتفاقية هاغافارا⁽⁸²⁾. ويؤكد ذلك ما أوضحه تقرير اللجنة الدائمة للانتداب، المرفوع إلى مجلس عصبة الأمم عام 1936م، الذي أكد أن الوضع الاقتصادي في فلسطين تقدم كثيراً عام 1935م، إذ أنشئت مصانع صهيونية جديدة خلال العام متعددة المجالات الإنتاجية⁽⁸³⁾، حتى بلغ عددها 4.050 مصنعاً، ووصل عدد العاملين فيها 20.700 عامل⁽⁸⁴⁾.

يتضح مما سبق أن المقومات الأساسية اللازمة لنشاط الصناعة توفرت لدى الصهاينة في فلسطين، إلا أن الأحداث السياسية، والأزمات الاقتصادية التي مر بها الاقتصاد الصهيوني في بعض الأوقات، أثرت وبشكل واضح على تطور الصناعة فيها، فبينما بدأت الصناعة الصهيونية بالنهوض والتقدم بعد الحرب العالمية الأولى، تراجع خلال عام 1926م؛ بسبب الأزمة الاقتصادية التي مر بها الصهاينة في فلسطين في ذلك الوقت، إلا أنها عادت للنهوض مع وصول موجة الهجرة الخامسة، وقدم الصهاينة من ألمانيا، بعد توقيع اتفاقية هاغافارا عام 1933م⁽⁸⁵⁾.

ساعدت رؤوس الأموال التي وصلت إلى فلسطين بموجب العمل باتفاقية هاعفارا على تقدم مختلف الصناعات، فمع زيادة أعداد الوافدين الصهاينة إلى فلسطين، ارتفع حجم الطلب على المنتجات الصناعية المحلية، والأساسية، ومن بين الصناعات التي أسست وتطورت خلال تلك الفترة: صناعة الحديد، وصناعة المواد الغذائية، وصناعة الأحذية، والبلاط، والأثاث المنزلي، والألعاب، وأدوات التجميل، والأدوات الكهربائية، وصناعة النسيج، وصناعة البويات، وصناعة المطاط، وصناعة مواد البناء⁽⁸⁶⁾، غير أن الإسهام الأبرز لأولئك المهاجرين كان في صناعة المواد الكيماوية، وبخاصة الأدوية⁽⁸⁷⁾.

كما أقيمت مصانع ضخمة لصناعة الأدوات الصحية، والمشغولات المعدنية، إضافة لبدء العمل على إنشاء مصافي البترول في حيفا⁽⁸⁸⁾، مع وصول خط أنابيب النفط العراقي عام 1935م؛ فأصبح الحصول على الوقود ميسوراً، سواء أكان للصناعات التي كانت موجودة، وكانت تعتمد على الفحم، والقليل من الطاقة الكهربائية التي وفرها مشروع روتنبرغ، أم الصناعات الجديدة⁽⁸⁹⁾.

2. الصناعة الصهيونية في فلسطين ما بين (1936 - 1939 م) :

أثرت الثورة الفلسطينية الكبرى التي اندلعت ما بين 1936 - 1939م على تطور الصناعة، وقد ظهر التأثير واضحاً في انخفاض رؤوس الأموال المستثمرة فيها، وانخفاض قيمة الواردات الصهيونية من الآلات الصناعية، كما انخفضت قيمة المواد الأولية المستخدمة في الصناعة الصهيونية من 1,322,846 جنيهاً فلسطينياً عام 1935م، إلى 971,813 جنيهاً عام 1937م⁽⁹⁰⁾.

كما انخفض عدد الوافدين الصهاينة إلى فلسطين⁽⁹¹⁾؛ فتراجعت صناعة البناء الصهيونية المقترنة بالهجرة، وهبط معدل المساحة المخصصة لبناء البنايات المرخصة في المدن الأربع الرئيسية: القدس، ويافا، وتل أبيب، وحيفا، من 101,192 متراً مربعاً عام 1935م، إلى 61,507 متر مربع عام 1936م، وإلى 48,115 متراً مربعاً عام 1937م⁽⁹²⁾. وكان من نتائج ذلك أن هبط الطلب على الصناعات التي تنتج عن البناء، فقد هبط إنتاج الصناعات المعدنية؛ مما اضطر أكبر مصنع لصنع الأدوات المعدنية، وهو معمل فلسطين للسبك والأدوات المعدنية إلى وقف الإنتاج⁽⁹³⁾.

إلا أن النشاط الصناعي ارتفع من جديد عام 1937م، حيث بلغ عدد المصانع الصهيونية 5,612 مصنعة، وعدد العمال 30,186 عاملاً⁽⁹⁴⁾، وبلغ حجم رأس المال المستثمر 4,700,000 جنيه فلسطيني⁽⁹⁵⁾، وبلغت قيمة الإنتاج للعام نفسه حوالي 9,909,000 جنيه فلسطيني⁽⁹⁶⁾. وليس أدل على تقدم الصناعة الصهيونية في ذلك

العام من ارتفاع حجم استهلاك الكهرباء من 6,576,000 كيلو واط عام 1933م، إلى 28,324,000 كيلو واط عام 1937م⁽⁹⁷⁾. فبسبب خبرات الصهاينة القادمين من ألمانيا، وكفاءاتهم، ورؤوس الأموال الفردية التي أحضروها معهم، زاد عدد المنتجات، وتم إضافة أنواع من الصناعات الكيماوية، وصناعة الآلات، والسيارات، والنسيج، والمعلبات⁽⁹⁸⁾، وأوضحت مذكرة للوكالة اليهودية أن المراكز الرئيسية للتنمية الصناعية الصهيونية في فلسطين خلال عام 1937م، كانت موجودة في تل أبيب، وحيفا⁽⁹⁹⁾.

يتبين أن قطاع الصناعة تأثر كثيراً بتراجع حرفة البناء، لكن عدداً من الظروف أسهمت في إعادة النشاط لذلك القطاع، وبخاصة الإمكانيات المادية والعلمية والتقنية التي امتلكها الصهاينة الوافدون من ألمانيا.

إلا أن الاهتمام بإنشاء مصانع جديدة تزايد بصفة خاصة منذ خريف عام 1938م، ذلك أن الأحداث السياسية في تشيكوسلوفاكيا⁽¹⁰⁰⁾، والنمسا⁽¹⁰¹⁾ آنئذ اضطرت عدداً من رجال الصناعة، وخبرائها من الصهاينة هناك إلى البحث عن مجال لنشاطهم الصناعي في فلسطين، فقد تلقت إدارة الصناعة والتجارة التابعة للوكالة اليهودية في فترة تقل عن تسعة أشهر نحو ألف طلب، واقتراح يتعلق بإنشاء مصانع جديدة في فلسطين، وقد تمكن عدد من مقدمي تلك الطلبات من الاستثمار في فلسطين، وعاد مجال الإنتاج الصناعي للالتساع من جديد⁽¹⁰²⁾.

وبذلك يتضح أن الحركة الصهيونية استغلت الظروف الضاغطة على التجمعات اليهودية في أماكن تواجدها كافة لخدمة المشروع الصهيوني.

من ناحية أخرى سعت الوكالة اليهودية لمعالجة الأزمة التي منيت بها الصناعة الصهيونية في فلسطين خلال الثورة الفلسطينية (1936 - 1939م)، فأنشأت بالاشتراك مع بنك إنجلوفلسطين Anglopalestine مصرفاً خاصاً، لمساعدة صغار الحرفيين الصهاينة، ومدّهم بالقروض اللازمة لاستمرار بقائهم، كما أنشأت إدارة خاصة بالصناعة، وأكلت إليها القيام بإعداد الدراسات اللازمة للمشروعات الصناعية الجديدة، ومتابعة تنفيذها. وعلاوة على ذلك، قامت بافتتاح عدد من مراكز التدريب الصناعي في فلسطين؛ من أجل إعداد شباب اليبشوف للمهن، وبخاصة الصناعات غير الموجودة في فلسطين⁽¹⁰³⁾.

يتبين مما سبق أن المرحلة الأولى من الثورة أثرت بشكل واضح على الاقتصاد الصهيوني، ومنه الصناعة، لكن أحداثاً خارجية كالتطورات في تشيكوسلوفاكيا والنمسا أعادت للصناعة الصهيونية وزنها، وبخاصة مع بدء تراجع قوة الثورة عام 1938م.

3. الصناعة الصهيونية في فلسطين ما بين (1939 - 1945 م) :

ساعدت الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945م) في دفع عجلة الصناعة الصهيونية إلى طريق التطور، وذلك لما فرضته ظروف الحرب من زيادة الطلب على السلع المحلية سواء أكان من السكان في فلسطين، أم من القوات البريطانية التي تواجدت في فلسطين خلال فترة الحرب، كما كان لتدفق رؤوس الأموال الصهيونية الفردية على فلسطين من جديد أثره على الصناعة، حيث تم استيراد مزيد من الآلات الصناعية من الخارج، وذلك إما لتجديد مصانع قائمة، أو لإنشاء مصانع جديدة⁽¹⁰⁴⁾.

إلى جانب عدد كبير من الآلات التي تم استيرادها بموجب (اتفاقية هعفار) ما بين (1933 - 1939م)، والتي كانت تفوق مستلزمات ذلك الوقت، فأصبحت احتياطاً استراتيجياً للتوسع الصناعي الذي وقع خلال الحرب العالمية الثانية⁽¹⁰⁵⁾. فالتوقف المطلق للاستيراد من الخارج في أثناء الحرب، تسبب في زيادة الحاجة للاعتماد على البضائع والسلع المصنعة محلياً، كما زاد من حجم الإنتاج المحلي في فلسطين، حيث تطلب الأمر إيجاد حلول، وبدائل للمنتجات التي كان يتم استيرادها من الخارج، ومن الأمثلة على ذلك: مصانع صناعة أدوات العمل كالمقارح، والمخارط، والمكابس، وما شابه ذلك التي لم تكن منتشرة قبل الحرب، إلا أنها أصبحت عام 1939م، من أهم مجالات الصناعة الصهيونية في فلسطين حيث أصبح لديهم 40 مصنعاً لصناعة أدوات العمل⁽¹⁰⁶⁾.

إلا أن الازدهار لم يبدأ مع اندلاع الحرب عام 1939م، ففي العام الأول من الحرب ارتفعت الأسعار، وانتشر الاحتكار؛ مما اضطر الحكومة البريطانية إلى فرض رقابة على الأسعار للقضاء على التضخم المالي⁽¹⁰⁷⁾. وفي العام التالي (1940م) كان لدى الصهاينة في فلسطين حوالي 26 ألف عاطل عن العمل، ولكن خلال فترة الحرب ارتفع عدد العمال الذين يعملون في القطاع الصناعي من الصهاينة من 36 ألف عامل عام 1939م، إلى 60 ألف عامل⁽¹⁰⁸⁾ عام 1945م، وبالتالي ارتفعت نسبتهم من 19% من إجمالي عدد العمال الصهاينة في فلسطين عام 1939م، إلى 29% عام 1945م⁽¹⁰⁹⁾. وللتغلب على نقص الأيدي العاملة في بعض الأوقات، كان يتم نقل العمال من فرع البناء، والحمضيات للعمل في فروع الصناعة المختلفة⁽¹¹⁰⁾.

وبينما أسهمت الصناعة الصهيونية بحوالي 80% من إجمالي ناتج فلسطين الصناعي عام 1939م، ارتفعت النسبة إلى 85% خلال السنوات الأخرى من الحرب العالمية الثانية⁽¹¹¹⁾.

أنشئ بتاريخ 25 / 2 / 1941م - وبدعم من حكومة الانتداب البريطاني - «مجلس

المؤن الحربي البريطاني»، الذي عمل على توجيه طلبيات الجيش البريطاني كافة إلى الصناعة الصهيونية، من خلال مكتبه الذي أقيم في مدينة القدس، وكان معظم موظفيه من الصهاينة؛ الأمر الذي دفع اتحاد أرباب الصناعة الصهيونية في فلسطين، لإقامة مكتب خاص للارتباط بمجلس المؤن الحربي، وبالسلطات العسكرية البريطانية (112). ولتلبية الطلبات المقدمة من مجلس المؤن الحربي، تم إعداد طبقة من المهنيين، والصناع المحترفين، عملت على ثلاث فترات في اليوم، وفق جداول محددة: لإنتاج الطلبات (113).

كانت الاستثمارات في قطاع الصناعة الصهيونية خلال سنوات الحرب بواسطة الأموال الصهيونية الشخصية، وليس بواسطة المؤسسات الصهيونية، الأمر الذي أسهم في تطور، قوة الطبقة الرأسمالية الصناعية الصهيونية وزيادتها، في حين استثمرت الشركات، والمؤسسات الصهيونية أموالها في الامتيازات، كشركة الكهرباء، وشركة الفوسفات، كما شاركت في تقديم القروض للصناعة، وإدارة المفاوضات مع السلطات البريطانية لإنجاز بعض الموافقات على مطالب الصناعيين، وإيقاف استيراد البضائع المنافسة، وتخفيض الضرائب (114).

تم إنشاء حوالي 500 مصنع جديد خلال سنوات الحرب، وتركز 60% من الصناعات الصهيونية فترة الحرب في مدينة تل أبيب، وفي حين كانت صناعة البناء هي الفرع الاقتصادي الأهم في المدينة قبل الحرب، فقد تنوعت الصناعات فترة الحرب، فأقيم فيها مصانع كبرى مثل: مصنع (أثا)، ومصنع (فلكن)، ومصنع (مفجر)، وبقيت مدينة القدس على حالها، ولم تتطور؛ بسبب نقص المياه فيها، وصعوبة المواصلات، وظلت تعتمد على الطباعة، وبعض الصناعات البسيطة في مجال الملابس، والأحذية (115). وتطورت مدينة حيفا، بشكل سريع وقت الحرب، وتركزت فيها الصناعات الكيماوية، وصناعة الزيوت، وصناعة الحديد؛ بسبب الحركة التجارية النشطة فيها، وقربها من الميناء (116).

إن ما ميز تطور الصناعة الصهيونية في فلسطين لم يكن بالتحديد ارتباطها بالمجهود الحربي للجيش البريطاني فترة الحرب، وإن لعب الدور الأبرز، حيث سمح بتنوع المنتجات والصناعات؛ مما تسبب في إحراز كثير من الإنجازات (117). لكن ما ميزها هو تطور صناعات حديثة، وكبيرة لم يكن لها قاعدة، أو أساس قبل الحرب (118)، وكان أهمها: صناعة الحديد التي تركزت في صناعة السيارات، والآلات الزراعية، وآلات المصانع، وصناعة الأخشاب، والأدوية، والأجهزة الطبية، والمأكولات وبخاصة المعلبات، والمجوهرات، والألماس، والورق، والكرتون، والكيماويات كصناعة الأسمدة الكيماوية، وصناعة الزجاج، والصناعات البلاستيكية، والأدوات الكهربائية، والصناعات العسكرية وتشمل: الذخيرة والألغام المطلوبة للجبهة الحربية (119)، ولم يكن ذلك ممكن الحدوث لولا

وجود الخبراء الصناعيين، الذين وفدوا من أوروبا لفلسطين فترة الهجرة الخامسة، ووجود طبقة عمال مهنية مدربة بشكل جيد على الصناعة⁽¹²⁰⁾.

شكلت الصناعة الصهيونية في تلك الفترة 85% من إجمالي حجم الصناعة في فلسطين، وتم وضع 35% من حجم الإنتاج لخدمة القوات العسكرية البريطانية، وتم استثمار 10.095.000 جنيه فلسطيني في ذلك المجال⁽¹²¹⁾. وفي فترة الذروة (عام 1943م)، وصل عدد المصانع الكبيرة في فلسطين إلى 2.300 مصنع إضافة إلى المصانع العادية، ووصل حجم الأموال المستثمرة فيها إلى 40 مليون جنيه فلسطيني⁽¹²²⁾.

تميز عام 1944م بالحد من التطور الصناعي، وتقلص الإنتاج والتصدير، حيث بدأ معدل الاحتياجات العسكرية بالهبوط، فقلّ عدد العمال، وعدد أيام العمل، فبدأت تظهر المخاوف في أوساط الصناعيين من اختفاء الازدهار الصناعي مع انتهاء الحرب، لكن النصف الأخير من العام ذاته شهد استقراراً في الوضع الاقتصادي؛ بسبب انتقال العمال من مجال الصناعات العسكرية، إلى مجالات التصنيع المدني كالملابس، والأغذية⁽¹²³⁾.

وفي عام 1945م، توقف الإنتاج العسكري تماماً، حيث قلص مجلس المؤن العسكري طلبياته إلى الحد الأدنى، واقتصرت ذلك على صناعة الأغذية فقط، وظهرت بعض المخاوف من جديد، من أن يتم إغراق فلسطين بالبضائع الرخيصة بعد الحرب، لكن تلك المخاوف سرعان ما تبددت عندما تبين أن السوق الأوروبية المدمرة لن تستطيع إغراق فلسطين بالبضائع بعد الحرب، كذلك أدى رفع الرقابة عن الأسعار التي فرضت في وقت الحرب، وإمكانية استيراد المواد الخام من الخارج إلى تحسن ظروف الصناعة الصهيونية، وساعدها على الانتقال إلى فترة السلم⁽¹²⁴⁾.

أما التصدير الذي توقف بشكل كبير للبلاد التي كان يتواجد فيها الجيش البريطاني، فقد تحول إلى دول أخرى مثل: تركيا، وسوريا، ولبنان، فشركة التجارة الخارجية فتحت آفاقاً جديدة للعلاقات التجارية مع دول أخرى، لم تتعامل معها فترة الحرب، فعادت مبيعات الشركة للازدياد، حتى وصل حجم مبيعاتها في نهاية عام 1945م، إلى 842.600 جنيه فلسطيني⁽¹²⁵⁾.

يتضح مما سبق أن الحركة الصهيونية استغلت الحرب العالمية الثانية بشكل كبير، حيث الحاجة البريطانية لكثير من المنتوجات قريباً من عملياتها في الشرق الأدنى والأوسط، بعيداً عن عمليات النقل من أوروبا أو شرق آسيا، إضافة إلى توقف مصانعها في بريطانيا؛ بسبب العمليات العسكرية ضدها. وقد استفاد الصهاينة من ذلك كثيراً في تطوير صناعاتهم في فلسطين.

4. الصناعة الصهيونية في فلسطين ما بين (1945 - 1948 م) :

أدى انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى تضرر عدد من الصناعات الصهيونية، وبخاصة المتعلق منها بخدمة الأهداف العسكرية البريطانية، وكان التصور أن مستقبل الصناعة الصهيونية في فلسطين يجب أن يسير في خطوط ثلاثة، هي:

- اعتماد الإنتاج على المواد الخام المتوفرة في فلسطين، والبلاد المجاورة.
- دعم الصناعة المبنية على المهارة العلمية حيث الاستيعاب أكثر احتمالاً مع ضآلة تكاليف المواد الخام بالمقارنة بقيمة المنتج، مثل: الكيماويات، والصيدليات، والملابس الجاهزة، وغيرها.
- الاهتمام بالصناعات التي تعتمد على المواد الخام ذات الوزن الخفيف، والحجم المتضائل، كالفراء والماس وغيرها؛ لأن تلك الصناعات لا تتأثر بالمسافة بين مصدر المواد الخام، ومراكز التصنيع.

وكان التخطيط يرمي إلى تخطي الفجوة بين الانتقال بالاقتصاد من مرحلة الحرب إلى آفاق حياة السلام⁽¹²⁶⁾.

حدث هبوط في الصناعة الصهيونية في النصف الأول من عام 1946م؛ بسبب زيادة حجم تشغيل الطاقة الكهربائية؛ وتراجع صناعة النسيج، نتيجة لانفتاح السوق المحلية على البضائع الخارجية، فمع انتهاء الحرب، فُتحت الطرق البحرية على أوروبا؛ ففتحت الأسواق الأوروبية من جديد⁽¹²⁷⁾.

ورغم تضرر عدد من الصناعات وبخاصة صناعة الحديد، التي قل الطلب عليها؛ لأنها كانت تستخدم لأغراض عسكرية حربية، إلا أن الطلب زاد على صناعات أخرى، بانتهاء الحرب كالبناء، والمتعلقة بالحمضيات، فكان النمو بهما يساوي 18% عام 1946م، و28% عام 1947م، وصناعة القطن، والألماس⁽¹²⁸⁾. وتدفقت رؤوس الأموال من جديد من دول أوروبا⁽¹²⁹⁾؛ مما سمح باستيعاب الأعداد الكبيرة من الأيدي العاملة سواء أكان من الوافدين الجدد، الذين قدر عددهم ما بين (15 - 20) ألف مهاجر، أم من الجنود المسرحين من الجيش البريطاني بعد الحرب، والذين قُدّر عددهم بحوالي 27.000 مجند⁽¹³⁰⁾، حتى بلغ عدد العاملين في مجال الصناعة عام 1947م، ما يزيد عن سبعين ألف شخص⁽¹³¹⁾، وبلغ حجم الإنتاج 45 مليون جنيه فلسطيني⁽¹³²⁾.

كان فرع البناء المجال المتصاعد في النمو والازدهار، بعد فترة الجمود في أثناء

الحرب، فعادت نسبة الاستثمار في مجال صناعة مواد البناء إلى ذروتها (133) ، فقد استثمرت عشرة ملايين جنيه عام 1946م، حققت إنجازاً تمثل في بناء ثمانية عشر ألف حجرة في القطاع الصهيوني في الريف، والحضر (134).

وزادت نسبة الاستثمار في صناعة الحديد، في إنتاج السيارات، والأدوات الحديدية التي تحسن إنتاجها (135). كما قام الصهاينة بإنشاء ورش صيانة للعربات المعطوبة التابعة للجيش البريطاني، إضافة إلى محلات بيع قطع الغيار، والأدوات العلمية التي انتشرت لأول مرة في فلسطين (136).

كما ظهرت صناعات جديدة تلائم اتجاه الصناعة في ذلك الوقت -الذي اتجه نحو السلام- تمثلت في مصانع المنتجات الكيميائية، ومصانع للصبغة، كما تطورت صناعة الغزل، وإنتاج حامض الكبريتيك، وغير ذلك، تحقيقاً لسياسة الاكتفاء الذاتي المعتمدة على المنتج محلياً (137).

يُستنتج مما سبق أن الصناعة الصهيونية الحديثة قد تأسست خلال سنوات العشرينيات، وازدهرت وتطورت خلال الثلاثينيات، حتى أصبحت قادرة على إمداد الجيش البريطاني خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945م) ، بمعظم احتياجاته من الصناعات المختلفة، وبعد انتهاء الحرب حاولت الصناعة الصهيونية التركيز على الصناعات التي تلائم مرحلة السلام.

خاتمة:

توصل الباحثان إلى عدد من النتائج، أهمها:

1. لعبت السنوات العشر الأولى التي تلت الحرب العالمية الأولى، الدور الأهم والأبرز في تاريخ الصناعة الصهيونية في فلسطين، فعلى الرغم من النقص في التمويل، والدعم الرسمي، والحكومي للصناعة الصهيونية في فلسطين، إلا أنها تطورت بشكل كافي، وليس كميّاً.

2. احتلت مدينة تل أبيب المركز الصناعي الأبرز، فكان تنوع الصناعات فيها هو الأعلى بين كل المدن، والمراكز الصناعية الصهيونية في فلسطين.

3. أرسى الوافدون الصهاينة الألمان، أسس الصناعة الحديثة المتطورة عند الصهاينة في فلسطين، حيث أحضروا رؤوس أموالهم (بموجب اتفاقية هعفارا عام 1933م، بين ألمانيا النازية والحركة الصهيونية) ، على شكل آلات، ومعدات صناعية.

4. استغلت الحركة الصهيونية مرحلة الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945م) ، لتطوير صناعاتها المختلفة، حيث أمرت جيوش الحلفاء، ودول الشرق الأوسط بالصناعات المختلفة.

5. واجهت الصناعة الصهيونية مشكلات عدة، كان أبرزها قلة المواد الخام، والمواد الأولية الطبيعية كالنفط، والفحم الحجري، والحديد؛ مما أدى لارتباط تطور الصناعة بالزراعة واعتمادها على المنتجات الزراعية، كما عانت الصناعات الصهيونية من مشكلة ضيق السوق المحلية الفلسطينية، في مجتمع يعتمد على الزراعة.

الهوامش:

1. طربين، أحمد: فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، ص 1107.
2. الجندي، إبراهيم: سياسة الانتداب البريطاني، ص 147.
3. الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 130.
4. بونيه: أرض إسرائيل (عبري)، ص 171.
5. الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 130 - 131.
6. أبو النمل، حسين: الاقتصاد الإسرائيلي، ص 390: ياسين، السيد: الاستعمار الاستيطاني، ج 1، ص 237.
7. ميركورد، كين: الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الأجنبي، ص 107.
8. ياسين، السيد: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ج 1، ص 239.
9. أسس عام 1920م: ليكون الذراع المالي للمنظمة الصهيونية، تم للوكالة اليهودية عام 1929م، لتمويل إنشاء «الوطن القومي اليهودي» خاصة فيما يتعلق بمجالات الهجرة والاستيطان، وخلق الظروف الملائمة للعمل الصناعي والزراعي، وإيجاد التسهيلات للتعليم، وإنشاء ودعم مؤسسات العمل السياسي، وإنماء المدن والقيام بالمشروعات. (ياسين، السيد: الاستعمار الاستيطاني، ج 1، ص 282).
10. بسيسو، فؤاد: الاقتصاد العربي في فلسطين، ص 680.
11. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 38.
12. حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي، ص 309.
13. ميركورد، كين: الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الأجنبي، ص 105.
14. الجندي، إبراهيم: سياسة الانتداب البريطاني، ص 149 - 150.
15. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 78.
16. Palestine, Inc: A study of Jewish, Vol. 2, P. 702.
17. أول معهد تقني للصهاينة في فلسطين، أسس عام 1912م، في حيفا بهدف رعاية الدراسات العلمية، والتكنولوجية لدى الصهاينة في فلسطين، وتطوير المستوطنات الصهيونية. (Jewish Virtual Library: Technion, www. israel. org).
18. Mathew, Rodric and Akrawi, Matta: Education in Arab countries, P. 295.

19. جرير، أبراهام: في حقول البناء (عبري)، ص 56.
20. طربين، أحمد: فلسطين في عهد الانتداب، ص 135.
21. البديري، هند: أراضي فلسطين، ص 360.
22. للمزيد حول استيراد القمح انظر: مرسوم (تنظيم) استيراد الحبوب والزيوت، مجموعة قوانين فلسطين، ج 3، ص 1986.
23. قانون الرسوم الجمركية، مجموعة قوانين فلسطين، ج 1، ص 631، 658.
24. الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 92؛ طربين، أحمد: فلسطين في عهد الانتداب، ص 1109 - 1110.
25. للمزيد حول نظام استيراد السكر انظر: نظام استيراد السكر، مجموعة قوانين فلسطين، ج 3، ص 1994.
26. بسيسو، فؤاد: الاقتصاد العربي، ص 685؛ طربين، أحمد: فلسطين في عهد الانتداب، ص 1109.
27. زعيم صهيوني ولد في روسيا عام 1879م، مؤسس شركة الكهرباء الصهيونية في فلسطين، صاحب الشخصية المركزية الأكثر تأثيراً في اليشوف اليهودي، خلال مرحلة الانتداب البريطاني. (عيلام، يغال: ألف يهودي في التاريخ الحديث، ص 467).
28. قانون امتيازات الكهرباء، مجموعة قوانين فلسطين، ج 1، ص 708.
29. جوتمن، يهوشع وآخرون: الموسوعة العبرية (أرض إسرائيل) (عبري)، ج 6، ص 920 - 923.
30. الهنيدي، سحر: التأسيس البريطاني، ص 258؛ النحال، محمد: سياسة الانتداب البريطاني، ص 88.
31. سعد، أحمد: التطور الاقتصادي في فلسطين، ص 70؛ جلبر، يوآف: وطن جديد (هجرة يهود مركز أوروبا) (عبري)، ص 398.
32. جوزنسكي، تمار: تطور الراسمالية في فلسطين (عبري)، ص 112 - 113.
33. جوزنسكي، تمار: تطور الراسمالية في فلسطين (عبري)، ص 114.
34. سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 70.
35. جردس، ناحوم: الديمغرافية والاقتصاد (المبادرات الاقتصادية فترة الانتداب البريطاني) (عبري)، ص 295.

36. أهروني، يئير: الاقتصاد والسياسة في إسرائيل (عبري)، ص 165.
37. الجندي، إبراهيم: سياسة الانتداب البريطاني، ص 151 - 152.
38. ميركورد، كين: الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الأجنبي، ص 105.
39. إلا أن تلك المقاطعة، لم تحقق أهدافها في القضاء على الاقتصاد الصهيوني في فلسطين، كما أن هناك مجالات صناعية كاملة لم تكن مرتبطة بجمهورية العرب بتاتا مثل: الخمر. (بركائي، حاييم: الأيام الأولى للاقتصاد الإسرائيلي (عبري)، ص 15؛ جوتمن، يهوشع وآخرون: الموسوعة العبرية (أرض إسرائيل) (عبري)، ج6، ص 901).
40. الجندي، إبراهيم: سياسة الانتداب البريطاني، ص 149.
41. العجز في الميزان التجاري لم يكن سلبياً؛ لأن جزءاً كبيراً من البضائع المستوردة كانت تستخدم في مجال الصناعة، صحيح أن التصدير قل مقابل الاستيراد لكن حجم السوق المحلية تضاعف، وتضاعفت معه القدرة الشرائية لسكان الاستيطان الصهيوني في فلسطين. (ميركورد، كين: الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الأجنبي، ص 105؛ برومكين، هشل: الهجرة والتطور على طريق الدولة (عبري)، ص 140).
42. ناوور، مردخاي، جلعاوي، دان: أرض إسرائيل في القرن العشرين (عبري)، ص 160.
43. غلب على مهاجري الموجة الثالثة قدوم العناصر الشابة، والانتماء إلى حركة الطليعة التي كانت تقوم بتدريب الشباب على الأعمال التي سيقومون بها في فلسطين، في حين غلب على مهاجري الموجة الرابعة انتمائهم إلى الطبقة الوسطى (تجار، وصناع). (ياسين، السيد: الاستعمار الاستيطاني، ج1، ص 159؛ تسحور، زئيف: جذور السياسة الإسرائيلية (عبري)، ص 58).
- Rosenberg, Mitchell: The story of Zionism, P. 105).
44. Ronall, Joachimo: Industrialization in the middle east, P. 258.
45. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 36.
46. لدور، يسحاق: استيطاننا في البلاد شكله وتاريخه 1870 - 1952 (عبري)، ص 85؛ الشريف، ماهر: تاريخ فلسطين، ص 136.
47. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 36؛ الجندي، إبراهيم: سياسة الانتداب، ص 135.
48. أُسس في يافا عام 1921م، لخلق نقابة للعاملين في مجال الصناعة، وفي عام 1922م، أعلن ذلك الاتحاد عن نفسه كاتحاد إقليمي لأصحاب الصناعات في فلسطين، ووافق

المؤتمر الصهيوني الثالث عشر في أغسطس (آب) 1923م، وافق على المساهمة بمبلغ 100.000 جنيه مصري، بشرط أن يقدم أصحاب الصناعات في فلسطين مبلغاً موازياً من أجل إنشاء البنك، لكن البنك أقيم بمساعدة صهاينة أمريكا. (دروري، يجائيل: بداية المنظمات الاقتصادية في أرض إسرائيل (عبري) ص 100 - 105).

49. زمين، يهشوع: من حب صهيون إلى أرض إسرائيل (عبري)، ص 60؛ لدور، يسحاق: استيطاننا في البلاد شكله وتاريخه (عبري)، ص 86؛ أهروني، يئير: الاقتصاد والسياسة (عبري)، ص 162؛ بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 38؛ Ben Porat, Amir: Between class and nation, P. 55.

50. أورد محمد عبد الرؤوف سليم أن عدد المصانع الصهيونية بلغ عام 1923م (276) مصنعا، وفي رواية أخرى (293) مصنعا، استوعبت 2231 عاملاً، وبلغ حجم رأس المال المستثمر فيها 966,548 جنيه فلسطيني، وتتساءل الباحثة هنا هل كان بإمكان المنشآت الصناعية في عام 1923م أن تستوعب المنشأة الواحدة ما يقرب من ثمانية عمال لو افترضنا أن عدد المصانع 276 مصنعا، وكذلك 7.6 عامل لو افترضنا أن عددها 293 مصنعا. (سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 429: الصناعة اليهودية في فلسطين، ص 84).

51. لدور، يسحاق: استيطاننا في البلاد شكله وتاريخه (عبري)، ص 85؛ بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 38.

52. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 38؛ بغير، جدعون: البنية الصناعية (عبري)، ص 83.

53. لدور، يسحاق: استيطاننا في البلاد شكله وتاريخه (عبري)، ص 85؛ ناوور، مردخاي، جلعادي، دان: أرض إسرائيل في القرن العشرين (عبري)، ص 160.

54. الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 13.

55. كرشنايوم، شمشون: تاريخ إسرائيل (عبري)، ص 122.

56. بغير، جدعون: البنية الصناعية لمدن أرض إسرائيل (عبري)، ص 92.

57. بغير، جدعون: البنية الصناعية لمدن أرض إسرائيل (عبري)، ص 87 - 88.

58. ناوور، مردخاي، جلعادي، دان: أرض إسرائيل في القرن العشرين (عبري)، ص 160.

59. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 50 - 51.

60. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 51 - 52.

61. برومكين، هشل: الهجرة والتطور على طريق الدولة (عبري)، ص 110.
62. كرشنابوم، شمشون: تاريخ إسرائيل في الفترات الأخيرة (عبري)، ص 122.
63. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 52.
64. جوزنسكي، تمار: تطور الرأسمالية في فلسطين (عبري)، ص 115.
65. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 52.
66. ناوور، مردخاي، جلعادي، دان: أرض إسرائيل في القرن العشرين (عبري)، ص 210.
67. برومكين، هشل: الهجرة والتطور على طريق الدولة (عبري)، ص 112.
68. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 53؛ فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل (عبري)، ص 12.
69. هناك فرق بين الإحصائيات التابعة لحكومة الانتداب، وإحصائيات الوكالة اليهودية بالنسبة للصناعات، وإحصائيات الوكالة تشمل المحلات الصناعية، والحرف اليدوية، ومحلات القبعات، ومحلات التصليح، والكراجات، ومحلات غسل الملابس، والحلاقة، وغيرها، بينما اقتصرت إحصائيات حكومة الاحتلال البريطاني على المصانع ومحلات الصناعة التي تنتج سلعا جاهزة للبيع. (الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 90).
70. فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل (عبري)، ص 12.
71. جلعادي، دان: الاستيطان العبري فترة الهجرة الرابعة (عبري)، ص 206.
72. Palestine, Inc: A study of Jewish Vol. 2, P. 696; Ronall, Joachimo: Indus-trialization in the middle east, P. 258; Ben Porat, Amir: Between class and Nation, P. 55.
73. سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 429.
74. النقيب، فضل: اقتصاد إسرائيل على مشارف القرن الحادي والعشرين، ص 46.
75. حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي في فلسطين، ص 309.
76. أربل، نفتالي وآخرون: ازدهار وأحداث دموية (عبري)، ص 122؛ حوراني، فيصل: جذور الرفض الفلسطيني، ص 69؛ أبو النمل، حسين: الاقتصاد الإسرائيلي، ص 43 - 44؛ Palestine, Inc: A study of Jewish, Vol. 2, P. 696.
77. وقّعت بين قادة الحركة الصهيونية، وقادة النازية في نيسان (أبريل) عام 1933م،

وكان لها أثرٌ كبير في تطور الاقتصاد الصهيوني، حيث نصت على عدم السماح للصهاينة الألمان المهاجرين إلى فلسطين، بحمل ثرواتهم النقدية معهم، باستثناء ما قيمته ألف جنيه فلسطيني، على أن ترسل بقية أموالهم على هيئة بضائع ألمانية إلى فلسطين من خلال مكاتب هعفارار. (سلمان، سلمان: ألمانيا النازية و القضية الفلسطينية، ص 94 - 95).

78. جريس، صبري: تاريخ الصهيونية، ج2، ص 118.
79. جريس، صبري: تاريخ الصهيونية، ج2، ص 273.
80. ديفيد هورويتش: (1899 - 1999م) اقتصادي، محافظ بنك إسرائيل، وصل لفلسطين عام 1920م، وبين عامي (1935 - 1948م) أصبح مسؤول القسم الاقتصادي في الوكالة اليهودية، وكان عضو وفد الوكالة اليهودية إلى مجلس الأمن الدولي لمناقشة قرار تقسيم فلسطين عام 1947م. (عيلام، يغال: ألف يهودي في التاريخ الحديث، ص 170 - 171).
81. فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل (عبري)، ص 12.
82. حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي، ص 321 - 322.
83. سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 430.
84. جوتمن، يهوشع وآخرون: الموسوعة العبرية (أرض إسرائيل) (عبري)، ج6، ص 900.
85. جلبر، يوآف: وطن جديد (عبري)، ص 398 - 399.
86. فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل (عبري)، ص 13؛ جلبر، يوآف: وطن جديد (عبري)، ص 400 - 402.
87. جلبر، يوآف: وطن جديد (عبري)، ص 403.
88. Ronall, Joachimo: Industrialization in the middle east, P. 260.
89. الجندي، إبراهيم: سياسة الانتداب البريطاني، ص 134 - 135.
90. أبو النمل، حسين: الاقتصاد الإسرائيلي، ص 42؛ حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي، ص 322؛ الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 119.
91. خلال أحداث الثورة وتحديداً في تموز (يوليو) 1937م، أصدرت حكومة الانتداب قانون الهجرة المعدل رقم 33 لعام 1937م، وبموجبه وضعت القيود على الهجرة الصهيونية المتدفقة إلى فلسطين، وتبعاً لذلك انخفض عدد الصهاينة الوافدين إلى فلسطين من

61.854 مهاجراً عام 1935م، إلى 10,536 مهاجراً عام 1938م. (الوقائع الفلسطينية، عدد 736، 11 تشرين ثانٍ (نوفمبر) 1937م، ص 10).

92. الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 119.

93. حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي، ص 356.

94. سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 431.

95. أورد البعض أن عدد المنشآت الصناعية بلغ عام 1937م حوالي 1,556 منشأة، وبلغ عدد العاملين فيها 21,964 عاملاً، وبلغ حجم رأس المال المستثمر 11,063,970 جنيهاً فلسطينياً، وبلغت قيمة الإنتاج للعام نفسه 7,891,940 جنيهاً فلسطينياً. (جوتمن، يهوشع وآخرون: الموسوعة العبرية (أرض إسرائيل) (عبري)، ج6، ص 901).

96. زمين، يهشوع: من حب صهيون (عبري)، ص 61؛ فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل (عبري)، ص 13؛

Palestine, Inc: A study of Jewish Arab and British policies, Vol. 2, P. 696.

97. أورد حمادة أن حجم الاستهلاك من الكهرباء عام 1937م بلغ 20,314,114 كيلو وات، وعلل الزيادة الكبيرة في الاستهلاك عامي 1936م و1937م بأن المحلات الصناعية كانت تستبدل القوة الكهربائية المولدة في المحلات نفسها بقوة كهربائية مشتراه من الشركة. (حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي في فلسطين، ص 322).

98. كرشنابوم، شمشون: تاريخ إسرائيل في الفترات الأخيرة (عبري)، ص 123؛ جوتمن، يهوشع وآخرون: الموسوعة العبرية (أرض إسرائيل) (عبري)، ج6، ص 900.

99. سليم، محمد: الصناعة اليهودية في فلسطين، ص 84.

100. تطلعت الأقلية الألمانية في تشيكوسلوفاكيا عام 1935م، لدولة ألمانية تضمها إليها، خاصة بعد أن عرفت المناطق الصناعية (حيث توجد تلك الأقلية) تحولات كبيرة، وكذلك مع صعود نجم هتلر، وقام كونراد هانيلين بتأسيس حزب السوديت الألمان، الذي فاز بالمرتبة الثانية في انتخابات عام 1935م، فتضاعف الضغط النازي على الحياة السياسية التشيكوسلوفاكية، وفي 23 نيسان (أبريل) 1938م، أذاع كونراد هانيلين بيانات تضمنت مطالبة ألمان السوديت الانضمام إلى الرايخ، ولم يقبل بينين (حاكم تشيكوسلوفاكيا)، في بادئ الأمر لكنه في 4 أيلول (سبتمبر) 1938م، رضخ لطلب الألمان، فأعلن هتلر ضم المناطق المتاخمة لبلاده إلى الرايخ. (الكياي، عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، ج1، ص 752).

101. دخلت القوات الألمانية إلى النمسا في 11 آذار (مارس) 1938م، وأصبحت الوحدة بينهما أمراً واقعاً منذ يوم 13 آذار (مارس) من العام ذاته، واستمرت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م، حيث احتلتها قوات الحلفاء، وقسمتها إلى أربع مناطق نفوذ. (الكيالي، عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، ج6، ص 616).
102. سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 433.
103. الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 119 - 120.
104. الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين، ص 120.
105. Ronall, Joachimo: Industrialization in the middle east, P. 260.
106. فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل (عبري)، ص 15.
107. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 67.
108. في بعض الروايات بلغ عددهم 66 ألف عامل عام 1945م. (طهوب، فائق: الحركة العمالية والنقابية في فلسطين، ص 185).
109. كرشنابوم، شمشون: تاريخ إسرائيل في الفترات الأخيرة (عبري)، ص 124: جردس، ناحوم: السياسة الاقتصادية (عبري)، ص 160.
110. جوزنسكي، تمار: تطور الرأسمالية في فلسطين (عبري)، ص 123.
111. ميركورد، كين: الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الأجنبي، ص 103؛ سليم، محمد: الصناعة اليهودية في فلسطين في عهد الانتداب، ص 68 - 69.
112. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 77.
113. جردس، ناحوم: السياسة الاقتصادية للسلطات البريطانية الانتدابية (عبري)، ص 165؛ ناوور، مردخاي، جلعادي، دان: أرض إسرائيل في القرن العشرين (عبري)، ص 377.
114. جوزنسكي، تمار: تطور الرأسمالية في فلسطين (عبري)، ص 131.
115. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 69.
116. أربل، نفتالي وآخرون: أرض ملجأ مقفلة (عبري)، ص 70.
117. فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل (عبري)، ص 14 - 15؛ أهروني، يئير: الاقتصاد والسياسة (عبري)، ص 166.
118. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري)، ص 79.

119. Lucas, Noah: the modern history of Israel, P. 120- 121; Ronall, Joa-
chiom: Industrialization the middle east, P. 260.
120. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري) ، ص 78؛ سليم، محمد: نشاط الوكالة
اليهودية، ص 434.
121. الشريف، ماهر: تاريخ فلسطين، ص 141.
122. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري) ، ص 69.
123. Polk, William, and others.: Back Drop to Tragedy (The struggle for Pal-
estine) , P. 188.
124. فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل (عبري) ، ص 15.
125. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية (عبري) ، ص 84.
126. سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 440.
127. بركائي، حاييم: أيام بداية الاقتصاد الإسرائيلي (عبري) ، ص 15.
128. بركائي، حاييم: أيام بداية الاقتصاد الإسرائيلي (عبري) ، ص 16.
129. أبو النمل، حسين: الاقتصاد الإسرائيلي، ص 39.
130. بركائي، حاييم: أيام بداية الاقتصاد الإسرائيلي (عبري) ، ص 16.
131. أبو النمل، حسين: الاقتصاد الإسرائيلي، ص 43.
132. زمين، يهشوع: من حب صهيون (عبري) ، ص 61.
133. أربل، نفتالي وآخرون: أرض ملجأ مقفلة (عبري) ، ص 68.
134. سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 441.
135. أربل، نفتالي وآخرون: أرض ملجأ مقفلة (عبري) ، ص 67 – 68.
136. Polk, William and others: Back Drop to Tragedy (The struggle for Pal-
estine) , P. 188.
137. سليم، محمد: نشاط الوكالة اليهودية، ص 441.

المصادر والمراجع:

أولاً- الوثائق:

1. جريدة الوقائع الفلسطينية، ع 736، 11 تشرين ثانٍ (نوفمبر) 1937م.
2. حكومة فلسطين: مجموعة قوانين فلسطين، ج 3، قانون استيراد الحبوب والزيوت.
3. حكومة فلسطين: مجموعة قوانين فلسطين، ج 3، قانون نظام استيراد السكر.
4. حكومة فلسطين: مجموعة قوانين فلسطين، ج 1، قانون امتيازات الكهرباء.
5. حكومة فلسطين: مجموعة قوانين فلسطين، ج 1، قانون الرسوم الجمركية.

ثانياً- الموسوعات العلمية:

1. بسيسو، فؤاد: الاقتصاد العربي في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني (1920 - 1948م)، الموسوعة الفلسطينية، ق 2، ج 1، بيروت، ط 1، 1990م.
2. طربين، أحمد: فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، الموسوعة الفلسطينية، ق 2، ج 2، بيروت، ط 1، 1990م.
3. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 1989م.

ثالثاً- المراجع العربية:

1. البديري، هند: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، جامعة الدول العربية، القاهرة 1998م.
2. جريس، صبري: تاريخ الصهيونية 1918 - 1939، ج 2، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، نيقوسيا، 1986م.
3. الجندي، إبراهيم: الصناعة في فلسطين إبان الانتداب البريطاني، دار الكرمل، عمان، ط 1، 1986م.
4. سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية في فلسطين (1922 - 1939م)، منشورات دار الكرمل، عمان، ط 1، 1986م.

5. حمادة، سعيد: النظام الاقتصادي في فلسطين، المطبعة الأمريكية، بيروت، ط1، 1939م.
6. حوراني، فيصل: جذور الرفض الفلسطيني (1918 - 1948م)، شرق برسد، نيقوسيا، ط1، 1990م.
7. سعد، أحمد: التطور الاقتصادي في فلسطين، دار الاتحاد للطباعة والنشر، حيفا، ط1، 1985م.
8. سليم، محمد عبد الرؤوف: نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل 1922 - 1948م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1982م.
9. الشريف، ماهر: تاريخ فلسطين الاقتصادي والاجتماعي، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1985م.
10. طهوب، فائق: الحركة العمالية والنقابية في فلسطين 1920 - 1948م، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط1، 1982م.
11. النقيب، فضل: اقتصاد إسرائيل على مشارف القرن الحادي والعشرين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 2001م.
12. أبو النمل، حسين: الاقتصاد الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1988م.
13. النحال، محمد: سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية، دار الكرمل، بيروت، ط2، 1981م.
14. ياسين، السيد: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين 1882 - 1948م، ج1، معهد البحوث والدراسات العربية، د. ط، 1975م.

رابعاً المراجع الأجنبية المترجمة:

1. عيلا، يغال: ألف يهودي في التاريخ الحديث، عدنان أبو عامر (ترجمة)، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ط1، 2006م.
2. الهندي، سحر: التأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي (فترة هربرت صموئيل 1920 - 1925م)، عبد الفتاح الصبحي (ترجمة)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 2003م.

خامساً. الدوريات العربية:

1. سلمان، سلمان: ألمانيا النازية والقضية الفلسطينية، شؤون فلسطينية، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ع31، آذار (مارس) 1974م.
2. سليم، محمد عبد الرؤوف: الصناعة اليهودية في فلسطين في عهد الانتداب، شؤون فلسطينية، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ع96، تشرين ثانٍ (نوفمبر) 1922 -
3. ميركورد، كين: الصناعة اليهودية واعتمادها على رأس المال الأجنبي (1922 - 1939م) ، شؤون فلسطينية، ع 17، كانون ثانٍ (يناير) 1973م.

سادساً. المراجع الأجنبية:

1. Ben Porat, Amir: *Between class and Nation (The formation of the Jewish working class in the period before israel's)* , Green wood press, New York, 1986.
2. Lucas, Noah: *The modern history of Israel*, Praeger, New York, 1975.
3. Mathew, Rodric and Akrawi, Matta: *Education in Arab countries of the Near East*, American Council on education, Washington, DC, 1949.
4. *Palestine, Inc.: A study of Jewish, Arab and British policies*, Vol. 1, 2, Yale University, New Haven, 1947.
5. Polk, William and Others: *Back drop to tragedy (The struggle for Palestine)* , Beacon pres, Boston, 1957.
6. Ronall, Joachimo: *Industrialization in the Middle East*, Council for Middle Eastern, Affairs press, New York, 1960.
7. Rosenberg, Mitchell: *the story of Zionism*, Aludwig Lewisohn, Bloch publishing company, New York city, 1946.

مقالات إلكترونية:

1. *Jewish Virtual Library: Technion*, www.us-Israel.org.

سابعاً. المصادر الأجنبية العبرية:

أ. الرسائل الجامعية:

1. جلعادي، دان: الاستيطان العبري فترة الهجرة الرابعة (1924 - 1929م) ، دراسة اقتصادية سياسية، رسالة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة العبرية، القدس، 1968م.

ب. الموسوعات العبرية والمعاجم:

1. أربل، نفتالي وآخرون: أرض ملجأ مقفلة (1939 - 1947م) ، موسوعة الفترات الكبرى في تاريخ أرض إسرائيل، ج7، رفيفيم، 1981م.
2. ازدهار وأحداث دموية (1929 - 1939م) ، موسوعة الفترات الكبرى في تاريخ أرض إسرائيل، ج6، رفيفيم، 1981م.
3. جردس، ناحوم: الديمغرافية والاقتصاد (المبادرات الاقتصادية فترة الانتداب البريطاني) ، موسوعة يهودية زماننا، ج6، ماجنس، القدس، 1980م.
4. جوتمن، يهوشع وآخرون: الموسوعة العبرية (أرض إسرائيل) عامة، يهودية، أرض إسرائيلية، ج6، حفرا، القدس، 1980م.

ت. المراجع العبرية:

1. أهروني، يئير: الاقتصاد والسياسة في إسرائيل، إصدار الجامعة العبرية، القدس، 1991م.
2. بركائي، حاييم: الأيام الأولى للاقتصاد الإسرائيلي، مؤسسة بيالك، القدس، 1995م.
3. أيام بداية الاقتصاد الإسرائيلي، مؤسسة بيالك، القدس، 1990م.
4. برومكين، هشل: الهجرة والتطور على طريق الدولة، إصدار التربية والتعليم، تل أبيب، 1971م.
5. بونيه: أرض إسرائيل.. الاقتصاد والأرض، دبير، تل أبيب، 1989م.
6. بيلين، يوسي: جذور الصناعة العبرية، القدس، 1987م.
7. تسحور، زئيف: جذور السياسة الإسرائيلية، الكيبوتس الموحد، جامعة بن غوريون (النقب)، 1987م.
8. جرزر، أبراهام: في حقول البناء، مؤسسة بيالك، القدس، 1990م.

9. جلبر، يوآف: وطن جديد (هجرة يهود مركز أوروبا واستيعابهم 1933 - 1948م) ، يد يتسحاك بن تسفي، القدس، 1990م.
10. جوزنسكي، تمار: تطور الرأسمالية في فلسطين، مشاريع جامعية (حيفا - إسرائيل) ، 1986م.
11. زمين، يهشوع: من حب صهيون إلى دولة إسرائيل، مراحل بناء البلاد (1882 - 1951م) ، معهد الثقافة، القدس، د. ت.
12. فلبر، موشيه: الصناعة في إسرائيل، القدس، 1996م.
13. كرشنابوم، شمشون: تاريخ إسرائيل في الفترات الأخيرة، إصدار ميشلاف، معهد الثقافة الإسرائيلي، هرتسليا، 1982م.
14. لدور، يسحاك: استيطاننا في البلاد شكله وتاريخه (1870 - 1952م) ، إصدارات أوفك، تل أبيب، 1952م.
15. ناوور، مردخاي، جلعادي، دان: أرض إسرائيل في القرن العشرين (من الاستيطان إلى الدولة 1900 - 1950م) ، وزارة الدفاع، تل أبيب، 1990م.

ث. الدوريات العبرية:

1. بغير، جدعون: البنية الصناعية لمدن أرض إسرائيل في بداية فترة الانتداب، مجلة كتدر التاريخ أرض إسرائيل واستيطانها، ع 29، يد يتسحاك بن تسفي، القدس، 1983م.
2. جردس، ناحوم: السياسة الاقتصادية للسلطات البريطانية الانتدابية، مجلة كتدرا التاريخ أرض إسرائيل واستيطانها، ع 24، يد يتسحاك بن تسفي، القدس، 1982م.
3. دروري، يجائيل: بداية المنظمات الاقتصادية في أرض إسرائيل في سنوات العشرينيات، مجلة كتدر التاريخ أرض إسرائيل واستيطانها، ع 25، يد يتسحاك بن تسفي، القدس، 1982م.

حركة التجارة والحجاج في ميناء جدة 1340-1341 هـ / 1922-1923 م دراسة وثائقية *

د. جبر محمد الخطيب **
د. ثابت غازي العمري ***

* تاريخ التسليم: 28 / 6 / 2014م، تاريخ القبول: 3 / 11 / 2014م.
** أستاذ مساعد/ قسم التاريخ/ جامعة اليرموك/ الأردن.
*** أستاذ مساعد/ قسم التاريخ/ جامعة اليرموك/ الأردن.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع التجارة، وحركة الحجاج في ميناء جدة خلال عامي (1340 - 1341 هـ / 1922 - 1923 م)، وذلك كونه أحد الموانئ المهمة على البحر الأحمر، والميناء الرئيس لمكة المكرمة. كان الميناء يستقبل الحجاج القادمين عن طريق البحر، والبضائع المستوردة من مختلف دول العالم لتلبية حاجات أهل الحجاز والحجاج، وكان الفائض منها يعاد تصديره للخارج، وبذلك شهد الميناء حركة نشطة في فترة الدراسة. اعتمدت الدراسة على الوثائق البريطانية المنشورة التي رصدت حركة الميناء، وقدمت معلومات مفصلة ودقيقة عن أعداد الحجاج، وأماكن توافدهم، والبضائع وأماكن قدومها، إضافة إلى الموانئ التي ارتبطت بالميناء.

Trade and Hajj Movement in Jeddah Seaport During 1922-1923 Documentary study

Abstract:

The aim of this study is to analyze the trade patterns in Jeddah port during the year 1340- 1341 AH/ 1922- 1923 AD. The port was one of the important ports on the Red Sea at that time. It received pilgrims and goods coming by the sea to Mecca and its surroundings. It was the main port of Mecca and was the end point of so many goods coming from various countries to meet the needs of the region, and the surplus goods were re- exported through it. Thus, Jeddah port was a busy port at that time deserving such study. This paper used the British documents who monitored the port. These documents provided detailed information about the number of pilgrims, from where they are, where the goods come from, and the links with other ports.

مقدمة:

تعود أهمية ميناء جدة إلى عصور ما قبل الإسلام، واستمر النشاط التجاري فيه إلى العهود اللاحقة وحتى يومنا هذا، وتشير المصادر الإسلامية إلى أن الميناء كان من أهم الموانئ على البحر الأحمر، وأزدهر بشكل كبير كونه الميناء الرئيس لمكة المكرمة، والبوابة البحرية الرئيسية التي يدخل منها الحجاج والزائرون إلى الأماكن المقدسة في الحجاز.

وزادت الأهمية بضرورة توفير السلع والبضائع التي كان يتطلبها زيادة عدد الحجاج إلى الأماكن المقدسة، وحاجات سكانه. وقد أدى ذلك إلى حركة تجارية بحرية شبه عالمية في الميناء، وأخذت السفن والمراكب من دول عديدة تعمل إما على شحن البضائع والسلع ونقلها إليه أو نقل البضائع المعروضة فيه وشحنها، وسواء أكان ذلك من إنتاج أهل المنطقة أم المناطق المجاورة أم شراء الفائض من الواردات، وبيعها في مناطق أخرى من العالم.

جاءت هذه لدراسة لتسليط الضوء على النشاط الاقتصادي، وحركة الحجاج في ميناء جدة خلال عامي 1922 - 1923م، وذلك بعد قيام مملكة الحجاز وانفصالها عن الدولة العثمانية⁽¹⁾، وهي فترة مهمة في تاريخ الميناء لأنها أعقبت الحرب العالمية الأولى التي عانى الميناء خلالها من الحصار البريطاني منذ بداياتها مما أدى إلى توقف حركة التجارة ونقل الحجاج في عام 1915م. وقد ظل الميناء متضررا في أثناء قيام الثورة العربية الكبرى، وما تبعه انفصال الميناء عن الدولة العثمانية، ولم يعد النشاط بشكل كلي كما كان قبل الحرب⁽²⁾، وإنما بشكل تدريجي حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918م.

اعتمدت الدراسة بشكل أساس على الوثائق البريطانية المنشورة في سلسلة مجلدات تحمل اسم يوميات جدة (The Jeddah Diaries) وهي مجموعة كبيرة من التقارير التي أعدّها المسؤولون البريطانيون الملحقون بميناء جدة من قبل إدارة الانتداب البريطاني على مصر، ومقرها القاهرة، وتعود أهميتها لاحتوائها على معلومات دقيقة ومنظمة عن إقليم الحجاز بعامة وجدة بخاصة. وقد شملت التقارير الجوانب السياسية والاقتصادية في الفترة 1919 - 1940م، ولأن فترة الدراسة 1922 - 1923م فقد تم الاستفادة بالدرجة الأولى من الجزء الثاني كونها فترة الدراسة. وقد تم قراءة التقارير المتعلقة بحركتي الحجاج والبضائع وما يتعلق بهما، وقراءة الجداول والأرقام المرفقة بالأيام والشهور والعمل على دراستها وتحليلها وإخراجها بقالب يتمكن من خلالها القارئ الاستفادة، وتكوين معرفة قيمة عن الميناء خلال تلك الفترة.

أولا - ميناء جدة:

يقع ميناء جدة في إقليم الحجاز على السهل الساحلي الشرقي للبحر الأحمر، وهو أقرب ميناء لمكة المكرمة، ويقع على خط عرض 21 - 30 درجة شمالا، وخط طول 11 - 39 درجة شرقا.

ظهرت أهمية الميناء في عهد الخليفة عثمان بن عفان في سنة 26هـ / 646م⁽³⁾. وازدهر الميناء خلال تعاقب الدول الإسلامية وبخاصة في العصر المملوكي⁽⁴⁾. ثم في العصر العثماني حتى قيام الحرب العالمية الأولى، وشهد فترة ركود خلال بدايات الحرب بسبب توقف قدوم الحجاج نظرا للمخاطر التي كانوا يتعرضون لها⁽⁵⁾. وعاد الميناء إلى نشاطه بعد أن انفصل إقليم الحجاز عن الدولة العثمانية عام 1334هـ / 1916م. وبشكل تدريجي عاد الميناء إلى نشاطه الطبيعي كما كان سابقا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى 1336هـ / 1918م في استقبال الحجاج والبضائع، وهو ما لاحظناه من خلال جريدة القبلية التي رصدت في تلك الفترة حركة الملاحة التجارية، ونقل الحجاج في ميناء جدة. فقد رصدت وبشكل دقيق ومفصل وعلى مدار أسبوعي تلك الأنشطة، وقامت بنشرها على صفحاتها خلال صدورها يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع⁽⁶⁾.

ثانيا - الحجاج:

احتوت تقارير "يوميات جدة" على معلومات دقيقة، جاءت على شكل جداول وإحصائيات رقمية لعدد الحجاج والمعتمرين القادمين إلى الديار المقدسة عن طريق البحر الأحمر إلى ميناء جدة، والبيانات الإحصائية في الجدول رقم (1)، والرسم البياني رقم (2) يشيران إلى تذبذب عدد الحجاج خلال فترة الدراسة⁽⁷⁾.

ويظهر الجدول ارتفاعا في عدد الحجاج خلال العام 1341هـ / 1923م مقارنة بالعام الذي سبقه، فبلغ عدد الحجاج عام 1340هـ / 1922م ما يقارب (101208) حاجا ومعتمرا⁽⁸⁾، وارتفع العدد في العام 1341هـ / 1923م فبلغ حوالي (117653) حاجا ومعتمرا⁽⁹⁾، بزيادة بلغت حوالي (16445) أو بنسبة 16% وهذا مؤشر طبيعي لزيادة عدد الحجاج، ويعطينا مؤشرا على أن الحج خلال فترة الدراسة كان آمنا، من الناحية الصحية والأمنية⁽¹⁰⁾، وبالعكس بعض السنوات التي تأثر فيها بالأحداث السياسية، فقد قلت أعداد الحجاج خلال فترة الحرب العالمية الأولى بسبب انعدام الأمن، وعدم توفر وسائل للنقل⁽¹¹⁾، كذلك تأثر الحج في عام 1337هـ / 1919م، إثر النزاع بين الحجاز ونجد⁽¹²⁾.

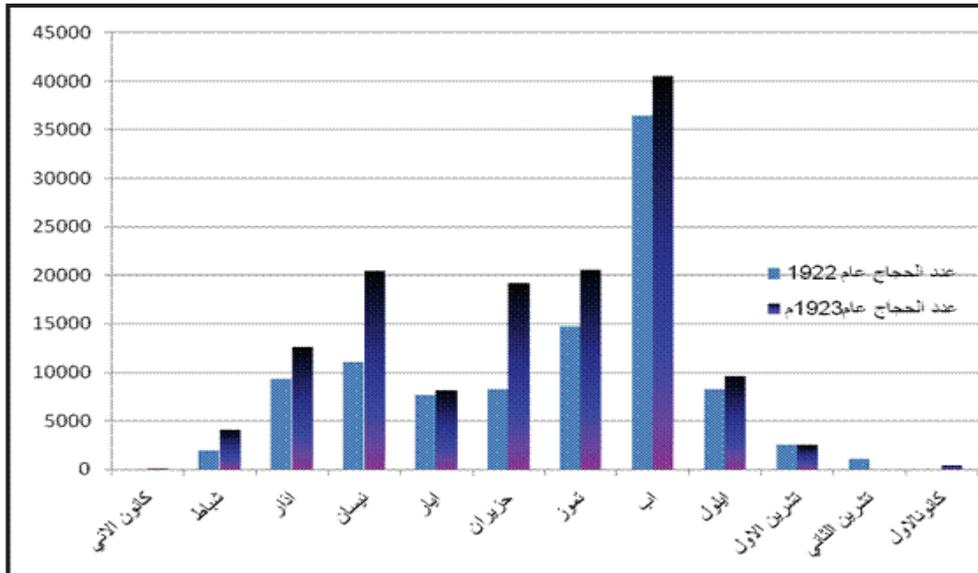
الجدول (1)

عدد الحجاج القادمين عن طريق البحر الأحمر إلى ميناء جدة (13) .

النسبة المئوية	الزيادة/ النقصان	السنة 1923 /1341	السنة 1922 /1340	الشهر
%100	117 +	117	-	كانون الثاني
% 115	2198 +	4108	1910	شباط
% 36	3360 +	12629	9269	آذار
% 85	9437 +	20461	11024	نيسان
% 5	425 +	8130	7705	أيار
% 132	10926 +	19166	8240	حزيران
% 39	5415 +	20576	14761	تموز
% 11	4084 +	40511	36427	آب
% 15	1296 +	9575	8279	أيلول
% 1	39 +	2522	2483	تشرين الأول
%100 -	1110 -	-	1110	تشرين الثاني
%100	374 +	374	-	كانون الأول
% 16	16445 +	117653	101208	المجموع

الجدول (2)

رسم بياني أعداد الحجاج القادمين إلى ميناء جدة (14) .



يعطينا الجدول السابق والرسم البياني مؤشرا على إقبال المسلمين من دول المغرب العربي ومصر، والسودان، وإريتريا، وعدن، والبصرة، وشرق آسيا، على زيارة الأماكن المقدسة عن طريق البحر عبر ميناء جدة، كما نلاحظ عدم وجود للحجاج والمعتمرين خلال شهر كانون الثاني، وكانون الأول، من العام 1340هـ / 1922م، وكذلك انخفاض العدد في الأشهر نفسها من العام 1341هـ / 1923م، والسبب في ذلك هو انتهاء موسم الحج وعودة الحجاج إلى ديارهم، زد على ذلك قيام حكومة الحجاز بالإجراءات الصحية في الأماكن المقدسة.

ومع أن الحج يأتي في شهر ذي الحجة من كل سنة هجرية، غير أننا نقرأ في التقرير عن استمرار توافد الحجاج إلى الأماكن المقدسة على مدار العام، باستثناء شهري كانون الأول وكانون الثاني من العام 1340هـ / 1922م اللذين لم يسجل فيهما أي حركة للحجاج (15) ، وانخفاض أعداد الحجاج في الأشهر نفسها من العام 1341هـ / 1923م، ما يؤكد أن القناصل البريطانيين لم يكونوا يفرقون - وهم يوثقون حركة الملاحة البحرية في ميناء جدة - بين الحجاج القادمين لتأدية مناسك الحج وبين القادمين لتأدية مناسك العمرة، معتبرين أولئك جميعا حجاجا.

كما نلاحظ ارتفاع عدد الحجاج خلال فترة الدراسة في بداية موسم الحج في شهري ذي القعدة وأوائل ذي الحجة، فقد بلغ عدد الحجاج في شهر ذي القعدة من العام 1340هـ / 1922م حوالي (14,761) حاجا، وزاد العدد في العام التالي من الشهر نفسه حوالي (20,576) حاجا بزيادة بلغت حوالي (5415) حاجا، أو ما نسبته 39%. وبلغ عدد الحجاج في شهر ذي الحجة / 1340هـ / آب 1922م حوالي (36,427) حاج، وشهد ارتفاعاً في العام التالي من الشهر نفسه فبلغ حوالي (40,511) حاج بزيادة بلغت حوالي (4084) حاج بنسبة 11% (16)، ولا غرابة في ذلك، لأن هذا الشهر يشهد قدوم أعداد كبيرة من المسلمين في موسم الحج أكثر منها في غيرها، بينما كان أكبر انخفاض في عدد الحجاج خلال فترة الدراسة في شهر كانون الثاني حيث وصل (117) حاج (17)، مقابل (1110) حاج في شهر تشرين الثاني (18) وتشيرين الأول حوالي (5005) حاج (19) وكانون الأول فبلغ العدد (374) حاج، من أجل أداء مناسك العمرة. (20)

وبالرجوع إلى جريدة القبلة الحجازية نلاحظ أنها لم تُشر إلى البضائع القادمة إلى ميناء جدة، بل كان جل اهتمامها نحو توثيق عدد السفن التي تحمل حجاجا (21). وخلافا

للتقرير الوارد في "يوميات جدة" نلاحظ أيضا أن جريدة القبلة كانت تشير إلى عدد الأطفال المرافقين لذويهم في موسم الحج. وبالمقارنة مع تقرير "يوميات جدة" نجد تطابقا في أعداد الحجاج بين اليوميات وجريدة القبلة. فعلى سبيل المثال، ذكرت الجريدة أن الباخرة روندو (Rondo) وصلت من داغستان وعليها (87) حاج، منهم طفلان (22) ، كما وصلت باخرة قادمة من ميناء سنغافورا (23) ، وعليها حوالي (555) حاج، منهم 65 طفلا، و الباخرة عربستان من بتاوي، وعليها حوالي (1208) حاج، منهم 29 طفلا، وكذلك وصلت الباخرة خواجة (Hwahjah) من بتاوي إندونيسيا محملة بحوالي (873) حاجا، منهم 25 طفلا (24) ، و الباخرة انتي تولدس (Antilochus) من سنغافورا وعليها (594) حاجا، منهم 50 طفلا، كما وصلت الباخرة صوراكارتا (Soerakarta) من بتاوي وعليها 39 حاجا (25) .

كان الحجاج - بعد نزولهم في ميناء جدة - يدفعون رسوما للحجر الصحي مقدارها 37 قرشا (26) ، ثم يدفعون ضريبة رسم التصديق على جواز السفر ومقدارها 10 قروش للكبار والصغار والأغنياء والفقراء (27) . كما فرضت بلدية جدة تسعيرة على نقل الحجاج من جدة إلى مكة المكرمة، حيث استخدم "الشقادف" (28) ، وكان مقدار ما يدفعه الحاج الواحد للشقادف 110 قروش (29) . وكان الحجاج يقطعون الطريق من جدة إلى مكة المكرمة خلال يوم أو يومين (30) .

كما يلاحظ من الجدول رقم (3) أن أكبر عدد للحجاج القادمين من الموانئ العربية كان من ميناء السويس فبلغ العدد حوالي (24، 322) حاجا، وهم من مصر ودول المغرب العربي الذين كانوا يأتون عن طريق البر ويتجمعون في القاهرة (31) . ويخرجون مع المحمل المصري (32) إلى ميناء السويس بواسطة القطار. وجاء أقل عدد من الحجاج من ميناء البصرة حيث بلغ حوالي (2881) حاجا.

أما موانئ شرق آسيا فقد سجل التقرير أن أكبر عدد للحجاج القادمين إلى ميناء جدة خلال فترة الدراسة كان من ميناء بومباي الهندي حيث بلغ حوالي (55، 652) حاجا، مقابل (9943) جاءوا من ميناء كراتشي في باكستان.

ومن الموانئ الأوروبية جاء أكبر عدد من ميناء أمستردام (33) Amsterdam الهولندي، فبلغ العدد حوالي (10023) حاجا، مقابل (2881) حاجا من ميناء روتردام (34) Rotterdam، ويلاحظ أن أكثر الحجاج جاءوا من بلدان شمال إفريقيا كالمغرب وتونس وليبيا والجزائر وموريتانيا، وذلك عن طريق البحر المتوسط.

الجدول (3)

عدد الحجاج القادمين من الموانئ العالمية وموانئ البحر الأحمر إلى ميناء جدة

المجموع	عدد الحجاج عام 1923 م	عدد الحجاج عام 1922	الميناء
24322	14229	10093	السويس
23879	26295	6584	بورت سودان وسواكن
2881	2881	-	البصرة
5771	5401	370	عدن
6732	5609	1123	بيروت
737	521	216	مصوع
55652	29659	25993	بومباي
11538	-	11538	جاوا
12561	6013	6548	سنغافورة
9943	8112	1831	كراتشي
18362	16583	1779	باتافيا
9606	2840	4766	ليفربول
10023	2677	7346	أمستردام
2881	2881	-	روتردام

ثالثاً - واردات ميناء جدة:

شكلت الواردات التي ترد إلى ميناء جدة في أغلب مراحل عصورها، قديماً وحديثاً، عصب الحياة فيها، وذلك بسبب شح الموارد وانعدام مصادر المياه والزراعة فيها. إضافة إلى ما شكله توافد أعداد كبيرة من المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي لأداء مناسك الحج والعمرة من عبئٍ ثقيل على موارد الحجاز.

ومن خلال مطالعة التقرير البريطاني لهذه الفترة يلاحظ أن كمية البضائع التي وردت إلى الميناء خلال العام 1340هـ/ 1922 بلغت حوالي (538384)⁽³⁵⁾ صندوقاً أو طرداً⁽³⁶⁾، وزادت كمية البضائع في العام 1341هـ/ 1923م بنسبة 60% فبلغت حوالي (865084) صندوقاً أو طرداً بزيادة بلغت حوالي (326700) صندوقاً أو طرداً، وهو ما يوضحه الجدول (2)

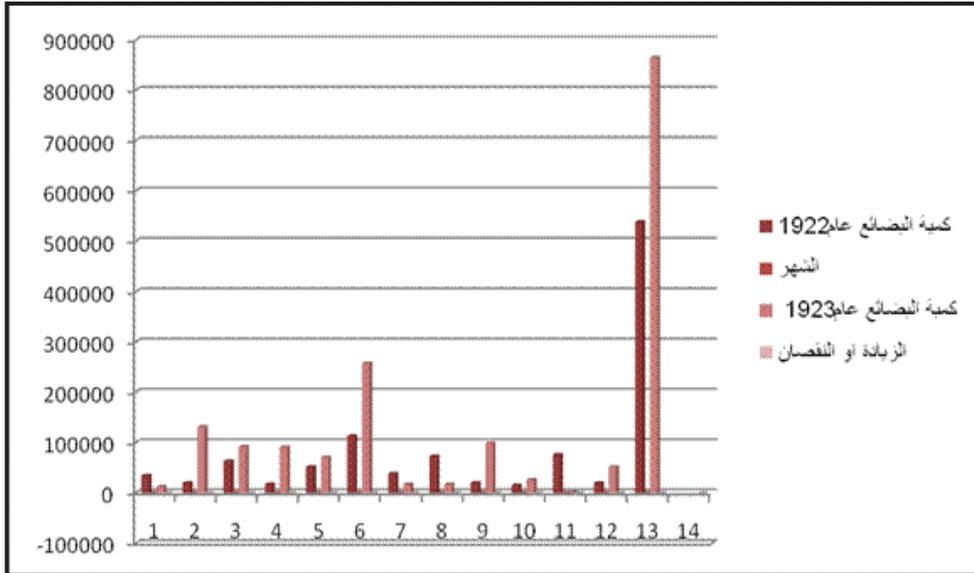
الجدول (3)

كمية البضاعة الواردة إلى ميناء جدة

النسبة المئوية	الزيادة / النقصان	العام 1341 هـ / 1923	العام 1340 هـ / 1922	الشهر
65 - %	22527 -	11878	34405	كانون الأول
571 %	68102 +	131046	19508	شباط
45 %	28893 +	91837	62944	آذار
432 %	73879 +	90966	17087	نيسان
38 %	19682 +	70789	51107	أيار
128 %	145129 +	257822	112693	حزيران
55 - %	21203 -	16975	38178	تموز
76%	55385 _	17012	72397	أب
394 %	78527 +	98441	19914	أيلول
73 %	10954 +	25951	14997	تشرين الأول
105 - %	74834 -	882	75716	تشرين الثاني
164 %	32047 +	51485	19438	كانون الأول
60%	326700 +	865084	538384	المجموع

الجدول (4)

رسم بياني بكميات البضائع الواردة إلى ميناء جدة



نلاحظ من الجدول (3) والرسم البياني (4) أن كمية البضائع المستوردة للميناء مرتبطة بعدد الحجاج. فكلما زاد عدد الحجاج زادت الكمية المستوردة، لتحقيق حاجاتهم وحاجات السكان المحليين. كما يلاحظ أن أكبر كمية بضائع وردت للميناء كانت خلال شهر حزيران، فبلغت (112693) صندوقاً أو طرداً من العام 1340هـ / 1922 م، وارتفعت الكمية للعام التالي فبلغت (257822) صندوقاً أو طرداً، بزيادة بلغت حوالي (145129) بنسبة 128%⁽³⁷⁾. وذلك قبل موعد الحج بشهرين، حيث صادف شهر ذي الحجة أول شهر آب⁽³⁸⁾، ولا غرابه في ذلك فهذه الكمية الكبيرة كانت استعداداً لتلبية حاجات الحجاج القادمين إلى الأماكن المقدسة. أما أقل كمية وردت للميناء فكانت في شهر تشرين الأول 1343هـ / 1922 م، حيث بلغت (14997) صندوقاً أو طرداً، وذلك بعد انقضاء موعد الحج بشهرين⁽³⁹⁾.

وقد أشار التقرير إلى وجود علاقة تجارية بين ميناء جدة و 22 ميناء آخر، سواء أكان لنقل البضائع أم الحجاج⁽⁴⁰⁾. أما أكثر الموانئ العالمية التي كانت مصدراً للواردات عبر ميناء جدة، فقد جاء ميناء كلكتا (Calcutta) في الهند على رأس هذه القائمة، إذ بلغت الواردات حوالي (298925) صندوقاً أو طرداً⁽⁴¹⁾ في حين كان ميناء نيويورك (New York) أقل الموانئ تفاعلاً مع ميناء جدة، حيث وصل منه نحو (15000) تنكته⁽⁴²⁾. ومن الموانئ العربية جاء ميناء السويس على رأس الهرم، حيث بلغ حجم المستورد منه حوالي (132160) صندوقاً أو طرداً، مما يشير إلى عمق العلاقات المصرية الحجازية خلال هذه الفترة. وقد جاءت أقل كمية من ميناء بيروت فبلغت (2431) صندوقاً أو طرداً. أما موانئ الحجاز الداخلية فقد ورد منها (52) صندوقاً أو طرداً وهي أقل كمية للبضائع ترد للميناء⁽⁴³⁾. كما ارتبط ميناء جدة مع ميناء البصرة في الخليج العربي، حيث وردت منه كمية من البضائع تقدر بحوالي (47) صندوقاً أو طرداً⁽⁴⁴⁾.

أما موانئ شرق آسيا وعلى رأسها سنغافورة، وباتافيا (Batavia) فلم يرد منها أية كمية من البضائع، في حين كانت السفن التي ترفع العلم الهولندي لا تفرغ أية حمولة، بل تنقل الحجاج⁽⁴⁵⁾، ويلاحظ من خلال التقرير أنه لم يرد واردات من الموانئ الأوروبية كميناء هامبورغ (Hamburg)، ولفيربول (Liverpool)، وأمستردام، وروتردام خلال العام 1340هـ / 1922 م⁽⁴⁶⁾، وحتى في العام التالي 1340هـ / 1923 م بلغت كميته البضائع الواردة من هذه الموانئ حوالي (180) صندوقاً أو طرداً⁽⁴⁷⁾. فهذه السفن القادمة من هذه الموانئ كانت تنقل الحجاج فقط وبخاصة من دول المغرب العربي، ويتبين من التقرير أن السفن التي كانت مرتبطة بالتجارة مع الحجاز أما بريطانية من خلال محمياتها في مصر

والسودان، أو من مستعمراتها في الهند، إضافة إلى السفن الإيطالية التي كانت تنتقل بين موانئ البحر الأحمر.

وهناك بعض الموانئ لم يذكرها التقرير بل ذكر اسم السفينة ولم يذكر الميناء القادمة منه، غير أنه سجل حجم البضائع التي تم نقلها فقد نقلت هذه السفن عام 1340 هـ / 1922 م حوالي (132686) صندوقاً أو طرداً⁽⁴⁸⁾، وارتفعت في العام التالي لتصل إلى حوالي (267483)⁽⁴⁹⁾.

ويلاحظ أن التقرير لم يذكر نوع البضاعة الواردة إلى ميناء جدة، بل ذكر كمية البضاعة بالصندوق أو الطرد باستثناء مرة واحدة، ذكر فيها التوابل وليس من المعروف سبب إغفال التقرير لنوع البضائع المنقولة إلى ميناء جدة⁽⁵⁰⁾.

وينطبق ذلك على جريدة القبلة التي لم تذكر نوع البضائع المنقولة، كما كانت الحال في الأعداد الأولى لها⁽⁵¹⁾، وقد ركزت الجريدة على السفن التي تنقل الحجاج وحسب. وفي بداية صدورها عام 1334 هـ / 1916 م كانت الجريدة تذكر أنواع البضائع المنقولة إلى ميناء جدة حيث ذكرت الأرز، والذرة، والحنطة، والسكر، والشاي، والقهوة، والتمر الهندي، والخروب، والأدوية، والمواد الصناعية، والعمود، والتوابل، والأدوات المنزلية، والأقمشة، والحناء، والفحم، والنحاس وغيرها مما يحتاجه الحجاج في أثناء إقامتهم أو يأخذونه معهم بعد انتهاء زيارتهم⁽⁵²⁾.

أما أهم صادرات الحجاز الرئيسية فكان أبرزها على الإطلاق الحيوانات كالجمال والأغنام والماعز، والصوف، وجلود الأبقار، والجمال، والأغنام، والسمن⁽⁵³⁾، إضافة إلى البضائع الواردة من شرق آسيا والتي يعاد تصديرها إلى ميناء السويس مثل البخور، والبن، والشمع الخام، والبهار، والحناء، والتمر الهندي، والشاي⁽⁵⁴⁾.

وكانت الحكومة الحجازية تستوفي بعض الرسوم على السفن والبضائع الواردة إلى الميناء، مقابل الخدمات التي تقدمها، وقد قدرت الرسوم سواء أكانت على البضاعة المستوردة أم المصدرة خلال هذه الفترة بنحو (200000) جنيه إنجليزي سنوياً⁽⁵⁵⁾.

رابعا - السفن والأعلام:

تنوعت السفن التي وردت إلى ميناء جدة من الكبيرة إلى المتوسطة والصغيرة، كما تنوعت أعلام الدول التي رفعتها تلك السفن. ومن خلال الجدول رقم (5) يتضح لنا أن السفن البريطانية كانت أكثر السفن التي تتردد على ميناء جدة فسجلت فترة الدراسة زيارة السفن البريطانية للميناء (361) مرة، وذلك لإنزال الحجاج والبضائع، وسواء أكانت القادمة من

سواحل البحر الأحمر أم القادمة من البصرة أم من شرق آسيا. ولا غرابة في ذلك، فبريطانيا منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى 1336هـ / 1918م أصبحت من أقوى الدول في العالم، وكان لها مستعمرات في شرق آسيا، والهند، ومصر والسودان بعد أن أعلنت الحماية عليها بعد قيام الحرب العالمية الأولى.

ثم جاءت في الدرجة الثانية السفن التي ترفع العلم الإيطالي مثل (مصوع) و (أسمره) . وسجل التقرير عدد المرات فبلغت (86) مرة، تلك التي كانت تتردد بشكل أسبوعي على ميناء جدة متنقلة بين مصوع، وجدة، والسويس ثم العودة إلى مصوع في أريتريا⁽⁵⁶⁾ .

ثم جاءت السفن التي ترفع العلم الهولندي وبخاصة من ميناء سنغافورة وياتافيا، فسجل التقرير لها (68) زيارة، حيث كانت أندونيسيا مستعمرة هولندية، لكن تلك السفن التي ترفع العلم الهولندي كانت لا تحمل إلا حجاجا فقط⁽⁵⁷⁾ . ثم جاءت السفن التي ترفع العلم الفرنسي التي كانت تنقل على الأغلب حجاجا من ميناء بيروت إلى جده ثم العودة وسجل التقرير لها (7) زيارات⁽⁵⁸⁾ .

ولم يشر التقرير إلى غير هذه الدول، فيما عدا سفينتين، واحدة ترفع العلم الصيني وتحمل حجاجا وهي خواجه⁽⁵⁹⁾ (Hwahjah)، وسفينة أخرى ترفع العلم اليوناني وهي اندروماتشي (Andromachi) وكانت تحمل حجاجا فقط⁽⁶⁰⁾ .

كما نلاحظ من التقرير أن ثمة سفنا كانت ترفع أعلام دول عربية وهي (الطويل) و (رشدي) التي كانت ترفع علم الحجاز⁽⁶¹⁾ . وتم شراء هذه البواخر الحجازية في شهر ذي الحجة 1340هـ / تموز 1922م وتم الاحتفال برفع علم الحجاز عليهما، وعلى الرغم من أن الهدف من هذه السفن كان حمل الركاب والحجاج والطرود التجارية وغيرها، غير أنها تعد صغيرة الحجم إذا ما قورنت مع البواخر القادمة إلى ميناء جدة⁽⁶²⁾ . ويلاحظ من التقرير أن هذه البواخر الحجازية كانت في الغالب لا يشار إليها في حمل البضائع أو الحجاج إلا قليلا، حيث حملت البواخر الحجازية حوالي (2893) حاجا ونحو (52) صندوقا أو طردا وكانت تنتقل بين الموانئ الحجازية وأحيانا تذهب إلى اليمن⁽⁶³⁾ .

وأشارت جريدة القبلة إلى وصول سفينة (رشدي) من ينبع إلى جدة حاملة (218) حاجا منهم (200) حاج هندي وحاج بغدادي واثنين من المصريين و 8 صبيان و 8 حجاج من كابل⁽⁶⁴⁾ .

كذلك أشار التقرير إلى السفن التي رفعت العلم المصري مثل بيرك شيرا (Berkshira) وصلت إلى ميناء جدة مرتين، أما السفينة أمازونيا (Amazonia) وصلت مره واحدة تحمل حجاجا من ميناء بيروت إلى جدة.

وأشار التقرير أن السفن التي ترفع العلم البريطاني هي الأكثر تردداً على الميناء، ثم جاءت السفن التي كانت ترفع العلم الإيطالي (أسمره) و (مصوع) في أثيوبيا حيث ترددت على الميناء (49) مرة، ثم جاءت السفن الهولندية فالسفن الفرنسية، وبعدها العربية واليونانية والصينية.⁽⁶⁵⁾

وتشير التقارير البريطانية أن بعض السفن التي كانت تأتي إلى ميناء جدة لم تكن تحمل معها حمولة ولا حجاجاً، في حين لم يشر التقرير إلى الحجاج المغادرين إلى أوطانهم⁽⁶⁶⁾. وبذلك يتبين أن الحجاز لم يكن، حسب التقرير، يصدر أي بضائع إلى الخارج، بل كانت كلها واردات، ولكن بعض المراجع تذكر أن الحجاز كان يصدر كما أشرنا سابقاً إلى ميناء السويس. فكان الميزان التجاري يميل بشكل كبير إلى الواردات، ذلك لأن الحجاز كان فقير الموارد، إضافة إلى أن واردات الحجاز من البضائع كانت بسبب وفود الحجاج إليه، واستهلاكهم تلك البضائع، وأخذها هدايا حين رجوعهم إلى أوطانهم. وبالتالي فإن هناك عجزاً كبيراً في ميزان تجارة الحجاز حيث أعتمد على الواردات الخارجية.

الجدول (5)

جنسية السفن القادمة إلى ميناء جدة 1922 - 1923م

علم الدولة	عدد السفن عام 1922	عدد السفن عام 1923م	المجموع
بريطانيا	173	188	361
إيطاليا	46	40	86
هولندا	32	36	68
فرنسا	3	4	7
روسيا	-	5	5
الصين	-	2	2
اليونان	-	1	1
مصر	9	1	10
الحجاز	11	12	23

الموانئ المرتبطة بميناء جدة:

ارتبط ميناء جدة بشكل كبير مع الموانئ الداخلية للبحر الأحمر، وبخاصة الموانئ المصرية (السويس)، والموانئ السودانية وبخاصة (بورت سودان) (وسواكن). وقد كانت

هذه الموانئ تخضع بشكل مباشر لبريطانيا حيث أعلنت الحماية عليها بعد دخولها الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى ارتباط التجارة تاريخيا بمصر من حيث الاعتماد على استيراد البضائع وتصديرها، زد على ذلك الأوقاف التي أوقفها الدول الإسلامية المختلفة، العباسية، والأيوبية، والمملوكية، والعثمانية للحرمين الشريفين⁽⁶⁷⁾. ويتبين أن أكبر كمية للبضائع الواردة إلى ميناء جدة من موانئ البحر الأحمر كانت من ميناء السويس حيث استورد الحجاز عبره عام 1340هـ/ 1922م كمية من البضائع بلغت (80747) صندوقا أو طردا، وتراجعت الكمية في العام التالي نحو 36% فسجلت حوالي (51413) صندوقا أو طردا، وتفسير ذلك يعود إلى توتر العلاقات بين الحجاز ومصر⁽⁶⁸⁾، وجاء ميناء بورت سودان وسواكن في المرتبة الثانية فقد بلغت الكمية المستوردة من البضائع عبرهما في عام 1340هـ/ 1922م حوالي (47955) صندوقا أو طرد، وارتفعت الكمية في عام 1341هـ/ 1923م فبلغت حوالي (202915) صندوقا أو طردا بزيادة بلغت 323%. وحل ميناء مصوع في إريتريا- الذي كان تحت الاستعمار الإيطالي- في المرتبة الثالثة فبلغت الكمية الواردة منه إلى ميناء جدة عام 1340هـ/ 1922م حوالي (30394) صندوقا أو طردا، وانخفضت الكمية في العام 1341هـ/ 1923م إلى حوالي (11018) صندوقا أو طردا، بنسبة نقصان (63%). أما الموانئ الأخرى، سواء أكانت في اليمن أم عدن فكانت قليلة، مقارنة مع الموانئ السابقة، لأن هذه الموانئ كانت تنتقل فيها السفن الصغيرة على الأغلب، مثل (الطويل) و (شجاع)، وهي سفن ترفع العلم الحجازي⁽⁶⁹⁾،

وارتبط الحجاز أيضا بموانئ البحر المتوسط الشرقية، وبخاصة ميناء بيروت الذي وصل منه عام 1340هـ/ 1922م نحو (2086) صندوقا، وانخفضت في العام 1341هـ/ 1923م فبلغت حوالي (345) صندوقا. وكانت تلك السفن ترفع العلم الفرنسي، حيث كانت كل من سوريا ولبنان تخضع للانتداب الفرنسي بعد أن سيطرت فرنسا على سوريا بعد معركة ميسلون 1338هـ/ 1920م⁽⁷⁰⁾، واحتلاله وإنهاء حكم الملك فيصل في سوريا الأمر الذي زاد التوتر في العلاقة بين الحجاز وفرنسا⁽⁷¹⁾. كما ارتبط الميناء بعلاقة تجارية مع ميناء البصرة على الخليج العربي حيث بلغت الكمية المستوردة منه عام 1341هـ/ 1923م حوالي (47592) صندوقا أو طردا⁽⁷²⁾.

هذا على صعيد الموانئ العربية، أما الموانئ العالمية، فقد وردت بضائع وحجاج من موانئ في شرق آسيا وبخاصة الإسلامية منها، كالموانئ الهندية، والباكستانية. وجاء ميناء كلكتا في المرتبة الأولى في قائمة الموانئ العالمية التي استورد منها الحجاز السلع والبضائع وبلغت الكمية عام 1340هـ/ 1922م حوالي (59693) صندوقا أو طردا وارتفعت الكمية عام 1341هـ/ 1923م، فبلغت حوالي (239232) صندوقا أو

طردها بنسبة زيادة بلغت حوالي (500%) . وهي أعلى كمية سجلت في التقرير. تم حل ميناء بومباي (Bombay) في المرتبة الثانية من حيث كمية البضائع والسلع فبلغت كمية البضائع الواردة منه في العام 1340هـ / 1922م حوالي (92274) صندوق أو طرد، وارتفعت الكمية في العام 1923م فبلغت حوالي (202915) صندوقاً أو طرداً، بنسبة زيادة بلغت حوالي (119%) . وحل ميناء كراتشي (Karachi) في المرتبة الثالثة فبلغت الكمية الواردة منه حوالي (7157) ، وارتفعت في عام 1341هـ / 1923م فبلغت حوالي (18006) صندوقاً أو طرداً بنسبة زيادة بلغت (151%) . والموانئ الإندونيسية مثل ميناء بتافيا⁽⁷³⁾ ، كما ارتبط مع ميناء جاوا، ويلاحظ من التقرير أن الواردات من الهند كانت ضخمة، ويعزى ذلك إلى توريدها المواد والسلع الرئيسية التالية: الأرز، والسكر، والطحين، والذرة، والشاي، والفلفل، والحديد، والنحاس. ومع أن التقرير لم يذكرها إلى انه تم التعرف عليها من خلال جريدة القبلة، وبخاصة في بواكير صدورها⁽⁷⁴⁾. وفي أوروبا ارتبط ميناء جدة مع عدد من الموانئ الأوروبية كهامبورغ ولغزبول وأمستردام، غير أن كمية البضائع الواردة من هذه الموانئ كانت قليلة، حيث بلغت حوالي (180) صندوقاً في العام 1341هـ / 1923م. فضلاً عن ميناء نيويورك الذي صدر لميناء جدة مرة واحدة فقط بلغت حوالي (15000) تنكة من البترول⁽⁷⁵⁾. كذلك ورد بالتقرير أسماء سفن جاءت إلى ميناء جدة لم يشر إليها التقرير من أي الموانئ قادمة، لكنه ذكر الميناء الذاهبة إليه، وفي الواقع، وحسب حركة السفن تتبين أنها قادمة من موانئ إسلامية في شرق آسيا. وقد بلغت الكمية حوالي (132686) صندوقاً أو طرداً، وارتفعت الكمية عام 1341هـ / 1923م فبلغت حوالي (267483) صندوقاً أو طرداً بنسبة زيادة بلغت حوالي (60%) .

الجدول (6)

البضائع الواردة من الموانئ إلى ميناء جدة

النسبة	الزيادة او النقصان	1341هـ / 1923م	عام 1340هـ / 1922 م	الميناء
%36-	29334 -	51413	80747	السويس
%323	154960+	202915	47955	بورت سودان وسواكن
%63-	19376 -	11018	30394	مصوع
%382	+17769	22414	4645	عدن
%83-	1741 -	345	2086	بيروت
	+47592	47592	-	البصرة

الميناء	عام 1340هـ / 1922 م	1341هـ / 1923 م	الزيادة او النقصان	النسبة
كراتشي	7157	18006	10849	151%
كلاكتا	59693	239232	298925	500%
بومباي	92274	202915	110641	119%
جاوا سنغافورة	-	6013	+6013	
روتردام	-	60	60 +	
لفربول	-	60	60 +	
أمستردام	-	60	60 +	
نيويورك	15000		15000 +	
موانئ غير محددة	132686	267483	134767 +	101%
المجموع	538384	865084	326700 +	60%

الختام:

أظهرت دراسة الوثائق البريطانية ممثلة بـ «يوميات جدة» «The Jeddah Diaries» مدى أهميتها في معرفة أحوال ميناء جدة في مطلع القرن العشرين، وتحديدًا خلال الفترة 1340 - 1341هـ / 1922 - 1923 م. حيث كشفت الوثائق النقاب عن حقائق تاريخية كانت إلى وقت قريب غائبة عن اهتمام الباحثين والمهتمين بتاريخ الحجاز والأماكن المقدسة. وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. شهد ميناء جدة قدوم أعداد كبيرة من الحجاج والمعتمرين القادمين عن طريق البحر في العام 1923م وزادت عن العام 1922م، وكانت الأعداد تزداد مع اقتراب موسم الحج في شهري ذي القعدة وذي الحجة وذلك من الموانئ الداخلية للبحر الأحمر والموانئ العالمية.

2. ارتبطت التجارة في ميناء جدة بعدد الحجاج القادمين فكلما زاد عدد الحجاج زادت كمية الواردات كون أن الحجاز قليل الموارد، وشهدت فترة الدراسة تزايدًا في كمية الواردات بسبب زيادة عدد الحجاج بحيث شهد العام 1923م زيادة عن العام الذي سبقه بنسبة 128%، وكانت أكثر البضائع المستوردة من الهند عبر مينائي كلاكتا وبومباي.

3. ورد إلى الميناء خلال الفترة 1922 - 1923م عدد كبير من السفن المتنوعة، سواء أكان ذلك لشحن البضائع أم لنقل الحجاج، وقد سجلت السفن التي ترفع العلم البريطاني 361 زيارة للميناء وكانت أكثرها قدوماً للميناء مقارنة مع السفن الأخرى، ولا غرابة في ذلك كونها كانت تسيطر على عدد من الدول العربية والإسلامية.

4. ارتبط ميناء جدة بعدد من الموانئ العربية كميناء السويس، وبور سودان، وسواكن، وعدن، والبصرة، وبيروت وغيرها. كما ارتبط بعدد من الموانئ في شرق آسيا كميناء كلكتا، وبومباي، وجاوا، وبتافيا، والموانئ العالمية كميناء نيويورك، ولغزبول، وأمستردام، وهامبورغ وغيرها. ويعد هذا الارتباط الاقتصادي بهذه الموانئ دليلاً مهماً على أهمية ميناء جدة وشاهد على الحركة التجارية المهمة والمستمرة فيه.

الهوامش:

1. ورث العثمانيون السيادة على ميناء جدة من المماليك بعد أن قدم شريف مكة الولاء للسلطان سليم الأول عام 1517م للمزيد من ذلك انظر، عبد الكريم رافق، العرب والترك 1516 - 1916م، دمشق، (د. ن)، 1974م، ص 61 - 65.
2. شهد الميناء خلال الفترة العثمانية نشاطا في استقبال البضائع والحجاج، فعلى سبيل المثال استورد الميناء عام 1910 - 1911 م، حوالي (643198) طن من البضائع، للمزيد انظر، محمد بن سعيد الشعفي، التجارة الخارجية لمدينة جدة في العهد العثماني (1840 - 1916م)، الرياض، (د. ن)، 2007، ص 77.
3. عبد القادر بن محمد ابن فرج، ت (1010) هـ، السلاح والعدة في تاريخ جدة، تحقيق احمد الزيلعي، لندن، مركز دراسات الشرق الأوسط، 1984م، ص 13، ومحمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، بيروت، دار خضر، مج 3، 2000م، 305.
4. حول ازدهار الميناء من الناحية الاقتصادية انظر، محمد محمود العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عهد دولة المماليك (1250 - 1517م)، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 2006م.
5. نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق العثمانية، بيروت، دار الساقى، 1996م، ج 1، ص 562.
- Joshua teitelbaum, The Rise and Fall of Hashemite Kingdom of Arabia, New York, New York university press 2001, p200.
6. القبلة: جريدة حجازية ناطقة باسم الثورة العربية أصدرها الشريف الحسين بن علي بعد قيام الحركة العربية في الحجاز وصدر العدد الأول يوم الاثنين 15 شوال 1334هـ / 15 آب / 1916م، واستمرت بالصدور ثمانية أعوام وكان آخر أعدادها العدد 823 المؤرخ في 25 صفر 1334هـ / 25 أيلول / 1924م.
7. هذا الجدول هو من عمل الباحث.
8. Jeddah Diaries.: p. p 7- 91 .
9. Ibid. p. p 103- 184 .
10. كان الحجاز يعاني في بعض مواسم الحج من انتشار الأمراض الوبائية بسبب انتقالها مع الحجاج القادمين إلى الأماكن المقدسة، وكان ظهور هذه الأمراض المعدية ينعكس

- على أعداد الحجاج، حول ذلك انظر: نضال المومني، مصر والأوضاع الصحية في الحجاز خلال مواسم الحج أواخر العهد العثماني 1900 - 1918م، مجلة دراسات تاريخية، العددان 101، 102 آذار- حزيان 2008م، دمشق، ص 209 - 226.
11. بلغ أعداد الحجاج القادمين عن طريق البحر في عام 1916م حسب تقديرات الوثائق البريطانية حوالي (7720) حاجا حول ذلك انظر،
Records of the Hijaz 1798- 1925 Documentary History , edited by A. L. P. Burdett, (London 1996) Vol. , 7,P490.
- وفي عام 1917م بلغ العدد حوالي (7936) حاجا، وفي عام 1918م حوالي (7133) حاج، انظر، Titellbaum, , op. cit,p200.
12. حدث نزاع بين الحجاز ونجد على واحة تربة والخزمة، حول ذلك انظر، امين الريحاني، الأعمال الكاملة، مج5، تاريخ نجدة الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980م، ص 251 - 253، ومحمد هزاع الشلول، العلاقات النجدية الحجازية بين عام 1908 - 1926م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، 1996م، ص 150 - 153، 122.
13. هذا الجدول من عمل الباحث.
14. هذا الجدول هو من عمل الباحث.
15. Jeddah Diaries,: p. p 49- 100.
16. Jeddah Diaries,F. O371/ 7718 (E7618/ 65/ 91) ,p67.
17. Ibid ,F. O371/ 7719 (E14182/ 656/ 91) ,p91.
18. Ibid: p 91.
19. Ibid, F. O 371/ 7718 (E863/ 656/ 91) ,p67.
20. Ibid,F. o 371/ 7718 (E11189/ 656/ 91) ,p79.
21. القبلة الإعداد خلال العام 1922م.
22. القبلة العدد ، 388، 31 أيار 1920م ، والعدد 456 ، 7 شباط 1921م .
23. ميناء سنغافورة: تم بناء الميناء عام 1819م، ويقع في الجزر الجنوبية من مضيق ملقا، وكان يصدر الفلفل والأرز، وكان من ضمن المستعمرات البريطانية، للمزيد انظر،
en. wikipedia. org/ wiki

24. القبلة العدد 210، أيلول 1918م، ص3 .
25. القبلة العدد 588 الاثنين 28 رمضان / 22 أيار 1922، ص3.
26. القبلة العدد، 388 30 آذار 1920م، والعدد 458، 7 شباط 19212، ص3.
27. القبلة العدد، 210، أيلول 1918م ص3 .
28. الشقذف: هو المركب الذي يوضع على ظهر الجمل ويركب عليه الحاج، انظر، احمد السباعي، تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران)، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، 1984م، ص221، وكان يؤخذ من اجرة الجمل الذي ينقل الحاج من جدة إلى مكة المكرمة ريبالا للشريف حسين بن علي، وريبالا لمتعهد الجمل، ويبقى لصاحب الجمل ثلاثة ريبالات، انظر: إبراهيم فوزان الفواز، إقليم الحجاز وعوامل نهضته، مطابع الفرزدق، الرياض، 1981، ص93، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، (د. ن) (د. م) 1900م، ص65 - 66.
29. القبلة، العدد 577 ص3 .
30. عزة بنت عبد الرحيم بن محمد شاهين، خدمات الحج في الحجاز في العصر العثماني، دار القاهرة، القاهرة، مج1، 2006 م، ص178.
31. حول طريق الحج من دول المغرب العربي انظر: محمد السرياني، رحلة الحج البرية من أقطار غرب أفريقيا ووسطها إلى مكة المكرمة، مجلة الدارة، الرياض، العددان 1 - 2 محرم، ربيع الثاني 1421هـ، السنة السادسة والعشرون، ص207.
32. المحمل: أعواد من الخشب على شكل الهودج شكله مربع وذو سقف يأخذ في الارتفاع إلى الجوانب فيه قائم ينتهي بهلال، وداخله تحمل كسوة الكعبة المشرفة وعادتا تكون من الحرير، ويوضع أثناء السفر على ظهر الجمال، وأول من أحدث المحمل في طريق الحج الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يصحب المحمل مخصصات الحرمين انظر، إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، ج2، ص304.
33. ميناء أمستردام: يقع في شمال هولندا، وأصبح من أهم الموانئ العالمية في القرن السابع عشر خلال عصر هولندا الذهبي، للمزيد انظر الموقع الالكتروني،
en. wikipedia. org/ wiki
34. ميناء روتردام: يقع في هولندا، ويعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر وزادة أهميته في القرن التاسع عشر، للمزيد انظر الموقع الالكتروني،
en. wikipedia. org/ wiki
35. انظر الجدول (2) .

36. نلاحظ ان التقرير كان يرصد معظم الكمية بالصندوق واحيانا بالطرد وقليلًا كان يرصد الكمية بالطن مع انه لم يذكر نوع البضاعة، ولكن بالرجوع بعض المراجع نلاحظ ان التوابل والصابون والشموع والحلي والوانى الفخارية كانت تنقل بالصندوق، اما المنسوجات والقماش كانت بالطرد او البالة للمزيد انظر، انظر: الشعفي، المرجع السابق، ص 150 - 166.

37. انظر الجدول (1).

38. انظر جدول (1)

39. انظر جدول (1)

40. انظر الجدول (1).

41. كان ميناء كاكنا يصدر للحجاز السلع الرئيسية مثل الأرز والسكر والذرة والحنطة، والأقمشة، والتمر الهندي، للمزيد انظر، القبلة، العدد، 51، 15 ربيع الثاني 1335، ص 1.

42. استورد الحجاز من ميناء نيويورك، مرة واحدة وهي النفط، انظر

43. Jeddah Diaries, F. O 37/ 7718 (E3387/ 65/ 91), p32.

44. Ibid, F. o 371/ 7718 (E8630/ 656/ 91), p60.

45. Ibid, pp. p91. 117 ,131,146.

46. Jeddah Diaries, 1991: p5- 91.

47. Ibid: p. p5- 91.

48. Ibid, p. p103- 143.

49. Ibid, p. p5- 91.

50. Ibid, : p. p,103- 143.

51. Ibid, : p. p103- 143.

52. Ibid p p 80, 79, 73, 67, 60, 55, 51, 86,

53. انظر أعداد القبلة في السنة الأولى من صدورها على سبيل المثال العدد 51، 15 ربيع الثاني 1335 هـ / 1919 م، ص 1، والشعفي، التجارة الخارجية، ص 125.

54. انظر، القبلة، العدد 66، 10 جماد الثانية، 1335 هـ / 4 / 1917 م، نضال المومني العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين مصر والحجاز خلال الفترة 1908 - 1925 م،

- مجلة المنارة، م13، العدد1، 2006، ص6.
55. الشعفي، المرجع السابق، ص212.
56. القبلة، العدد 577، 13 / 4 / 1922. بعد افتتاح قناة السويس عام1869م أصبحت البضائع التي يعاد تصديرها من ميناء جدة إلى موانئ البحر الأحمر كانت في تناقص بسبب إنشاء خطوط ملاحية بحيث يمكنها المرور على كل ميناء والعبور من قناة السويس إلى أوروبا، الشعفي، المرجع السابق، ص207م.
57. Jeddah diaries, 1991: p, 51, 55, 60, 67, 73, 79, 80, 86, 91.
58. Ibid, p, 51, 55, 60, 67, 73 79.
59. Ibid, F. O371/ 7718 (E6042/ 656/ 91), pp73,86.
60. Ibid, F. O371/ 7718 (E6042/ 656/ 91), p51.
61. Ibid, F. O371/ 7718 (E8630/ 656/ 91), p60.
62. أصبحت الحجاز دولة مستقلة عن الدول العثمانية بعد قيام الثورة العربية في 10 / 6 / 1916 م، وقد عهد الملك الحسين للشيخ عبد الله سراج بتشكيل أول حكومة عربية في الحجاز في 7 ذي الحجة 133هـ / 5 / 11 / 1916م للمزيد من ذلك انظر القبلة، العدد 17 الخميس 15 ذي الحجة 1334هـ، أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، القاهرة، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، (د. ت) ، ج3، وكان العلم مؤلف من الألوان الثلاثة المتوازية الأسود والأخضر فالأبيض، ويشمل الألوان الثلاثة مثلث ذو لون عنابي، للمزيد انظر القبلة، 7 شعبان 1335هـ / 29 / 5 / 1917م.
63. القبلة، العدد 593، الاثنين 23 شوال 1340هـ / 19 / 6 / 1922م.
64. القبلة، العدد 625، الاثنين / 9 / 10 / 1922 ص3.
65. القبلة، العدد 625، الاثنين / 9 / 10 / 1922 ص3.
66. انظر الجدول رقم (4) .
67. (50). Jeddah diaries, F. O371/ 7718 (E8630/ 656/ 91), p60.
68. حول الأوقاف الموقوفة لمصر أنظر نضال المومني: علاقة مصر بالحجاز 1916 - 1924 رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2003م، ص 310 - 326
69. حول ذلك انظر، جريدة القبلة، العدد 706، 30 تموز 1923م، وهيم، المرجع السابق، ص 252 - 263.

70. تم شراء هذه السفن الحجازية في عام 1922م.
71. أصبحت سوريا تحت الانتداب الفرنسي بعد مؤتمر سان ريمو عام 1920 م، للمزيد عن مؤتمر سان ريمو انظر، محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، بيروت، المكتبة العصرية، ج1، 1949م، ص 135 - 136، وعلي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 - 1945م، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985م، ص88.
72. Jeddah Diaries, F. O371/ 7718 (E4653/ 656/ 91/ 91), p47.
73. Ibid, F. O371/ 7718 (E9524/ 656/ 91), p73.
74. ميناء باتافيا: في بداية القرن السادس عشر قام الهولنديون ببناء ميناء باتافيا التي تعد حاليا شمال جاكرتا لتصدير التوابل إلى أوروبا ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة مزيج للتأثيرات الأوروبية والآسيوية. أنظر [www. Tunisia- sat- com](http://www.Tunisia-sat-com)
75. للمزيد انظر جريدة القبلة من العدد الخامس حتى العدد 101 ، وكذلك الشفعي، المرجع السابق، ص133.
76. Jeddah diaries, F. O371/ 10006 (E424/ 424/ 91), p184.

المصادر والمراجع:

أولاً - الوثائق:

1. Jarman ,Robert L. , (ed) , *The Jeddah diaries,1919- 1940,* London: Archive ,International Group, 1990) , Vol ,2.
2. *Records of the Hijaz ,Documentary History 1798- 1925 , Edited by A. L. P. Burdett, (London: Archive Editions 1996) Vol , 7.*

ثانياً - الصحف:

1. جريدة القبلة: هي جريدة حجازية رسمية ناطقة باسم النهضة العربية كانت تصدر من قلعة اجياد من مكة المكرمة مرتين في الأسبوع الاثنين والخميس، وبمعدل أربع صفحات، صدر العدد الأول للجريدة في 15 شوال 1334هـ / 15 / آب / 1916م، واستمرت بالصدور مدة ثمانية أعوام وأربعين يوماً تقريباً، وكان آخر أعدادها العدد (823) المؤرخة في 25 صفر 1343هـ / 25 / أيلول / 1924م، تناولت الجريدة المواضيع السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، وتولى إدارتها محب الدين بن الخطيب وآخرون.

ثالثاً - المصادر والمراجع:

1. ابن فرج، عبد القادر بن احمد بن محمد ت (1010) هـ: السلاح والعدة في تاريخ جدة، تحقيق احمد الزيلعي، لندن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1984م.
2. دروزة، محمد عزة: حول الحركة العربية الحديثة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ج1، 1949م
3. عبد الكريم رافق: العرب والترك 1516 – 1916م، دمشق: (د. ن) ، 1974م.
4. رفعت، إبراهيم: مرات الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، (د. ن) 1900م.
5. الريحاني، أمين: الأعمال الكاملة، مج5، تاريخ نجدة الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م.

6. السباعي، احمد: تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران) ، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، 1984م.
7. سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى، ج3، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، القاهرة: (د.ت).
8. الشفعي، محمد بن سعيد: التجارة الخارجية لمدينة جدة في العهد العثماني (1840 - 1916م) الرياض: (د.ن) ، ط1، 2007م.
9. العناقرة، محمد محمود: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عهد دولة المماليك (1250 - 1517م) ، الرياض: داره الملك عبد العزيز، 2006م.
10. العمائرة، خالد محمد: موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك (1250 - 1517م) ، الرياض: داره الملك عبد العزيز، 2007م.
11. الفواز، إبراهيم فوزان: إقليم الحجاز وعوامل نهضته، الرياض: مطابع الفرزدق، 1981م.
12. الكردي، محمد طاهر: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، بيروت: دار خضر، مج3، 2000م.
13. محافظة، علي: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919 - 1945م، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1985م.
14. وهيم، طالب محمد: مملكة الحجاز 1916 - 1925م، دراسة في الأوضاع السياسية، البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي 1984م.

خامساً - المراجع الأجنبية:

1. Joshua Telbaum, , *The Rise and Fall of Hashemite kingdom of Arabic*, London, 2003.

المواقع الالكترونية:

1. en.wikipedia.org/wiki.

سادساً - الدراسات والأبحاث:

1. المومني، نضال: مصر والأوضاع الصحية في الحجاز خلال مواسم الحج أواخر العهد العثماني 1900 - 1918م، مجلة دراسات تاريخية، العددان 101 - 102 آذار-حزيران 2008م، ص 209 - 226.

2. المومني، نضال: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين مصر والحجاز خلال الفترة 1908 - 1925م، مجلة المنارة، م13، العدد1، 2006.
3. سابعا: الرسائل العلمية
4. الشلول، محمد هزاع : العلاقات النجدية الحجازية بين عام 1908 - 1926م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1996م.
5. المومني، نضال: علاقة مصر بالحجاز في عهد الشريف حسين وموقفها من ثورته وصراعه مع عبد العزيز آل سعود 1908 - 1925م، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2003م.

**أثر استخدام التاريخ الشفوي كمدخل
في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر
في تحصيل الطلبة وتنمية ثقافتهم التاريخية
الوطنية وإيجاد بيئة تدريسية آمنة ***

أ. دعاء حيدر محمد العمري **

أ. د هاني حتمل محمد عبيدات ***

* تاريخ التسليم: 2014 / 11 / 9م، تاريخ القبول: 2014 / 12 / 14م.

** طالب دكتوراه/ جامعة اليرموك/ اربد/ الأردن.

*** أستاذ/ جامعة اليرموك/ اربد/ الأردن.

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية الكشف عن أثر استخدام التاريخ الشفوي كمدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في تحصيل الطلبة، وتنمية ثقافتهم. التاريخية الوطنية، وإيجاد بيئة تدريسية آمنة، ولتحقيق الهدف تم اعتماد المنهج شبه التجريبي، حيث تم بناء أربع أدوات للدراسة وهي: اختبار تحصيلي، واختبار تنمية الثقافة التاريخية الوطنية، وأسئلة مقابلة، ومقياس البيئة التدريسية الآمنة. وقد تم التأكد من صدق الأدوات وثباتها، حيث طبقت هذه الأدوات على عينة تجريبية بلغ عددها (41) طالباً وطالبة وعينة، ضابطة بلغ عددها (46) من طلبة قسم التاريخ في جامعة اليرموك للعام الدراسي 2013/2014 حيث أظهرت النتائج وجود أثر لمدخل التاريخ الشفوي في التحصيل حيث بلغ حجم الأثر (499). لصالح المجموعة التجريبية كما تبين وجود أثر لصالح المجموعة التجريبية في اختبار الثقافة التاريخية الوطنية حيث بلغ حجم الأثر (377). كما أظهرت النتائج وجود أثر للتاريخ الشفوي في إيجاد بيئة تدريسية، آمنة وبدرجة مرتفعة وبمتوسط (3.90).

الكلمات المفتاحية: (التاريخ الشفوي، التحصيل، الثقافة التاريخية الوطنية، البيئة التدريسية الآمنة)

The Effect of Using Oral History as an Approach to Teach Recent and Contemporary History of Jordan on Students' Achievement and in Developing Their National and Historical Culture and in Creating a Safe Teaching Environment

Abstract:

The purpose of this study is to investigate the effect of using oral history as an approach to teach recent and contemporary history of Jordan on students' achievement and in developing their national and historical culture and in creating a safe teaching. To achieve this aim, the researcher adopted a quasi- experimental approach by developing four tools: an achievement test, developing historical and national culture test, interview questions and safe school environment scale. The validity and the reliability of the tools were checked and applied on an experimental group of (41) male and female students and on a control group of (46) male and female students from Department of History in Yarmouk University of the academic year 2013/2014. The findings of the study showed that there is an effect of the oral history approach on students' achievements totaled (0.449) in favor of the experimental group. Moreover, there are significant statistical differences in favor of the experimental group totaled (0.377) . There is also an effect of the oral history on finding safe teaching environment.

Keywords: oral history, achievements, historical and national culture, safe teaching environmen.

مقدمة:

يتناول علم التاريخ جميع الأنشطة البشرية، ولكن قد تواجه المؤرخين عقبات تتمثل بعدم قدرتهم على كتابة تاريخ شمولي لجميع الحقب التاريخية، ويعود سبب ذلك إلى قلة الوثائق التاريخية، ونقص التدوين، ومن هنا كان لابد لهم من اللجوء إلى مصادر أخرى، كالتاريخ الشفوي باعتباره رديفاً للتاريخ الرسمي للحصول على الحقائق التاريخية التي قد تغطي ماخفي لهم من حوادث تاريخية.

ويُعرف التاريخ الشفوي بما تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل بصورة منطوقة من أحداث مضت وانقضت. (الشيخ، 2000)، أما عند السنوار والجعيدي (2006: 215) فيعرفانه على أنه «تسجيل ذكريات الناس وتجاربهم في الماضي القريب». ويعرفه سورجر (soerger,2002,p.2) على أنه «منهج لتوثيق الميراث الثقافي والخبرات والتجارب الإنسانية الماضية اعتماداً على الكلمة المنطوقة». أما أبو ججوح وحمدان (2006: 765) فيعرفانه على أنه «ذاكرة منطوقة تقدم أحداثاً تاريخية من خلال عقد مقابلة شخصية مع شاهد عيان لحدث معين، أو مُشارك في صنعه، أو أحد المعاصرين لوقوعه».

أما الحسن (2011) فيرى بأنه ما يتم تسجيله وحفظه وتفسيره لأشخاص مرموقين، أو معاصرين لأحداث تاريخية معينة، ويعتمد سردهم لتلك الحوادث على خبراتهم الشخصية، وعلى ما سمعوه من أخبار.

ويُعرفه الباحثون بأنه طريقة منظمة تتبع مجموعه من العمليات، ويحصل فيها التواصل الإنساني ما بين من يجمع المعلومات، ومن يرويها بلغة محكمة، وهنا يصبح التفاعل إنسانياً وغير مادي في الحصول على أحداث تاريخية ماضية، ويتم فيه استخدام تقنيات حديثة كوسائل لعملية التوثيق للمادة الخام ليتم تحليلها لاحقاً، وإخضاعها للنقد والتفسير وصولاً للاستنتاج.

وقد تعددت مصادر الحصول والتعبير عن التاريخ الشفوي مثل: المقابلات الشفوية، المذكرات التاريخية، والمسرحيات التاريخية، والأفلام الوثائقية أو التاريخية، والروايات التاريخية، وغيرها، وهي تستند بالأساس على الروايات الشفوية وغيرها، وهي تستند بالأساس على الروايات الشفوية. وكان ابن خلدون يكتب التاريخ بمفهوم «التاريخ بالخبر»، حيث قدم من خلال ذلك الأسلوب مادة معرفية غنية بأسبابها، ودلالاتها، ونتائجها، وأظهر حركة المجتمع في تبدلاته المستمرة عبر الزمان والمكان، لكن أهمية كتابته ترجع إلى

أنواع الرواة، وتعدد الروايات، والتحقق من صحة الخبر، ودقة الراوي، وصدقية الرواية، والتنبه إلى مغالط الرواة وما يستتبعها من تشويه للروايات الفردية أو الجماعية. وهنا تبرز أهمية المؤرخ في التحقق من الشخصيات لإثبات وجودها التاريخي في زمان ومكان محددين، فمنهجيته في تدوين التاريخ ركزت على إيجاد العلاقة بين الأسباب والنتائج (عاصي، 1991).

وعملية جمع التاريخ الشفوي لا بد أن تقوم على أسس علمية متينة، ويكون القائمون عليه على دراية بطرق البحث الميداني، وجمع الرواية الشفوية؛ ولا بد من الإعداد العلمي والتدريب الجيد لذلك الموضوع. (المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2014).

ويُمثّل التاريخ الشفوي (Oral History) أحد فروع علم التاريخ وهو علمٌ متنام يُشكّل مصدراً أساسياً لتاريخ حياة الناس، ويُسميه بعضهم بالتاريخ الحي (Life History)، لأنه يوضح أبعاداً نفسية وإنسانية، والتاريخ الشفوي له نظرياته وطرق البحث الخاصة به، ويلجأ له المؤرخون لعدم كفاية الطرق التقليدية المتبعة في دراسة التاريخ.

وللتاريخ الشفوي أهمية كبيرة كونه يعكس صورة صادقة عن واقع حياة الشعوب في الماضي بعاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم بصورة لم تكن معروفة من قبل، وتعد مثولاً حياً وفاعلاً في الواقع المعاش يتجدد مع الأيام بشكله وصياغته ليسهم في صناعة المستقبل، وتُناط به وظائف متعددة داخل المجتمع كالتوعية، والعبرة، وترسيخ الهوية الوطنية، وخلق الحياة اليومية. (بن مومن، 2005).

أما رولاند (Ronald, 1985, p.87) فيرى بأن التاريخ الشفوي يمثل أداة لنشر الديمقراطية في التاريخ من خلال إطلاقه العنان لحرية الفرد في التعبير عن الأحداث الماضية دون قيود، أو حواجز سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية.

ويشير بورتلي (Portelli, 1997) إلى أن الأحداث التاريخية في التاريخ الشفوي قد تخلق تفاعلاً بين السرد والخيال والذاتية والمنطقية.

ويرى ليسير (2012) بأن أهميه التاريخ الشفوي كانت تهتم قديماً بكافة شرائح المجتمع مثل الفلاحين، والعمال الصناعيين، والحرفيين اليدويين، والعاطلين، والنساء والخارجين عن القانون، وكل ما له علاقة بالهامشية. أما اليوم، فالتاريخ الشفوي يهتم بالأقليات الجنسية، والإثنية، والدينية، والسياسية، مع تركيز خاص على ضحايا الحروب الأهلية، أو الحروب بين الدول، أو عنف الدول، وبصفة عامة العنف الاجتماعي والسياسي.

ويرى هنية (2006) بأن التاريخ الشفوي يُعد مصدراً أساسياً يستعين به المؤرخ من أجل تدوين التاريخ الرسمي، والتعرّف على أحوال فئات الشعب المختلفة وظروفها التي

كانت مهمة في التاريخ المدون (الرسمي) ، ويرى الشفويون بأن معظم ما كان يُدوّن في التاريخ الرسمي هو التاريخ السياسي للحكام، أما التاريخ الاجتماعي للشعوب فقد تعرّض للإهمال، ومن هنا تأتي أهمية التاريخ الشفوي لتمكنه من إلقاء الضوء على عناوين نظرية مثل الذاكرة، الأمة، الهوية، فهو يرسم الحياة الماضية بجميع تفاصيلها وألوانها.

ويعد السنوار والجعيدي (2006) التاريخ الشفوي بأنه صورة طبق الأصل لمرحلة حضارية عاشها الناس في مرحلة زمنية ماضية كونها تعبر عن آرائهم، وأفكارهم، وعواطفهم، ويشمل كافة مناحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية وغيرها فهو بمثابة الرافد والموضّح والمفسّر للتاريخ المكتوب.

ويعدّ التاريخ الشفوي الذي يعتمد على الذاكرة وثيقة تاريخية مهمة، بشرط أن يُبنى على عدة أسس، أهمها:

- المشاهدة لمجريات الأحداث.
- المشاركة: بحيث يكون الشخص قد اشترك في حدث معين، أو صانعاً أو حاضراً له.
- المعاينة: أن يكون الشخص قد وقف على عين المكان وقت حدوث الحدث ومعرفته بما ترتب على ذلك الحدث من نتائج.
- المسألة: كأن يكون الشخص المقابل قد قام بتوجيه سؤال إلى عالم أو فقيه، أو قاضٍ، أو مؤرخ، أو مفكر، أو تاجر وغيرهم. (اسحق، 2013).

ويرى كل من العسكر (2007) ، وحُبيدة (2013) أن هنالك عدداً من التحديات التي تواجه التاريخ الشفوي أهمها: جمع المادة الشفوية من أناس يفتقدون للموضوعية والدقة في نقل الحدث التاريخي، ممّا يُقلل من مصداقية عملية التّاريخ. وجمع المادة الشفوية ومقابلتها بالمادة المكتوبة، وضبط سياقاتها الزمنية، ذلك الأمر يمنح الفرصة في التعبير عن فئة معينة تاريخياً بشكل أدبي عن قضاياهم كالفلاحين، والنساء، والأقليات والمهمشين، والخلط ما بين الرواية التاريخية والرواية الأدبية، واعتماد الرواية الأدبية من قبل بعض المؤرخين مصدرًا موثوقًا لكتابة التاريخ، وبذلك يقع على عاتق الباحث تحدياً يتمثل في قدرته على التمييز داخل هذه المورفولوجية بين المروي الحقيقي والمروي غير الحقيقي كالأساطير، والحكايات التربوية الموجهة للأطفال، والحكايات المبتكرة، مثل السرد الفكاهي، وسرد قصص الحيوان، ومما يزيد من صعوبة تناول هذه المرويّات أنّ الحدود بين ما هو حقيقي وما هو مُتخيّل هي حدود ضبابية.

ويُمكن توظيف التاريخ الشفوي في عملية التدريس داخل الغرفة الصفية

من خلال إشراك الطلاب في اثنين من الأساليب التربوية كما يرى ميهافي (Mehaffy 1984) وهي:

1. التاريخ الشفوي السلبي: ويتم عن طريق عرض مصادر التاريخ الشفوي من خلال ما سيتعلمه الطلاب، ويتم إنجاز ذلك من خلال دمج مصادر جاهزة من التاريخ الشفوي في المناهج القائمة، ومن المواد التي تُعرض الطالب لهذه المنهجية أشرطة الكاسيت، وأشرطة الفيديو، والكتب التي تتضمن تفسيرات للتاريخ الشفوي، وتوفر هذه المصادر كذلك محتوى للمناهج، وعادة ما يُستخدم التاريخ الشفوي السلبي لغايات الإنتاج والتوجيه.

2. التاريخ الشفوي الإيجابي: وهنا يخلق الطالب تاريخه الشفوي الخاص به، حيث يشارك الطالب في موضوع البحث، ويُقدّم عملية المُقابلة والتحليل والمناقشة، ويُعزّز هذا النمط الموجه من التعليم دور الطالب في اكتساب المهارات، والعناصر الفعلية لوحدة التعليم، ويمكن تعزيز هذا التطور الدافعي في المناهج القائمة عندما يكون هناك اتصال شخصي من خلال هذه الطريقة التجريبية في التعليم، ويتم توظيف التاريخ الشفوي الإيجابي لتعليم مهارات ذات مستويات متقدمة في التدريس، والتحليل الموضوعي، والتركيب، والتقويم، ومن خلال هذه الطريقة ينتقل المعلمون من تعليم المهارات الدراسية البسيطة إلى مستويات أعلى وفقاً لتصنيف «بلوم».

ولأهمية التاريخ الشفوي فقد أجرت دولبيرج (Dulberg,2002) دراسة في نيو اورليانز في الولايات المتحدة الأمريكية هدفت إلى الكشف عن تصورات الأطفال، وتعاطفهم التاريخي عند نقطة معينة من تطور التفكير التاريخي لديهم، وعند استخدام مُدخل السرد الشفوي للأحداث التاريخية، ولتحقيق هدف الدراسة اتبعت منهجية البحث النوعي والتفسيري حيث تكونت عينة الدراسة من جميع طلاب الصف الخامس في إحدى المدارس الحكومية المحلية، واستخدمت الباحثة أسلوب الملاحظة، وتسجيل استجابات الطلاب صوتياً على المواقف التاريخية الشفوية التي تعرضوا لها في الحصة، كما استخدمت أسلوب التعيينات البيتية والاستبيانات المقدمة للعائلة للتعرف على مدى تكون التفكير التاريخي لدى الأطفال، وبخاصة عند سرد الأهل قصصاً تاريخية لهم، وبعد جمع البيانات وتحليلها توصلت الدراسة إلى وجود ثلاثة مستويات من التفكير التاريخي يطورها السرد الشفوي عند الأطفال وهي عبارة عن: مستوى فهم الأحداث، وتحليلها عبر استراتيجيات التدريس المناسبة، والمستوى الثاني تطور القيم الاجتماعية والتاريخية عبر ممارسة التفكير نفسه ودعم العائلة، أما المستوى الثالث فهو تأثر مستوى التفكير التاريخي بعوامل مثل الخبرة الشخصية، والمناهج، وخلفية العائلة الثقافية التاريخية والعرقية.

وفي دراسة ايتن وإيرنك (Ayten and Ernic, 2005) التي تم تطبيقها في مدينة أضنا التركية هدفت إلى تقييم نشاطات التعلم وأساليب تدريس الدراسات الاجتماعية التي يقوم بها المعلمون لطلاب الصف الرابع، وطلاب الصف السابع في ضوء مفاهيم التفكير التاريخي والسرد الشفوي للتاريخ، وتكونت عينة الدراسة من 200 طالب من ستة مدارس أساسية في منطقة سيهان الواقعة في أضنا التركية. ولتحقيق هدف الدراسة قام الباحثان وبمساعدة المعلمين بتدريس جميع الطلاب وحدتين في مادة التاريخ هما " الإمبراطورية العثمانية في القرن 19 والقرن 20 " و" الموطن الأول ومنطقة أناطوليا " حيث تم استخدام إستراتيجية السرد الشفوي التي تتبعها مناقشة عامة، وطرح الأسئلة ثم تنفيذ مهمات ضمن مجموعات عمل تعاونية وبعد انتهاء الدرس تم عقد مقابلات شبه فردية مع الطلاب وملاحظة أداء المعلمين في الغرفة الصفية، وتحليل المنهاج، وخلصت الدراسة إلى أن المعلمين الأتراك لا يستخدمون الأساليب التي تشجع الطلاب الأتراك على ممارسة السرد الشفوي رغم أثرها الفعال في توضيح أحداث التاريخ، وتنمية الثقافة الوطنية وأن المعلمين يستخدمون مادة الكتاب فقط في تدريسهم لمحتوى مادة التاريخ. وأوصت الدراسة بإدخال إستراتيجيات التفكير التاريخي، والسرد، والمناقشة للمنهاج، وتدريب المعلمين على استخدامها.

وأجرى الآغا (2006) دراسة هدفت التعرف على آراء مجموعة من معلمي الدراسات الاجتماعية ومعلماتها فيما قبل الخدمة حول التاريخ الشفوي في الجامعة الإسلامية بغزة، وبلغ عدد عينة البحث (60) طالبا وطالبة، أما أداة البحث فقد كانت عبارة عن استبانة تتكون من (26) فقرة، وتم حساب الصدق والثبات لها، وتوصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين معلمي ومعلمات ما قبل الخدمة حول استخدام التاريخ الشفوي كمدخل من مداخل التدريس تعزى إلى الجنس، أو المستوى الدراسي، أو التفاعل بينهما.

وقام عدوان (2006) بتقصي مواقف أساتذة التاريخ في الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة من التاريخ الشفوي، وقد اعتمد منهج الإحصاء الوصفي من خلال استبانة، وهدفت هذه الدراسة إلى تحديد درجة قبول المختصين للروايات الشفهية وشروطهم لقبولها بما يحقق تأصيلاً منهجياً مُعتدّاً به للتاريخ الشفوي، وأظهرت نتائج هذه الدراسة أن أكثر من 88% من أساتذة التاريخ الإسلامي في جامعات قطاع غزة يؤمنون بأن مصادر التاريخ الإسلامي عموماً مبنية على روايات شفوية، وهو ما يعزّز العمل وفق منهج التاريخ الشفوي. وأظهرت الدراسة أن المذكرات هي رواية شفوية، رغم كونها مكتوبة، وذلك وفقاً لآراء أساتذة التاريخ في جامعات قطاع غزة، ووفقاً لبعض المصادر الأجنبية.

وأجرى شناوة وعبد الحسين (2010) دراسة هدفت إلى التعرف على مدى استعمال

التاريخ الشفوي كمدخل في تدريس مادة التاريخ للمرحلة الثانوية من وجهة نظر مدرسي المادة ومدرساتها، وقد اشتملت عينة الدراسة على (170) مدرساً ومدرّسة للتاريخ للمرحلة المتوسطة والثانوية في محافظة القادسية للعام الدراسي (2009/2010). وكانت أداة الدراسة استبانة تتكون من (26) فقرة، وقد أظهرت نتيجة هذه الدراسة فعالية استعمال التاريخ الشفوي كمدخل من مداخل تدريس التاريخ عند مدرسي التاريخ ومدرساته في تدريسهم للمقررات الدراسية التاريخية، وعدم فاعلية استعمال التاريخ الشفوي كمدخل تدريسي عند مدرسي التاريخ ومدرساته تعزى لمتغير الجنس (ذكر، أنثى).

وأجرت إيهلمان وليجون وموريللو وويلفورد وشاكستر (Ehlman, Ligon, Moriello, Welleford & Schuster, 2011) دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية هدفت إلى الكشف عن أثر التعيينات والمهام باستخدام مدخل التاريخ الشفوي مقابل الطريقة التقليدية في زيادة تحصيل الطلاب، وثقافتهم، وتحسين اتجاهاتهم نحو كبار السن في المجتمع، وتكونت عينة الدراسة من (45) طالباً من طلاب المرحلة الثانوية، درس (29) منهم دروساً تاريخية باستخدام مدخل التاريخ الشفوي بينما درس (16) باستخدام الطريقة التقليدية. وتم عقد اختبار من نوع الاختيار من متعدد تبين من خلاله فاعلية التاريخ الشفوي في تحسين التحصيل، وإكساب الطلاب المفاهيم الوطنية والاجتماعية التي تُعنى بكبار السن وتسهم في مساعدة المجتمع على العناية بهم.

وقام يانج (Yang, 2011) بعمل دراسة في تورنتو بكندا هدفت إلى الكشف عن أثر سرد المعلمين للقصص التاريخية شفويّاً في تنمية القيم الاجتماعية والوطنية في مقرر التاريخ، وتم اختيار ثلاثة صفوف من صفوف المرحلة الأساسية ومعلميهم، درّس المعلم الأول التاريخ الأمريكي باستخدام السرد الشفوي للقصص التاريخية، ودرس المعلم الصف الثاني دروساً بواسطة التدريس المباشر، وتمت ملاحظة أداء المعلمين والطلاب ثم عقد اختبار شفوي للطلاب، وأظهرت النتائج وجود أثر دال للإستراتيجية السرد الشفوي التاريخي عموماً في تنمية مهارات التفكير التاريخي والقيم الوطنية، كما بيّنت الدراسة أن لسرد القصص الشفوي أثراً دالاً في تعليم الطالب حب التعاون، والمشاركة، وجسر الفجوة الاجتماعية بين المعلم والطالب من جهة وبين الطلاب أنفسهم من جهة أخرى.

وقام جونز (Jones, 2012) بدراسة هدفت إلى الكشف عن أثر السرد الشفوي التاريخي الإلكتروني، والعادي على تحصيل طلاب المرحلة الثانوية في دروس التاريخ في أيوا. وقد تكونت عينة الدراسة من (14) طالباً يدرسون في إحدى المدارس الثانوية في ولاية أيوا، ولتحقيق هدف الدراسة تم استخدام الملاحظة، والمقابلات، وجمع تقارير الطلاب المكتوبة والشفوية والإلكترونية التي أعدها الطلاب في دروس التاريخ الأمريكي،

وبعد جمع البيانات وتحليلها تم التوصل إلى النتائج الآتية: تثير تقنيات السرد الشفوي انفعالات الطلاب واتجاهاتهم نحو مادة التاريخ، يمكن للسرد الشفوي أن يثير التخيل، والملاحظة، والنقد عند الطالب، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التحصيل يعزى لطريقة السرد الشفوي الإلكتروني.

وأجرت ويتمان (Whitman, 2013) دراسة تحليلية حول أهمية استخدام مدخل التاريخ الشفوي في الغرفة الصفية في المرحلة الثانوية لدراسة التاريخ الأمريكي، وخلق بيئة مدرسية وطنية، ولتحقيق هدف الدراسة قامت الباحثة بمقابلة عينة من (100) طالب شاركوا في برنامج مدرسي عام (2012) أُطلق عليه (التاريخ الشفوي الأمريكي خلال قرن من الزمان) ، وتم الحصول على مقابلات مسجلة أو شخصية أو عبر الهاتف والإنترنت، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام التاريخ الشفوي كالكسص، والروايات، والأفلام الوثائقية زاد من تحصيل الطلاب كونه أعطاهم صورة حيّة عن التاريخ الأمريكي، علاوة على تمتين قيم الحرية، والديمقراطية، واحترام الآخر في النفوس بسبب قصص البطولة والروايات المشوقة التي تم سردها.

أما دراسة ستون (Stone, 2013) أشركت طلبة الكليات المسجلين في كلية الآداب، بدراسة بعنوان "الموجة الجديدة لهجرة الأدب" حيث تركزت هذه الدراسة على مجموعة صغيرة من خبرات المهاجرين بالإضافة إلى التركيز على الأدب من خلال الروايات الشفوية لتلك المجموعة، وتهدف هذه الدراسة إلى تعريف الطلبة على المهارات، والقيم الأخلاقية المطلوبة في التاريخ الشفوي بالإضافة إلى تعزيز إحساس الطلبة بروايات الهجرة الأمريكية، وتثري مثل هذه الدراسات خبرات الطلبة، وتعمق إحساس الأصدقاء والزلاء من عائلات المهاجرين الذين تم اختيارهم كعينة للدراسة، ولإجراء المقابلات معهم للاستفادة من مجموعة كبيرة من الخبرات المهاجرة.

أما عطا الله (Atta- Allah, 2014) فقد عمل دراسة في ماليزيا هدفت إلى الكشف عن أثر سرد القصص الشفوي في تنمية قيمة الإيمان، وقيم حب التعلم لدى الطلبة كما يراها المعلمون حيث تكونت عينة الدراسة من (8) معلمين يعتمدون استراتيجية سرد القصص التاريخية الشفوية، ويعملون في إحدى المدارس الحكومية في العاصمة الماليزية، وتم اتباع منهجية نوعية قامت على ملاحظة أداء المعلمين والطلاب صفيًا، ومن ثم إجراء مقابلات مع المعلمين، وقد أظهرت النتائج أن سرد القصص الشفوية يعمل على تحسين الفهم والاستيعاب الاجتماعي، وتمكين الطالب من اكتساب قيم الإيمان، وحب التعلم، وحب الوطن، ويُمكن المعلم من نقل خبراته وقيمه المعاشة للطلاب بطريقة قصصية ممتعة تزيد من أدائه وتحصيله.

وتتشابه الدراسة الحالية مع ماسبق من الدراسات في تناولها للتاريخ الشفوي، ولكنها تختلف عن ما سبق بما يأتي:

- تناولها التاريخ الشفوي وأثره في تنمية الثقافة التاريخية الوطنية.
- تناولها التاريخ الشفوي وأثره في إيجاد بيئة تدريسية آمنة.
- وتُعد الدراسة الحالية إضافة نوعية على الدراسات السابقة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يمثل تطور التعليم وتنوع أساليبه التدريسية هاجساً وطنياً، لأن به تحصل التنمية والتغيير، وإليه يعزو أي تطور في المجتمع بكافة المجالات بعامه، أما فيما يتعلق بالتاريخ وخاصة الذي يعدّ من أهم أهدافه التدريسية إيجاد مواطنين صالحين مُعترزين بدينهم ووطنهم وأمتهم، ومؤهلين من أجل القيام بأدوارهم في المجتمع من أجل تنمية حياتهم اقتصادياً واجتماعياً، كان لابد من إلقاء الضوء على مُدخل التاريخ الشفوي في العملية التدريسية من أجل اختبار فعاليته كمصدر حيوي إلى جانب التاريخ الرسمي والمدون برسم أحداث حياة بكامل تفاصيلها، واعتماد التاريخ الشفوي في تكوين الثقافة الوطنية، واستكشاف جوانب القوة فيه بقياس تحصيل الطلبة ودوره في إيجاد بيئة تدريسية آمنة كون المصدر الشفوي ضرورة علمية لفهم حقائق التاريخ، وحقائق التاريخ تعبر عن: كل ما تركه السلف من أعمال، ومخطوطات، ووثائق، وتسجيلات، وعادات، وتقاليد، وطقوس دينية، وفنون، وقصص شعبية، وأدوات وآلات متوارثة، وغير ذلك.

لذا فإن مشكلة الدراسة تتحدد في الكشف عن أثر استخدام التاريخ الشفوي كمُدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في تحصيل الطلبة، وتنمية ثقافتهم التاريخية الوطنية، وإيجاد بيئة تدريسية آمنة. وستحاول الدراسة الحالية الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أثر استخدام التاريخ الشفوي كمُدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في تحصيل الطلبة مقارنة بالطريقة الاعتيادية؟
2. ما أثر استخدام التاريخ الشفوي كمُدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في تنمية الثقافة التاريخية الوطنية مقارنة بالطريقة الاعتيادية؟
3. ما أثر استخدام التاريخ الشفوي كمُدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في إيجاد بيئة تدريسية آمنة؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف مدى فعالية استخدام مُدخل التاريخ الشفوي في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في تحصيل الطلبة وأثره على تنمية الثقافة التاريخية الوطنية، وإيجاد بيئة تدريسية آمنة.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة بأنها تمثل المحاولة الأولى في استقصاء أثر استخدام التاريخ الشفوي كمدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في تحصيل الطلبة، وتنمية ثقافتهم التاريخية الوطنية، وإيجاد بيئة تدريسية آمنة.

• ويمكن أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة:

1. أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ والعلوم السياسية من خلال تعريفهم بأهمية التاريخ الشفوي وأثره على التحصيل، وتنمية الثقافة التاريخية الوطنية، وإيجاد بيئة تدريسية آمنة.
2. مؤلفو كتب تاريخ الأردن الحديث والمعاصر والتربية الوطنية من خلال توجيه أنظارهم لتضمين التاريخ الشفوي ضمن أنشطة كتب التاريخ والتربية الوطنية ودروسها.
3. الاستفادة منها في تطوير عملية الإشراف التربوي، وعملية تدريسها في المدارس الثانوية.

التعريفات الإجرائية:

◀ **مدخل التدريس باستخدام التاريخ الشفوي:** ويقصد به أحد الأساليب التي يستخدمها مُدرّس مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر، ويوجّه من خلاله الطلبة إلى المجتمع المحلي، وفق عينة مقصودة يحددها المُدرسون والباحثون للبحث عن معلومات تتعلق بموضوعات المحاضرات من خلال أسلوب المقابلة أو الملاحظة من شخصيات تمتلك المعلومة، أو معاصرين للحدث، أو مشاركين فيه سواء أكانوا سياسيين أم عسكريين أم مؤرخين، ومن ثم استخدام منهجية البحث التاريخي للتأكد من مدى صدق المعلومات ومنطقيتها بتوجيه من المدرس.

◀ **مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر:** هو أحد المساقات الإجبارية المقرر تدريسها على طلبة قسم التاريخ في جامعة اليرموك للعام الجامعي (2013 - 2014).

◀ **التحصيل:** مدى استيعاب الطلاب لما تعلموه من خبرات معينة من مفاهيم وحدات المساق التي سُنّجى الدراسة عليها، مُقدِّراً بالدرجات التي يحصلون عليها في الاختبار التحصيلي المُعد من قبل الباحثين.

◀ **الثقافة التاريخية الوطنية:** ويقصد بها مجموعة المعارف والخبرات والاتجاهات والقيم التي اكتسبها الطلبة من خلال دراستهم لمساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر، وتفاعلهم مع المجتمع المحلي. وسيتم قياسها من خلال اختبار معد لهذة الغاية من قبل الباحثين.

◀ **البيئة التدريسية الآمنة:** هي الإطار النفسي والاجتماعي السائد في الغرفة الصفية المتحقق على مقياس البيئة التدريسية الآمنة من الناحية النفسية والاجتماعية الذي سيستخدمه الباحثون لأغراض الدراسة.

حدود الدراسة:

- الحدود البشرية: طلبة جامعة اليرموك المسجلون لمساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر.
- الحدود المكانية: جامعة اليرموك.
- الحدود الزمانية: تم إجراء الدراسة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي 2013-2014.
- أدوات الدراسة ومدى صدقها وثباتها.

الطريقة والاجراءات:

منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج شبه التجريبي باعتماد مجموعتين إحداهما تجريبية، والأخرى ضابطة لمناسبته لموضوع الدراسة الحالية.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة، والذي هو نفسه عينة الدراسة من جميع الطلبة المسجلين في مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في جامعة اليرموك للعام الجامعي (2013/2014) وبالبالغ عددهم (87) طالباً وطالبة، وقد تم اختيار عينة الدراسة بالطريقة القصدية، كونه لا يوجد سوى شعبتين لهذا المساق تم تدريس إحداهما بالطريقة الاعتيادية،

وهي المجموعة الضابطة وعدد طلابها (46)، والأخرى باستخدام مدخل التاريخ الشفوي وهي المجموعة التجريبية وعدد الطلبة فيها (41).

أدوات الدراسة:

تألفت أدوات الدراسة الحالية من:

1. الاختبار التحصيلي:

تم إعداد الاختبار التحصيلي وفق الخطوات الآتية:

- تم الرجوع إلى مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر المعتمد لتدريس الطلبة، وتحليله للتعرف على مكوناته وأهم الأفكار الرئيسة فيه.
- تم الرجوع إلى الأدب النظري والدراسات السابقة للتعرف على كيفية بناء الاختبار.
- تم تصميم جدول مواصفات للاختبار بما يتناسب مع الأهداف، ومدى انسجامها مع المساق وأهدافه، وبما يُحقّق التوازن في عملية طرح الأسئلة لتشمل جميع مستويات الأهداف (التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم) ومحاور الوحدتين ملحق (1).
- تم إعداد الاختبار بصورته الأولية وقد تألف من (30) سؤالاً.
- تم عرضه على مجموعة من المُحكّمين المُختصين من أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ، وقسم المناهج والتدريس في الجامعات الأردنية تخصص مناهج دراسات اجتماعية، وذلك للحكم على مدى مناسبة الاختبار لطلبة الجامعة، والحكم على الدقة العلمية للاختبار، وتقديم أية مقترحات أو تعديلات يرونها مناسبة.
- بعد التحكيم أصبح الاختبار جاهزاً بصورته النهائية للتطبيق مؤلفاً من (30) سؤالاً موضوعياً ضمن أربعة بدائل.

ثبات الاختبار:

تم التحقق من ثبات الاختبار بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (Test- retest) وبفارق أسبوعين بين التطبيقين على (20) طالباً من مجتمع الدراسة، ومن خارج عينة الدراسة، على مجموعة من الطلبة درسوا المساق بصورة سابقة من خلال تجميعهم من مساق تاريخ العرب الحديث والمعاصر، كون مستوى المساق الأخير كان للطلبة الخريجين ومن المتوقع أن غالبيتهم قد درسوا مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر.

وبعد الانتهاء من ذلك تم حساب:

- أ. معاملات الصعوبة والتمييز لكل فقرة من فقرات الاختبار التحصيلي ملحق (2).
- ب. معامل الثبات على الاختبارات عن طريق إعادة تطبيقه مرة أخرى على العينة نفسها بعد أسبوعين، وحُسب معامل ارتباط بيرسون بين نتائج الطلبة في المرتين فكان مساوياً في التحصيلي ل (0.90).
- ت. تم استخراج معامل الاتساق الداخلي لفقرات الاختبارات باستخدام معادلة (كودر- ريتشاردسون - 20) وبلغت قيمته (0.85). وبذلك أصبح الاختبار جاهزاً للتطبيق بصورته النهائية.

تصحيح الاختبار:

تم رصد علامة واحدة لكل إجابة صحيحة وصفر لكل إجابة خاطئة.

2. اختبار تنمية الثقافة التاريخية الوطنية:

تم إعداد اختبار تنمية الثقافة التاريخية الوطنية وفق الخطوات الآتية:

- تم الرجوع إلى مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر المعتمد لتدريس الطلبة، وتحليله للتعرف على مكوناته وأهم الأفكار الرئيسة فيه.
- تم الرجوع إلى المؤلفات المتعلقة بتاريخ الأردن الحديث والمعاصر.
- تم الرجوع إلى محاور كتاب «التربية الوطنية» وموضوعاته الذي يُدرّس في جامعة اليرموك الأردنية كمساق إجباري لجميع طلبة الجامعة كونه يحوي جملة من الموضوعات الثقافية التاريخية، والوطنية عن الأردن، وكون الهدف من ذلك المساق تكوين ثقافة عامة عن الأردن في نفس الطالب الجامعي، وتعزيز هويته وإنتمائه لبلده، وكان مصدراً مهماً في عملية طرح أسئلة ذلك الاختبار، ولم نكتف بموضوعات المساق وبحثنا عن مصادر أخرى تُشكل ثقافة عامة لدى المواطن الأردني وبخاصة الطلبة، وقد استندنا في طرح الأسئلة على كتاب «الثقافة العامة» المقرر تدريسه من قبل وزارة التربية والتعليم الأردنية على طلبة المرحلة الثانوية، وبذلك حصرنا في تصميمنا لهذه الأداة ما اتفق عليه الأكاديميون في تدريسه كثقافة عامة - تاريخية ووطنية - لطلبة المرحلة الثانوية والجامعية.
- تم الرجوع إلى الأدب النظري، والدراسات السابقة للتعرف على كيفية بناء الاختبار.
- تم تصميم جدول مواصفات للاختبار بما يتناسب مع الأهداف، ومدى انسجامها مع المساق وأهدافه، وبما يحقق التوازن في عملية طرح الأسئلة لتشمل جميع الأهداف

ملحق (1).

- تم بناء الاختبار بصورته الأولية وقد تكون من (30) سؤالاً.
- تم عرضه على مجموعة من المُحكِّمين المُختصِّين من أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ، وقسم المناهج والتدريس في الجامعات الأردنية تخصص مناهج دراسات اجتماعية، وذلك للحكم على مدى مناسبة الاختبار لطلبة الجامعة، والحكم على الدقة العلمية للاختبار، وتقديم أية مقترحات أو تعديلات يرونها مناسبة.
- بعد التحكيم أصبح الاختبار جاهزاً بصورته النهائية للتطبيق مؤلفاً من (30) سؤالاً موضوعياً ضمن أربعة بدائل.

ثبات الاختبار:

للتأكد من ثبات الأداء للاختبار فقد تم التحقق بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (Test- retest) وبفارق أسبوعين بين التطبيقين على (20) طالباً من خارج عينة الدراسة، وتم الحصول عليهم بنفس الطريقة التي تمت للأداة السابقة، وبعد الانتهاء من ذلك تم حساب:

أ. معاملات الصعوبة والتمييز لكل فقرة من اختبار (تنمية الثقافة التاريخية والوطنية) ملحق (3).

ب. معامل الثبات على الاختبارات عن طريق إعادة تطبيقه مرة أخرى على العينة نفسها بعد أسبوعين، وحسب معامل ارتباط بيرسون بين نتائج الطلبة في المرتين فكان مساوياً في (0.87).

ت. تم استخراج معامل الاتساق الداخلي لفقرات الاختبارات باستخدام معادلة (كودر- ريتشاردسون - 20) وبلغت قيمته (0.88) وهذا المعامل مقبول، وبذلك أصبح الاختبار جاهزاً للتطبيق بصورته النهائية.

تصحيح الاختبار:

تم رصد علامة واحدة لكل إجابة صحيحة وصفر لكل إجابة خاطئة.

3. أسئلة المقابلات الشفوية:

تم بناء أسئلة المقابلات الشفوية بالاستناد إلى محاور الوحدات الأخرتين من مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر وموضوعاتها الذي يُدرّس كمتطلب إجباري لطلبة قسم التاريخ في جامعة اليرموك وقد شملت تلك الأسئلة جميع مفردات المساق، واشتملت أسئلة

المقابلات الشفوية على (31) سؤالاً، وللتأكد من مدى شموليتها للمساق، تم عرضها على مدرسي الشعبتين (التجريبية، والضابطة)، وللتأكد أيضاً من سلامة الصياغة اللغوية، ومدى مناسبتها للشخصية سواء أكانت الشخصية المُقابلة سياسية أم أكاديمية أم معاصرة للحدث التاريخي، وللتأكد من مؤشرات الصدق تم الابتعاد عن الاستنتاجات في وصف ماتحدث عنه الشخصيات عند المقابلة، وتم استخدام أدوات تكنولوجية باستخدام آلة تصوير الفيديو في بعض المقابلات، وتم استخدام الهاتف في بعضها الآخر مع عدم الاستغناء عن كتابة الملاحظات في أثناء المقابلات، كذلك تم توجيه الطلبة بعرض ما قيل من كلام من قبل الشخصية التي تم مقابلتها بعد تدوينه عليه مرة أخرى ليتم التأكد منه، وأخذ توقيعه على ذلك، وتم وضعها من ضمن الخطة الدراسية التي تم وضعها باستخدام مدخل التاريخ الشفوي.

وللتأكد من ثبات الأداة فقد جُربَت على ثلاث شخصيات من غير شخصيات الدراسة مرتين بفارق أسبوعين، ولوحظ أن الاختلاف بين إجابات الشخصيات في المرتين كان قليلاً.

4. مقياس البيئة التدريسية الآمنة:

بُني مقياس البيئة التدريسية الآمنة وفق الخطوات الآتية:

- تم الرجوع إلى الأدب النظري والدراسات السابقة المتعلقة بالبيئة التدريسية الآمنة.
- في ضوء ذلك أعدَّ المقياس بصورته الأولية مؤلف من (34) فقرة
- عُرض على مجموعة من المحكمين المختصين من أعضاء هيئة التدريس في أقسام الإدارة التربوية، والمناهج في الجامعات الأردنية.
- بعد الاستفادة من خبرة المحكمين وملاحظاتهم المتعلقة بالصياغة أصبح المقياس بصورته النهائية مؤلفاً من (34) فقرة
- فقد تم التحقق من ثبات المقياس بطريقة الاختبار وإعادة الإختبار (Test-re-test) وبفارق أسبوعين بين التطبيقين على (20) طالباً من خارج عينة الدراسة، وحُسب معامل ارتباط بيرسون بين استجابات الطلبة في المرتين على فقرات المقياس فكان مساوياً (0.93)، وتم أيضاً حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا، وكان مساوياً ل (0.91) وللحكم على المتوسطات الحسابية تم استخدام

تدرّيج ليكرت الخماسي للفقرات، ولتصحيح المقياس تم استخدام المعيار الإحصائي الآتي:

$$4/5 = 1.33$$

$$1+1.33 = 2.33$$

$$(5 - 1) = 4$$

الجدول (1)

المتوسّطات الحسابية لتدرّيج ليكرت الخماسي

الدرجة	المتوسط الحسابي
منخفضة	1 - 2.33
متوسطة	2.34 - 3.66
مرتفعة	3.67 - 5

إجراءات الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة، تم اتباع الإجراءات الآتية:

أ. الحصول على معلومات عن حجم المجتمع والعينة من خلال كشوفات أسماء الطلبة من مدرسي مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في جامعة اليرموك للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2013/2014) من أجل تطبيق أدوات الدراسة.

ب. الاطلاع على الأدب النظري والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

ت. تصميم المادة التعليمية وفق مدخل التدريس باستخدام التاريخ الشفوي في مساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر، وذلك باستخدام الخطوات الآتية:

- تحليل الأهداف لمحتوى وحدات المساق وتحديدها.
- إعداد الأنشطة المرافقة له باستخدام التاريخ الشفوي.
- إعداد خطط التحضير اليومية للمحاضرة باستخدام مدخل التاريخ الشفوي من خلال حث الطلبة على جمع معلومات مسبقة عن موضوع الدرس بصورة شفوية من المجتمع المحلي، وكان أسلوب البحث من خلال المقابلات، واستخدام المنهج التاريخي داخل المحاضرة والتي تتكون من مجموعة من المراحل وهي:

- اختيار الموضوع وتحديد الخطة.
- تحديد مصادر جمع المادة العلمية. من هم الأشخاص الذين سوف يقابلهم الطالب؟
- إعداد أسئلة المقابلة للأشخاص المُقابلين.

■ جمع المادة: من خلال التواصل مع الشخصيات للحديث عن موضوع أو أكثر من موضوعات المساق.

■ نقد المادة: نقد ظاهري، ونقد داخلي الظاهري يتعلق بالخارج من اسم الشخصية التي تم مقابلتها، وصدقه، ومدى معاصرته للأحداث أو معرفته عنها زمانياً ومكانياً، وبيان العلاقة بين زمن الرواية والحادثة التاريخية... الخ، والداخلي يتعلق بمتن الموضوع، ومضمونه، وتحديد أهدافه، والتعرف على وجهة نظر صاحبها، وسبب روايته لها، ويكون النقد الظاهري والباطني بتوجيه من عضو هيئة التدريس وإشرافه، ومن ثم التوصل إلى الحقائق التاريخية داخل المحاضرة أمام الطلبة.

- وقد تم اتباع الإجراءات الآتية في المقابلات:

■ قبل المقابلة:

1. تحديد الأشخاص الذين سيتم مقابلتهم، وتدريب الطلبة على أسلوب المقابلة وإجراءاتها بدقة مثل:

- أخذ موعد مسبق من الشخصية المراد مقابلتها.

- تحديد موضوع المقابلة، وإبلاغ الشخصية بصورة مسبقة عن ذلك.

- تحديد المكان الذي سيتم فيه المقابلة.

- تحديد آلية المقابلة (هاتفية أو شخصية).

2. تحديد الأسئلة المراد طرحها على الشخصية المراد مقابلتها، ويجب أن تكون الأسئلة شبه مغلقة ومختصرة.

3. تم تحديد نموذج يُعطى للطلبة يتضمن أسئلة معينة لكل مقابلة، ويكون رسمياً ويتم توقيعه من قبل الشخصية المراد مقابلتها.

4. يجب الاتفاق على مدة المقابلة ساعة، ساعتين..... الخ

5. يجب اختيار الشخصيات التاريخية الموثوقة والمعروفة بالرصانة العلمية والأمانة والدقة في الكتابة التاريخية، وهذا ما يسمى بالنقد الخارجي مثل: (مؤرخين معروفين، أساتذة جامعات تخصص تاريخ أو علوم سياسية ولديهم إلمام بالموضوع، شهود عيان على الحدث أو مشاركين بالأحداث، شخصيات سياسية) تحديد الهدف من كل مقابلة.

6. إعلام الشخصية المراد مقابلتها بموضوع المقابلة قبل بوقت حتى يقوم بتجهيز نفسه.

7. توجيه الطلبة للاهتمام بمظهرهم الشخصي ونبرة الصوت لأن كل ذلك له أثر في المقابلة.

■ في أثناء المقابلة:

1. الجلوس في غرفة هادئة بعيداً عن التشويش والتعريف بنفسه وهدفي من المقابلة.
2. طرح الأفكار والأسئلة بالتدرج، وبصورة متتابعة فكرة فكرة من البسيطة إلى المعقدة.

3. تدوين المقابلة، ومكانها، ووقتها، ومدتها.

4. احترام الشخصية، ورغبته في حالة عدم رغبته بالخوض في أي موضوع.

5. عدم مقاطعة الشخصية في أثناء الحديث.

6. في نهاية المقابلة يقدم الطالب شكره للشخصية على مجهوده.

■ بعد المقابلة:

1. يرتب الطالب الأفكار، والحوادث التاريخية المتحصلة من الشخصيات، ويصنف ما توافق مع مضمون المساق، وما تعارض معه، وما تحصل من معلومات إثرائية.

2. عرض المقابلات أمام الطلبة في أثناء المحاضرة.

3. يتم مناقشة ما عرضه الطلبة من قبل مدرس المساق بالأفكار الموجودة في المساق والأفكار الإضافية الإثرائية، والنظر فيها، وهنا نحقق النقد الداخلي للمعلومات إيجابياً أو سلبياً.

4. تشجيع الطلبة على الحوار، والمناقشة، وإثارة دافعيتهم، وتفكيرهم، وتعويدهم على البحث والاستقصاء عن المعلومات التاريخية، وبذلك يعزز لديهم ما يسمى بالتاريخ الشفوي الإيجابي.

5. تقديم تغذية راجعة للطلبة من قبل مدرس المساق حول المعلومات التي تم إحضارها ومدى دقتها وصحتها.

6. جمع البيانات وتحليلها إحصائياً باستخدام نظام (SPSS) والتوصل إلى نتائج، ومناقشتها بهدف استخراج النتائج للإجابة عن أسئلة الدراسة.

7. تبويب النتائج، وتفسيرها، والتعليق عليها، واقتراح التوصيات في ضوءها.

متغيرات الدراسة:

- المتغير المستقل: طريقة التدريس ولها مستويان: تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر باستخدام مدخل التاريخ الشفوي، واستخدام الطريقة الاعتيادية.
- المتغيرات التابعة: تحصيل الطلبة المسجلين لمساق تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في جامعة اليرموك، وتنمية الثقافة التاريخية الوطنية، وإيجاد بيئة تدريسية آمنة لهم.

المعالجات الإحصائية:

أُستخدمت الأساليب الإحصائية الآتية باستخدام البرنامج الإحصائي (spss) للإجابة على أسئلة الدراسة:

للإجابة عن السؤال الأول و السؤال الثاني تم استخدام اختبار "ت" لبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية، وللتحقق من تكافؤ المجموعات تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحصيل الطلبة القبلي على الاختبار التحصيلي لسؤال الدراسة الأول وتحصيل الطلبة على الاختبار القبلي لتنمية الثقافة التاريخية الوطنية تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة). وللإجابة عن السؤال الثالث تم استخدام المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لمقياس البيئة التدريسية الآمنة، وترتيب الفقرات تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية، ووصف مستواها ب (مرتفعة، متوسطة، منخفضة).

نتائج الدراسة:

◀ السؤال الأول: ما أثر استخدام التاريخ الشفوي كمدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في التحصيل مقارنة بالطريقة الاعتيادية؟
للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية للأداء لعينة الدراسة على اختبار التحصيل القبلي والبعدي تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، ولبيان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام اختبار «ت»، والجداول أدناه توضح ذلك.

وللتحقق من تكافؤ المجموعات تم استخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لتحصيل الطلبة القبلي تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، واستخدام

اختبار "ت" والجدول أدناه توضح ذلك.

الجدول (2)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار «ت» تبعاً لمتغير المجموعة
على تحصيل الطلبة القبلي ذلك

الدلالة الإحصائية	درجات الحرية	قيمة "ت"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة	
0.954	85	0.058	3.236	14.02	41	تجريبية	التحصيل القبلي
			4.101	13.98	46	ضابطة	

يتبين من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في المتوسطات الحسابية لتحصيل الطلبة القبلي تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، حيث بلغت قيمة ت (0.058) وبدلالة إحصائية (0.954)، وهذه النتيجة تشير إلى تكافؤ المجموعات في التحصيل القبلي.

الجدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" تبعاً لمتغير المجموعة
على أداء عينة الدراسة على اختبار التحصيل البعدي

مربع ايتا (η^2)	الدلالة الإحصائية	درجات الحرية	قيمة "ت"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة
0.449	0.000	85	8.315	3.762	23.54	41	تجريبية
				4.092	16.50	46	ضابطة

يتبين من الجدول أعلاه وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) في المتوسطات الحسابية للتحصيل تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، حيث بلغت قيمة ت (8.315) وبدلالة إحصائية (0.000)، وجاءت الفروق لصالح المجموعة التجريبية.

ومن أجل الكشف عن مدى فاعلية مدخل التاريخ الشفوي على أداء عينة الدراسة على اختبار التحصيل، تم إيجاد حجم الأثر فكان (0.449)، وهذا يعني أن أثر مدخل التاريخ الشفوي في تحصيل المجموعة التجريبية عالٍ، وقد يعود سبب ذلك إلى تفعيل دور الطالب "كباحث مبتدئ"، حيث يشارك الطالب في موضوع البحث، ويقوم بعملية المقابلة والتحليل والمناقشة، ويعزز هذا النمط الموجه من التعليم دور الطالب في اكتساب المهارات

والعناصر الفعلية لوحدة التعليم. ويمكن تعزيز هذا التطور الدافعي والمناهج الفعالة عندما يكون هناك اتصال شخصي من خلال هذه الطريقة التجريبية في التعليم، وكون الطالب أصبح مصدراً للمعلومة باستخدام هذه الطريقة أصبحت قدرته على تذكر المعلومة أكبر مما سيؤدي لاحقاً أن ينعكس على أداء الطلبة بصورة إيجابية.

كما أن أغلب الدراسات السابقة أكدت على أن التاريخ الشفوي يسهم ويزيد من تحصيل الطلبة مثل دراسة جونز (Jones, 2012) ودراسة إيهلمان وليجون وموريللو وويلفورد وشاكستر (Ehlman, Ligon, Moriello, Welleford & Schuster, 2011) ودراسة عطا الله (Atta-Allah, 2014) التي كشفت عن أثر سرد القصص الشفوي لدى الطلبة كما يراها المعلم، وخلصت إلى أنها زادت من أداء الطلبة وتحصيلهم، وأجرت ويتمان (Whitman, 2013) دراسة أظهرت نتائجها أن استخدام التاريخ الشفوي زاد من تحصيل الطلاب كونه أعطاهم صورة حية عن التاريخ الأمريكي، وأشارت لذلك دراسة (Stone, 2013).

◀ السؤال الثاني: ما أثر استخدام التاريخ الشفوي كمدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في تنمية الثقافة التاريخية والوطنية مقارنة بالطريقة الاعتيادية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء عينة الدراسة على اختبار تنمية الثقافة التاريخية والوطنية القبلي والبعدي تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، ولبیان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام اختبار «ت»، والجدول أدناه توضح ذلك.

وللتحقق من تكافؤ المجموعات تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبار تنمية الثقافة التاريخية والوطنية القبلي تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، ولبیان الفروق الإحصائية بين المتوسطات الحسابية تم استخدام اختبار «ت»، والجدول أدناه يوضح ذلك.

الجدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار «ت» تبعاً لمتغير المجموعة على اختبار تنمية الثقافة التاريخية والوطنية القبلي

الدالة الإحصائية	درجات الحرية	قيمة "ت"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	المجموعة	
0.874	85	0.159 -	5.704	14.24	41	تجريبية	الثقافة القبلي
			4.172	14.41	46	ضابطة	

يتبين من الجدول أعلاه عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0.05$) في المتوسطات الحسابية لاختبار تنمية الثقافة التاريخية والوطنية القبلي تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، حيث بلغت قيمة ت (-0.159) وبدلالة إحصائية (0.874) وهذه النتيجة تشير إلى تكافؤ المجموعات في التحصيل القبلي.

الجدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار "ت" تبعاً لمتغير المجموعة على أداء عينة الدراسة على اختبار تنمية الثقافة التاريخية والوطنية البعدي

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية	مربع ايننا (η^2)
تجريبية	41	24.41	4.455	7.176	85	0.000	0.377
ضابطة	46	17.22	4.853				

يتبين من الجدول السابق وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($a = 0.05$) في المتوسطات الحسابية لاختبار تنمية الثقافة التاريخية والوطنية تبعاً لمتغير المجموعة (تجريبية، ضابطة)، حيث بلغت قيمة ت (7.176) وبدلالة إحصائية (0.000)، وجاءت الفروق لصالح المجموعة التجريبية.

ومن أجل الكشف عن مدى فعالية مدخل التاريخ الشفوي على أداء عينة الدراسة على اختبار تنمية الثقافة التاريخية والوطنية، تم إيجاد حجم الأثر فكان (0.377)، وهذا يعني أن حجم الأثر عالٍ في تنمية الثقافة التاريخية الوطنية لدى المجموعة التجريبية، وقد يعود سبب ذلك إلى أن الطلبة اتبعوا منهج البحث التاريخي الذي يقوم على المقابلة وجمع المعلومات المختلفة من شخصيات تاريخية هذا أدى إلى زيادة ثقافتهم التاريخية الوطنية وعرفهم بتاريخ شفوي غير مدون في الكتب، مما أدى إلى توسيع ثقافتهم الوطنية والتعرف على عقليات وأنماط تفكيرية ووجهات نظر مختلفة من شخصية لأخرى، وتعدّ مقابلات الطلبة للشخصيات من أهم وسائل استثارة قدراتهم في عملية التعلم، وإثراء خبراتهم وزيادة معلوماتهم ومعارفهم وتمكينهم أكاديمياً ومجتمعياً، وتُظهر الثقافة الوطنية سماتها في الأفراد وفي الشعوب على حد سواء، في الوعي الفردي والوعي الاجتماعي والتاريخي.

واتفقت نتيجة هذه الدراسة مع دراسة دولبيرج (Dulberg, 2002) بوجود دور للتاريخ الشفوي في زيادة ثقافة الطلبة واكتسابهم للمفاهيم الوطنية والاجتماعية التي تعنى بكبار السن، كما أكدت على ذلك دراسة ويتمان (Whitman, 2013) حيث أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام التاريخ الشفوي ساعد على تمكين قيم الحرية، والديمقراطية، واحترام الآخر في

النفوس بسبب قصص البطولة والروايات المشوقة التي تم سردها، واتفقت مع دراسة يانج (Yang, 2011) بأنه يزيد من تنمية القيم الاجتماعية والوطنية في مقرر التاريخ.

◀ السؤال الثالث: ما أثر استخدام التاريخ الشفوي كمدخل في تدريس تاريخ الأردن الحديث والمعاصر في إيجاد بيئة تعليمية آمنة؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمقياس البيئة التدريسية الآمنة، والجدول أدناه يوضح ذلك.

الجدول (6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمقياس البيئة التدريسية الآمنة
مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
1	6	عرَفني التاريخ الشفوي على مكانة وطني التاريخية	4.29	0.814	مرتفعة
2	30	نمى التاريخ الشفوي مهارة الإنصات لدي	4.15	0.760	مرتفعة
2	33	درَبني مدخل التاريخ الشفوي على أهمية أن تكون هناك آراء مختلفة لأشخاص مختلفين	4.15	0.823	مرتفعة
4	14	جعلني التاريخ الشفوي أكثر جديهِ في المساق	4.12	0.812	مرتفعة
5	18	زاد التاريخ الشفوي من ثقتي بنفسي	4.10	0.917	مرتفعة
6	5	عرَفني التاريخ الشفوي على الشخصيات التاريخية التي لها دور في تاريخ الأردن	4.07	1.127	مرتفعة
6	10	ساهم في توضيح المعلومات التاريخية	4.07	1.127	مرتفعة
6	23	أتاح التاريخ الشفوي الأجواء الديمقراطية خلال المحاضرة	4.07	0.818	مرتفعة
9	27	شجَعني التاريخ الشفوي على طرح أسئلة ذات مستويات عليا	4.05	0.921	مرتفعة
9	29	عزَز التاريخ الشفوي من قدرتي على ربط الحاضر بالماضي	4.05	0.865	مرتفعة
11	28	يُظهر التاريخ الشفوي قدراتي في المناقشات الجماعية	4.02	0.935	مرتفعة
11	34	أثار لدي مدخل التاريخ الشفوي حب الاستطلاع	4.02	0.961	مرتفعة
13	9	جعلني التاريخ الشفوي أتعلم على مصادر متعددة في الحصول على المعلومات	4.00	0.894	مرتفعة
14	11	جعلني التاريخ الشفوي أشعر بالحيوية والنشاط خلال المحاضرة	3.95	0.835	مرتفعة
14	13	أصبح أسلوب مدرس المساق شيق بفضل استخدام التاريخ الشفوي	3.95	1.117	مرتفعة

الرتبة	الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
14	16	شجّعني التاريخ الشفوي على التعبير عن رأيي وأفكاري	3.95	1.048	مرتفعة
17	20	أشعرني التاريخ الشفوي بدوري المهم خلال المحاضرة	3.90	1.091	مرتفعة
17	22	أفاعل مع المادة الشفوية أكثر من مادة المساق المدونة	3.90	1.136	مرتفعة
20	7	زاد التاريخ الشفوي من تحصيلي في المساق	3.88	1.053	مرتفعة
20	31	مكّني التاريخ الشفوي من تطوير مهارتي في إعادة صياغة أفكار الشخصيات بأسلوبي الخاص	3.88	0.900	مرتفعة
22	1	أدى التاريخ الشفوي إلى صقل ثقافتي كطالب جامعي	3.85	0.853	مرتفعة
23	21	ساهم التاريخ الشفوي في بناء جسور التعاون مع المجتمع المحلي	3.85	0.853	مرتفعة
24	3	شجّعني استخدام التاريخ الشفوي كمدخل تدريسي على التعلم الذاتي	3.80	1.123	مرتفعة
24	19	غير التاريخ الشفوي من روتين التدريس	3.80	1.030	مرتفعة
24	32	شجّعني التاريخ الشفوي على النقد البناء	3.80	0.872	مرتفعة
27	17	ساهم التاريخ الشفوي في تشكيل علاقات ودية بيني وبين زملائي	3.76	0.994	مرتفعة
27	25	زاد مدخل التاريخ الشفوي من تقديري لقيمة للوقت	3.76	1.067	مرتفعة
29	2	صحّح التاريخ الشفوي الأفكار المغلوطة لدي حول التاريخ الوطني	3.71	0.844	مرتفعة
30	15	لبّى التاريخ الشفوي حاجاتي ورغباتي في المساق	3.68	0.960	مرتفعة
31	26	جعلني مدخل التاريخ الشفوي أوّمن بقدرتي على النجاح	3.66	0.990	متوسطة
32	24	أتاح مدخل التاريخ الشفوي قيام مدرس المساق بتعزيزي بسبب المعلومات الإثرائية المتحصلة من استخدام مدخل التاريخ الشفوي	3.61	0.862	متوسطة
33	4	أشرك التاريخ الشفوي إلى جميع الطلبة في المحاضرة	3.41	1.048	متوسطة
34	12	شجّعني مدخل التاريخ الشفوي على عمل أبحاث تاريخية ميدانية تعود بالفائدة على المجتمع المحلي	3.29	1.209	متوسطة
		الدرجة الكلية	3.90	0.464	مرتفعة

يتبين من الجدول (7) ان المتوسطات الحسابية قد تراوحت ما بين (3.29 – 4.29) ، حيث جاءت الفقرة رقم (6) والتي تنص على «عرّفني التاريخ الشفوي على مكانة وطني التاريخية» في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي بلغ (4.29) ، من بينما جاءت الفقرة رقم (12) ونصها «شجّعني مدخل التاريخ الشفوي على عمل أبحاث تاريخية ميدانية تعود

بالفائدة على المجتمع المحلي»، بالمرتبة الأخيرة وبمتوسط حسابي بلغ (3.29). وبلغ المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (3.90) بدرجة مرتفعة، وقد يعود سبب ذلك إلى أن مدخل التاريخ الشفوي يتطلب من الطالب المشاركة والتفاعل والمناقشة وإبداء الآراء ووجهات النظر، هذا الإجراء يؤدي إلى جعل المحاضرة شيقة ممتعة، ويقرب الطلبة من بعضهم، ومن المدرّس، ويعرفهم ببعضهم بعضاً مما يؤدي إلى إيجاد علاقة ودية بين جميع أطراف العملية التعليمية، وتتفق النتيجة الحالية مع نتيجة دراسة يانج (Yang, 2011) في دور التاريخ الشفوي في تحقيق مظاهر البيئة التدريسية الآمنة مثل تعليم الطالب حب التعاون، والمشاركة، وجسر الفجوة الاجتماعية بين المعلم والطالب من جهة، وبين الطلاب أنفسهم من جهة أخرى، علاوة على تمتين قيم الحرية والديمقراطية واحترام الآخرفي النفوس بسبب قصص البطولة والروايات المشوّقة التي تم سردها في دراسة ويتمان (Whitman, 2013)، واتفقت مع هارتلنج وسكوت وجونسون وبيشوب وكلاسين (Hartling, Scott, Johnson, 2013) حيث أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للتاريخ الشفوي في قنوات الاتصال، والالتزام بالمواعيد، وانخفاض قلق المستقبل، وتقبل البيئة المحيطة والتاريخ السابق مقارنة بأفراد المجموعة الضابطة، وفي دراسة عطا الله (Atta- Allah, 2014) كان هناك أثرٌ لسرد القصص الشفوي في تنمية قيمة الأيمان وقيم حب التعلم لدى الطلبة كما يراها المعلمون.

التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليه نتائج الدراسة، نوصي بما يأتي:

1. أن تقوم وزارة التربية والتعليم العالي بدمج مدخل التاريخ الشفوي في كتب التاريخ من خلال الأنشطة التعليمية المختلفة، وتشجيع المعلمين على تشجيع طلبتهم على جمع معلومات تاريخية من المجتمع المحلي، وتنوع مصادر الحصول على المعلومة.
2. عقد دورات تدريبية لمعلمي التاريخ حول كيفية توظيف التاريخ الشفوي كمدخل تدريسي.
3. إجراء دراسات مماثلة على مستويات عمرية وصفية مختلفة لمعرفة فاعلية مدخل التاريخ الشفوي في تطوير قدرة الطالب على التفكير والتحليل ونقد المعلومة والإستنباط.

4. إجراء مزيد من الدراسات لمقارنة فاعلية مدخل التاريخ الشفوي مع طرق واستراتيجيات تدريسية أخرى.

5. العناية بالتاريخ الشفوي كونه يمثل الإرث الحضاري للأمم والشعوب.

المصادر والمراجع:

أولاً - المراجع العربية:

1. أبو حجوح، يحيى محمد و حمدان، محمد عبدالفتاح. (2006). التاريخ الشفوي لواقع التعليم في فلسطين قبل عام 1948م، كتاب أبحاث المؤتمر العلمي التاريخ الشفوي- الواقع والطموح. الجزء الثاني. الجامعة الإسلامية، غزة.
2. اسحق، إبراهيم. (2013). الرواية الشفهية مميزات الرواية الشفوية في البحوث العلمية. هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية استرجع بتاريخ (10 / 9 / 2014) من المصدر:
[http:// www. nraa. gov. om/ showtopic. php?CatID=1&ID=71](http://www.nraa.gov.om/showtopic.php?CatID=1&ID=71)
3. الآغا، عبد المعطي رمضان. (2006). آراء معلمي قبل الخدمة نحو استخدام التاريخ الشفوي كمدخل من مداخل تدريس الدراسات الاجتماعية ابحاث مؤتمرات الجامعة الاسلامية، غزة.
4. بن مومن، الحاج. (2005). وفي الحكاية مآرب اخرى من اعمال ندوة الحكاية الشعبية المغربية ندوة لجنة التراث، الرباط.
5. حُبيدة، محمد. (2013). التاريخ الشفهي، كتابة التاريخ: قراءات وتأويلات. دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط1.
6. الحسن، يوسف أحمد. (2011). تاريخ المسحوقين_ التاريخ الشفهي_. مجلة الواحة، العدد 52. استرجع بتاريخ 5 / 9 / 2013 من المصدر:
[http:// www. alwahamag. com](http://www.alwahamag.com)
7. السنوار، زكريا إبراهيم والجعيدي، نهال. (2006). المقابلة في التاريخ الشفوي. كتاب أبحاث المؤتمر العلمي التاريخ الشفوي. الواقع والطموح. الجزء الأول. الجامعة الإسلامية، غزة.
8. شناوة، جبار رشك و عبد الحسين، ميري زيد. (2010). مدى استعمال التاريخ الشفوي كمدخل من مداخل تدريس مادة التاريخ في المرحلة الثانوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد (9) العددان (3 - 4).

9. الشيخ، عبد الرحمن. (2000) . المدخل إلى دراسة التاريخ. المكتبة الأكاديمية، القاهرة. ط2.
10. عاصي، حسين. (1991). ابن خلدون مؤرخاً، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1.
11. عدوان، عصام محمد. (2006) . التاريخ الشفوي من وجهة نظر اساتذة التاريخ في الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة. جامعة القدس المفتوحة، منطقة غزة التعليمية.
12. العسكر، عبدالله بن إبراهيم. (2007) . أهمية تدوين التراث الشفاهي كمصدر تاريخي. كلية الآداب جامعة الملك سعود، استرجع بتاريخ (11 / 11 / 2013) من المصدر:
[http:// faculty.ksu. edu. sa/ 834/ Pages/ topicacd4. aspx](http://faculty.ksu.edu.sa/834/Pages/topicacd4.aspx)
13. ليسير، فتحي. (2012) . تاريخ الزمن الراهن: عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر. دار محمد علي للنشر، تونس صفاقس. ط1. 125 – 126.
14. هنية، صلاح. (2006) . ” التاريخ الشفوي..... رواية ذاكرة حية“، منتديات ستار تايمز استرجع بتاريخ (5 / 10 / 2013) من المصدر:
[http:// www. startimes. com/ f. aspx?t=5061206](http://www.startimes.com/f.aspx?t=5061206)
15. المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية. (2014) . استرجع بتاريخ (20 / 9 / 2014) من المصدر:
[http:// www. libsc. org. ly/ mrkaz/ index. php/ 2011- 08- 14- 14- 52](http://www.libsc.org.ly/mrkaz/index.php/2011-08-14-14-52)

ثانياً - المراجع الأجنبية:

1. Atta- Alla, M. (2014) . *Using Storytelling to Integrate Faith and Learning: The Lived Experience of Christian Teachers. A Journal of the International Christian Community for Teacher Education*, 1 (1) : 22- 44.
2. Ayten, I & Ernic, c. (2005) . *An assessment of 4th and 7th grade social studies instruction in terms of historical thinking skills. Mediterranean Journal of Educational studies*, 10 (1) ,pp17- 43.
3. Dulberg, N. (2002) . *Engaging in History: Empathy and Perspective-taking in Children's historical Thinking. Eric reproduction document, ED 474- 135*

4. Ehlman, K. , Ligon, M. , Moriello, G. , Welleford, A. , & Schuster, K. (2011) . *Oral history in the classroom: a comparison Of traditional and on- line gerontology Classes. Educational Gerontology*, 3 (7) : 772-79
5. Hartling, L. , Scott, S. , Johonson, D. , & Klassen, T. (2013) . *A Randomized Controlled Trial of Storytelling as a Communication Tool. Plose one Journal*, 8 (10) : 1- 12.
6. Jones, A. (2012) . *Emotional Factors in history Learning via digital history narrative creation. Phd dissertation, university of Iowa,U. S. A.*
7. Mehaffy, George, (1984) . *Oral History in Elementary Classroom, Social Education* 48.
8. Portelli, Alessandro. 1997. (*The Battle of Valle Guilia: Oral History and the Art of Dialogue. Madison, WI: The University of Wisconsin Press,*) ,p. 65.
9. Ronald J. Grele, , interviewed by Studs Terkel, “*It’s Not the Song, It’s the Singing: Panel Discussion on Oral History,*” In Grele, Ronald J. , *Envelopes of Sound: The Art of Oral History 2nd ed (Chicago: Precedent Publishing, 1985) , 87.*
10. Soerger,D. (2002) . *The Many Uses of Digitized Oral History Collections Implication For Design, Malach Ticnical Report. College of Information Studies, University of Maryland,U. S. A,June,p. 2*
11. Stone ,Elizabeth, (2013) . *Teaching Oral History in a College- Level “New Wave Immigrant Literature” Course, Oxford Journals The Oral History Review, Vol 40, Issue 2, Pp. 332- 363.*
12. Whitman, G. (2013) . *Case study: oral history in the classroom. In D. Boyd, S. Cohen, B. Rakerd, & D. Rehberger (Eds.) , Oral history in the digital age. Institute of Library and Museum Services. Retrieved from Chicago.*
13. Yang, J. (2011) . *Stroytelling as a teaching method in classroom. Master thesis, Kristianstad University, Tornto, Canada*

الأوضاع التعليمية والصحية في اللد أواخر العهد العثماني (1864-1917 م) *

أ. احمد سلامة المجالي **

* تاريخ التسليم: 2016 / 2 / 4 م، تاريخ القبول: 2016 / 3 / 26 م.
** أستاذ محاضر / مديرية تربية منطقة القصر / وزارة التربية والتعليم الأردنية / محافظة الكرك / الأردن.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مزيد من جوانب الحكم العثماني لمنطقة اللد في فلسطين، وتهدف أيضاً إلى دراسة متعمقة ومتخصصة في النواحي التعليمية والصحية في منطقة اللد أواخر العهد العثماني (1864 - 1917 م).

لقد تناول عدد من الدارسين والباحثين تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني بدراسة تاريخية جيدة إلا أن هذه الدراسات على أهميتها كانت دراسات شاملة تخدم غرضاً عاماً وهو تاريخ فلسطين من كافة الجوانب في أثناء العهد العثماني، وأغلبها لم يعتمد بشكل رئيس ومباشر على المصادر الأولية وبخاصة السالنامات العثمانية الغنية بالمعلومات التي تخدم دراسات عدة منها الجانب التعليمي.

ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة التي تعتمد بشكل مباشر على ما تقدمه السالنامات العثمانية من معلومات عن النواحي التعليمية في اللد في أواخر العهد العثماني.

الكلمات الدالة: اللد، يافا، دائرة المعارف، الأمراض السارية.

Education in the AL- Lydd Region in the late Ottoman Empire Era from 1864 to 1917

Abstract:

This study aims to investigate more aspects about the Ottoman rule in the AL- Lydd region in Palestine and to introduce a thorough and specialized study about the educational situation in AL- Lydd region in the late Ottoman era between 1864 to 1917.

Many scholars wrote about the history of Palestine in the late Ottoman era, but despite the significance of these studies, they were serving a general purpose, that is, the history of Palestine in general during the Ottoman era without depending on primary sources, especially the Ottoman documents (Alsnamat) that are rich in information that can be beneficial for various types of scholarly studies.

The importance of this study springs from its direct dependence on what was written in the Ottoman Salnames (Year- Book) about the educational aspects in the area of AL- Lydd in the latest era the Ottoman period.

Key words: AL- Lydd , Jaffa, Ottoman era, Ottoman documents

مقدمة:

في بداية خضوع البلاد العربية للدولة العثمانية نجد أن المؤسسات التعليمية العربية بقيت لها تقاليدها دون الخضوع لأنظمة الدولة العثمانية، وقد كان في كل مركز ولاية عربية بل في كل مدينة رئيسة مسجد جامع، وأحياناً أكثر من واحد يستقطب كبار العلماء، والمدرسين، والطلبة كالجوامع الأموي في دمشق ومساجد أخرى في حلب، والأزهر في القاهرة، والأقصى في القدس، والحرمين الشريفين في مكة والمدينة، وقد أنشأ السلاطين والولاة في بلاد الشام مدارس كثيرة دون أن ننسى دور الزوايا، والخوانق، والأربطة التي كان لها دور تعليمي⁽¹⁾.

لقد كان التعليم في الدولة العثمانية قبل النصف الأول من القرن التاسع عشر منحصراً إما في المدارس الدينية أو شبه دينية (الكتاتيب)، وكان التركيز في هذه المدارس منصباً على تعليم القرآن الكريم، والحساب، والقراءة، والخط، وقد كانت هذه المدارس ملبية لحاجات الدولة العثمانية في ذلك الوقت من حيث تخريج الموظفين من كتاب، ووعظة⁽²⁾.

الموضوع الأول - أنواع المدارس العثمانية قبل فترة التنظيمات وبعدها:

ابتداءً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعندما شعرت الدولة العثمانية أن الهزائم العسكرية المتكررة التي تعرضت لها كان بسبب عدم مواكبة التقدم والتطور قامت بإصلاحات تشمل جوانب الحياة المختلفة ومن ضمنها التعليم⁽³⁾.

فقامت الدولة العثمانية على تشكيل لجنة من أجل النهوض في التعليم سنة 1845م اسمها (مجلس المعارف المؤقت) الذي صار يسمى في السنة التالية (مكتب نظارة المدارس العمومية)، وأقر قانون صدر في السنة نفسها مبدءاً للتعليم المجاني والإلزامي ثم قامت على إنشاء سنة 1848م أول دار للمعلمين وتوجت عملها سنة 1857م بإنشاء (وزارة المعارف العمومية)، وسنة 1868م أصدرت الدولة فرمان مهم فيه إلزامية التعليم الابتدائي من سن السابعة إلى الحادية عشرة⁽⁴⁾.

و في سنة 1869م صدر نظام للمعارف وهو قانون مفصل حدد الهيكل الإداري لجهاز التعليم كما حدد أنواع المدارس، وسنوات الدراسة فيها⁽⁵⁾، وحسب هذا النظام تم تقسيم المدارس في الدولة العثمانية إلى⁽⁶⁾:

مدارس (عمومية) ومدارس (خصوصية)، وجعل التعليم العام إلزامياً ومجانياً

لمدة أربع سنوات في المدارس الأولية (الابتدائية) في المدن والقرى، أما مدارس المرحلة التالية (الرشدية) التي تستمر فيها الدراسة لمدة أربع سنوات أخرى نص القانون على أن تكون في المدن الكبرى، وقسم التعليم الثانوي إلى مرحلتين: سفلى (إعدادية) وعليا (سلطانية) (7).

المدارس العمومية التي تشرف عليها الدولة المنتشرة في اللد وجوارها هي:

1. مرحلة التعليم الابتدائي ومدتها 7 سنوات وتقسم إلى:

- مرحلة التعليم الابتدائي الدنيا (المكاتب الصببانية) ثلاث سنوات في المدن، وأربع سنوات في القرى وكانت مجانية التعليم، وهذه المدارس هي أدنى المراحل، مدة الدراسة بها أربع سنوات والتعليم بها إلزامي للذكور (7 - 11) والإناث (6 - 10) ومدارس الذكور منفصلة عن مدارس الإناث (8).

- مرحلة التعليم الابتدائي العليا (المكاتب الرشدية)

ومدة الدراسة أربع سنوات وتبدأ من سن 11 إلى سنة 15 سنة، والتعليم في هذه المرحلة مجاني، هذه المدارس تكون في كل قسبة يتجاوز أهلها عن 500 أسرة ويكون لكل مدرسة (مكتب) رشدي معلم أول، ومعلم ثانٍ وإذا كان في المنطقة مسلمون ومسيحيون يتم إنشاء مدرسة رشدية واحدة شرط أن يكون هناك أكثر من مائة بيت (9).

لقد كان للإناث مدارس رشدية في المدن الكبرى وإذا كان هناك مسلمات ومسيحيات يكون للمسلمات مكتب رشدي (مدرسة رشدية) منفرد، وللمسيحيات مكتب رشدي منفرد، ولهذه المدارس معلمات من الإناث ومدة الدراسة أربع سنوات (10).

2. مرحلة التعليم الثانوي: وهذه المرحلة غير موجودة في اللد وجوارها بل هي

غير موجودة في قضاء يافا عامة خلال فترة الدراسة، ومدتها ست سنوات تقسم إلى (11):

- مرحلة التعليم الثانوي الدنيا (مكتب إعدادي) مدة الدراسة ثلاث سنوات، وتقتصر هذه المدارس على المدن أو المناطق فيها أكثر من 1000 أسرة وتنفق الحكومة على هذه المدارس.

- مرحلة التعليم الثانوي العليا (مكتب سلطاني) مدة الدراسة ثلاث سنوات، وتقتصر على الطلاب الذين نجحوا في المدرسة الثانوية الدنيا، وهي مدارس غير مجانية التعليم حيث تتقاضى المدرسة الرسوم من الطلاب وتقبل 5% من الطلاب مجاناً و10% نصف الأجر.

3. مرحلة التعليم العالي (المكتب العالي) وهي دار المعلمين، ودار المعلمات، ودار ومكاتب الفنون والصنائع الأخرى وهي تقتصر على الطلاب المتفوقين في مرحلة التعليم الثانوي العليا⁽¹²⁾.

لقد كانت مرحلة التعليم الثانوي العليا (مكتب سلطاني) تقتصر هذه المدارس على القدس أما مرحلة التعليم العالي (المكتب العالي) لا يوجد أي منها في فلسطين وإنما أنشئت في إسطنبول، ودمشق، وبيروت⁽¹³⁾، لم يتم إنشاؤها في منطقة اللد وجوارها بل تم إنشاؤها في مراكز الولايات (مثل دمشق والقدس).

الموضوع الثاني - المناهج والامتحانات في المدارس الحكومية العثمانية:

من خلال الاطلاع، ودراسة الدستور، وبعض الصحف المعاصرة لفترة الدراسة استطاع الباحث أن يتوصل إلى أهم المناهج التي تُدرس في المدارس (الابتدائية والرشدية) وهي:

أ. المواد المُدرسة في المدارس الابتدائية:

المواد التي تُدرس في المدارس الابتدائية كما ورد في الدستور العثماني وتسمى ألف باء وهي:

القرآن الكريم مع التجويد، والرسائل والمتعلقة بـ (الاخلاق) تعليم الكتابة وعلم الحال، مختصر فن الحساب، مختصر التاريخ العثماني، مختصر الجغرافيا، رسالة جامعة للمعلومات النافعة (غير المسلمين)⁽¹⁴⁾.

وفي المادة السابعة يحق تغيير أي مقرر أو تعديله بموافقة المجلس المحلي بعد موافقة نظارة المعارف الجليلة، ورأي مجلس المعارف الكبير⁽¹⁵⁾؛ لأنها الجهات الرئيسة المشرفة على التعليم الحكومي والقادرة على تغيير أي مقرر أو تعديله.

يتم ترفيع الطلاب والطالبات الذين أنهوا هذه المرحلة إلى المكاتب الرشدية بدون امتحان مع العلم أن مدارس الطلاب مستقلة عن مدارس الطالبات⁽¹⁶⁾.

وفي «سالنامه نظارت المعارف العمومية» نجد جدولاً للمواد المُدرسة في المدارس الابتدائية مع تفصيل كل مادة على حدة وهي⁽¹⁷⁾: ألف باء، والقرآن الكريم، والتجويد، وعلم الحال، إملاء، وقراءة، وصرف عثمانى، حساب، وحسن الخط، ولا بد من الإشارة إلى أن «سالنامه نظارت المعارف» تفصل وتبين المواد المُدرسة وعدد الدروس بشكل وافٍ⁽¹⁸⁾.

وحسب جريدة ثمرات الفنون كان يُدرس في هذه المدارس الابتدائية منهاج دراسي مكون من المواد التالية: ألف باء عثمانى، وحساب ذهني، وقراءة، وخط، وعلم الحال الديني، أجزاء من القرآن الكريم مع التجويد، التاريخ، الجغرافيا، الأخلاق، والنظافة، والإنشاد⁽¹⁹⁾. في عام 1910م أصدر مدير معارف سورية برنامج التعليم الابتدائي الذي وضعه مجلس معارف الولاية وهذه المواد هي:

جزء ألف باء، أجزاء من القرآن الكريم، وخط على الألواح، وعلم الحال الديني، وعلم الحال الوطني، والتاريخ، والحساب، والجغرافيا، واللسان العثماني، وحسن الخط، والإنشاء، والنظافة⁽²⁰⁾.

وفي عام 1913م صدر قانون عثماني جديد للتعليم يتضمن إدخال إصلاحات متعددة الجوانب وبموجبه أصبح التعليم الابتدائي إلزامياً ومجانياً في جميع الولايات العثمانية، وتضمن القانون عدداً من المواد التي هدفت إلى تقوية سلطة وزارة التعليم (المعارف) في العاصمة، وسلطة الموظفين الحكوميين على المدارس الابتدائية الأولية التي كانت تشرف عليها الجمعيات المحلية في القرى، وتم دمج المدارس الابتدائية بالمدارس الرشدية وظهرت مدارس تسمى المدارس السلطانية ومدة الدراسة بها 12 سنة الخمس الأولى منها ابتدائية وفي المادة 15 من هذا القانون الجديد للتعليم ضمنت حق جميع المواطنين العثمانيين في الالتحاق في المدارس دون تمييز⁽²¹⁾، فحسب هذا القانون يحق للمواطن العثماني على اختلاف أعراقهم وأديانهم الالتحاق بالمدارس الحكومية على اختلاف أنواعها بشكل إلزامي ومجانى.

ب. المواد المُدرسة في المدارس الرشدية:

حسب المادة 23 في الدستور العثماني كان يُدرس في هذه المدارس المواد الآتية⁽²²⁾: مبادئ العلوم الدينية، قواعد اللسان العثماني، الإملاء والإنشاء، القواعد العربية والفارسية، علم الحساب، أصول مسك الدفتر، رسم الخطوط، مبادئ الهندسة، التاريخ العمومي والتاريخ العثماني، الجغرافيا، الجمباز. يتم تدريس اللغة الفرنسية في السنة الرابعة من هذه المرحلة اختيارياً على اعتبار أن اللغة الفرنسية هي اللغة الثانية بعد اللغة التركية، أما بالنسبة للأمور المذهبية في الدين لغير المسلمين فتدرس كل فئة حسب لغتها الرسمية ولسانها.

وكما ذكرنا سابقاً فإن مدارس الذكور منفصلة عن مدارس الإناث ولا يجوز للمعلمين العمل في مدارس الإناث إلا في حالة عدم وجود معلمات وبصورة مؤقتة بشرط أن يكون المعلم مسن⁽²³⁾.

وفي «سالنامة نظارت المعارف العمومية» نجد جدولاً للمواد المُدرسة في المدارس الرشدية وهي⁽²⁴⁾: ((القران الكريم مع التجويد وعلوم دينية، عربي، تركي، فارسي، فرنسي (وتكون في السنة الأخيرة من المرحلة)، حساب، هندسة، جغرافيا، تاريخ، معلومات نافعة، حسن خط، رسم)).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن سالنامة نظارت المعارف كانت تفصل وتبين المواد المُدرسة وعدد الدروس بشكل واف⁽²⁵⁾.

أما مناهج مدارس الإناث الرشدية فكان يُدرّس بها: العلوم الدينية، والتاريخ، والجغرافيا، وقواعد اللسان العثماني، وأصول الحساب، ومبادئ قواعد العربية والفارسية، وعمليات الخياطة، وتدبير البيوت، والرسم، والموسيقى⁽²⁶⁾، وفي «سالنامة نظارت المعارف العمومية» نجد جدولاً للمواد المُدرسة في مدارس الإناث الرشدية وهي⁽²⁷⁾:

ألف باء ومعلومات شفاهية، القران الكريم مع التجويد، علوم دينية، إملاء وكتابة، قواعد اللسان العثماني، عربي، فارسي، حسن خط، دروس وأشياء ومعلومات نافعة، إدارة بيتيه، أخلاق، حفظ الصحة، حساب، جغرافيا، تاريخ.

مما سبق نلاحظ مناهج مدارس الإناث يختلف عن مناهج مدارس الذكور بوجود مواد خاصة بالإناث مثل: تسمى تدبير البيوت، وعمليات الخياطة.

الموضوع الثالث - شعبة المعارف:

لقد نص نظام المعارف العمومية حسب دستور 1869م على وجوب تشكيل مجلس للمعارف، حيث يشكل في كل ولاية لمجلس للمعارف ليكون شعبة لمجلس معارف دار السعادة الكبير (في اسطنبول) ومهمات هذه المجالس إضافة إلى تنفيذ الأحكام والتعليمات التي ترد من نظارة المعارف والمحافظه على المخصصات المالية، وما يتحصل من الإعانات التي تؤخذ من الأهالي، وصورة صرفها، واستعمالها، والإشراف على التعليم في المنطقة، وتعيين المعلمين ونقلهم، ومكافأتهم، ورواتبهم، وإجراء امتحانهم، وإعطائهم أوراق الشهادة وإضافة لكل ذلك يتم رفع مضبطة إلى معارف الولاية عن أحوال التعليم⁽²⁸⁾.

وقد زدتنا سجلات محكمة يافا الشرعية بأسماء عدد من رؤساء شعبة المعارف في قضاء يافا ومنهم:

إبراهيم أفندي بن حصن الدين بن العارف بالله الشيخ عبدالقادر أفندي أبي رباح

الدجاني رئيس شعبة معارف قضاء يافا (29)، والشيخ محمد توفيق أفندي بن السيد عبدالله أفندي بن الشيخ محمد أفندي الدجاني رئيس معارف يافا (30).

الموضوع الرابع - الأنماط التعليمية المنتشرة في اللد وجوارها:

1. الكتابات:

أوردت المعاجم اللغوية أن الكتاب موضع تعليم الكتاب، والجمع كتابات والمكاتب والكتاب أيضاً تعني الصبيان والمكتب هو المعلم والمكتب هو مكان التعليم (31).

إن الكتابات ظاهرة تعليمية قديمة عرفها العرب منذ الجاهلية، واستمرت في أسلوبها التقليدي في تلقين الصغار مبادئ القراءة والكتابة وبعض المعارف الأخرى حتى نهاية العهد العثماني، واستمرت حتى منتصف القرن العشرين (32).

وكانت هذه المدارس الدينية أو شبه دينية ملحقة عادة بالمساجد بينما كان عدد الطلاب فيها قليلاً، وكانت طرق التعليم تقليدية تعتمد في معظمها على الحفظ والتلقين والتكرار (33).

لقد كان التعليم في الكتاب في المقام الأول في قراءة القرآن الكريم وتحفيظه لا في دراسته وتفسيره إضافة إلى تعليم القراءة والخط (34).

وفي هذه النمط يتولى فيه شيخ الكتاب التدريس سواء أكان ذلك في المسجد أم في منزل الشيخ مقابل هبات عينية كالسمن والحبوب والبيض وغيرها، وهي من الأجور الزهيدة وتسمى (الخميسية)؛ لأن الشيخ يأخذها كل خميس من الأسبوع، ويُدرس بها القرآن الكريم في المقام الأول، ويُدرس بها كيفية القراءة والكتابة، وبعض الحساب، وقليل من المعارف الدينية واللغوية، وكان هناك بعض كتابات للبنات يطلق على المعلمة لقب (الخوجة) وكانت هذه الكتابات تقام عادة بالقرب من المساجد أو في المساجد نفسها، أو في الزوايا والخوانق والترب، أو في منزل الشيخ نفسه، أو في أي بيت أو غرفة صالحة لهذا الغرض (35).

كانت أجور الشيخ رمزية تدفع يوم الخميس من كل أسبوع قبل عطلة الجمعة وهي عبارة عن بيض أو خبز وغيرها من الأجور العينية، ومنهم من كان يتقاضى أجور نقدية، ويسمى ما يتقاضاه الشيخ كل أسبوع (الخميسية) (36).

إن عدداً من الكتابات التي عرفت في العهد العثماني ظل بعضها مستمراً إلى وقت متأخر من الانتداب البريطاني ومن هذه الكتابات:

كتاب الشيخ محمد بكر بن عمر بن بكر في جامع اللد (37)، وكتاب الشيخ سليم حسن

اليقوبي في المسجد العمري (الجامع الكبير في اللد) (38).

ومن مدرسي الكتاتيب في العهد العثماني:

الشيخ سليم حسن اليقوبي، والشيخ رباح الناجي الكيالي (العهد العثماني)، والشيخ عمر الشاقلدي، والشيخ عثمان علي عبد الله، والشيخ عبد البديع العكش الصالحي، والشيخ محمود الغالي، وبنات حمزة أخوات الحاج إبراهيم حمزة (في العهدين العثماني والبريطاني) (39).

ومن قرية المزيرعة تخرج من الأزهر في عام 1323هـ / 1905م الشيخ يوسف عبد الرحمن، والشيخ عمر عبد الله ناصر، وقد تتلمذا على يد الشيخ محمد عبده، والشيخ جمال الدين الأفغاني، واستلم الشيخ يوسف عبد الرحمن التدريس رسمياً في مدرسة القرية (الجامع) حتى نهاية الحكم العثماني، أما الشيخ عمر عبد الله ناصر فقد اعتذر عن التدريس في مدرسة القرية (الجامع) واكتفى بعقد الحلقات الدراسية الدينية لأهالي القرية في ساحة الجامع بعد صلاة العصر وبخاصة في شهر رمضان المبارك يعلمهم ويرشدهم (40).

ولقد نجحت هذه الكتاتيب إلى حد ما في سد بعض النقص الحاصل في المدارس الحكومية التي أنشأتها الدولة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومما يدل على انتشار التعليم الديني (الشرعي) في منطقة الدراسة ظهور عدد من العلماء والأعيان منهم:

■ الشيخ خليل بن حماد بن أديب اللدي: فقيه، من أهل (لد) تعلم بالأزهر، وصنف (المطالب السنية - ط) أبواب فقهية لم ترد في مجلة الأحكام العدلية كالوقف والطلاق، وفي مقدمتها ترجمة له 97 صفحة توفي سنة 1912م (41).

■ الشيخ اليقُوبِي (1297 - 1359 هـ = 1880 - 1941 م) سليم بن حسن اليقوبي، أبو الإقبال: شاعر، كثير النظم، له علم بالفقه والأدب. ولد في بلدة (لد) بفلسطين، وتعلم بها، ثم بالأزهر، حيث أقام 12 عاماً. وعين مدرسا في جامع (يافا) فمفتيا لها سنة 1322 هـ، وتوفي بمكة بعد تأدية مناسك الحج. وكان ينعت بحسّان فلسطين، له حسنات اليراع وهو ديوان شعره في شبابه، و (حكمة الإسلام) رسالة، و (الاتحاد الإسلامي) و (المنهج الرفيع في المعاني والبيان والبديع)، و (حسّان ابن ثابت) (42).

■ السيد حسين أفندي حسني بن الشيخ عمر أفندي الخطيب اللدي كان معلماً في مكاتب رشدية في ولاية حلب ثم نائباً في قضاء اللحية من ولاية اليمن، وكان نائباً بقضاء قطر التابع لولاية البصرة وكان نائب حصن الأكراد (43).

■ السيد محمد تميم أفندي بن عمر أفندي الخطيب نائب في قضاء بيت فقيه من ولاية اليمن (44).

■ الشيخ محمد مطر بن السيد أحمد سيف الدين الحسيني اللدي أي أنه من اللد (45) ، تولى منصب نائب النائب الشرعي مرتين في محكمة اللد الشرعية، فقد تم تعيين الشيخ محمد مطر بن السيد أحمد سيف الدين الحسيني نائباً في قسبة اللد سنة 1325هـ (46) ، و عين نائباً في قسبة اللد مرة أخرى سنة 1327هـ (47).

■ الشيخ عبد الغني بن ياسين اللدي: فقيه حنبلي من أهل نابلس، أصله من لد له « دليل الناسك لأداء المناسك » توفي سنة 1319هـ / 1901م (48).

إن وجود هذا العدد من العلماء دليل واضح على انتشار التعليم الشرعي (الكتاتيب) في منطقة الدراسة.

2. المدارس الحكومية:

■ المكاتب (المدارس) الابتدائية:

المدارس الرسمية (الحكومية) هي المدارس التي تديرها الدولة إذ يتم تعيين مديرها ومعلميها وباقي منتسبيها من قبل الدولة وتسمى عادة (مكتب) وجمعها (مكاتب) (49).

وحسب سالنامة ولاية سورية 1288هـ / 1871م كان يوجد في منطقة اللد وجوارها ثلاثة مكاتب (مدارس) ابتدائية للذكور و مكتبان (مدرستان) ابتدائيان للإناث، وكان يوجد في اللد نفسها مدرستان ابتدائيتان واحدة للذكور والثانية للإناث (50) ، و مدرسة اللد الأميرية للبنين تقع جنوب شرق المدينة قرب بيّادر المدينة (النوادر) وعلى الشارع المؤدي للحارة الشرقية، وكانت تتكون من خمسة صفوف (الأول الابتدائي - الخامس الابتدائي) ، وكان يدير المدرسة في العهد العثماني يعقوب الجمل (51) ، ومن المدرسين في العهد العثماني صالح الصالحي، والشيخ سعيد الفار (52).

وأما القرى المجاورة لللد فقد ذكرت لنا سجلات محكمة يافا الشرعية وجود بعض من مدارس (مكاتب) ابتدائية وأسماء المعلمين بها مثل:

معلم في مكتب ابتدائي قرية جمزو الشيخ حسن بن صالح الطيبي (53) ، ومعلم في مكتب قرية السافرية الشيخ سعيد أفندي الخليل (54) ، ومعلم في مكتب قرية بيت دجن الشيخ عبد الرحيم المصلح (55).

يرى (دروزة) في مذكراته أن المدرسة الابتدائية تمتاز بالمظهر الديني فكان يشدد على الطلاب لأداء الصلاة والاهتمام بتعليم القرآن الكريم وتجويده، وكانت المدرسة في

آخر كل سنة تقيم احتفالاً بالختم القرآني وكان الطالب الذي يختم القرآن يزين كرسيه بالفوانيس والأشرطة الحريرية المتنوعة والزهور، ويلبس الطالب ملابس جديدة، ويكون أهله وجيرانهم وأصدقاؤهم مجتمعين في المدرسة، ثم يركب فرساً وتنظم له زفة كبيرة تنشد بها والأهازيج وتسير في الشوارع والحارات (56).

■ المدارس الرشدية:

لم يتم إنشاء مدرسة رشدية في اللد إلا في السنوات الأخيرة من العهد العثماني حيث أوردت جريدة فلسطين سنة 1913م وجود مدرسة تسمى (مدرسة اللد الرشدية) (57).

■ المدارس الخاصة (غير رسمية)

المدارس غير رسمية هي التي تقيمها الأفراد والطوائف والأجانب، ولا يتم تعيين منتسبيها من قبل الدولة بل من قبل مؤسسها الذين يتحملون نفقاتها، وتستوفي الأجور من طلبتها، وهي نوعان: النوع الأول مدارس خاصة إسلامية، والنوع الثاني المدارس غير إسلامية (58).

النوع الأول مدارس إسلامية لم توجد في منطقة الدراسة بل كانت معظم المدارس الخاصة مدارس تبشيرية أسستها الإرساليات الأجنبية، ولم تذكر المصادر وجود مدارس أهلية خاصة أنشأها أهل البلاد.

لقد ارتبط التعليم الأجنبي في فلسطين مباشرة بأوضاع الدولة العثمانية السياسية، ومدى تدخل الدول الأجنبية في شؤونها الداخلية، وتزامن هذا التداخل تحديداً مع ضعف الدولة العثمانية، وبداية انحسارها، ولقد تغلغل الأجنبي في فلسطين عبر الإرساليات التبشيرية.

مع وجود مدارس ذكرتها سالنامة المعارف تحت عنوان المدارس غير الإسلامية دون ذكر إلى أي طائفة تتبع. مثل:

■ مدارس (الإرساليات التبشيرية) :

وتسمى المدارس غير الإسلامية، وكانت قسمين: القسم الأول مدارس (الملية) وتعود ملكيتها إلى الطوائف الدينية، وتغطي نفقاتها الأوقاف المخصصة لها، وتدار من قبل الطوائف والبطريركيات، والتي تتبعها القسم الثاني هي المدارس الخاصة التي تقام من قبل الأفراد والأشخاص (59)، والقسم الأول كان منتشراً في منطقة الدراسة عكس القسم الثاني غير الموجود فلم يؤسس الأهالي مدارس خاصة، ويمكن إرجاع ذلك إلى وجود عدد

من المدارس الحكومية الكافية أما إنشاء المدارس غير الإسلامية فلها أهداف أخرى غير التعليم أهمها نشر الثقافة الغربية.

ومما يلفت النظر أن هذه المدارس التي أسسها المبشرون في أواخر الحكم العثماني، وكان مستوى التعليم في هذه المدارس أعلى من مستوى المدارس الحكومية كما أنها كانت إجمالاً أكثر اهتمام باللغة العربية⁽⁶⁰⁾.

التعليم المسيحي:

لقد ذكرت سالنامة المعارف لسنة 1318هـ وتحت عنوان المدارس غير الإسلامية، ومن دون ذكر أي طائفة تتبع لها وجود مدرستين كان صاحب الترخيص في اسم (فيسيس ولتيرس) وهي مدرسة ابتدائية للذكور تأسست سنة 1282هـ / 1865م، وتم ترخيصها سنة 1313هـ كان بها سنة 1318هـ 30 طالباً، ومدرسة ابتدائية للإناث تأسست سنة 1284هـ / 1868م رُخصت سنة 1313هـ كان بها سنة 1318هـ 60 طالبة⁽⁶¹⁾، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المسلمين التحقوا بهذه المدارس لأن مستوى التعليم بها أعلى من مستوى التعليم في المدارس الحكومية كما ذكرنا سابقاً، ولقد أسهمت عملية التدريس باللغة التركية في المدارس الحكومية، إلى الإقبال الشديد على المدارس الخاصة، والتابعة للجاليات الأجنبية والمؤسسات الخاصة لكونها تستخدم اللغة العربية في التدريس⁽⁶²⁾.

أما مدارس الأرثوذكس فقد اهتمت الحكومة الروسية (باعتبارها أكبر دولة أرثوذكسية) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بإنشاء المدارس لتعليم أبناء الطائفة الأرثوذكسية في بلاد الشام في إطار خططها لتقوية المذهب الأرثوذكسي بين أتباعه من المسيحيين المحليين، ونشر الثقافة الروسية بينهم، والتصدي للإرساليات التبشيرية الغربية التي تسعى لتحويل الأرثوذكس إلى المذاهب المسيحية الغربية⁽⁶³⁾.

وقد ذكرت سالنامة المعارف العمومية لسنة 1318هـ وجود مدرستين ابتدائيتين للروم الأرثوذكس واحدة للذكور وأخرى للإناث تأسست كل منهما سنة 1160هـ، وتم ترخيصهما سنة 1313هـ كان في مدرسة الذكور سنة 1318هـ 35 طالباً⁽⁶⁴⁾.

المنهج الذي درس في هذه المدارس: القراءة والكتابة باللغة العربية، والحساب، وكتب التدريس هي (نخب الملاح) وكتاب (السراج المنير)⁽⁶⁵⁾.

ومما جعل المواطنين يُقبلون على مدارس الجمعية الروسية (الأرثوذكسية) مراعاتها للخصائص القومية للسكان العرب فعملت على إدخال موضوع تاريخ الخلافة العربية في برامج تعليمها، وتعليم التلاميذ تاريخ الأدب العربي الحديث بطريقة معاصرة⁽⁶⁶⁾.

أما البروتستانت فقد ذكرت سالنامة المعارف العمومية لسنة 1318هـ وجود مدرستين ابتدائيتين للبروتستانت واحدة للذكور تأسست سنة 1282هـ / 1865م وأخرى للإناث تأسست 1284هـ / 1901م كان يوجد فيهما سنة 1318 - 1319هـ 30 طالباً و 60 طالبة⁽⁶⁷⁾، وفي سالنامة المعارف 1321هـ كان في مدرسة الذكور 30 طالباً وفي مدرسة الإناث 69 طالبة⁽⁶⁸⁾.

وعلى ما يبدو أن المدارس البروتستانتية كانت تركز على تدريس اللغة الإنجليزية، فكانت تدرس اللغات الإنجليزية، والعربية، والتركية، والفرنسية، والحساب، والجبر، والطبيعات، والجغرافيا، والتاريخ، والفيزيولوجيا (علم الأحياء)، والتصوير، والموسيقى، والأدب، والكتاب المقدس⁽⁶⁹⁾، وهذا ما أكد عليه الفارفي كتابه اللد أن الطلاب يتلقون فيها العلوم المختلفة، واللغتين العربية والإنجليزية⁽⁷⁰⁾.

وكانت المدارس البروتستانتية اتبعت مجانية التعليم في بداية إنشائها إلا أنها غيرت سياستها وبدأت تفرض الرسوم على طلابها⁽⁷¹⁾.

الموضوع الخامس - أساليب وأدوات التدريس والتقويم:

لقد اعتمد المعلمون على الحفظ والتلقين للطلاب، وكانت تعليمات التقويم المدرسي خاضعة لمفتشي المعارف العثمانيين، واعتمدت تقاريرهم على قدرات المعلمين في تحفيظ المقررات المواد الدينية، والقرآن الكريم، وعلى الالتزام باستخدام اللغة التركية في التعليم، وقد أصبحت عمليات التفتيش من صلاحيات مجالس التعليم في كل ولاية للتأكد من كفاءات المعلمين، وتعتمد عملية التفتيش على الكتابات والزوايا الموجودة في المساجد⁽⁷²⁾.

وقد كان العقاب البدني منتشراً بدرجة كبيرة؛ فقد كان أسلوب المعلمين في المدارس أسلوباً قمعياً، حيث يستعمل المعلمون سلطاتهم على الطلاب الذين يقضون معظم أوقاتهم في المدرسة فيستخدمون العقاب البدني بشكل عنيف ضد الطلاب لإجبارهم على الحفظ أو في حالة حدوث أي إساءة منهم⁽⁷³⁾، وقد أكد (دروزة) في مذكراته على ذلك فذكر أن الطلاب المشتكي عليهم من قبل المعلمين أو الطلاب يعاقبون بـ (الفلقة) وكان المدير هو الوحيد الذي يستطيع عقاب الطلاب بالفلقة، وكان يضربهم أحياناً بالسوط على أكف أيديهم ومن حق المعلمين استخدام السوط أيضاً كعقاب في حين كان الطالب يعاقب ليس بسبب عدم تحصيله الدراسي بل في الغالب يعاقب لأنه ارتكب سلوكاً سيئاً

أو أنه لا يحترم تعليمات إدارة المدرسة، بينما كان للمجتهدين في دروسهم وواجباتهم وسلوكهم ورقات مذهبة منها ما يسمى (أفرين) وهي كلمة فارسية بمعنى (مرحى) وهي التي عرفها العوام بمعنى (عفارم) ، ومنها ما يسمى (تحسين) ، وهي أرقى وأكبر حجماً ومنها ما يسمى (امتيان) وهي أرقى وأكبر وكان الطلاب يحتفظون بهذه الجوائز إلى آخر السنة بأمر من إدارة المدرسة، ويقدمونها لإدارة المدرسة التي توزع عليهم جوائز في آخر السنة كتب مقابل ذلك (74) .

وبالنسبة إلى تقويم الطلاب فكان يعتمد على أساليب الحفظ التي يستخدمها المعلمون لتبرير نجاحهم في مهنتهم وتبقى الامتحانات الكتابية والشفوية هي أكثر الأساليب المتبعة في ذلك (75) .

وحسب نظام المعارف الموجود في الدستور فقد كان يُعقد ثلاثة امتحانات منها امتحانان فقط تُعقد في منطقة الدراسة (للمدارس الابتدائية والرشدية) وهما (76) :

1. امتحان يجري في نهاية كل سنة للانتقال من صف إلى آخر ضمن المرحلة الواحدة، ويسمى (الصف الامتحاني) ، ويجري الامتحان في المكاتب الصبانية (الابتدائية) بحضور المعلمين في مجلس اختيارية القرية أو المحلة، أما المدارس الرشدية فيعقد الامتحان بحضور أهل العلم في المدينة أو القرية إضافة إلى معلم أول من مكتب الرشدية.

الامتحان الثاني يسمى (الامتحان المكتبي) يُجرى في ختام المرحلة، وبعد النجاح ينتقل الطلبة من رشدي إلى إعدادي وهكذا.

وكان التلاميذ الذين يمتحنون النوع الثاني يحصلون على شهادة تثبت أهليتهم، ويمكنهم بهذه الشهادة أن يقبلوا في مكتب أعلى دون امتحان (77) .

كانت الامتحانات شفوية فقط فقد كان يعطى لكل مادة عدة أيام للاستعداد، وكان يدعى (كما ذكرنا سابقاً) بالإضافة إلى معلم المادة شخصان أو ثلاثة من المعلمين أو ممن لهم إمام بالمادة من الموظفين وضباط وعلماء في المدينة، ويدخل الطلاب واحداً بعد الآخر، ويوجه إليهم المعلم أو أحد الأشخاص الأسئلة ويستمعون إلى إجاباتهم ثم يخرج ويقرر له الممتحنون العلامة، وكانت العلامة التامة (عشرة) وتوصف (على الأعلى) وهذا هو الوصف الذي يوصف به من أخذ (تسعة) أيضاً ثم توصف الثمانية والسبعة بوصف (أعلى) وبعدها وصف وسط (78) .

الختام:

في ختام هذا البحث توصل الباحث إلى عدة نتائج أهمها:

1. لقد بدأت الدولة العثمانية في بناء المدارس الحكومية في اللد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي فترة متأخرة جداً وقد كان للحكم المصري لبلاد الشام 1831 - 1841م اثر كبير على الأحوال التعليمية في الدولة العثمانية.
2. إن المدارس الحكومية التي كانت منتشرة في اللد قليلة العدد ولم تغطِ احتياجات أهالي اللد التعليمية، وهذه المدارس كانت نوعين فقط إما ابتدائية أو رشدية.
3. انتشر التعليم الشرعي (الكتاتيب) في منطقة الدراسة، وقد نجحت هذه الكتاتيب إلى حد ما في سد بعض النقص الحاصل في المدارس الحكومية التي أنشأتها الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فنجد عدد كبير من العلماء الذين تخرجوا منها.
4. لقد ارتبط التعليم الأجنبي في منطقة الدراسة بشكل مباشر بأوضاع الدولة العثمانية السياسية ومدى تدخل الدول الأجنبية في شؤونها الداخلية وتزامن هذا التداخل تحديداً مع ضعف الدولة العثمانية وبداية انحسارها، ولقد تغلغل الأجنبي في فلسطين عبر الإرساليات التبشيرية.
5. لقد تم تأسيس عدداً كبيراً من المدارس الأجنبية (الإرساليات التبشيرية) وكانت أكثر من المدارس الحكومية وهذه المدارس أكثرها ابتدائية، وقد سدت المدارس الأجنبية (الإرساليات التبشيرية) النقص الناجم في المدارس الحكومية.

الهوامش:

1. للمزيد انظر: أوغلي، أكمل الدين، 1999م، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح السعداوي، مج2، ص ص 314 - 319، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، سيشار إليه لاحقاً، أوغلي، الدولة.
2. العمامرة، محمد حسين، رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني، مجلة صامد الاقصادي، عدد 109، 1997م، ص 231، سيشار إليه لاحقاً، العمامرة، رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين.
3. العمامرة، رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين، ص 232.
4. للمزيد انظر: العسلي، كامل، التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، القسم 2، المجلد الثالث، ص 24، ط 1، بيروت 1990م، سيشار إليه لاحقاً، العسلي، التعليم في فلسطين: أوغلي، الدولة، مج 2، ص 407 - 408.
5. العسلي، التعليم في فلسطين، ص 24.
6. الدستور العثماني، نوفل نعمة الله (1300هـ / 1883م)، مراجعة خليل أفندي الحوراني (مترجم)، بيروت، المطبعة الأدبية، مج 2، ص 156، سيشار إليه لاحقاً، الدستور.
7. المصدر نفسه، مج 2، ص ص 156 - 160.
8. المصدر نفسه، مج 2، ص ص 157 - 158.
9. المصدر نفسه، مج 2، ص ص 159 - 160.
10. المصدر نفسه، مج 2، ص ص 160 - 161.
11. المصدر نفسه، مج 2، ص ص 161 - 164.
12. المصدر نفسه، مج 2، ص ص 165 - 166.
13. نشوان، جميل عمر (2004م)، التعليم في فلسطين منذ العهد العثماني وحتى السلطة الوطنية الفلسطينية، دار الفرقان، ص 50، عمان، سيشار إليه لاحقاً، نشوان.
14. الدستور، مج 2، ص 157.
15. المصدر نفسه، مج 2، ص 157.
16. المصدر نفسه، مج 2، ص 158.

17. سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1316هـ / 1898م، ص338: سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1317هـ / 1899م، ص385.
18. للمزيد انظر: سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1316هـ / 1898م، ص338 - 353: سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1317هـ / 1899م، ص385 - 400.
19. جريدة ثمرات الفنون، بيروت، ع 889، 20 حزيران 1892م، ص ص -3 4.
20. جريدة المقتبس، دمشق، عدد 534، 26 تشرين ثاني 1910م، ص3.
21. القطشان، عبد الله، التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1516 - 1948م، ج 1، ص16، ط1، دار الكرمل للنشر، عمان، 1987م، سيشار إليه لاحقاً، القطشان، التعليم.
22. الدستور، مج 2، ص159.
23. المصدر نفسه، ص159.
24. سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1316هـ / 1898م، ص358: سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1317هـ / 1899م، ص402.
25. للمزيد انظر: سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1316هـ / 1898م، ص359 - 392: سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1317هـ / 1899م، ص403 - 432.
26. الدستور، مج 2، ص161.
27. سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1316هـ / 1898م، ص393: سالنامه نظارت المعارف العمومية، عام 1317هـ / 1899م، ص433.
28. الدستور، مج 2، ص ص 177 - 179.
29. السجل الشرعي لمحكمة يافا رقم (72)، 15 رج 1316هـ / 4 ك 1 1898م، ص 7، سيشار إليه لاحقاً، س ش يافا.
30. س ش يافا (99)، 2 ر 1 1325هـ / 15 ني 1907م، ص98.
31. للمزيد انظر: الفراهيدي، خليل بن أحمد (ن 170هـ / 786م)، العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، د. ت، د. ط، الأردن، ج 5، ص341: ابن منظور،

محمد بن كرم بن علي (ت 711هـ / 1311م) ، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج1، ص699.

32. رشيد، عبد الله، الكتابيب ونظمها التقليدية في مدينة عمّان 1900 - 1958م، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمّان، 1993م، ص6، سيشار إليه لاحقاً، رشيد، الكتابيب

33. العمائرة، رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين، ص231.

34. العسلي، التعليم في فلسطين، ص9.

35. انظر: أوغلي، الدولة، مج2، ص309؛ خريسات، محمد عبد القادر، التعليم في السلط، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، م14، ع 15، 1987م، ص20؛ الفار، محمد مصطفى، 2009م، مدينة اللد- موقعا وشهرة وتاريخا ونضالا، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ص109، سيشار إليه لاحقاً، الفار، مدينة.

36. الفار، مدينة، ص110.

37. س ش يافا (86)، 16 ش 1319هـ / 27 تش 1901م، ص ص185 - 186.

38. الفار، مدينة، ص110.

39. المرجع نفسه، ص ص115-116.

40. رمحي، قاسم أحمد، 2004م، المزيرعة) إحدى قرى فلسطين المدمرة) ، ط2، د. ن، عمان، ص ص85 - 86، سيشار إليه لاحقاً، رمحي، المزيرعة.

41. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ) ، الأعلام، ج2، ص317، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، سيشار إليه لاحقاً، الزركلي، الأعلام.

42. الزركلي، الأعلام، ج3، ص117؛ الدباغ، مصطفى مراد، 1991م، بلادنا فلسطين، دار الهدى للطباعة والنشر، كفر قرع، فلسطين، ج4، ق2، ص474، سيشار إليه لاحقاً، الدباغ، بلادنا.

43. س ش يافا (77)، 6 شع 1318هـ / 28 تش 1900م، ص98؛ س ش يافا (63)، 4 مح 1314هـ / 14 حز 1896م، ص99؛ س ش يافا (64)، 4 مح 1314هـ / 14 حز 1896م، ص ص30 - 31؛ س ش يافا (61)، 9 صف 1314هـ / 19 تم 1896م، ص129.

44. سالنامه دولت علية عثمانية، سنة 1313هـ / 1895م، ص 552؛ س ش يافا (63)،
4 مح 1314 هـ / 14 حز 1896م، ص 99؛ س ش يافا (64)، 4 مح 1314 هـ / 14
حز 1896م، ص ص -30 31.
45. س ش يافا (63)، 23 ر 1313هـ / 12 تش 1895م، ص 31.
46. س ش يافا (96)، 9 ر 1325هـ / 22 ني 1907م، ص 241.
47. س ش يافا (111)، 29 صف 1327هـ / 21 از 1909م، ص 107.
48. الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 35.
49. بيات، فاضل مهدي، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ط 1، دار المدار
الإسلامي، بيروت. 2002م، ص 271، سيشار إليه لاحقاً، بيات، دراسات.
50. سالنامه ولاية سورية 1288هـ / 1871م، ص 162.
51. الفار، مدينة، ص 112.
52. المرجع نفسه، ص 118.
53. س ش يافا (77)، 28 ر 1317هـ / 5 ب 1899م، ص 5.
54. س ش يافا (98)، 29 ر 1327هـ / 19 ني 1909م، ص 115.
55. س ش يافا (130)، 30 ر 1329هـ / 29 ني 19011م، ص 78.
56. دروزة، محمد عزت (1993م)، مذكرات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مج 1، ص 20،
سيشار إليه لاحقاً، دروزة، مذكرات.
57. جريدة فلسطين، يافا، عدد 245، 1 حزيران 1913م، ص 3.
58. بيات، دراسات، ص 271.
59. بيات، دراسات، ص ص 271 - 272.
60. العسلي، التعليم في فلسطين، ص ص 25 - 26.
61. سالنامه نظارت المعارف العمومية، 1318هـ، ص ص 1658 - 1659.
62. نشوان، التعليم، ص 54.

63. المحاميد، عمر، (1988م) ، صفحات من تاريخ الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام 1882 - 1914م، الطيبة، مركز إحياء التراث، فلسطين، ص74، سيشار إليه لاحقاً، المحاميد، صفحات: عبد اللطيف، لواء عكا، ص280.
64. سالنامة نظارت المعارف العمومية، 1318هـ، ص ص1652 - 1653؛ سالنامة نظارت المعارف العمومية، 1321هـ، ص730.
65. شلح، التعليم في فلسطين، ص231.
66. المحاميد، صفحات، ص54؛ شلح، التعليم في فلسطين، ص230.
67. سالنامة نظارت المعارف العمومية، 1319هـ، ص ص972 - 973.
68. سالنامة نظارت المعارف العمومية، 1321هـ، ص ص732 - 733.
69. كانت تدرس في المدرسة الانجليزية في حيفا؛ عبد اللطيف، زهير غنايم (1999م) ، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية 1864 - 1918م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص298، سيشار إليه لاحقاً، عبد اللطيف، لواء عكا.
70. الفار، مدينة، ص112.
71. عبد اللطيف، لواء عكا، ص144.
72. نشوان، التعليم، ص ص53 - 54.
73. نشوان، التعليم، ص54..
74. دروزة، مذكرات، ص155.
75. المرجع نفسه، ص55.
76. الدستور، مج 2، ص 179.
77. المصدر نفسه، مج 2، ص 180.
78. دروزة، مذكرات، ص157.

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر العربية غير المنشورة:

1. سجلات محكمة يافا الشرعية:

- س ش يافا (61)، 9 صف 1314 هـ / 19 تم 1896 م
- س ش يافا (63)، 4 مح 1314 هـ / 14 حز 1896 م
- س ش يافا (64)، 4 مح 1314 هـ / 14 حز 1896 م
- س ش يافا (72)، 15 رج 1316 هـ / 4 ك 1898 م.
- س ش يافا (77)، 6 شع 1318 هـ / 28 تش 2 1318 هـ / 1900 م.
- س ش يافا (96)، 9 ر 1 1325 هـ / 22 ني 1907 م.
- س ش يافا (98)، 29 ر 1 1327 هـ / 19 ني 1909 م.
- س ش يافا (99)، 2 ر 1 1325 هـ / 15 ني 1907 م.
- س ش يافا (111)، 29 صف 1327 هـ / 21 از 1909 م.
- س ش يافا (130)، 30 ر 2 1329 هـ / 29 ني 1901 م.

2. السالنامات:

- أ. سالنامة ولاية سورية 1288 هـ / 1871 م.
- ب. سالنامة دولت عليية عثمانية، سنة 1313 هـ / 1895 م.
- ت. سالنامة نظارة المعارف العمومية للأعوام التالية:

- 1316 هـ / 1898 م.
- 1317 هـ / 1899 م
- 1318 / 1900 م
- 1319 / 1901 م
- 1321 هـ / 1903 م.

ثانياً المصادر المنشورة:

1. الدستور العثماني، نوفل نعمة الله (1300هـ / 1883م)، مراجعة خليل أفندي الحوراني (مترجم)، بيروت، المطبعة الأدبية، مج 2.
2. المعاجم - ابن منظور، محمد بن كرم بن علي (ت711هـ / 1311م)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
- الفراهيدي، خليل بن احمد (ت170هـ / 786م)، العين، تحقيق مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، د. ت، د. ط، الأردن.

ثالثاً المراجع العربية:

1. أوغلي، أكمل الدين، (1999م)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح السعداوي، مج2، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.
2. بيات، فاضل مهدي، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت. 2002م.
3. الدباغ، مصطفى مراد (1991م)، بلادنا فلسطين، دار الهدى للطباعة والنشر، كفر قرع، فلسطين.
4. دروزة، محمد عزت (1993م)، مذكرات، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
5. رشيد، عبدالله (1993م)، الكتابيب ونظمها التقليدية في مدينة عمّان 1900 - 1958م، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمّان، .
6. رمحي، قاسم أحمد، 2004م، المزيرعة) إحدى قرى فلسطين المدمرة)، ط2، د.ن، عمان.
7. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ)، الأعلام، ج2، ص317، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
8. زهير غنايم (1999م)، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية 1864 - 1918م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
9. العسلي، كامل، التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، القسم2، المجلد الثالث، ص24، ط1، بيروت 1990م.

10. الفار، محمد مصطفى، 2009م، مدينة اللد - موقعا وشهرة وتاريخا ونضالا، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان.
11. القطشان، عبد الله، التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني 1516 - 1948م، ج1، ص16، ط1، دار الكرمل للنشر، عمان، 1987م.
12. المحاميد، عمر، (1988م)، صفحات من تاريخ الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام 1882 - 1914م، الطيبة، مركز إحياء التراث، فلسطين.
13. نشوان، جميل عمر (2004م)، التعليم في فلسطين منذ العهد العثماني وحتى السلطة الوطنية الفلسطينية، دار الفرقان، ص50، عمان، سيشار إليه لاحقاً، نشوان.

ثالثاً. المراجع الأجنبية المترجمة:

1. أوغلي، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح السعداوي، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999م، مج2.

رابعاً. الدوريات:

1. العمایرة، محمد حسين، رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني، مجلة صامد الاقتصادي، عدد 109، 1997م.
2. خريسات، محمد عبد القادر، التعليم في السلط، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، م14، ع 15، 1987م، ص20.
3. جريدة ثمرات الفنون، بيروت، ع 889، 20 حزيران 1892م، ص ص 3 - 4.
4. جريدة فلسطين، يافا، عدد 245، 1 حزيران 1913م، ص3.
5. جريدة المقتبس، دمشق، عدد 534، 26 تشرين ثاني 1910م، ص3.

أخبار مملكة غرناطة في المصادر المشرقية *

د. أمّنة محمود الذيابات البطوش **

* تاريخ التسليم: 2014 / 3 / 25م، تاريخ القبول: 2014 / 6 / 15م.
** أستاذ مساعد/ قسم التاريخ/ كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة حائل/ السعودية.

ملخص:

يتناول البحث أخبار مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر كما وردت في المصادر المشرقية. وسبب اختيار الموضوع من أجل معرفة مدى اهتمام المشاركة بأحداث هذه المملكة التي هي آخر معاقل العرب في الأندلس وتاريخها، وما هي صورة غرناطة في المصادر المشرقية؛ ولتحقيق هذا الهدف، تمت دراسة بعض المصادر المشرقية المعاصرة واستقصائها وتحليلها، والتالية للقرنين الثامن والتاسع الهجريين، التي أرخت لمملكة غرناطة في عهد أسرة بني الأحمر تاريخياً وسياسياً.

واشتمل البحث على دراسة: أصل بني الأحمر ونشأة المملكة وأسماء ملوكهم ثم سقوطها وعوامل السقوط (629 - 897 هـ / 1231 - 1492 م). كذلك اهتم البحث بالأحداث السياسية والعسكرية من خلال ما طرحه المشاركة عن المواقع الحربية التي دارت في عهد مملكة غرناطة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ثم الفتن والصراع على السلطة وأثر ذلك في سقوط غرناطة، مع الإشارة إلى العلاقات الأندلسية مع الدول المجاورة وأثرها في استقرار الأوضاع في الأندلس مثل العلاقة مع بني مرين في فاس، والمراسلات السياسية مع الدولة المملوكية في مصر والشام كما طرحتها المصادر المشرقية، ثم نتائج البحث والمصادر والمراجع التي تم الاستناد عليها في البحث.

كلمات مفتاحية: أخبار، بنو الأحمر، غرناطة، المشرقية، المصادر، مملكة.

History of the Kingdom of Granada in the Eastern Resources

Abstract:

This research investigates the history of the Kingdom of Granada in the reign of Bani Al- Ahmar as cited in the Eastern Arab resources. The reason for choosing the topic is to see how much the Eastern Arabs were interested in the events and history of that kingdom as the last place of the Arabs in Andalusia and the image of Granada in the Eastern Arab resources. To achieve the objective of the study, the researcher analyzed some contemporary resources in addition to documents from the 8th and 9th AD that recorded the history of the Kingdom of Granada during the reign of Bani Al- Ahmar.

The researcher studies the origin of Bani Al- Ahmar, the rise of their kingdom, the names of their kings and the reasons for its falling. The study examined the political and military events that took place during the reign of the Kingdom of Granada, the conflict over power and its impact on the fall of Granada. The paper analyzed relations of the Kingdom with its neighboring countries and its impact on its stability. An example of this was the relation with Bani Marin in Fez and political correspondences with the Mamluks in Egypt and Syria as viewed by Eastern Arab resources. The study was concluded with a number of findings, resources and references.

Keywords: *history of Granada, Bani Al- Ahmar, Eastern Arab resources*

مقدمة:

يتناول البحث مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر كما وردت في المصادر المشرقية من الناحية السياسية. وسبب اختيار الموضوع لمعرفة مدى اهتمام المشاركة بتاريخ هذه المملكة وأحداثها التي تعدّ آخر معاقل العرب في الأندلس، وما هي صورة غرناطة من الناحية السياسية والعسكرية في المصادر المشرقية؟ . ولتحقيق هذا الهدف، تم دراسة بعض المصادر المشرقية المعاصرة وتحليلها والتالية للقرنين الثامن والتاسع الهجريين، والتي أرخت لمملكة غرناطة في عهد أسرة بني الأحمر تاريخياً وسياسياً. وقد اشتمل البحث على ثلاثة محاور هي: المحور الأول: مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر من النشأة إلى السقوط. والمحور الثاني: أحداث الأندلس السياسية والعسكرية كما وردت في المصادر المشرقية من تأسيس مملكة غرناطة 629هـ / 1231م حتى سقوطها 897هـ / 1492م من خلال التركيز على: أحداث القرنين السابع والثامن الهجريين أولاً، ثم: أحداث القرن التاسع الهجري ثانياً. أما المحور الثالث: فتناول علاقات مملكة بني الأحمر الخارجية مع الدول المجاورة وأثرها في استقرار الأوضاع في الأندلس مثل العلاقة مع بني مرين في فاس، والمراسلات السياسية مع الدول المملوكية، ثم انتهى البحث بالنتائج التي تم التوصل إليها، والهوامش، وقائمة المراجع التي تم الاستناد إليها في البحث.

وبما أن هدف البحث دراسة مملكة بني الأحمر في غرناطة (-629 897 هـ / 1231 - 1492 م) في المصادر المشرقية المعاصرة والتالية، فقد تم تحليل مصادر البحث التي استندت عليها حسب فترتها الزمنية وهي مصادر القرن الثامن الهجري: "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" لببيرس الدوادرات (725هـ / 1324م) ، وقد اهتم المؤرخ بالأحداث السياسية والعسكرية لمملكة بني الأحمر وبخاصة العلاقات بين المملكة وبني مرين. وكتاب المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء (ت 732هـ / 1332م). وكتاب: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت 732هـ / 1332م، وقد أورد النويري أحداثاً مفصلة لموقعة (719هـ / 1319م) بشكل منفرد عن المصادر المشرقية الأخرى، ونظراً لعدم توفر الجزء الذي تناول هذه الموقعة فقد اعتمدت الملحق الوارد في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقرئزي. وكذلك كتاب دول الإسلام للذهبي (ت 748هـ / 1347م). وكتاب تاريخ ابن الوردي، لابن الوردي (ت 749هـ / 1348م) وهذه المصادر جميعها أشارت إلى مملكة بني الأحمر، ولكن بشكل متفاوت من مصدر لآخر، وأحياناً ترد الأخبار متشابهة، ومختصرة باستثناء ما جاء في زبدة الفكرة، ونهاية الأرب.

أما مصادر القرن التاسع الهجري: فقد كانت أكثر اهتماماً بأخبار الأندلس وخاصة القلقشندي (821هـ/ 1418م) الذي انفرد في تتبع الحالة السياسية في غرناطة منذ تأسيس المملكة وحتى نهاية القرن الثامن الهجري، مشيراً إلى الظروف التي هيأت لتأسيس المملكة، وأسماء ملوك غرناطة في القرنين السابع والثامن الهجريين، والأحداث والمجريات السياسية والعسكرية لتلك الفترة، كما ذكر بعض المكاتبات السياسية بين المملكة وسلطان المماليك الأشرف في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" وتناثرت أخبار بني الأحمر في "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي (ت 845هـ/ 1441م) وكانت المعلومات التي أوردها مشابهة ومختصرة لما ورد في المصادر المشرقية السابقة. من أخبار سياسية وعسكرية. كما يبدو اهتمامه بمجريات الأوضاع في تلك الفترة، بخاصة موقعة (834هـ/ 1430م) التي تحدث عنها بالتفصيل ونقل عنه الصيرفي.

وكان لمملكة بني الأحمر حضور في مؤلفات ابن قاضي شهبه (تاريخ ابن قاضي شهبه) (ت 851هـ/ 1448م)، أما "سير أعلام النبلاء" لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/ 1449م) فقد ذكر فيه تراجم لملوك مملكة بني الأحمر وأمراءها ووزرائها، واهتم العيني (ت 855هـ/ 1451م) في كتابه "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" والصيرفي (ت 900هـ/ 1494م) في كتابه "نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان" بأخبار الأندلس بخاصة الوقائع العسكرية البارزة مثل موقعة 719هـ/ 1319م. وبعض أحداث أوائل القرن التاسع الهجري، ومثل ذلك كان في أخبار ابن تغري بردي (ت 874هـ/ 1469م) في كتابه "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي".

وتناولت مصادر القرن العاشر الهجري أحداث الأندلس وأخبارها: وبخاصة "وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام" للسخاوي (ت 902هـ/ 1496م) فقد انفرد المؤرخ في تغطية الأحداث السياسية والعسكرية المهمة في أواخر عصر مملكة بني الأحمر (887هـ- 895هـ) (1482م- 1489م) فأشار فيها إلى الوقائع الحربية، والصراع على السلطة في غرناطة وأثر هذه الصراعات في سقوط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى من قبل الفرنج. وقد أشار ابن شاهين (ت 920هـ/ 1514م) في كتابه "نيل الأمل في ذيل الدول" إلى محاولات سقوط مملكة غرناطة سنة 895هـ/ 1489م ثم استعادتها. كما أشار لذلك ابن إياس (ت 930هـ/ 1524م) في كتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور".

وعن الحدث الجلل المتمثل في سقوط غرناطة سنة (897هـ/ 1492م) كآخر معقل للمسلمين في الأندلس، فلم يذكر ذلك إلا المؤرخ يحيى بن الحسين (ت 1100هـ/ 1689م) في كتابه "غاية الأمان في أخبار القطر اليماني"، فقال في حوادث 897هـ/ 1492م وأما

هذه السنة فوقع فيها ثلاثة أمور كل واحدة منها يصلح أن يعد فتنة على انفراده، أحدهما استيلاء الفرنج على أجزاء من جزيرة الأندلس كغرناطة وغيرها...."

أما الدراسات الحديثة. فقد حظيت مملكة غرناطة من خلالها على اهتمام الباحثين المشاركة، ومن الدراسات المعتمدة كتاب محمد عبده حتاملة "التنصير القسري لمسلمي الأندلس" الذي أشار فيه إلى بنود المعاهدة بين ملك غرناطة عبدالله بن الأحمر المعروف بالصغير وبين الملكين الإسبانيين، وكتاب آخر تأليف أسعد حومد بعنوان "محنة العرب في الأندلس"، وتناول في أحد فصول الكتاب: دولة بني الأحمر في غرناطة، والاتفاق بين ابن الأحمر وملك قشتالة، وبنود الاتفاق، وفوائده للجانبين، ثم سقوط غرناطة، واستيلاء الإسبان على حصن الحامة والخلاف في البيت الناصري، والصراع وانتصار أبي الحسن في مالقة، ثم أسر أبي عبدالله الصغير. وإطلاق سراحه ضمن شروط معينة مع الإسبان، والنزاع مع والده ثم موت أبي الحسن، وتسلم أخيه الزغل، وتقسيم المملكة بين الزغل والصغير، وأسر الصغير ثانية، ثم تخطيط الإسبان للسيطرة على غرناطة، واستسلام الزغل، وسقوط غرناطة ثم استسلامها، وبنود معاهدة الاستسلام بين الطرفين سنة 897هـ / 1492م.

المحور الأول - مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر من النشأة إلى السقوط:

تقع غرناطة على سفح جبال سييرا نيفادا، في التقاء ثلاثة أنهار: دارّو (Darro)، بيرو (Beiro) والشنيل (Genil)، في ارتفاع يصل إلى 738 م فوق مستوى سطح البحر. وتحديدا تقع على نهر شنيل من روافد نهر الوادي الكبير. ويعود تاريخ غرناطة إلى الفترة الإيبيرية - للسلتية. وفي (ق. 5. ق. م) أسس الإغريق مستعمرة أسموها (باللاتينية: Ely- أو Elybirge، وباليونانية: Ἐλιβύργη). وفي ظل الحكم الروماني القديم لمنطقة إسبانيا تحول اسم المدينة ب (اللاتينية إلى: Illiberis) وخلال سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية حافظ القوط الغربيون على المدينة لأهميتها الحضارية والدينية، كما أسسوا فيها قاعدة عسكرية. لكن الإمبراطورية الرومانية الشرقية استعادت المدينة ودام حكمها قرناً من الزمان. قام المسلمون سنة 92هـ / 711 م بفتح مناطق واسعة في شبه جزيرة أيبيريا وأسسوا دولة الأندلس الإسلامية، وتمكنت الجيوش الإسلامية بقيادة طارق بن زياد من فتح غرناطة سنة 92هـ / 711م الذي أستكمل سنة 94هـ / 713م. وكانت غرناطة منارة الحضارة التي أنارت أوروبا فازدهرت العلوم، كما اشتهرت بالبناء والعمران والزراعة والرّي.

إلا أن الفتن الداخلية التي عصفت بالخلافة الإسلامية وأسقطتها سنة 422هـ / 1030م أدت إلى تدمير المدينة سنة 401هـ / 1010م، ومن ثم إعادة بنائها. وفي سنة 404هـ / 1013م تولى الزيريون (أو بنو زيري) حكم غرناطة وأصبحت إمارة مستقلة، ثم

توسعت المدينة حتى وصلت أطراف تلال قصر الحمراء وكان حكم غرناطة في تلك الفترة ضمن حكم الموحدين، إذ أدى ضعفها وعدم قدرتها على مواجهة إسبانيا النصرانية، إلى ضياع كثير من المدن الأندلسية. في هذا الوقت برزت شخصية أندلسية في الميدان، تمثلت بابن هود صاحب سرقسطة أبي عبدالله محمد بن يوسف بن هود الجذامي الملقب بسيف الدولة والمتوكل على الله إذ كان يسكن مدينة مرسية، وتمكن من إنهاء سلطان الموحدين في الأندلس سنة 620هـ / 1223م، وقد دخلت تحت طاعته مدن أندلسية هي: مرسية، وقرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، ومالقة، والمرية، وغيرها، ودخل ابن هود في مواجهة عسكرية مع الجيوش الإسبانية النصرانية لكنه هزم أمامها لتسقط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، فحاصر ملك قشتالة فرناندو الثالث قرطبة، التي استمات سكانها بالدفاع عنها في ظل إحجام ابن هود تقديم المساعدة لهؤلاء السكان الذين انفردوا في مواجهة غير متكافئة مع الجيش القشتالي، فسقطت قرطبة سنة 633هـ / 1236م. وفي هذا الوقت ظهرت شخصية أندلسية أخرى على المسرح السياسي منافسة لابن هود تمثلت بابن الأحمر، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن نصر الملقب بالغالبا بالله، وهنا لا بد أن نعرف بهذه الأسرة التي امتلكت غرناطة، فما هي أصولهم وأنسابهم كما جاء في المصادر التاريخية؟.

اختلفت بعض المصادر المشرقية في تحديد أصل بني الأحمر (بنو نصر)، فيذكر بيبرس الدوادار (ت 725هـ / 1325م) أنهم من مدينة جيان أما القلقشندي فيقول أن أصلهم من مدينة أرجونة أحد حصون قرطبة

أما نسبهم، فقد نسبهم الدوادار إلى الأنصار، بينما حدد القلقشندي نسبهم إلى سعد بن عباده سيد الخزرج ويدعى كبيرهم محمد بن نصر المعروف بابن الأحمر، إلا أن القلقشندي يذكر أن اسمه محمد بن يوسف بن نصر، ويلقب بالشيخ (أبو دبوس)، وهو المؤسس لدولة بني الأحمر في غرناطة

اهتم كل من بيبرس الدوادار، والقلقشندي في تتبع نشأة مملكة بني الأحمر في غرناطة، فعلى أثر ضعف دولة الموحدين في الأندلس (أصحاب عبد المؤمن)، استقل سيف الدولة محمد بن يوسف بن هود الملقب بالخليفة في الأندلس، حيث تغلب على مدن شرق الأندلس، وقد قام ابن هود، بالدعوة للعباسيين، في الأندلس.

أما ابن الأحمر الذي كان يخدم منويل عم الفونش فقد ثار على ابن هود بدعم من الفونش، فبويح لابن الأحمر سنة (629هـ / 1231م) وأخذ يدعو للأمير أبي زكريا يحيى من بقايا دولة الموحدين في أفريقية، فخضعت لطاعته جيان وشريش سنة (630هـ / 1232م)، وعندما حصل ابن هود على تقليد الخليفة العباسي من بغداد، قام ابن الأحمر

بمبايعة ابن هود سنة (631هـ / 1233م) ثم استولى ابن الأحمر على إشبيلية سنة (632هـ / 1234م) ثم خضعت له غرناطة سنة 635هـ / 1237م، بعد أن تم مبايعته وهو بجيان، فقدّم غرناطة وابتنى له بها حصن الحمراء

وقد ساعدت الأحوال السائدة محمد بن نصر على تأسيس مملكة غرناطة بعد ضعف دولة الموحدين، ومبايعة أهل غرناطة له، فتمكن من السيطرة على مالقة والمرية سنة (643هـ / 1245م) ولورقة سنة 663هـ / 1264م) وخلع طاعته للفرنش، ولذلك عدّ محمد بن نصر بن الأحمر هو مؤسس مملكة غرناطة سنة (670هـ / 1271م) ، وقيل سنة (671 هـ / 1272م) (15). واستطاع هو وابنه من بعده محمد الثاني الملقب بالفقيه سنة (672 - 702هـ / 1273 - 1302م) أن يدعم أركان مملكتهم التي استمرت حوالي القرنين ونصف من 630 - 897هـ / 1232 - 1492م. كان هذا عن طريق اعترافهم ضمناً بسيادة مملكة قشتالة عليهم. وهناك من يرى أن محمد بن نصر اضطر تحت الضغط القشتالي العنيف على مملكته أن يتخلى عن عدة مدن أهمها: جيان سنة 643هـ / 1245م وينضم تحت لواء ملك قشتالة ويصبح أحد تابعيه، ويلتزم بمساعدته عند الحرب وهو ما حدث فعلاً عندما ساعده في الإستيلاء على إشبيلية، وما تلاها من مدن وحصون أندلسية أخرى مما أدى إلى سقوط بلنسية سنة 636هـ / 1238م، وإشبيلية سنة 646هـ / 1248م. وضم ابن الأحمر إلى مملكته كل ما تبقى من أشلاء الدولة الأندلسية، ومنها مالقة وجبل طارق وجزيرة طريف والجزيرة الخضراء، وهناك فريق آخر يرى أن سلاطين بني الأحمر عرفوا كيف يلعبون سياسة التوازن ليجتنبوا المواجهة مع المرينيين حكام المغرب من جهة، والقشتاليين حكام إسبانيا من جهة أخرى، في الوقت الذي سقطت فيه جيان بعد حروب بين المسلمين والنصارى، سنة 643هـ / 1245م يأتي فرناندو الثالث (مات سنة 650هـ / 1252م) ملك قشتالة ويعاهد محمد بن يوسف الملقب ابن الأحمر ملك غرناطة، ويعقد معه معاهدة يضمن له فيها بعض الحقوق ويأخذ عليه بعض الشروط والواجبات وكانت بنود المعاهدة التي تمت بين ملك قشتالة وبين محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر كالتالي:

1. دفع الجزية سنوياً: يدفع ابن الأحمر الجزية إلى ملك قشتالة، وكانت مائة وخمسين ألف دينار من الذهب سنوياً () وكان هذا تجسيداً وتعبيراً عن مدى التهاوي والسقوط الذريع بعد أفول نجم دولة الموحدين القوية المهيبة، والتي كانت قد فرضت سيطرتها على أطراف كثيرة من بلاد الأندلس وإفريقيا.

2. تبعية غرناطة لقشتالة: أن يحضر اجتماع مجلس قشتالة النيابي (الكورتيس) × باعتبارها من الأمراء التابعين للعرش، وفي هذا تكون غرناطة تابعة لقشتالة ضمناً.

3. تحكم غرناطة باسم ملك قشتالة علانية، وبهذا يكون ملك قشتالة قد أتم وضمن تبعية غرناطة له تماماً .

4. تسليم حصون جيان وكذلك أرجونة وغرب الجزيرة الخضراء حتى طرف الغار، وبذلك يكون ابن الأحمر قد سلم لفرناندو الثالث ملك قشتالة مواقع في غاية الأهمية تحيط بغرناطة نفسها

5. تبعية غرناطة لقشتالة عسكرياً: أي أن ابن الأحمر يشترك مع ملك قشتالة في حروبه التي يخوضها أيًا كانت الدولة التي يحاربها . ولا بد أن نسأل: لماذا يعقد فرناندو الثالث Fernando III ابن الفونسو العاشر Alfonso X معاهدة مع هذه المملكة التي أصبح القضاء عليها ميسوراً؟! بل لم تكن غرناطة سنة 646هـ / 1248م تمثل أكثر من 15% وهي تضم ثلاث ولايات تقع تحت حكم ابن الأحمر هي: ولاية غرناطة، وولاية مالقة، وولاية المرية، وإن كان هناك شيء من الاستقلال الذاتي داخل كل ولاية. والواقع أن ثبات مملكة غرناطة واضطرار ملوك الإسبان إلى عقد معاهدة مع طرف مملكة غرناطة يعود للأسباب الآتية:

1. الكثافة السكانية في غرناطة: كانت غرناطة ذات كثافة سكانية عالية؛ مما جعل من دخول جيوش النصارى إليها أمراً صعباً للغاية، وقد كان من أسباب هذه الكثافة العالية أنه عندما تسقط إحدى المدن الأندلسية في أيدي الإسبان يتبعها قيام هولاء بقتل المسلمين وتشريدهم وطردهم حيث يلجأ المسلمون ناحية الجنوب، فتجمع جميع المسلمين الذين سقطت مدنهم في أيدي الملوك الإسبان في منطقة غرناطة في الجنوب الشرقي من البلاد، وأصبحت ذات كثافة سكانية ضخمة، وهذا يؤدي إلى صعوبة دخول قوات الممالك الإسبانية إليها.

2. حصون غرناطة المنيعة: كانت مملكة غرناطة ذات حصون كثيرة ومنيعة جداً، نشأت هذه الحصون كسبب طبيعي من جراء الحروب المتواصلة قديماً، والتهديد المرتقب بالفناء على يد الإسبان. هذه الحصون والأسوار هي نفسها التي جعلت غرناطة مملكة قوية، بل وقد نقول: إنها قد حددت حدودها، وكانت هذه الحصون تحيط بغرناطة والمرية ومالقة ، ومن هنا وافق فرناندو الثالث على عقد مثل هذه المعاهدة، وإن كانت كما رأينا معاهدة جائرة، يدفع فيها ابن الأحمر الجزية، ويحارب بمقتضاها مع ملك قشتالة، ويتعهد فيها بالأحمر في يوم ما..

3. الموقع الاستراتيجي لمملكة غرناطة في الزاوية الجنوبية من الأندلس، واتصالها المباشر مع المغرب التي كانت تقدم العون للأندلسيين ومنهم الموحدون، وبني مرين

وجميعها قامت بواجبها في الدفاع عن الأندلس.

4. الوازع الديني، والدفاع عن الإسلام: كان العامل وراء صمود غرناطة فترة زمنية طويلة رغم سقوط كثير من المدن الأندلسية الأخرى بيد الإسبان، ثم استماتة دولة بني مرين في الدفاع عنها.

5. وجود قيادة حكيمة وقادرة على تحمل المسؤولية من ملوك بني الأحمر.

6. الانقسامات الداخلية التي سادت في مملكة قشتالة والصراع الدموي بين ليون وأراجون، هذه الصراعات ساعدت مملكة غرناطة على تثبيت قواعدها وأركانها.

وقد بلغت الدولة أوجها الثقافي وأصبحت مملكة غرناطة مركزاً للحضارة الإسلامية في الأندلس. خلف ابن نصر ابنه محمد الثاني المعروف بالفقيه الذي رأى أن يكرر ما فعل ملوك الطوائف وأن يستعين بملوك المغرب المرينيين وذلك دفعا للضغط الإسباني، واستطاعت الجيوش الإسلامية بقيادة السلطان المريني أبي يوسف يعقوب المنصور ت (685هـ/ 1285م) أن تعيد ذكرى انتصاراتهم عند أستجة سنة 674هـ/ 1175م وقتل قائد الجيش القشتالي صهر الملك الفونسو العاشر Alfonso X والذي يعرف ب (ذنونة أو دننه Znonh or Dnnh) ولذلك سميت بمعركة الدونونية، وأجبروا ملك قشتالة الفونسو العاشر Alfonso X على طلب الصلح. وخلف محمد الفقيه عند وفاته في 701 هـ/ 1302م ابنه أبو عبدالله محمد الثالث الملقب بالمخلوع الذي خلع سنة 708هـ/ 1309م بأخيه نصر. أما بعد ذلك فمن أعظم الحكام الذين تعاقبوا على غرناطة اثنان هما أبو الوليد إسماعيل (713 – 725 هـ/ 1314 – 1325م) الذي انتصر على ملك قشتالة بمساعدة مشيخة الغزاة الذين أدخلهم ملوك المرينيين إلى الأندلس بهدف الجهاد والدفاع عن الأندلس، وكان هذا الانتصار سنة 718هـ/ 1318م قرب غرناطة، وهناك من جعله سنة 719هـ/ 1319م. وقد أُغتيل أبو الوليد إسماعيل سنة 725هـ/ 1325م ليرثه ابنه محمد أبو عبدالله الذي أُغتيل هو الآخر في العام نفسه. أما الثاني من كبار الملوك في غرناطة أبو الحجاج يوسف الأول ابن أبي الوليد إسماعيل الذي حكم من 725 – 755هـ/ 1325 – 1354م، وكان شديد الهمة ومن أقوى ملوك بني الأحمر، وفي عهده أوقف المرينيون مساعداتهم إلى الأندلس وبات واضحا أن على الأندلسيين أن يواجهوا مصيرهم بأيديهم، حيث هزم الأندلسيون في معركة بحرية أمام تحالف قشتالة وأراغون والبرتغال سنة 740هـ/ 1341م وباركت الكنيسة انتصار التحالف النصراني ضد المسلمين، وفي سنة 741هـ/ 1340م مني المسلمون بهزيمة أخرى في موقعة طريف أمام الجيش القشتالي بقيادة الفونش الحادي عشر، وقتل عدد كبير من المسلمين ثم أعاد الكرة على الأندلس سنة 750هـ/ 1349م بهدف السيطرة

على جبل طارق، لكن الطاعون تفشى بجيشه ومات الفونش الحادي عشر به. وكانت آفة دولة بنى الأحمر هي صراع أفراد البيت الحاكم على السلطة واستعانتهم بجيوش قشتالة ضد بعضهم بعضاً فقد اغتيل أبو الحجاج يوسف سنة 755هـ / 1354م ليخلفه ابنه محمد الخامس الملقب بالغني بالله، فخلع وأعيد ثانية إلى الحكم، وعقد معاهدة صلح مع مملكتي أراغون وقشتالة، ثم ورثه ابنه محمد السادس 797 - 811هـ / 1394 - 1408م ليورثه أخوه يوسف الثالث 820هـ / 1417م الذي أقام علاقات ودية مع قشتالة. كان الخلاف بين أبناء الأندلس في تلك الآونة العصبية يذهب إلى حدِّ التضحية بأقدس المبادئ فقد جرت مواجهات بين غرناطة وقشتالة خسرت فيها مملكة غرناطة بعض قواعدها وثغورها عن طريق الحرب أو التنازل المهين، لكن الصدمة الكبرى لمسلمي غرناطة هو سقوط جبل طارق بيد القشتاليين مما يعنى قطع الصلات والإمدادات من المغرب لمملكة غرناطة، في الوقت الذي لا تستطيع فيه دولة بني مرين التقاط أنفاسها إذا انتهى دورها تماما سنة 869هـ / 1464م بعد أن دامت قرنين من الزمان، لتحل محلها دولة فتية أخرى هي دولة بني وطاس لكنها ليست في مستوى دولة بني مرين لتقوم بدورها في مساعدة غرناطة. ويبدو أن الأحداث الخطيرة كانت متسارعة تركت نتائجها على الأندلس وبخاصة مملكة غرناطة حين سقطت القسطنطينية سنة 857هـ / 1453م على يد السلطان العثماني محمد الفاتح فكان انتقام إسبانيا النصرانية من المسلمين في الأندلس ومملكة غرناطة، وساعدهم على ذلك تدهور الأحوال الداخلية لمملكة غرناطة، وفي سنة 884هـ / 1479م كان اتحاد مملكتي قشتالة وأراغون في مملكة واحدة، ووجهت الإنذارات إلى مملكة غرناطة، ثم تم مهاجمتها من قبل فرناندو الخامس Fernando V زوج إيزابيلا Isabella ملكة قشتالة، فسيطر على حصن الحامة جنوب غرب غرناطة سنة 887هـ / 1482م، ثم زحف غرباً إلى مدينة لوشة الحصينة الواقعة شمال الحامة فواجه مقاومة عنيفة من سكانها وحاميتها فعدل عنها. وفي سنة 887هـ / 1482م تولى حكم غرناطة محمد الحاجي عشر المعروف بأبي عبدالله الصغير فانتصر على قشتالة في معركة وقعت سنة 888هـ / 1483م. ثم دارت معارك أخرى بينه وبين الجيوش القشتالية انتصر في بعضها قرب قرطبة، ثم وقع أسيراً بيد الإسبان في معركة عند قلعة اللسانة جنوب شرق قرطبة، وتولى مكانه عمه محمد بن سعد أبو عبدالله الزغل الشجاع الباسل، ثم أطلق سراح أبا عبدالله الصغير محمد الحادي عشر سنة 890هـ / 1485م بموجب اتفاق بينه وبين قشتالة لصالح الأخيرة، ليدخل البيت الحاكم في غرناطة في صراع بين مؤيد ومعارض لهذا الملك وذاك. فهاجم جيش قشتالة مدينة لوشة التي استسلمت سنة 891هـ / 1486م، ثم اندلعت حرب بين العم وابن إخيه أبي عبدالله الصغير على تقسيم مملكة غرناطة في الوقت الذي يحاصر

ملك قشتالة المدن الأندلسية، وتخريب ما يحيط بغرناطة من مزارع ومحاصيل، وفي سنة 895هـ/ 1489م عقد محمد بن سعد ابو عبدالله المعروف بالزغل معاهدة مع ملك قشتالة، ثم ترك الأندلس متجهاً إلى تلمسان بالجزائر، أما مملكة غرناطة فقد واجهت حصاراً شديداً من الجيش القشتالي، وتم استسلامها وتسليمها ليسقط آخر معقل للمسلمين في الأندلس، ووقعت معاهدة التسليم بين ملكي قشتالة وملك غرناطة أبي عبدالله الصغير في 21 محرم سنة 897هـ/ 25 نوفمبر 1491م ثم تقرر الاحتفال بذكرى "أخذ" غرناطة يوم 2 يناير 1492م، الذي هو يوم دخول الملكين الكاثوليكين إلى غرناطة رسمياً، وتضمنت معاهدة التسليم سبعا وستين شرطاً كما يذكر المقرئ

المحور الثاني - أحداث الأندلس السياسية والعسكرية كما وردت في المصادر المشرقية من تأسيس مملكة غرناطة 629هـ/ 1231م حتى سقوطها 897هـ/ 1492م:

اهتم بعض المؤرخين المشاركة بتتبع الأحداث السياسية والعسكرية في الأندلس بعمامة وغرناطة في عهد بني الأحمر بخاصة، ومنهم القلقشندي الذي تتبع هذه الأحداث في القرنين السابع والثامن الهجريين، واختلفت بعض المصادر المشرقية الأخرى المعتمدة في هذه الدراسة بكيفية ذكر أحداث الأندلس، وأشار كثير من المؤرخين المشاركة إلى بيان الأحداث الرئيسية في الأندلس، وبخاصة المواقع العسكرية بين الفرنج والمسلمين. وفي هذه الدراسة سنتتبع أحداث مملكة غرناطة من نشأتها حتى سقوطها، كما أرخ لذلك بعض المؤرخين المشاركة في مصادرهم التاريخية.

◀ أولاً- حوادث القرنين السابع والثامن الهجريين:

بالرغم من الانتصارات التي حققها محمد بن نصر في تأسيس مملكة غرناطة والسيطرة على بعض المدن الأندلسية كما ذكر سابقاً، إلا أن بعض المدن التي سيطر عليها لم تسلم له فيما بعد، فقد قام الفرنج بالسيطرة على بعضها أو كثير منها، وتم الاستيلاء على قرطبة سنة 633هـ/ 1235م، وبلنسية التي امتلكوها صلحاً 636هـ/ 1238م. وجيان سنة 643هـ/ 1245م وطرطوشة سنة 643هـ/ 1245م، ولاردة سنة 645هـ/ 1247م، ثم إشبيلية سنة 646هـ/ 1248م. وكان محمد بن نصر مؤسس مملكة غرناطة قد خلع طاعته للفونش، ويشير ابن الجمان إلى انتصارات ابن الأحمر على الفرنج في موقعة كانت سنة 662هـ/ 1263م، واسترجع 32 بلدة منها سيرين وإشبيلية وقرطبة ومرسية، وقتل من الفرنج 45 ألف مقاتل، وأسر عشرة آلاف مقاتل افرنجي.

وبعد وفاة ابن نصر تولى الحكم مكانه محمد بن محمد المعروف بالفقيه سنة (671هـ - 701هـ / 1272 - 1301م) ، وقام بفتح قيجاطة × سنة 694هـ / 1294م ، والقبذاق سنة 699هـ / 1299م ، وأرجونة سنة 700هـ / 1300م وخاض معارك ضد الفرنج مستعيناً ببني مرين ملوك فاس. وبعد وفاته تولى الحكم ابنه محمد المخلوع ، وفي عهده تم استيلاء ابن عمه أبو سعيد فرج بن الأحمر صاحب مالقة على مدينة سبتة بالحيلة والمكيدة ، وكان يحكم سبتة حاكم يدعى (العزفي ×) نيابة عن الموحدين ، خلع طاعتهم عندما ضعفت دولتهم ، وانتمى لبني مرين ، وقد أسر أبو سعيد أولاد العسفي ونقلهم لغرناطة سنة 705هـ / 1305م. ويهتم ببيرس الدوادار بالعلاقة بين بني مرين وبني الأحمر بخاصة ، حيث يشير من خلالها إلى دورهم في مناصرة ابن الأحمر على الفرنج ، فيذكر في حوادث سنة 670هـ / 1271م إلى تعرض ملك الأندلس محمد بن محمد بن نصر المعروف ب (الفقيه) إلى ثورة ضده من قبل ابن عمته (ابن الشقيلولة) فاستنجد بأبي يوسف المريني ، وأعطاه مالقة و حصونها ، ولما دخل الأندلس ، اتخذ المريني من إسبيلية مقراً له مدة عامين ، ثم كانت له وقائع مع بني عبد الواد في موقع (خرزوزة) وسبي وغنم من أموالهم ، وكان الفقيه يعمل على توطيد علاقاته مع بني مرين.

وفي سنة 671هـ / 1271م ، استنجد ابن الأحمر بأبي يوسف يعقوب المريني ابن عبد الحق لنجدة غرناطة ، فاتخذ الثاني من حصن طريف جنوب الأندلس قاعدة له ، وانتصر على الفرنج وقتلوا ألفاً منهم " فجمع رؤوسهم فجعلوها تلاً ، فكانت 24 ألف رأس ، وصعد المؤذن عليها ، وأقام فوقها.... " ، وبقي في خدمة ابن الأحمر منديل بن يعقوب ومعه أربعة آلاف فارس. وكان ذلك سنة 674هـ / 1275م ، وبذلك وطد المرينيون حكم بني الأحمر قرابة مائتين وخمسين عاماً أخرى

لم يستمر محمد بن الأحمر طويلاً في الحكم إذ انقلب عليه أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد (ت 723هـ / 1323م) ، وتعرضت مملكة غرناطة سنة 709هـ / 1309م إلى هجوم الفرنج عليها ، فاستنجد أبو الجيوش ب (سليمان المريني) صاحب مراکش. وجرت معركة حاسمة ، قتل فيها من الفريقين عدد كبير) . وبلغ عدد قتلى الفرنج عشرين ألف فارس وراجل.

وقد عرف عن أبي الجيوش نصر بن محمد سوء السيرة في الرعية ، ومع مشيخة الغزاة من بني مرين وسار إليه من مالقة أبو الوليد إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر ، وتمكن من هزيمة عساكر أبي الجيوش في غرناطة ، وانقلب على حكمه حيث انتقل من ملك غرناطة إلى أمير لإمارة وادي اشبي ، وبقي فيها أبو الجيوش

حتى وفاته سنة 723هـ / 1323م ، ثم تقلد أبو الوليد حكم مملكة غرناطة حتى وفاته سنة 727هـ / 1327م.

موقعة (719هـ / 1319م) :

كانت هذه الوقعة من أهم أحداث مملكة غرناطة، نظراً لطبيعتها مجرياتها ونتائجها، وقد وضعتها كثير من المصادر المشرقية في حوادث سنة 720هـ / 1320م، ونوه بعضهم إلى أنها وقعت سنة 721هـ / 1321م، ولكن أخبارها وصلت المشرق سنة 720هـ / 1320م، لذلك أرخت سنة 720هـ / 1320م..

أعطى النويري موقعة 719هـ / 1319م كثيراً من الأهمية، كونها من حلقات الجهاد بين المسلمين والفرنج في الأندلس. فبين بالتفصيل أسبابها، ومجرياتها، وما نتج عنها من الطرفين واصفاً كل ذلك بشيء من التطويل، وانفرد بذلك عن غيره من المصادر المشرقية الأخرى

أما أسبابها كما يؤرخ لها النويري، فتعود إلى قيام ملك غرناطة أبي الوليد الغالب إسماعيل بإصلاح الرعية، وتحصين البلاد والنفوس، وتقويتها عسكرياً، ويضيف النويري إلى ذلك أن الفرنج كانوا يهدفون إلى إستئصال شأفة المسلمين من الأندلس، وقد أثارت السياسة الإصلاحية التي اتبعتها ملك غرناطة أبي الوليد الغالب إسماعيل غضب ملك قشتالة (الفونش الحادي عشر) ، فأرسل (الوصيين على العرش دون بتروا) Don pedro (و) Don Juan دون خوان: اخوته

بجيوش جرارة إلى الجزيرة الخضراء ، وحاول ابن الأحمر أبو الوليد رد هذه الجيوش عن مملكة غرناطة، بدفع مائة دينار يومياً للفرنج، وألف دينار أسبوعياً، مقابل الانسحاب من غرناطة، إلا أن حاكم قشتالة رفض ذلك. فاستنجد ابن الأحمر بسلطان فاس عثمان بن أبي يوسف المريني، حيث أرسل له كتاباً مع وفد من العلماء، على رأسهم محدث الأندلس وعالمها أبو عبدالله محمد بن أحمد الهاشمي خطيب مالقة الطنجالي، وعابد الأندلس أبو عبدالله الساحلي^x، وغيرهم إلا أن السلطان عثمان المريني رفض مساعدتهم لخلاف بينه وبين ملك غرناطة، ثم كانت المنازلة بين الطرفين، وبدت علامات النصر على يد فرسان الأندلس (رماة الديار) - مشيخة الغزاة- ويقول إن الله أمد جيش المسلمين بالملائكة في هذه الغزوة، فالقدرة البشرية أضعفت مقاومة الحشود الكبيرة، فانحصرت فيها المسلمون.

وكان جيش المسلمين يتكون من 1500 جندي (فارسي) و4000 راجل وقد قتل من الفرنج ما بين 50 - 80 ألف قتيل، مقابل 13 من المسلمين ، وحصل المسلمون على غنائم كثيرة ومن نتائج المعركة قتل دون بتروا، حيث سلخ وحشي قطعاً وعلق على باب غرناطة

يخالفه الرأي النويري الذي ذكر أن موقعة أخرى وقعت بعد ليلة واحدة من الموقعة الكبرى (الغزوة المباركة) حين هاجم ملك الروم قهراً مدينة غرناطة فبعث ابن الأحمر إلى ملك الفرنج يقول له " ارحل عني بأجنادك وأنا أعطيك عشرين حملاً من المال..... وفي كل يوم مائة دينار، وفي كل جمعة ألف دينار، فامتنع ملك الروم.... وحبس رسول المسلمين..." فاستنجد ابن الأحمر بأبي الجيوش من بني مرين... فجاء ومعه ألف فارس.... فقتل منهم ثمانون ألفاً...."

وانفرد الذهبي بالقول إن موقعة أخرى جرت يوم عاشوراء سنة 720هـ / 1320م بين " جند مالقة وبين الفرنج..... وقتل من العدو خلق، وأسر منهم خمسمائة... واستشهد رجل واحد..." وبعد مقتل أبي الوليد الغالب إسماعيل، سار ابنه محمد بن أبي الوليد على منهجه في محاربة الفرنج بأربعين فارساً، لكنه قتل قرب جبل الفتح سنة (733هـ / 1332م) فتولى بعده أخوه أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل، فعقد صلحاً مع الفرنج سنة (743هـ / 1345م) ثم قتل في سجوده سنة 755هـ / 1357م. ثم حكم غرناطة ابنه محمد بن يوسف بن إسماعيل 755 - 764هـ فقام محمد بن عبدالله بن إسماعيل بقتل حاجب الملك، وعزل الأخير، وأخرج صهره إسماعيل بن يوسف، وعينه حاكماً لغرناطة 760هـ / 1358م، وهرب محمد بن يوسف المخلوع إلى أبي سالم بن أبي الحسن ملك المغرب، ثم استمر حكم إسماعيل حتى سنة (793هـ / 1390م)، ثم خلفه أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل حتى سنة 794هـ / 1391م، ثم حكم محمد بن يوسف بن محمد المخلوع، وكان صغير السن فعين الخصاص وصياً عليه، ثم حكم يوسف بن محمد بن يوسف ت 796هـ / 1393م.

ويتبين من أحداث القرنين السابع والثامن الهجريين أن بني الأحمر في الأندلس بعامة، وغرناطة بخاصة بذلوا جهودهم في القرن السابع الهجري على تثبيت وتمهيد أركان الدولة في غرناطة، بعد أن قام محمد بن نصر بتأسيسها في غرناطة، واهتم المؤرخون المشاركة بالصراع السياسي على السلطة، من قبل أفراد أسرة بني الأحمر، وتعرض مملكة غرناطة وبقيّة المدن الأندلسية إلى محاولات الفرنج السيطرة عليها، وسعي ملوك غرناطة لاستردادها. كما اهتم المشاركة في أخبارهم بتوضيح العلاقات السياسية والعسكرية التي تربط مملكة غرناطة بأسرة بني مرين في مراكش، واستنجد الأولى بها عدة مرات ضد الفرنج.

أما القرن الثامن الهجري فكانت أحداثه الأندلسية أكثر حضوراً في المصادر المشرقية، وبخاصة في عرض المواقع العسكرية بين غرناطة والفرنج (قشتالة). وتتبع المشاركة للسلطة السياسية من حيث تولية ملوك غرناطة للحكم، والصراعات بينهما، وما ينتج عنها

من عزل بعض ملوك بني الأحمر، ونفيهم إلى مراكش، ثم تحويلهم من ملوك إلى أمراء في بعض المدن الأندلسية.

وكان لموقعة (719هـ / 1319م) أهمية بالغة في المصادر المشرقية، حيث أرخ لها كثير من المؤرخين المشاركة، إلا أن تاريخهم اختلف من مؤرخ إلى آخر كما لوحظ في أخبار المصادر المشرقية في هذه الدراسة.

فقد اهتم القلقشندي بتتبع ملوك بني الأحمر حتى نهاية القرن الثامن الهجري، وسير من حياتهم. بيبرس الدوادر، والمقريزي، اهتموا من خلال حولياتهم بالأخبار السياسية والعسكرية، وكان الأول الالتفات إلى العلاقات المغربية الأندلسية والعسكرية، وأعطى النويري تصوراً كاملاً لموقعة (719هـ / 1319م) بجميع أبعادها (أسبابها، ومجرياتها، ونتائجها). وأرخ المقريزي لهذه الموقعة بإيجاز مهم، تضمن سببها الرئيس، ومجرياتها ونتائجها باختصار على الطرفين، ووردت بأخبار قصيرة لدى بعض المصادر المشرقية الأخرى التي سبق ذكرها.

ويدل تتبع بعض المشاركة لأحداث الأندلس بعامة ومملكة غرناطة في عهد بني الأحمر خاصة، على حضور الأخبار الأندلسية في ثقافة بعض المشاركة، ويبدو هذا من خلال ما أوردوه من أحداث سياسية وعسكرية للقرنين السابع والثامن الهجريين.

◀ ثانياً- أحداث القرن التاسع الهجري في مملكة بني الأحمر كما وردت في المصادر المشرقية:

تضاءلت أخبار الأندلس في بعض المصادر المشرقية في الفترة الأولى من تاريخ مملكة بني الأحمر في أوائل القرن التاسع الهجري وأواسطه، حيث وردت الأخبار بنتف وسنوات متقطعة من تاريخ مملكة غرناطة، بحيث كان اهتمام بعض المشاركة منصباً على المواقع الحربية، والأحداث البارزة في غرناطة.

ويبدو من سياق الأخبار أن مملكة بني الأحمر في غرناطة، بدأت تتراجع وتضعف عسكرياً وسياسياً، حيث يشير المقريزي إلى سيطرة الفرنج على مدينة انتقيرة× في عهد الملك أبي الحجاج يوسف ابن يوسف بن محمد بن إسماعيل، الذي لم يستنجد كعادة فلول غرناطة ببني مرين، وكان ذلك سنة 812هـ / 1409م، وسار جيش غرناطة ومعه طائفة من بني مرين وبني عبد الواد إلى حصن شذونة فاقتتلوا وانهزموا، وقتل عدد كبير من المسلمين " وكانت الحادثة من أشنع ما أصاب المسلمين في الأندلس.... " ، وكان ملك أراجون (الغنت) وصيا على ملك أخيه دون.... ، وفي سنة 824هـ / 1421م، ويبدو مما

سبق أن قبضة سلطة بني الأحمر على مملكة غرناطة بدأت تتراجع، كما أصبحت غرناطة ملجأً للمناوئين للسلطة في المغرب.

وكان المقريري من أكثر المؤرخين المشرقيين تأريخاً لبعض أحداث الأندلس، حيث يشير إلى حادثة (834هـ / 1430م) بشيء من التطويل، ونقل عنه الصيرفي كما ذكر الأخير. فقد جعل المقريري الحادثة في شعبان من سنة (834هـ / 1430م). وفيها شهدت الأندلس زلزالاً مدمراً، كما شهدت عودة السلطان الأندلسي المخلوع إلى غرناطة قادماً من تونس وهو (أبو عبدالله محمد الأيسر) × الذي قام بمحاصرة قلعة غرناطة، وما ترتب على ذلك من قيام الفونشو ملك قشتالة بتوجيه عساكره نحو المدينة، ثم الدور الذي قام به مشيخة الغزاة في هذه الحادثة. وقد مرت مملكة بني الأحمر في أواخر القرن التاسع الهجري بسنوات عصيبة، أدت في نهاية الأمر إلى سقوط غرناطة آخر معاقل العرب في الأندلس، ولا بد لنا في هذا المضمار أن نتساءل عن مواقف المشاركة من هذه الأحداث المهمة في تاريخ الأندلس؟ وكيف أرخوا ذلك من خلال دراسة بعض المصادر المشرقية؟

كان السخاوي من أكثر المؤرخين المشاركة اهتماماً بتاريخ غرناطة في أواخر القرن التاسع الهجري، بل انفرد في ذكر أحداث هذه السنوات وتتبعها، وإن جاءت بإيجاز في كتابه (وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام) لكنها تلقي الضوء على مجريات الأحداث (887 - 895هـ) / (1482 - 1489م).

يقول السخاوي في وجيز الكلام (895هـ / 1489م) " وكذا حصل فيها خذلان الفرنج المتعرضين لغرناطة بعد طول ما كان بين الفريقين في هذه السنين المتأخرة، مما انتصر فيه المسلمون أو رجعوا بالثواب الجزيل، وقد أصبت الإشارة لذلك، فأقول: " إن صاحب غرناطة بالأندلس، وهو سعد بن الأمير علي بن يوسف... وثب عليه ابنه أبو الحسن علي، فملكها وسجنه.... " ويتبين من سياق السخاوي لغرناطة، وصفه لتدهور الأوضاع السياسية في أسرة بني الأحمر في مملكة غرناطة، حيث يشير إلى الصراع على الحكم في عهد ملك غرناطة، سعد بن علي، ثم عزله و سجنه، وتولى أبو الحسن علي الحكم أولاً، واستمرار التآمر على الحكم في أسرة بني الأحمر ومحاولة أبي عبدالله أخي أبي الحسن استلاب السلطة ثانياً. يقول السخاوي في ذلك " ثم أن بعض الأمراء حسن لأخيه أبي عبدالله المخالفة عليه... " فاعتذر أبو عبدالله عن ذلك، ولكن أبا الحسن لم يستمر في الحكم، بسبب عزله من قبل ابنه أبي عبدالله فملك الأخير غرناطة. وتعرضت مملكة غرناطة إلى محاولات السيطرة عليها وعلى بعض أجزاء منها ثالثاً، ففي:

1. سنة (887هـ / 1482م) ثم الاستيلاء على حصن الحامة، ثم لوشة، لولا تصدي

الوزير إبراهيم بن الأشقر وأمير لوشة الشيخ علي العطار للفرنج، وطردهم والانتصار عليهم ، ثم تعرض مالقة لغزو فرنجي، فتصدى له أبو عبدالله لأخيه أبي الحسن، وانتصر عليهم وأسر من ملوكهم 30 أميراً، وذلك سنة (888هـ / 1483م).

2. أسر صاحب غرناطة (أبو عبدالله بن أبي الحسن) بعد قتل 1000 جندي من عسكره.

3. بسبب خلو العرش من الحاكم، أعاد أهل غرناطة الملك السابق (أبو الحسن علي) لمملكة غرناطة، مما أغضب الفرنج، فأطلقوا سراح أبي عبدالله الذي كان أسيراً عندهم، واتفقوا معه على محاربة أبيه حاكم غرناطة.

4. اهتم السخاوي في ذكر الصراع على السلطة بين أفراد أسرة بني الأحمر، ومحاولة أبي عبدالله الذي كان أسيراً الخروج على والده ملك غرناطة (أبو الحسن) ، وتأليب المدن مثل وادي أشي، والمرية للتعاون معه ضد والده، وقيامه بإرسال ابن الأشقر للفرنجي يطلب منه العون ضد والده وعمه الذي سيطر على المرية، وكان الأخير يحمي هذه المدن نيابة عن أخيه أبي الحسن على ملك غرناطة، مما أدى إلى استغلال العدو هذا الضعف والصراع على الحكم في بيت بني الأحمر، وسيطر العدو على رنده وكان ذلك سنة (890هـ / 1485م).

تناول السخاوي الصراع والحروب الأهلية بعد موت أبي الحسن علي ملك غرناطة، بين العم أبي عبدالله، وابن أخيه أبي عبدالله محمد، الذي دارت بينهما معارك شهدتها مدن الأندلس مالقة وبلش ولوشة، والبيازين في غرناطة، انتهت بعقد صلح بين العم وابن أخيه، انتهى بالموافقة على تعيين العم أبي عبدالله ملكاً لغرناطة، ويكون ابن أخيه ومن عداه نوابه، إلا أن هذا لم يستمر طويلاً، حيث نكث ابن أخيه العهد، وقام بمحاربة عمه، الذي كان يتصدى لغزو الفرنج لمدينة بلش، فاستغل ابن أخيه أبو عبدالله محمد خروج عمه من مدينة غرناطة سنة (890هـ / 1485م) " فوجد ابن أخيه قد تملكها بالخداة..... "

يذكر السخاوي استيلاء الفرنج منذ سنة (891هـ / 1486م) على المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، وهي لوشة (891هـ / 1486م)، ومالقة وبلش (892هـ / 1486م)، والشرقي وحصونها (الشرقية) (893هـ / 1487م)، وبسطة (893هـ / 1487م)، ثم عاد إليها (894هـ / 1488م)، ومحاصرتها حتى استسلامها بعد نفاذ المؤن والطعام منها، ثم الاستيلاء على المرية ووادي ياشي (895هـ / 1489م).

أما غرناطة فانفرد السخاوي في ذكر أحداثها حيث يقول في حوادث سنة (895هـ / 1489م): " كتب إلى بعض الثقات أن الذي صح له أن الفرنجي بعث لأهل غرناطة بالدخول في طاعته، فأجابه بعضهم سراً، واستمهلهم بعض أمرائها إلى الصيف، فامتنع وتوجه لقلعتها..... حمى المسلمون..... فأظهر الانهزام بعد قتل خلق من جنده..... "

ويشير إلى سقوط غرناطة واستعادتها سنة (895هـ / 1489م) مع السخاوي كل من ابن شاهين وابن إياس. حيث يضيف الأخير "... ووقع بسبب ذلك أمور شتى يطول شرحها وقتل من عساكر الغرب والفرنج مقتلة عظيمة، ثم بعد ذلك وقع الصلح بين أهل غرناطة والفرنج، وقرروا للفرنج في كل سنة شيئاً من المال يردونه لهم وأرخ ذلك في ذي الحجة سنة (895هـ / 1489م) - محرم سنة (896هـ / 1490م).

أما سقوط غرناطة كآخر مدينة أندلسية إسلامية في الأندلس فلم يشر إليها إلا يحيى بن الحسين، الذي قال في حوادث سنة (897هـ / 1492م) " وأما هذه المائة فوقع فيها ثلاثة أمور كل واحد منها يصلح أن يعد فتنة على انفراده، أحدهما استيلاء الفرنج على كثير من جزيرة الأندلس، كغرناطة وغيرها... " ، ولم تشر المصادر إلى معاهدة التسليم التي عقدت بين عبدالله الصغير والملكين الإسبانيين سنة 1492م. (5)

المحور الثالث - علاقات مملكة بني الأحمر الخارجية في المصادر المشرقية:

أشارت بعض النصوص المشرقية إلى العلاقات السياسية والعسكرية بين مملكة بني الأحمر وسلطان مراکش (فاس) من المرينيين، وقد أشرنا فيما سبق إلى استنجاد بني الأحمر عدة مرات بجيوش بني مرين ضد الفرنج، إضافة إلى قيام ما يسمى بمشيخة الغزاة، من بني مرين في غرناطة بتقديم المساعدة لبني الأحمر في وقت الحاجة، وهناك من يجعل الفضل لإطالة عمر مملكة غرناطة في الأندلس إلى سلاطين الدولة المرينية الذين لم يتوانوا في تقديم المساعدة لغرناطة .

واتخذت بعض المدن الأندلسية وبخاصة مملكة غرناطة مركزاً لإيواء الخارجين عن الحكم في المغرب وبخاصة من بني مرين ، كما كان ينفي إليها العناصر المناوئة ، وكذلك ارتبطت بعلاقات سياسية مع بني عبد الواد .

ويبدو من المصادر المشرقية، وجود علاقات سياسية بين مملكة بني الأحمر ودولة المماليك في مصر، حيث يشير القلقشندي إلى رسالة كتبها أبو عبدالله محمد بن أبي الحجاج يوسف إلى الأشرف شعبان، والكتاب من إنشاء لسان الدين بن الخطيب، وتشير إلى حادثة الإسكندرية التي وقعت سنة (767هـ / 1365م) ، وقد أخذ القلقشندي على هذا الكتاب لقب الأشرف شعبان بالمنصور (الأعلى المنصور) .

وذكر القلقشندي رسم الكتابة إلى ملوك غرناطة، وأن التعريف " صاحب حمراء غرناطة " ، وأشار إلى نسخة كتاب كُتبت في ورق أحمر لصاحب غرناطة تتضمن استيلاء

بعض أقارب أصحاب غرناطة على الملك، ثم إعادة الملك المخلوع إلى عرشه سنة (765هـ - 1363م).

وكانت العلاقات المشرقية الأندلسية تتم عن طريق:

1. المكاتبات الرسمية:

كانت المكاتبات من طرق الاتصال بين الأندلس والمشرق كما أنها من موارد المؤرخين المشاركة عن الأندلس، ويتبين ذلك من الكتب التي وجهت من طرف ملك غرناطة، أبو عبدالله محمد إلى الملك الأشرف، وذكرها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى وقال العيني عن (أبي شامة) ورد إلى دمشق كتاب يتضمن أنه ورد إلى القاهرة في جمادى الآخرة من هذه السنة (663) ... كتاب من المغرب يتضمن نصر المسلمين على النصارى في بر الأندلس، ومقدم المسلمين سلطانهم أبو عبدالله بن الأحمر... " وقال في موضع آخر " ورد خبر من بلاد المغرب... بأنهم انتصروا على الفرنج... يوم الجمعة... 622هـ؟"

2. الوفود الرسمية: فهي الطريقة الأخرى للاتصال بين الأندلس والمشرق، فعندما تعرضت غرناطة لغزو الفرنج، أرسل ملك غرناطة كتاب برفقة زمرة من العلماء الأندلسيين، إلى صاحب فاس. ونظراً لطول الصراع بين الأندلسيين والفرنج على أرض الأندلس، وبخاصة مملكة غرناطة، فقد أشارت بعض المصادر المشرقية إلى العلاقات السياسية والعسكرية التي كانت بين الطرفين، ويتبين ذلك من خلال استنجد أبي عبدالله محمد بن الأحمر بالفرنج ضد والده وعمه وانفرد ببيبرس الدوادار بالإشارة إلى التحالف الذي حصل بين الفونش وبين يعقوب المريني ضد ابن الأحمر " وكان الأخير قد استنجد بالفونش، إلا أن الفونش رفض مساعدته ضد أي خطر يوجهه المريني إليه بل أرسل إلى المريني... وأعلمه أنه لا يساعد ابن الأحمر عليه... وتراسل المريني والفونش وتكاتبا واتفقا على ابن الأحمر، وعاد الفونش إلى كرسيه"

أما مصادر المؤرخين المشاركة عن مملكة غرناطة فهي:

أ. المدونات:

لم يرد في مصادر الدراسة هذه أي ذكر لمدونات أندلسية، وهذا يشير إلى أن التاريخ السياسي لمملكة غرناطة لم يكن قد دون أو انتشر، لذلك جاءت أخبارهم السياسية قليلة في المصادر المشرقية المعاصرة للقرنين الثامن والتاسع الهجريين، وإن توفرت نتف من الأخبار السياسية في تراجم ملوك غرناطة ووزرائها.

وقد ذكر بعض المشاركة استنادهم إلى مصادر مشرقية سابقة لهم، فقال القلقشندي: إن بعض المكاتبات ذكرت في التعريف بالمصطلح الشريف، لابن فضل الله العمري، وأصل بني الأحمر في كتابه الذي لم يذكر اسمه.

أما الصيرفي فيقول إن أخباره نقلها عن المقرئزي، ويشير إلى القول في حوادث سنة 834هـ/1430م، وسبب هذه الحادثة على ما ساقها الشيخ تقي الدين المقرئزي في تاريخه السلوك.... " ولم يذكر المقرئزي المصادر التي استند عليها وقال النويري " ونقل الشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن ابن يحيى الحاكمي الأول.... " وكانت المصادر المشرقية في هذه الدراسة قد ذكر مؤرخيها عند إيرادهم الخبر " وردت الأخبار بأن الفرنج..... " وبلغنا أمر الوقعة الكبرى بالأندلس..... " ، " ... وصل الخبر... " ... جاءت الأخبار..... "

ب. الروايات الشفوية:

ذكر النويري في حوادث سنة (719هـ/1319م) " وصل الخبر بها إلى الديار المصرية في سنة (720هـ/1320م) واجتمع بي من حضر هذه الوقعة، وقص علي نبأها وعلقت ذلك منه ثم فقدته... " ثم يقول: إنه نقل أحداث الواقعة عن الجزري ملخصة. لكن النويري يذكر في موقع آخر " وأخبرني من شهد هذه الوقعة، كما زعم، وظاهره غير متهم، فإن عليه آثار الخبر..... " .

ت. الروايات الفردية المكتوبة المتبادلة:

وقد اعتمد ذلك السخاوي الذي يقول في وجيز الكلام: " ثم كتب إلي بعض الثقات أن الذي صح له أن الفرنجي بعث لأهل غرناطة... " ويتبين مما سبق أن المدونات الأندلسية والمكاتبات والروايات الشفوية والمكتوبة من المصادر الرئيسية للمشاركة.

نتائج الدراسة:

لقد تم اعتماد بعض المصادر المشرقية التي بحثت في بلاد الأندلس بعامة ومملكة بني الأحمر بخاصة، وكان جل اعتماد الدراسة على المصادر التاريخية للقرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية، باستثناء مصدر واحد يعود إلى مرحلة تالية. وكان الهدف من هذه الدراسة هو تقييم مدى اهتمام المشاركة بأخبار الأندلس لتلك الحقبة.

ومن خلال اطلاعي واستقصائي لبعض المصادر المشرقية وجدت بعض الاهتمام من المؤرخين المشاركة في تتبع أخبار الأندلس عبر عصورها المختلفة، وبما أن موضوع هذه الدراسة يتعلق بمملكة غرناطة، فقد اعتمدت مصادر مشرقية محددة - رغم توفر الكم الهائل من هذه المصادر - واعتمدتها نموذجاً لهذه الدراسة، بسبب عمق المادة واتساع

موضوعها. أما كيفية تناول المشاركة أخبار مملكة غرناطة، فأشير بعد دراسة الموضوع إلى النقاط الآتية:

1. اهتمت المصادر المشرقية بأخبار مملكة غرناطة، وذلك اتضح من الإشارات الواردة في تلك المصادر.

2. تناولت المصادر أخبار الأندلس بعامة وغرناطة بخاصة من الناحيتين السياسية والعسكرية.

3. اختلفت مصادر القرن الثامن الهجري في بعض موضوعاتها الأندلسية عن المصادر التي عاصرت أحداث القرن التاسع الهجري، وهذا شيء طبيعي لاختلاف الحدث والزمان. إلا أن الاختلاف يكمن في أن مصادر القرن الثامن الهجري لم تشر إلى كيفية تأسيس مملكة غرناطة، والعوامل التي ساعدت على ذلك، أما مصادر القرن التاسع الهجري فقد تتبعت التسلسل التاريخي لحوادث مملكة غرناطة منذ نشأتها، وحتى نهاية القرن الثامن الهجري، مثل القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، الذي أشار أيضاً إلى المكاتبات السياسية بين مملكة غرناطة وسلطان المماليك.

4. إجماع بعض مصادر القرون السابع والثامن والتاسع الهجرية على ذكر ذات الأحداث الأندلسية بشيء من التقصير في بعضها، والتطويل في مصادر أخرى. فقد كانت الأخبار التي جاء بها النويري مفصلة وبخاصة في موقعة 719هـ / 1319م. والتي لخصها المقرئ أيضاً تلخيصاً مشابهاً لما ورد عند النويري، وكانت أخبار الأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين تكاد تكون قليلة، ومحددة في بعض المواقع العسكرية، مع تركيزها بشكل متفاوت على موقعة 719هـ / 1319م. كما اهتمت المصادر بالعلاقات المرينية الغرناطية وبخاصة المؤرخ بيبرس الدوادار في كتابه (زبدة الفكرة...).

أما الأحداث المتعلقة بالقرن التاسع الهجري، فتكاد تكون ضئيلة في أوائل القرن التاسع الهجري. حيث لم يشر إليها سوى المقرئ في حوادث 834هـ / وغيرها، والصيرفي في نزهة النفوس الذي نقل عن المقرئ كما قال.

أما السخاوي فكان المصدر الوحيد الذي تناول أخبار الأندلس في أواخر القرن التاسع الهجري، ونظراً لأهميتها فقد ذكر في حوادث سنة 895هـ / ملخصاً لحوادث الأندلس من سنة 887-895هـ. تناول بإيجاز الصراعات على السلطة، والحروب الداخلية والتحالفات لبعض ملوك غرناطة مع الفرنج، ثم أثر هذه الحروب والصراعات في استيلاء الفرنج على المدن الأندلسية، وقد ذكرت مصادر أخرى مشرقية حوادث سنة 895هـ / ، ولم تشر لغيرها.

أما الحدث الرئيس في الأندلس هو سقوط غرناطة فقد أشار إليه فقط المشرقي يحيى بن الحسين في كتابه (غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني). وكانت موضوعات هذه الدراسة كالتالي:

1. الحديث عن أصل بني الأحمر في المصادر المشرقية، كما جاءت عند بيبرس الدوادار في كتابه زبدة الفكرة، والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى، وكان هناك اختلاف في الأسماء التي ذكر كل واحد منهما.

2. تتبع نشأة مملكة بني الأحمر، وعلاقتها مع الدول المجاورة سواء أكانت داخل الأندلس أم خارجها، ثم الإشارة إلى ملوك غرناطة كما وردت عند المشاركة فقط.

بذلك يتضح أن أخبار مملكة بني الأحمر في المصادر المشرقية متقطعة ومتفاوتة من مصدر لآخر، فهناك مصادر تعطي الحدث أهمية أكبر مثل المقرئزي والنويري، و مصادر أخرى تذكره بإيجاز رغم أهمية الحدث. اهتم السخاوي في وجيز الكلام بالأحداث المهمة لمملكة غرناطة في أواخر القرن التاسع الهجري متتبعا للأحداث حتى سنة 895هـ، إلا أن الحدث الأهم وهو سقوط مملكة غرناطة فلم يشر إليه في كتابه فقال عبارة (أو لم أعثر عليه) ولم يكن في المصادر إلا إشارة واحدة لسقوط غرناطة. وهكذا يبدو للباحث أن الأخبار الواردة لم تكن بمقدار أهمية أوضاع الأندلس وسقوط مملكة غرناطة، وربما يعود عدم الاهتمام الكبير بأحداث الأندلس إلى قلة ورود الأخبار الأندلسية للمشرق لصعوبة الوضع السياسي والعسكري فيها.

الملاحق: قائمة ملوك غرناطة كما جاءت في المصادر المشرقية

ملوك بني الأحمر في غرناطة :

1. أبو عبدالله محمد (الأول) بن نصر بن الأحمر " المؤسس " (629 - 670هـ / 1231 - 1271م)
2. أبو عبدالله محمد (الثاني) بن محمد بن يوسف المعروف بالفقيه (671 - 701هـ / 1272 - 1301م)
3. أبو عبدالله محمد (الثالث) المخلوع ابن محمد الفقيه (701 - 708هـ / 1301 - 1308م)
4. أبو الجيوش نصر بن محمد (708 - 713هـ / 1301 - 1313م)
5. أبو الوليد إسماعيل (الأول) ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصرت (713 - 725هـ / 1313 - 1324م)
6. أبو عبدالله محمد (الرابع) بن أبي الوليد إسماعيل (725 - 733هـ / 1324 - 1332م)
7. أبو الحجاج يوسف (الأول) بن إسماعيل بن فرج (733 - 755هـ / 1332 - 1354م).
8. أبو عبدالله محمد (الخامس) بن يوسف بن إسماعيل (المخلوع) (755 - 764هـ / 1354 - 1362م)
9. إسماعيل (الثاني) بن يوسف (764 - 793هـ / 1362 - 1390م)
10. أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (793 - 794هـ / 1390 - 1391م)
11. محمد بن يوسف بن محمد المخلوع (793هـ / 1390م)
12. أبو الحجاج يوسف بن محمد (الخامس) بن يوسف ت (796هـ / 1393م)
13. محمد السابع (797 - 811هـ / 1394 - 1408م)
14. أبو الحجاج يوسف بن يوسف بن محمد بن إسماعيل (811 - 820هـ / 1408 - 1417م)

15. أبو عبدالله محمد الثامن الأيسر المرة الأولى (820 - 831هـ / 1417 - 1427م) والثانية (833 - 835هـ / 1429 - 1431م) والثالثة (836 - 845هـ / 1432 - 1441م)
16. محمد التاسع الصغير (831 - 833هـ / 1427 - 1429م)
17. يوسف الرابع ابن الملى حكم أربعة أشهر 836هـ / 1432م
18. محمد العاشر الأحنف المرة الأولى (845 - 849هـ / 1441 - 1445م) والثانية (849 - 863هـ / 1445 - 1458م)
19. يوسف الخامس المرة الأولى: (عدة اشهر من 849 / 1445م والثانية: 867 - 868هـ / 1458 - 1463م)
20. سعد بن الأمير علي بن يوسف بن محمد الأولى من 863 - 867هـ / 1462 - 1463م والثانية (868هـ / 1463م عدة أشهر)
21. أبو الحسن علي بن سعد بن الأمير علي (868 - 887هـ / 1463 - 1482م)
22. أبو عبدالله بن أبي الحسن علي (الصغير الأولى (887 - 888هـ / 1483 - 1483م) والثانية (892 - 897م)
23. أبو الحسن علي (888 - 890هـ / 1483 - 1485م).
24. أبو عبدالله أخو أبي الحسن علي (الزغل) (890 - 892هـ / 1485 - 1487م)
25. أبو عبدالله بن أبي الحسن علي (الصغير للمرة الثانية (892 - 897م)

الهوامش:

1. عبدالرحمن على الحجّي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط5، دمشق، دار القلم، 1997م، ص519
 2. تؤكد الأدلة الأثرية والجينية بقوة أن شبه الجزيرة الأيبيرية كانت واحدة من الملاجئ الكبرى التي ساهمت في إعادة استيطان شمال أوروبا بعد نهاية العصر الجليدي الأخير. كان يسكن الجزيرة عناصر سكانية تاريخية هم: الأيبيريون والسلتيون، حيث استوطن العنصر الأول جانب البحر الأبيض المتوسط من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، بينما سكن السلتيون جانب الأطلسي في الشمال والجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة. في الجزء الداخلي من شبه الجزيرة، حيث كان كلا الفريقين على اتصال نشأت ثقافة مختلطة مميزة تعرف باسم سلتأيبيرية، وفيما بعد بدأت الثقافتان السلتية والأيبيرية بالتأثر بالحضارة الرومانية بدرجات مختلفة في مختلف أجزاء هيسبانيا: انظر: مقال الأندلس دمعة لم تجف، الأحد 13 مايو الرابط:
- 2012http:// www. islammemo. cc/ nahn- we- el- gharb/ 2012/ 05/ 13/ 149767. html
3. انظر الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار ص 28 – 32، 45 – 46: صفة جزيرة الاندلس، ص5
 4. الحجّي، التاريخ الأندلسي، ص513
 5. ركن الدين بيبرس المنصوري الداودار (ت 725هـ / 1325م) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالدس. ريتشاردن، النشرات الإسلامية، يصدرها هلموت ريتراجمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، الشركة المتحدة، 1998م، ص125.
 6. أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ / 1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج5، ص251.
 7. بيبرس الداودار، زبدة الفكرة، ص 125.
 8. القلقشندي، صبح، ج5، ص251؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج2 ص92
 9. بيبرس الداودار، زبدة الفكرة، ص 125.
 10. القلقشندي، صبح، ج5، ص251
 11. الداودار، زبدة الفكرة، ص125، انظر أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، الطبعة

- الثانية، بيروت، 1988م، ص123، وسيشار إليه فيما بعد هكذا: حومد، محنة العرب.
12. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 125. القلقشندي، صبح، ج5، ص251
13. المصدر نفسه، ص125
14. القلقشندي، صبح، ج5، ص251)
15. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 125
16. القلقشندي، صبح، ج5، ص251.
17. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 125.؛ حومد، محنة، ص123 - 124
18. القلقشندي، صبح، ج5 ص251، 252
19. المصدر نفسه، ج5، ص252
20. القلقشندي، صبح، ج5، ص252
21. الحجى، تاريخ الأندلس ص525
22. سُمِّي بابن الأحمر ولم يكن هذا اسماً له، بل لقباً له ولأبنائه من بعده حتى نهاية حكم المسلمين في غرناطة.
23. عنان: دولة الإسلام في الأندلس /7، 41، 42.
24. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، /7، 42.
- × (الكورتيس) ×: مجلس بدأ في العصور الوسطى كجزء من نظام الإقطاع وهو مجلس استشارى يتكون من أقوى أمراء الإقطاع الأقرب للملك. واشهرها مجلس كورتيس مملكة ليون الذي نشأ عام 1188 م، ثم اندمج عام 1230م مع كورتيس مملكة قشتالة) انظر: مادة كورتيس خينيراليس: arz.wikipedia.org/wiki/
25. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، /7، 43.
26. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، /7، 42.
27. ابن خلدون، تاريخ، /7، 190.
28. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، /7، 442 - 444
29. انظر: ابن خلدون، تاريخ، /4، 171.
30. عنان: دولة الإسلام في الأندلس /7، 443، 444.
31. لقب بالعالم، ثار عليه ابنه شانجه الرابع وخلع عن الحكم سنة 681هـ /1282م،

- ومات سنة 683 / 1284م انظر عنان، نهاية الأندلس، ص 87 - 88؛ الحجّي، تاريخ الأندلس ص 525
32. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1 ص 565؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4 ص 370، 393 ج 7 ص 396 - 408، 764
33. الحجّي، تاريخ الأندلس ص 541
34. ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1 ص 449 - 450؛ المقري، نفع الطيب، ج 5 ص 510؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 4 ص 373، ج 7 ص 520
- × مشيخة الغزاة: هم المتطوعة من المجاهدين المغاربة المرابطين الذين دخلوا الأندلس بدعم من الدولة المرينية للجهاد ضد الأسيبان، يطلق على قائدهم لقب شيخ الغزاة وغالبا ما يكون من أسرة بنو العلاء من أقارب السلطان المريني، وكان هؤلاء المتطوعة بمثابة وسيلة مرور للجيش المريني للأندلس باعتبارهم حلقة وصل بين وبين الدولة المرينية وملوك غرناطة. انظر: الذهبي، العبر، ج 7 ص 771؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2 ص 16؛ الحجّي، التاريخ الأندلسي، ص 40 - 41
35. الحجّي، تاريخ الأندلس ص 543
36. ابن خلدون، تاريخ ج 7 ص 546؛ عنان، نهاية الأندلس، ص 142
37. ابن خلدون، تاريخ ج 4 ص 375، 394، ج 7 ص 632، 678 - 679، 776؛ عنان، نهاية الأندلس، ص 132، 173؛ الحجّي، تاريخ الأندلس، ص 548
38. الحجّي، تاريخ الأندلس، ص 550،
39. المقري، نفع الطيب، ج 4 ص 525، 525، 553 - 555
40. المقري، نفع الطيب ج 4 ص 525، انظر بنود المعاهدة في ملحق 4
41. النويري، نهاية الأرب، ج 4 ص 389 - 390
42. النويري، نهاية الأرب، ج 4، ص 389 - 390
43. بدر الدين محمود العيني (ت 855هـ / 1451م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حققه ووضع حواشيه محمد محمود أمين، الهيئة المصرية العامة، 1987م، ج 1 (حوادث 648 - 664هـ) ص 408.
- × قيجاطة: مدينة أندلسية من عمل جيان، الحميري، الروض المعطار "مادة قيجاطة" ص 488 - 513
44. ابن حجر، الدرر، ج 5، ص 10

- × العزفيون: هم امراء سبته امتد حكمهم من (677 - 728هـ / 1277 - 1327م)
مؤسس امارتهم ابي القاسم العزفي الذي حكم 30 سنة انظر ابن عذاري، البيان المغرب؛
بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص386 - 387؛ العيني، عقد الجمان، ج4، ص408 - 409.
45. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص386 - 387؛ العيني، عقد الجمان، ج4، ص408 -
409.
46. المصدر نفسه، ص135، المرة الأولى التي يدخل فيها أبي يوسف الأندلس.
47. المصدر نفسه، ص165، المرة الثانية التي يدخل فيها أبو يوسف الأندلس
48. أبو الفداء، المختصر، ج2، ص400؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص250
49. ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص400.
50. حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط المغربي، صدق الأخبار، تاريخ ابن سباط،
عنى به وحققه: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، ج2، ص603.
51. القلقشندي، صبح، ج5، ص252
52. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص413
53. أبي الفداء، المختصر، ج2، ص431.
54. النويري، نهاية الأرب، ج30، ص130 - 134، تقي الدين المقرئ، السلوك لمعرفة
دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة ج2، قسم1، ص198 - 199.
55. الذهبي، شمس الدين، ت 748هـ، دول الإسلام، عني بطبعه ونشره عبدالله بن
ابراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ج2، ص227. انظر ابن
الوردي، تاريخ، ج2، ص269؛ اسماعيل بن عمر ابن كثير ت 774هـ البداية
والنهاية، ج14، ص96 - 97.
56. النويري، نهاية الأرب، ج3، ص130-134
57. المصدر نفسه، ج30، ص131.
58. المصدر نفسه، ج30، ص132. أنظر المقرئ، السلوك، ج2، قسم1، ص198 - 199
59. المقرئ، السلوك، ج2، قسم3، ص952-959 ملحق رقم 2؛ المصدر نفسه، ج2،
قسم3، ص956؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص252؛ أبي الفداء، المختصر، ج2، ص431.
60. أبي الفداء، المختصر، ج2
× كان الساحلي احد خطباء مدينة مالقة ويلقب بالعم، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة،

- تحقيق طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت
61. المقرئزي، السلوك، ج2، قسم3، ص952 – 959 ملحق رقم 2؛ المصدر نفسه، ج2، قسم3، ص956؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص252.
62. المقرئزي، السلوك، ج2، قسم1، ص198 – 199
63. أعطى النويري سرد كامل للغنائم، انظر الملحق السابق من كتاب المقرئزي، وكانت المصادر المشرقية قد اختلفت عن بعضها في تقدير عدد القتلى، انظر الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص227.
64. المصدر نفسه، ج2 ق1 ص198 – 199
65. المصدر نفسه، ج2 ق1 ص198 – 199
66. المقرئزي، السلوك، ج2، قسم3، ص952 – 959
67. الذهبي، دول الاسلام، ج2، ق3 ص228
68. اختلفت المصادر في عزل محمد بن يوسف حيث يقول ابن حجر أنه حكم حتى 760هـ، بينما يذكر القلقشندي أن محمد بن عبدالله عين صهره ملكاً 760هـ، انظر الدرر، ج5، ص63؛ صبح، ج5، ص253.
69. القلقشندي، صبح، ج5، ص253
70. شهبة، تاريخ، ج3، ص525 – 526
- × اتنقيرة: مدينة تقع على بعد 59 كم عن مالقة. لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار الصادي، ص36.
71. المقرئزي، السلوك، ج3، ق2، ص167 – 168
72. المصدر نفسه، ج3، ق2، ص168 – 169
73. هو الفونش الذي يسمى الفنت صاحب مملكة أراجون، وصياً على ملك أخيه بقشتالة، ولما مات قام من بعده بترو بن الفنت صاحب برشلونة، وبلنسية. المصدر نفسه، ج4، ق2، ص951.
- (4) ذكر المقرئزي أسماء مختلطة لملوك قشتالة في هذه الفترة الملك حنا الثاني 1405 – 1454م، وهو طفل صغير تحت وصاية أمه، وعمه فرناندو، الذي أصبح ملك أرجونة، سنة 1412م، المصدر نفسه، ج3، ق2، ص166 (حاشية 2)
74. ورد بياض في المتن، وكان المقرئزي قد ذكر أسماء مختلطة لملوك قشتالة في هذه

الفترة الملك حنا الثاني 1405 - 1454م، وهو طفل صغير تحت وصاية أمه، وعمه فرناندو، الذي أصبح ملك أرجونة، سنة 1412م، المصدر نفسه، ج3، ق2، ص166 (حاشية 2)

75. المصدر نفسه ج4، قسم2، ص834. جعل الصيرفي الحادثة في شهر رجب، انظر علي بن داوود الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان (825/ 842هـ) تحقيق: حسن حبش، دار الكتب المصرية 1973م، ج3، ص222.

76. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت 902هـ / 1496م. وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار معروف وآخرون، ص11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1950م، ج3، ص1145.

77. المصدر نفسه، ج3، ص1145.

78. المصدر نفسه، ج3، ص1145.

79. المصدر نفسه، ج3، ص1145.

80. المصدر نفسه، ج3، ص1145.

81. المصدر نفسه، ج3، ص1146.

82. المصدر نفسه، ج3، ص1146.

83. المصدر نفسه، ج3، ص1145.

84. المصدر نفسه، ج3، ص-1145 1146.

85. المصدر نفسه، ج3، ص1146.

86. المصدر نفسه، ج3، ص1147.

87. المصدر نفسه، ج3، ص1147.

88. المصدر نفسه، ج3، ص1147.

89. المصدر نفسه، ج3، ص1148.

90. المصدر نفسه، ج3، ص1148؛ حومد، محنة، ص142 - 144.

91. المصدر نفسه، ج3، ص1148 1149.

92. يذكر المقرئ أن الفرنج نزل بسطة أول مرة سنة 794هـ وليس 893هـ. حيث تم محاصرتها وقطع المؤن والاتصال عنها، فاضطر أهلها إلى الصلح ضمن شروط معينة، وبعضها سرية، ثم دخل الفرنج يوم الجمعة 10 محرم / 895هـ. وملكوها أنظر

- المقري، أحمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه وعلق عليه وقدم له د. مريم قاسم الطويل وآخرون، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1995م، ج6، ص271.
93. السخاوي، وجيز، ج3، ص1149.
94. المصدر نفسه، ج3، ص1150.
95. ابن شاهين، نيل الأمل، قسم8، ج2، ص208 – 209.
96. محمد بن أحمد بن إياس الحنقي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1984، ج3، (872 – 906هـ) ص276.
97. يحيى بن الحسين بن القاسم (1100هـ / 1689م)، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، (قسمان)، تحقيق وتقديم: سعيد عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968، قسم2، ص619.
98. انظر حومد، محنة، ص148 – 153؛ محمد عبده حتامه
99. ابي الفداء، المختصر، ج2، ص400؛ ابن الوردي، تاريخ، ص250؛ المقرئزي، السلوك، ج3، قسم3، ص952 – 959؛ ج4، ق2، ص856 – 857، ج4، ق2، ص169؛ ابن تغري، المنهل الصافي، ج4، ص9 – 10؛ الدوادار، زبدة الفكرة، ص125، 135، 165، 251، 253.
100. المقرئزي، السلوك، ج4، ق2، ص596 – 597.
101. المقرئزي، السلوك، ج3، ق2، ص168 – 169.
102. العيني، عقد الجمان، ج4، ص422؛ ابن تغري، المنهل الصافي، ج1، ص215 – 216.
103. القلقشندي، صبح، ج8، ص106 – 115.
104. المصدر نفسه، ج7، ص441 – 444.
105. القلقشندي، صبح، ج8، ص107 – 114.
106. العيني، عقد الجمان، ج1، ص409.
107. العيني، عقد الجمان، ج1، ص409.
108. النويري، نهاية، ج30، ص130 – 134؛ المقرئزي، السلوك، ج2، ق3، ص953)

109. السخاوي، وجيز، ج3، ص 1147 - 1149.
110. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص251.
111. القلقشندي، صبح، ج7، ص 107 - 440.
112. الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص223.
113. النويري، نهاية الأرب، ج30، ص133.
114. ابي الفداء، المختصر، ج2، ص400؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص250.
115. الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص227.
116. ابن شاهين، نيل الأمل، ق8، ج2، ص208.
117. ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص130.
118. النويري، نهاية الأرب، ج30، ص130.
119. المصدر نفسه، ج3، ص132 - 133.
120. السخاوي، وجيز الكلام، ج3، ص1150.
121. أعتمدت المصادر المشرقية في تسلسل الملوك، ونقحت السنوات اعتماداً على الحجى في تاريخ الأندلس للملوك الذين لم ترد سنوات حكمهم في المصادر أو كانت غير دقيقة.
122. بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 125، ذكر القلقشندي أنه محمد بن يوسف بن نصر، توفي 671هـ، صبح، ج5، ص251.
123. ولد سنة 632هـ، حكم مدة 30 سنة، كان شجاعاً، وقوراً، حسن السياسة، رتب أمور الدولة ورسومها، ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين (ت 852هـ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه وقدمه له محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ج5، ص10.
124. القلقشندي، صبح، ج5، ص252.
125. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن شاهنشاه ت (732هـ/ 1331م) تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه، محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص400؛ زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي (ت 749هـ/ 1347م) تاريخ ابن الوردي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ج2، ص250؛ انظر القلقشندي، صبح، ج5، ص252.

126. أبو الفداء، المختصر، ج2، ص431، عرف بالغالبا اسماعيل. القلقشندي، صبح، ج5، ص252
127. ترجم له ابن حجر مرتين، فذكر أنه محمد بن اسماعيل بن فرج.. الأنصاري الخزرجي، وقال في موضع آخر محمد بن أبي الوليد بن الأحمر، انظر: الدرر، ج3، ص389، ج5، ص252
128. زين الدين عبد الباسط بن شاهين الظاهري (ت 920هـ/ 1514م) نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، ص272 - 273.
129. القلقشندي، صبح، ج5، ص253.
130. ابن حجر، الدرر، ج5، ص63. ذكر القلقشندي أنه عين حاكماً سنة 760هـ. صبح، ج5، ص253.
131. القلقشندي، صبح، ج5، ص253.
132. المصدر نفسه، ج5، ص253.
133. تقي الدين أبي بكر الأسدي الدمشقي بن قاضي شهبة ت (851هـ/ 1448م)، تاريخ ابن قاضي شهبة تحقيق: عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، الجفان والجابي للطباعة، ليماسول، قبرص، 1994م، ج3، ص525 - 526.
134. الصيرفي، نزهة، ج3، ص222.
135. الحجّي، تاريخ الانلس ص566
136. السخاوي، وجيز، ج3، ص1145 - 1150
137. المصدر نفسه، ج3، ص1145 - 1150
138. الحجّي، تاريخ الأندلس ص566
139. السخاوي، وجيز، ج3 ص1145 - 1150
140. الحجّي، تاريخ الأندلس، ص566 - 567
141. السخاوي، وجيز، ج3 ص1145 - 1150
142. المصدر نفسه ج3 ص1145 - 1150
143. الحجّي، تاريخ الأندلس، ص566 - 567

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع:

1. ابن إياس، محمد بن أحمد أبو البركات، بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (1984).
2. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ / 1469م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1956م.
3. حتاملة، محمد عبده، التنصير القسري لمسلمي الأندلس.
4. ابن حجر العسقلاني، أحمد (ت 852هـ / 1448م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه وقدمه له محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر. (د. ت).
5. الحجي، عبدالرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92 - 897هـ / 711 - 1492م) ط5، دار القلم، دمشق.
6. الحسين، بن يحيى بن القاسم (1100هـ / 1689م)، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، (قسمان)، تحقيق وتقديم: سعيد عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي، القاهرة، قسم2، (1968م)
7. الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي ت (710هـ / 1310م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937م، مادة غرناطة.
8. الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي ت (710هـ / 1310م)، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الاقطار.
9. حومد، اسعد، محنة العرب في الأندلس، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، (1988م)
10. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد (ت 776هـ = 1374م)، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي. (د. ت)
11. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد (ت 776هـ = 1374م) الاحاطة في أخبار غرناطة. . بيروت، 1959م

12. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1406م) ، تاريخ ابن خلدون المعروف ب (العبر وديوان المبتدا والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر وما عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة، 1974م،
13. الداودار، ركن الدين بيبيرس المنصوري الداودار (ت 725هـ / 1325م) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالدس. ريتشاردن، بيروت، الشركة المتحدة، (1998م) .
14. الذهبي، شمس الدين، (ت 748هـ / 1347م) ، دول الإسلام، عني بطبعه ونشره: عبدالله بن ابراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر.
15. الذهبي، شمس الدين (ت 748هـ / 1347م) ، العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، 1963م
16. ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت 920هـ / 1514م) ، صدق الأخبار: تاريخ ابن سباط، عني بنشره وحققه: د. عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، (د.ت) .
17. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت 902هـ / 1496م. وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، 4ج، تحقيق: د. بشار معروف وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1950م)
18. ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط (ت 920هـ / 1514م) نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت)
19. ابن الصيرفي، علي بن داوود، (ت 900هـ / 1494م) ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب المصرية (1973م)
20. ابن عذاري، ابو عبدالله محمد المراكشي ت (بعد 712هـ / 1312م) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، د. ت
21. عنان، محمد عبدالله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة، 1966م
22. عنان، دولة الاسلام في الأندلس، القاهرة، 1969م
23. العيني، بدر الدين محمود (ت 855هـ / 1451م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حققه ووضع حواشيه محمد محمود أمين، الهيئة المصرية العامة، (1987م)
24. أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي شاهنشاه ت (732هـ / 1331م) ، المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه، محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)

25. ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر الأسدي الدمشقي ت (851هـ / 1448م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ليماسول، قبرص (1994م)
26. الفلقشندي، أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (15ج) شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
27. ابن كثير، أبو الفداء، (ت 774هـ / 1372م) ، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه: د. أحمد ملح وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
28. المقرئ، أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شرحه وضبطه: د. مريم الطويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (1995م)
29. المقرئ، تقي الدين (ت 845هـ / 1442م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة،
30. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ / 1332م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1992م
31. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت 749هـ / 1348م) تاريخ ابن الوردي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1996م) .

ثانيا - المواقع الالكترونية:

1. المغربي، هشام بن محمد زليم. [http:// www. ahlalheeth. com/](http://www.ahlalheeth.com/)
- بنود معاهدة غرناطة، كتب المقال بتاريخ 10 - 5 - 2010
2. مادة كورتيس خينيراليس: [arz. wikipedia. org/ wiki/](http://arz.wikipedia.org/wiki/)
3. مقال الأندلس دمة لم تجف،
[http:// www. islammemo. cc/ nahn- we- el- gharb/ 2012/ 05/ 13/ 149767. html](http://www.islammemo.cc/nahn-we-el-gharb/2012/05/13/149767.html)

الرابط الاحد، مايو، 2012م

**علوم القرآن الكريم والحديث الشريف
في القدس منذ قيام الخلافة العباسية
حتى الغزو الصليبي
(132-492 هـ / 750-1099 م) ***

د. عبد الحميد جمال الفراني **

* تاريخ التسليم: 15 / 12 / 2014م، تاريخ القبول: 26 / 4 / 2015م.
** أستاذ مساعد/ كلية الدعوة الإسلامية/ وزارة الأوقاف والشئون الدينية/ غزة.

ملخص:

ازدهر في القدس بعد الفتح الإسلامي عدد من العلوم وبخاصة تلك المتعلقة بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وشهدت الفترة موضوع الدراسة تقدماً واضحاً وملموساً في دراسة علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف مع وصول عدد كبير من القراء والمحدثين إلى بيت المقدس، حيث أولى القبلتين وثاني المسجدين الذي أصبح مركزاً مهماً لدراسة تلك العلوم.

وستتناول هذه الدراسة رسداً لما شهدته القدس من تقدم في هذين العلمين المهمين، حيث سيتم دراسة ما أثمر عنه وتتبعه التقدم من ظهور عدد من العلماء سواء أكانوا ممن أنجبتهم القدس، أم ممن قدم زائراً إليها لينهل من علمائها ويروي ظمأه من قدسيته وبركتها، وسيستعرض البحث أولاً علوم القرآن وأبرز العلماء الذين برعوا فيها، وبعدها سيتم دراسة علم الحديث وأهم العلماء الذين اهتموا به ودرسوه، وأبرز رواته من المقدسيين وغيرهم من المحدثين.

**Sciences Related to Noble Quran and Hadith in Al- Quds from
the Creation of Abbaside Caliphate to the Crusaders
Invasion from 750 to 1099 (132- 492 AH)**

Abstract:

Several sciences studies had been flourished after the Islamic conquest of Jerusalem, particularly those related to the Quran and prophet Mohammad's (PBUH) Sunnah.

The era of the subject under study had witnessed a significant progress in the field of Quranic scientific studies and the prophet's Hadith along with the arrival of many important religious readers, scholars and narrators of the Hadith to Jerusalem, which is the first destination of prayers for Muslims.

This study is about the progress Jerusalem witnessed in the development of the two important scientific studies by scholars from Jerusalem and those who were coming from outside seeking knowledge. In this study, scientific studies of the will be discussed with reference to its scholars and narrators.

الدراسة:

تنوعت مجالات العلوم التي سادت في القدس في الفترة موضوع الدراسة، وانقسمت العلوم التي سادت إلى صنفين:

♦ العلوم النقلية الوضعية: وهي مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل، إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول؛ لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تدرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي، إلا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الأصل، وهو نقلي فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه⁽¹⁾.

♦ العلوم الطبيعية: « وهي العلوم الحكيمة الفلسفية، ويمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركة البشرية إلى موضوعاتها، ومسائلها، وأنها براهينها، ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر »⁽²⁾.

♦ العلوم النقلية:

تتصل العلوم النقلية، التي هي الشرعية⁽³⁾، بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وما يتفرع منها من علوم: كالتفسير، والقراءات، والفقه، وعلم الحديث، « ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملكة، وبه نزل القرآن »⁽⁴⁾. وكانت تلك العلوم على رأس العلوم التي اشتهرت في القدس.

ويبدو أن سبب الاهتمام بالعلوم الدينية والتركيز عليها، دون غيرها من العلوم، في القدس، كان عائداً إلى عدة أسباب، منها: اهتمام السلطة الحاكمة، بالفكر الديني، بوصفه أحد عوامل القوة، والسيطرة، وبسط النفوذ، ولذلك نجد أن الخلافة العباسية (132 - 264 هـ / 750 - 878 م)، والدويلات: الطولونية (264 - 323 هـ / 878 - 934 م)، والإخشيدية (323 - 358 هـ / 934 - 969 م)، والفاطمية (359 - 463 هـ / 970 - 1096 م)، والسلجوقية (463 - 489 هـ / 1070 م - 1096 م)، التي تعاقبت على حكم فلسطين، بذلت قصارى جهودها، لتثبيت حكمها، ومد نفوذها. ومن أسباب الاهتمام بالعلوم الدينية، والتركيز عليها: الواجب الديني، والعمل في سبيل الله، فالعلماء والفقهاء الذين يعلمون الناس أصول دينهم، والقراءة السليمة لقرآنهم، ومسائل الفقه، والحديث، والتفسير، يشعرون

بأنهم، بتلك الأعمال، يؤدون واجباتهم الدينية، ويتقربون إلى الله عز وجل طمعاً في نيل الأجر والجزاء والثواب⁽⁵⁾. ولهذه العلوم أهمية دنيوية منها: حفظ المهج، والأموال، وانتظام سائر الأحوال، ومنافع أخروية، فهي نجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم⁽⁶⁾. مما شجع الطلبة، والعلماء، والفقهاء، للدراسة وتلقي العلم، أو للمساهمة في تدريس العلوم الدينية، والمشاركة في عقد حلقات العلم والمناظرة. ومن بين تلك العلوم:

أولاً - القرآن الكريم وعلومه:

كانت العناية بالقرآن الكريم حفظاً وقراءةً من أساسيات التحصيل العلمي، وهي تُعد من أول العلوم التي اهتم بها المسلمون، وقد تعرض علماء المسلمين وقراءهم، ومنهم؛ علماء فلسطين في خلافة المأمون سنة (218هـ / 833م) لمحنة شديدة عُرفت ” بفتنة خلق القرآن ”⁽⁷⁾، ووردت من المأمون عدة كتب إلى عامله إسحاق بن إبراهيم بن مصعب⁽⁸⁾ يأمره فيها بامتحان أهل الحديث في مسألة خلق القرآن⁽⁹⁾، وفي بعضها يقول له: « فمن لم يجب أنه مخلوق فامنعه من الفتوى والرواية »⁽¹⁰⁾، كما أمر عامله بقتل من لم يقل بخلق القرآن⁽¹¹⁾، ولا تفيدنا المصادر التي بين أيدينا تعرض أحد من علماء فلسطين لتلك المحنة، لكن موقفهم كان واضحاً في رفض القول بخلق القرآن⁽¹²⁾، وموازرتهم للإمام أحمد بن حنبل، ومن رفض ذلك القول مثله، مثلهم في ذلك ممن وقفنا على خبره، آدم بن أبي إياس (ت: 220هـ / 834م)، وفي ذلك يقول المحدث أبو بكر الأعين: « أتيت آدم العسقلاني فقلت له: عبد الله بن صالح كاتب الليث يقريك السلام. فقال: لا تقره مني السلام. قلت: لم؟ قال: لأنه قال القرآن مخلوق، فأخبرته بعذره وأنه أظهر الندامة وأخبر الناس بالرجوع. قال: فأقره السلام، وقال: إذا أتيت بغداد فأقر أحمد بن حنبل السلام وقل له: يا هذا اتق الله وتقرب إلى الله بما أنت فيه، ولا يستفزك أحد، فإنك إن شاء الله مشرف على الجنة »⁽¹³⁾. ويبدو أن عدداً من علماء فلسطين قد أبدوا اهتماماً بتلك القضية؛ لأنها تمس العقيدة، وكتاب الله المعصوم، ونلمس ذلك من إجابة علي بن سهل الرملي⁽¹⁴⁾ (ت: 261هـ / 874م) حين سأل الإمام الشافعي عن القرآن، فقال له: « كلام الله غير مخلوق »⁽¹⁵⁾.

وقد ارتبط بالقرآن الكريم، علما مهمان، هما: القراءات، والتفسير.

♦ علم القراءات:

وهو أحد علوم القرآن المهمة، علم يبحث فيه صور ونظم كلام الله سبحانه وتعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة⁽¹⁶⁾. بإسناد نقله وروايته إلى النبي (صلى الله عليه

وسلم) الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراءة في قراءته (17). فهو علمٌ ثابتٌ بعزو الناقلة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، لا مصدر له سوى النقل. وذهب الفضلي إلى أنها: «النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي، أو كما نطقت أمامه فأقرها» (18). والغرض: منه تحصيل لملكة ضبط الاختلافات، وفائدته: صون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف، والتغيير. وقد يبحث أيضاً عن صور نظم الكلام من حيث اختلافات غير المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة، ومبادهيه مقدمات مشهورة أو مروية عن الآحاد الموثوق بهم (19). وقد روى البخاري ومسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أقرأني جبريل على حرف فراجعت، فلم أزل أستزده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (20) وقال (صلى الله عليه وسلم): «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرأوا ما تيسر منها» (21).

وقد اشتهر علم القراءات وعرف منه سبع طرق معينة تواتر نقلها بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من جهور العلماء، حتى أصبحت تلك القراءات السبع أصولاً للقراءة، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل، وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها، «وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها؛ لأنها عندهم كصفات للأداء، وهو غير منضبط، وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن وأباه الأكثر، وقالوا بتواترها، وقال آخرون: بتواتر غير الأداء، منها: كالم، والتسهيل لعدم الوقوف على كلفيته بالسمع، وهو الصحيح، ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودونت، فكتبت فيما كتب من العلوم، وصارت صناعة مخصوصة، وعلماً منفرداً وتناقله الناس» (22). وقد اشتهر من هذه القراءات «الشام، والحجاز، والعراق، وهي:

- قراءة: ابن عامر، عبد الله بن عامر (ت: 118هـ / 736م)، مقرئ الشام (23).
- قراءة: ابن كثير (ت: 120هـ / 737م)، عبد الله بن كثير، مقرئ مكة (24).
- قراءة: عاصم بن أبي النجود (ت: 127هـ / 744م) (25).
- قراءة: أبي عمرو بن العلاء (ت: 154هـ / 770م)، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر (26). وقد كانت فلسطين كباقي بلاد الشام تقرأ القرآن على قراءة أبي عمرو بن العلاء (27).
- قراءة: أبي عمارة، حمزة بن حبيب الزيات، شيخ القراءة، توفي سنة (158هـ / 774م) (28).

- قراءة: نافع بن نعيم، إمام الناس في القراءة، توفي سنة (169هـ / 785م) (29).
- قراءة: الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله (ت: 189هـ / 804م)، شيخ القراءات والعربية (30).

وقد اعتنى أهل القدس بقراءة القرآن وتجويده فـ“كَانَ ابْنُ الْكَازِرُونِيَّ (31) (32) يَأُوي إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَلَقَدْ كَانَ يَقْرَأُ فِي مَهْدِ عَيْسَى فَيَسْمَعُ مِنَ الطُّورِ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا طَوَّلَ قِرَاءَتِهِ إِلَّا الْاسْتِمَاعَ إِلَيْهِ» (33)، حتى إن الأفضل بن بدر الجمالي حين دخل القدس في المحرم سنة (492هـ / 1099م) «وَتَدَانِي بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مِنْهَا، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، تَصَدَّى لَهُ ابْنُ الْكَازِرُونِيَّ، وَقَرَأَ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءٍ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءٍ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: 26)، ﴿فَمَا مَلَكَ نَفْسَهُ حِينَ سَمِعَهُ أَنْ قَالَ لِلنَّاسِ عَلَى عَظَمِ ذَنْبِهِمْ عِنْدَهُ، وَكَثْرَةِ حَقْدِهِ عَلَيْهِمْ: (قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: 92)» (34). وخلال القرون الثالث والرابع والخامس الهجري (التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادي)، ظهر في فلسطين بعامة، وبالقدس بخاصة، طائفة من القراء (35)، والذين صبوا اهتمامهم نحو قراءة، وإقراء القرآن، وكان لهم «مجالس في الجوامع» (36) على شكل جماعات (37)، اشتهر منهم: «قراء مسجد القدس» (38). وكان من بين أهم قراء القدس:

مقاتل بن سليمان (ت: 150هـ / 767م)، صاحب كتاب القراءات (39)، وقد زار القدس، «فصلى فيه وجلس عند باب الصخرة القبلي واجتمع إليه خلق كثير من الناس يكتبون عنه ويسمعون منه» (40).

مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي، أستاذ القراء والمجودين، ولد سنة (350هـ / 961م)، بالقيروان، قرأ القراءات على علماء الأمصار المعاصرين (41)، وقد «كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً مجوداً عالماً بمعاني القرآن..... وقد مات في ثاني المحرم سنة (437هـ / 1045م)» (42)، وقد ترك مكي بن أبي طالب عدداً كبيراً من المصنفات في مجال علم القراءات، تشهد ببراعته، وطول باعه في ذلك العلم المهم (43)، ومؤلفاته تنيف عن ثمانين تأليفاً (44)، وكان من بين تلك المصنفات: كتابه مشكل إعراب القرآن (45) الذي قال عنه: «ألفته في الشام بالقدس سنة (391هـ / 1000م)» (46).

أبو العباس أحمد بن زيدان المقرئ (ت: 414هـ / 1023م) كان يُعلم قراءة القرآن في القدس (47).

نصر بن أبي نصر أبو منصور الأندادي الطوسي الصوفي المقرئ، وقد زار القدس، وسمع أبا الفرج عبيد الله بن محمد النحوي (ت: 451هـ / 1059م) ⁽⁴⁸⁾.

محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الغراء، أبو الغنائم البصري المقرئ (ت: 462هـ / 1069م) ⁽⁴⁹⁾، سكن القدس وحدث بها بالمسجد الأقصى ⁽⁵⁰⁾.

أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي اليشكري المقرئ (ت: 465هـ / 1072م) كان في القدس ⁽⁵¹⁾.

أبو بكر، أحمد بن الحسين بن أحمد المقدسي (ت: 468هـ / 1075م)، العالم المقرئ، قرأ على أبي القاسم الزيدي بحران، وأبي علي الأهوازي، بدمشق ⁽⁵²⁾.

محمد بن عبد الملك بن الحسين بن عبدويه أبو منصور (كان حياً في: 487هـ / 1094م) ويقال أبو عبد الله الأصبهاني المقرئ العطار قدم الشام زائراً للقدس، وحدث بها عن أبي نعيم الحافظ، وأبيه أبي أحمد عبد الملك بن عبدويه العطار المقرئ ⁽⁵³⁾.

أبو بكر الهروي، أحمد بن محمد بن علي، العالم، المقرئ الضرير، قدم إلى القدس، وشارك في إنعاش علوم القرآن، وقد كان إماماً في علم القراءات، وألف فيه "التذكرة"، توفي بالقدس سنة (489هـ / 1095م) ⁽⁵⁴⁾.

أبو بكر الطوسي، محمد بن أحمد بن علي، إمام صخرة القدس، برز في علم القراءات، وشارك في الحياة العلمية بالقدس، قتله الصليبيون عند دخولهم القدس سنة (492هـ / 1099م) ⁽⁵⁵⁾.

أبو الفتح، نصر بن القاسم بن الحسن الأنصاري المقدسي، الفقيه المقرئ ⁽⁵⁶⁾، قدم إلى القدس وأقام بها إلى حين استولى عليها الصليبيون سنة (492هـ / 1099م)، فهاجر إلى دمشق، واستوطنها إلى أن مات بها سنة (539هـ / 1144م) ⁽⁵⁷⁾.

عبد الله بن محمد بن الفرج بن القاسم أبو الحسن اللخمي الديربلوطي ⁽⁵⁸⁾ المقرئ الضرير، سمع بالقدس، وقدم دمشق وحدث بها سنة (499هـ / 1105م) ⁽⁵⁹⁾.

حمد بن محمد أبو الشكر الأصبهاني المقرئ، سكن القدس واستقر بها ⁽⁶⁰⁾.

السَّيِّخُ الْمُقْرِئُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ خَلْفِ بْنِ ذِي النَّوْنِ الْعَبْسِيِّ (ت: 498هـ / 1104م)، كان من جلة المقرئين وفضلائهم، وعلمائهم، وخيارهم. وأقرأ الناس القرآن، ...، وكان ثقة فيما رواه، ضابطاً لما كتبه شهر بالخير والصلاح والتواضع، والزهد بالدنيا والرضا منها باليسير والتقلل منها ⁽⁶¹⁾.

علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني، يُعرف بابن حنين، أبو الحسن القرطبي المقرئ (ت: 569هـ / 1173م) (62)، وقد « أقام بالقدس يعلم القرآن نحواً من تسعة أشهر » (63).

أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عمر بن رداد التنيسي المقرئ، أصله من تنيس، وصل إلى القدس وأقام بها لتعليم الناس قراءة القرآن (64).

♦ علم التفسير:

التفسير « علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ » (65)، ويعد التفسير من علوم القرآن، وقد اهتم به العلماء المسلمون نظراً لضرورته في بيان معاني آيات القرآن الكريم وتوضيحها، وبيان الأحكام الشرعية لكثير من القضايا التي تهم حياة المسلمين وشؤونهم العامة والخاصة. ولا يتم علم التفسير « إلا بأربع وعشرين علماً، وعدَّ الإمام الشافعي في مجلس الرشيد ثلاثاً وستين نوعاً من علوم القرآن » (66).

وخلال فترة الدراسة، ظهر في القدس طائفة من علماء التفسير سواء أكانوا من أهلها، أم من الذين قدموا إليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي، فبرعوا في ذلك العلم، وألّفوا فيه، وقاموا بتدريسه، وكان من بينهم:

محمد بن موسى أبو علي الواسطي (ت: 320هـ / 932م)، كان « عالماً بالتفسير » (67).

أبو الفرج، عبد الواحد بن محمد الشيرازي، الفقيه الحنبلي، يُعد من أشهر من صنف في التفسير من علماء القدس (68).

ومن العلماء المسلمين الذين برزوا في علم التفسير، ممن نزلوا القدس:

■ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الصّابوني (ت: 449هـ / 1057م)، وقد دخل القدس، وحدث بها، وشارك في الحركة الفكرية فيها، ومن مصنفاته: « الفصول في الأصول » (69).

■ أبو مسلم، محمد بن علي بن محمد (ت: 459هـ / 1066م)، برع في علم التفسير، وكان عارفاً بالنحو، دخل القدس، فأخذ عنه طائفة، منهم الفقيه، أبو الفتح نصر ابن إبراهيم المقدسي (70).

■ أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي، ثم المقدسي الأنصاري الحنبلي أبو الفرج (ت: 486هـ / 1093م) من علماء التفسير في القدس (71).

■ ابن العربي، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي المالكي الحافظ (ت: 543هـ / 1148م) عالم أهل الأندلس ومسندهم، ولد في إشبيلية سنة (468هـ / 1075م)، تأدّب ببلده وقرأ القراءات، ثم انتقل ورحل مع أبيه سنة (485هـ / 1092م) ودخل الشام فسمع من الفقيه نصر المقدسي وأبي الفضل بن الفرات وببغداد من أبي طلحة النعالي وطراد، وبمصر من الخلي، وتفقه على الغزالي وأبي بكر الشاشي والطرطوشي، كما تتلمذ على يد المازري في المهديّة، له شهرة في علمه فقد تبخّر في التفسير، وصنف فيه، ومن أشهر كتبه في التفسير: أحكام القرآن⁽⁷²⁾.

■ أبو بكر الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، نزل الإسكندرية، وتدبر بها إلى حين وفاته، وكان إماماً فقيهاً صالحاً سديد السيرة مشتغلاً بما يعنيه ملائماً للغرباء والفقهاء، وتوفي بعد سنة (516هـ / 1122م)، وقيل سنة (520هـ / 1126م) بالإسكندرية⁽⁷³⁾. وكان قد نزل القدس، حيث اهتم بكتاب «الكشف والبيان في تفسير القرآن» لأبي إسحاق الثعالبي⁽⁷⁴⁾، فاخصره، وعقد مجلساً لتدريسه داخل المسجد الأقصى سنة (487هـ / 1094م)، ومن قرأه عليه تلميذه، ابن العربي، الذي تصدر لتدريسه في بلاد الأندلس بعد عودته إليها⁽⁷⁵⁾.

ومما سبق ندرك المكانة العلمية المهمة التي حظيت بها مدينة القدس، من خلال زيارة أشهر علماء التفسير في الدولة الإسلامية لها، على اعتبار أن المسجد الأقصى الموجود فيها من أهم مراكز الإشعاع الثقافي، ومركزاً مهماً يلتقى فيه العلماء من شتى البقاع.

ثانياً - علم الحديث:

وهو يشمل كل قول، أو فعل، أو تقرير، عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)⁽⁷⁶⁾، وقد اهتم المسلمون بالحديث وعلومه، اهتماماً كبيراً باعتباره المصدر الثاني في التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم⁽⁷⁷⁾. وعلوم الحديث كثيرة ومتنوعة؛ لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه⁽⁷⁸⁾، ومنها ما يختص بالنظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط؛ لأن العمل إنما يجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن، وهو بمعرفة رواية الحديث بالعدالة والضبط، وإما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم، وبراءتهم من الجرح والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول، أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً، وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه، وبسلامتها من العلل الموهنة لها، وتنتهي بالتفاوت إلى طرفين، فحكم بقبول الأعلى

ورد الأسفل، ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشان، ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة، مثل: الصحيح، والحسن، والضعيف، والمرسل، والمنقطع، والمعضل، والشاذ، والغريب، وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم، وبوبوا على كل واحد منها، ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة اللسان، أو الوفاق، ثم النظر في كيفية أخذ الرواية بعضهم عن بعض بقراءة، أو كتابة، أو مناولة، أو إجازة، وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد، ثم اتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب، أو مشكل، أو تصحيف، أو مفترق منها، أو مختلف، وما يناسب هذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه (79).

وقد كانت القدس إحدى المراكز المهمة في العالم الإسلامي في دراسة الحديث وعلومه، من الذين تواجدوا فيها للدراسة أو تدريس علوم الحديث. وقد شهدت القدس، في تلك الحقبة الزمنية، نشاطاً متميزاً في هذا العلم، حتى أصبحت في الصدارة، وأصبح المسجد الأقصى، من أهم المراكز لتدريسه (80)، فقد كان محمد ابن إسحاق بن راهويه يذاكر الأحاديث النبوية الشريفة مع أبي عمير بالقدس (81). وكان أبو الفتح نصر ابن إبراهيم المقدسي، يقول: متع الله المسلمين بحياة هذا الشاب يعني مكي بن عبد السلام الرميلي... لما كان يرى من اجتهاده في طلب الحديث وكتابته « (82).

وذكر مكي بن عبد السلام الرميلي المقدسي أنه جاء « بعض طلبة الحديث وعليه الحمى إلى ابن المسلمة (83) ليسمع منه، فقال له الشيخ: أيها الرجل عد إلى منزلك إلى أن تذهب الحمى وتجيء وتقرأ، فقال: أيها الشيخ إني أخشى أن أموت ولم أسمع الجزء، فقال الشيخ: بل تخشى أن يتناول بك المرض فإذا برئت منه كنت أنا قد مت، خذ الجزء واقراً. فكان كما قال الشيخ « (84). وذلك يدل دلالة واضحة على الحرص الشديد من قبل بعض الطلاب على طلب الحديث رغم ما قد حل به من المرض.

وقد اشتهر من أهل القدس طائفة من كبار العلماء المحدثين، خلال فترة الدراسة، انتشرت رواياتهم في الأمصار وكتب الصحاح، والسنن، والمسانيد، وكان في طليعتهم:

- عطاء بن أبي مسلم، المحدث والواعظ والمجاهد (85)، كان من أهل القدس (86)
- ، « من التابعين العباد، متفق على توثيقه» (87)، روى عنه الإمام الأوزاعي، «وخلائق من الأئمة» (88).

- عثمان بن عطاء بن ميسرة (أبو مسلم) (ت: 155هـ / 771م) (89)، وقد رحل إلى الإسكندرية (90)، ورجع إلى فلسطين واستقر بها حتى وفاته (91)، كما روى عنه ابنه محمد بن عثمان، وكذلك عبد الله بن المبارك، وسعد بن الصلت البجلي (92).

▪ عبد الله بن عثمان بن عطاء، واشتهر بأبي محمد الرملي، التقاه أبو حاتم الرازي بالرملة عام (217هـ / 832م)، وسمع منه الحديث، كما روى عنه آخرون من خارج القدس (93).

▪ محمد بن عثمان بن عطاء، وقد روى عن أبيه، وعن جده، وعاصر عثمان بن عطاء محدث آخر، هو ثور بن يزيد بن خالد الكلاعي (ت: 155هـ / 771م) أصله من حمص، واستقر بالقدس حتى وفاته (94)، وقد «رُوي عنه رواية كثيرة» (95)، وحين قدم العراق «كتب عنه سفيان الثوري، وأهل العراق» (96).

▪ يَحْيَى بْنُ حَسَّانِ الْبُكْرِيِّ الْفَلَسْطِينِي الرَّمْلِيُّ، الْعَسْقَلَانِي، وَيُقَالُ: الْمَقْدِسِيُّ (97) (ت قبل: 151هـ / 768م)، وقد كان يسكن قرية سَنَاجِيَةَ (98)، ثم سكن القدس (99)، «وكانَ شَيْخًا كَبِيرًا حَسَنَ الْفَهْمِ، ثَقَّةً» (100).

▪ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَوْذَبٍ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَلْخِي الْخِرَاسَانِي (ت: 156هـ / 773م)، كان يسكن القدس (101)، ويُعد من الثقات (102).

▪ رَجَاءُ بْنُ أَبِي سَلْمَةَ مَهْرَانُ، أَبُو الْمَقْدَامِ الْفَلَسْطِينِي (ت: 161هـ / 777م) (103)، شَيْخٌ بَصْرِيٌّ، نَزَلَ الرَّمْلَةَ فَقِيلَ لَهُ: الْفَلَسْطِينِيُّ، وَتَفَّهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ (104).

▪ عاصم بن رجاء بن حيوة الكندي، من أشهر المحدثين القدس في القرن (2هـ / 8م)، وكان معدوداً «من ثقات أهل الشام ومتقنيهم» (105)، وقد دُونت رواياته في مصنفات البخاري، وأبي داود، وابن ماجه (106). سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ زَافِعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّوْرِيِّ، وقد «دخل مسجد القدس فصلى فيه، ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها» (107).

▪ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودِ الْمَقْدِسِيِّ الْخِيَاطِ حَدَّثَ، وَسَمِعَ مِنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَحْدِثِينَ فِي عَصْرِهِ (108)، ولقيه الطبراني في القدس سنة (274هـ / 887م) (109).

▪ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمِ بْنِ حَبِيبِ أَبِي مُحَمَّدِ الْمَقْدِسِيِّ الْفَرِيَابِيِّ (ت: نحو 310هـ / 922م) «كان أكثرًا من الحديث، له رحلة إلى بلاد الشام والحجاز، وسمع، وحدث فيها» (110)، «ووصفه أبو بكر ابن المقرئ، بالصلاح والدين، وروى عنه» (111).

▪ أَحْمَدُ بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى بْنِ يَعْقُوبَ، أَبُو الْحَسَنِ الْمَقْدِسِيُّ (ت: نحو: 350هـ / 961م) (112) (113).

▪ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ مَشْكَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّيْسَابُورِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ت: 320هـ / 932م)، نزل القُدس (114)، فروى عنه فيها: أبو بكر بن المقرئ (ت: 381هـ / 991م)

(115)، ثم نزل طبرية، فروى عنه عبيد بن الغَزَازي أَبُو ذَهَلٍ من أهل عسقلان (116)، وابن حبان (117).

■ الحَسَنُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ بُلْبُلٍ أَبُو سَعِيدٍ الْمَعْرِي الْقَاضِي (كان حياً في سنة: 351هـ/ 962م)، وصل من معرة النعمان، ونزل القدس، وسمع بها أبو عبد الله محمد بن أيوب بن مشكان (118).

■ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنَ مُحَمَّدَ بْنِ مَفْرَجٍ يَكْنَى أَبُو بَكْرٍ أَوْ عَبْدِ اللَّهِ، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكْمِ الْأَمْوِيِّ الْأَنْدَلِسِيِّ الْقَاضِي الْمَعْرُوفِ وَالِدِهِ بِالْقَبْتُورِيِّ نِسْبَةً إِلَى عَيْنِ قَبْتَارُويهِ بِقَرْطَبَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ (ت: 348هـ/ 959م) (119)، فقد « دخل الْقُدْسَ وَالشَّامَ، وَمَصَرَ وَأَعْمَالَ تِلْكَ الْبُلْدَانِ، وَسَمِعَ عِدَّةَ الشُّيُوخِ، وَالَّذِينَ سَمِعَ مِنْهُمْ مَائَتًا شَيْخًا وَثَلَاثُونَ شَيْخًا » (120).

■ عبد الرحمن بن علي بن القاسم أبو القاسم الصوري العدل، ويُعرف بابن الكامل (121).

■ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يُونُسَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي نَصْرِ الْمَقْدِسِيِّ الْخَطِيبِ الْأَصْبَهَانِيِّ الْأَصْلَ (ت: 491هـ/ 1098م)، نزل القدس، وسمع بها من علي ابن طاهر المقدسي، وأبي الغنائم محمد بن محمد بن الفراء، وأبي عثمان محمد بن أحمد بن محمد بن ورقا الاصبهاني، وأبي محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري، وأبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر البخاري، وأبي نصر محمد بن إبراهيم بن علي الهاروني، وأبي الفتح هبة الله بن محمد الشهرزوري، وأبي محمد إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن قلية المقدسي (122).

■ كامل الدين بن ديسم بن مجاهد بن عروة بن تغلب بن محمود، أبو الحسن النصري الفقيه العسقلاني الشافعي المعروف بالمقدسي (ت: 492هـ/ 1099م) (123)، « كان من المحدثين، وسمع الحفاظ الرحالة » (124)،

■ أبو الحسين محمد بن كامل الدين بن ديسم (ت: 536هـ/ 1141م) (125)، الذي وُصف بأنه « شيخ صالح، أمين، صدوق، ثقة » (126)، وقد حدث عن أبيه في القدس سنة (467هـ/ 1075م) كما أخبر هو (127)، و « حصل له ببلدته الحافظ الشهيد أبو القاسم مكي بن عبد السلام الرميلي المقدسي الإجازة عن جماعة كثيرة » (128).

■ الفضل بن سهل بن بشر بن أحمد بن سعيد الإسفرائيني، أبو المعالي بن أبي الفرج (461 - 548هـ/ 1068 - 1153م)، الواعظ، نشأ بالقدس، وكان يعرف بالأثير الحلبي: وقد « كان محدثاً مشهوراً » (129).

- ابن أبي كامل العدل المسند الحسين بن عبد الله العبسي البصري نزل القدس بعد أن وصل من البصرة سنة (414هـ / 1023م) ⁽¹³⁰⁾.
- محمد بن أحمد بن محمد بن القاسم (ت: 420هـ / 1029م) ، وسمِعَ بها: من أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الجلاء ⁽¹³¹⁾.
- أبو العلاء أيوب بن نصر بن علي الشامي المقدسي الشافعي (كان حياً في: 424هـ / 1033م) ⁽¹³²⁾.
- أبو محمد عبد العزيز بن محمد (ت: 456هـ / 1063م) ⁽¹³³⁾.
- أبو نصر أحمد عبد الباقي الربيعي الخירاني المقدسي (ت: 459هـ / 1066م) ⁽¹³⁴⁾.
- عبد الله بن الحسن بن طلحة بن البصري (ت: 462هـ / 1069م) ⁽¹³⁵⁾.
- سلامة بن محمد ابن سلامة أبو الخير القطان المقدسي، (كان حياً في سنة 471هـ / 1078م) ⁽¹³⁶⁾.
- الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن جميع أبو محمد الغساني الصيداوي، الملقَّب بالسكَّن (ت: 437هـ / 1045م) ⁽¹³⁷⁾ وصل من صيدا نزل القدس وحدث بها ⁽¹³⁸⁾.
- إسماعيل بن علي بن الحسن بن بُندار بن المثني أبو سعد الإستراباذي الواعظ (ت: 448هـ / 1056م) ، نزل القدس وروى عنه عدد من علماءها، كان أشهرهم: مكِّي الرَّمِيْلِي ⁽¹³⁹⁾.
- يونس بن عمَر الأصبهاني (ت: 461هـ / 1068م) ، نزل القدس من أصبهان وروى عن نصر بن إبراهيم المقدسي ⁽¹⁴⁰⁾.
- مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورِ أَبُو الْغَنَائِمِ بْنِ الْغَرَاءِ الْبَصْرِيِّ (ت: 460هـ / 1069م) ، سكن القدس عقب نزوله إليها من العراق، وروى عن محدثيها: ومكي الرميلى، والفقيه نصر المقدسي ⁽¹⁴¹⁾.
- أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ثَابِتِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ مَهْدِيِّ، الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ، الْبَغْدَادِيُّ (ت: 463هـ / 1070م) ”أحد الحفاظ الأعلام، ومن خُتِمَ بِهِ إِتْقَانُ هَذَا الشَّانِ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْبِلَادِ“ ⁽¹⁴²⁾ ، «كان يزور منها: القدس» ⁽¹⁴³⁾ ، والرملة ⁽¹⁴⁴⁾ ، وعسقلان ⁽¹⁴⁵⁾.
- أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ الدَّمَشَقِيِّ، الْحَنَائِي (ت: 459هـ / 1066م) وصل إلى القدس، وسمع من أبي الفتح مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدِ الْجَحْدَرِيِّ الطَّرْسُوسِيِّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الْبَصْرِيِّ (ت: 410هـ / 1019م) ⁽¹⁴⁶⁾.

■ أبو الفتح محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد الجحدري الطرسوسي المعروف بابن البصري (ت: 410هـ / 1019م) ⁽¹⁴⁷⁾، كان من بين المحدثين الذين زاروا فلسطين، وقد استوطن بأخرة بيت المقدس، وبها مات ⁽¹⁴⁸⁾.

■ محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور بن إبراهيم الدقاق أبو بكر المعروف بابن الخاضبة (ت: 489هـ / 1095م) ⁽¹⁴⁹⁾ كان «مروفاً بالإفادة، وجودة القراءة، وحسن الخط، وجودة النقل، وجمع علم القراءات والحديث» ⁽¹⁵⁰⁾، وكان «رجلاً صالحاً، حسن الأخلاق متواضعاً» ⁽¹⁵¹⁾، وقد زار القدس ⁽¹⁵²⁾، وسمع بها من أبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري، وأبي نصر أحمد بن علي الدينوري ⁽¹⁵³⁾.

■ محمد بن علي بن ميمون بن محمد، أبو الغنائم النرسي (ت: 510هـ / 1116م) وقد عرف بأبي الكوفي: «لأنه كان جيد القراءة في زمان الصبوة فلقبوه بأبي» ⁽¹⁵⁴⁾، «كان من حفاظ الحديث» ⁽¹⁵⁵⁾، وكان صالحاً، سمع ببيت المقدس.. والرملة ⁽¹⁵⁶⁾.

■ إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي (ت: 536هـ / 1141م) قدم دمشق «زائراً لبيت المقدس، فزارها وسمع بها من جماعة» ⁽¹⁵⁷⁾.

■ علي بن أحمد بن عبد العزيز بن طيبين، أبو الحسن الأنصاري الميوزقي (ت: 477هـ / 1084م) ⁽¹⁵⁸⁾، الأندلسي، فوصل إلى القدس وحدث بها ⁽¹⁵⁹⁾.

■ نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم أبو الفتح المقدسي الشافعي الزاهد، وهو خاتمة المحدثين الفلسطينيين في القرن (5هـ / 11م)، فعلى الرغم من شهرته كفقيه، إلا أن ذلك لم يكن مانعاً من أن يكون محدثاً مهماً، وتعود أصوله إلى مدينة نابلس، وسكن القدس ودرس بها مدةً طويلة، وكان قد سمع بها ⁽¹⁶⁰⁾، ويغزة ⁽¹⁶¹⁾، ثم قدم دمشق سنة (480هـ / 1087م)، فأقام بها يدرس ويفتي، إلي أن مات بها، وكان يُلقب بـ «شيخ الشافعية بالشام، وصاحب التصانيف» ⁽¹⁶²⁾.

الخاتمة:

وفي الختام فقد توصلت الدراسة بعد توفيق الله عزوجل إلى عدد من النتائج، والتي كان من أهمها:

1. لم تتأثر الحياة العلمية بفلسطين بعامة، وبالقدس بخاصة بما كانت تحياه البلاد من اضطرابات سياسية، إذ شهدت معظم مدنها حركة علمية نشطة، مستفيدة من ميراث السابقين، وكان على رأس هذه المدن: القدس والرملة وعسقلان.

2. أسهم علماء القدس في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف مساهمة واضحة.
3. كان (علم الحديث) الأكثر انتشاراً، والأوسع اهتماماً في القدس، وقد أنجبت عدداً كبيراً من المحدثين الأعلام الذين انتشرت روايتهم في كتب الصحاح، كما زارها عدد كبير من مشهوري علماء الحديث ليأخذوا رواية أهلها، ولتعلموا الناس الخير.
4. حظيت مدينة القدس بمكانة علمية مهمة، من خلال زيارة أشهر علماء القرآن والحديث في الدولة الإسلامية لها، على اعتبار أن المسجد الأقصى الموجود فيها من أهم مراكز الإشعاع الثقافي، ومركزاً مهماً يلتقى فيه العلماء من شتى البقاع.

الهوامش:

1. ابن خلدون: تاريخ، ج1، ص435. 536. وانظر: القنوجي: أبجد العلوم، ص226. بتصرف.
2. ابن خلدون: تاريخ، ج1، ص435. 536. وانظر: القنوجي: أبجد العلوم، ص226. بتصرف.
3. انظر: ابن خلدون: تاريخ، ج1، ص435. القنوجي: أبجد العلوم، ص227.
4. ابن خلدون: تاريخ، ج1، ص435. وانظر: القنوجي: أبجد العلوم، ص227.
5. ابن خلدون: تاريخ، ج1، ص435. وانظر: القنوجي: أبجد العلوم، ص227. البرهان فوري: كنز، ج10، ص241 - 324. 462 - 463، 471 - 473.
6. أبجد العلوم، ص227.
7. وهي القول بأن القرآن مخلوق وليس منزل، أراد بها أصحابها الطعن في ذات الله وأسمائه وصفاته، والذين حملوا راية هذه البدعة عن الجهمية ورئيسهم الجهم بن صفوان، والمعتزلة، وقد أثروا على الخليفة العباسي المأمون، الذي كان صاحب همة وولع بالمعرفة، وحدث باعتناقه لهذه الفكرة بلاء عظيم على الإسلام وعلماء السنة، وقد عرفت تلك الفترة بمحنة القول بخلق القرآن، وقد قتل فيها من قتل وحبس من حبس وجلد من جلد حتى رفع الله هذه المحنة في خلافة المتوكل وعاد الأمر إلى أهل السنة وأشهر القول ببدعة القول بخلق القرآن، وأعلن مذهب أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ابن ميمون: الحيدة والاعتذار، ص15 - 17.
8. إسحاق بن إبراهيم (بن الحسين بن مصعب) المصعبي، وكان صاحب الشرطة (ببغداد أيام المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل)، ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز مع جماعة من القواد يعودونه، وجزع المتوكل لموته. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص127.
9. الطبري: تاريخ، ج8، ص634. ابن بطة: الإبانة، ج6، ص228. أبو الفداء: المختصر، ج2، ص30. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص228. انظر: أبو زهو: الحديث والمحدثون، ص318، 320.
10. الذهبي: تاريخ، ج15، ص23. السبكي: طبقات، ج2، ص41.

11. الطبري: تاريخ، ج 8، ص 634. ابن بطة: الإبانة، ج 6، ص 228. أبو الفداء: المختصر، ج 2، ص 30. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 228. انظر: أبو زهو: الحديث، ص 318، 320.
12. انظر: أبو شمالة: فلسطين، ص 187.
13. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 15، ص 61.
14. علي بن سهل الرملي: ابن موسى، وقيل: علي بن سهل بن قادم، الإمام الحجة، أبو الحسن، النسائي ثم الرملي، أخو موسى بن سهل. قال النسائي: هو نسائي، سكن الرملة، سمع الوليد بن مسلم، ومروان بن معاوية، وضمرة بن ربيعة، وجماعة. حدث عنه: أبو داود في «سننه»، والنسائي في «اليوم والليلة»، ووثقه، وعدد كثير. النسائي: تسمية، ص 92. الذهبي: سير، ج 9، ص 566.
15. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 51، ص 313.
16. الزركشي: البرهان، ج 1، ص 318. القنوجي: أبجد العلوم، ص 428.
17. القنوجي: أبجد العلوم، ص 227. ابن خلدون: تاريخ، ج 1، ص 435.
18. الفضلي: القراءات القرآنية، ص 63.
19. القنوجي: أبجد العلوم، ص 428.
20. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب 48، حديث رقم: 819.
21. رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: 818.
22. ابن خلدون: تاريخ، ج 1، ص 437.
23. الذهبي: سير، ج 6، ص 106 - 107.
24. الدائي، عثمان بن سعيد: التيسير في القراءات السبع، عنى بتصحيحه أوتو يرتزل، بيروت، دار الكتب العلمية، (1416هـ / 1996م)، ص 17. الذهبي: سير، ج 6، ص 126 - 127.
25. انظر: الداني: التيسير، ص 19. ابن خلكان: وفيات، ج 2، ص 391.

26. انظر: ترجمته في: ابن عساكر، تاريخ، ج 67، ص 102. المزي: تهذيب، ج 21، ص 410. ابن خلكان: وفيات، ج 3، ص 66. البخاري: التاريخ الكبير، ج 9، ص 55. الكتبي: فوات، ج 1، ص 231. الجزري: طبقات، ج 1، ص 288. القفطي: إنباه، ج 4، ص 131. ابن كثير: البداية، ج 10، ص 113. الذهبي: معرفة القراء، ص 100.
27. انظر: الداني: التيسير، ص 19. الذهبي: سير، ج 8، ص 80، 82.
28. انظر: الذهبي: سير، ج 7، ص 72 - 73.
29. انظر: الداني: التيسير، ص 17. الذهبي: سير، ج 7، ص 255 - 256.
30. نفس المصدرين السابقين.
31. الكازروني: نسبة إلى كازرون، وهي إحدى بلاد فارس، بين البحر وشيراز، خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء، وأهل الخير. السمعاني: الأنساب، ج 5، ص 14. الإصطخري: المسالك، ج 1، ص 46. الإدريسي: نزهة، ج 1، ص 132. ابن الأثير: اللباب، ج 3، ص 74. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 429. ابن ناصر الدين: توضيح، ج 7، ص 149. ولا نعلم من هو الكازروني الذي يقصده ابن العربي، ويعتقد الباحث أن ابن الكازروني هذا هو محمد الكازروني، ولم يعثر على أي معلومة تهديه لمعرفة المزيد عن حياة هذا العالم الذي أكد ابن العربي على أنه كان من أحسن المقرئين صوتاً، وقد ألمح ابن عساكر خلال ترجمته لنصر بن محمد بن إبراهيم أبو الفتوح الأذربيجاني المرآغي الذي كان حياً سنة 488هـ تلك السنة التي زار فيها الغزالي ومن بعده أبو بكر بن العربي مدينة القدس، فذكر ابن عساكر أنه قد «اجتمع الأئمة أبو حامد الغزالي وإسماعيل الحاكم وإبراهيم الشباكي الجرجاني وأبو الحسن البصري وجماعة كثيرة من أكابر الغرباء في مهد عيسى عليه السلام بالقدس وأنشد قوال هذين البيتين فديتك لولا الحب كنت فديتني × ولكن أتيتك لما ضاق صدري من الهوى × ولو كنت تدري كيف شوقي أتيتني × فتواجد أبو الحسن البصري وجداً أثر في الحاضرين ودمعت العيون ومزقت الجيوب وتوفي محمد الكازروني بين الجماعة في الوجد قال المرآغي وكنت معهم حاضراً وشاهدت ذلك»، وقد نقل هذا الخبر السبكي، مما يؤكد على أن ابن الكازروني الذي يقصده ابن العربي هو نفسه محمد الكازروني، ويعتقد الباحث أيضاً أنه توفي في (492هـ / 1099م) وهو نفس العام الذي سيطر فيه الأفضل بن بدر الجمالي القدس ثم تبعه الاحتلال الصليبي بأشهر، وهذا ينفي ما كنا نعتقده حول كون الكازروني الذي يقصده ابن العربي هو نفسه أبو عبد الله، محمد بن بيان بن محمد

- الكازروني، المقرئ، لأنه توفي سنة 455هـ، وهو الأقرب إلى من يحمل نفس النسب وهم كثر، بينما الكازروني الذي ذكره ابن العربي، وابن عساكر، والسبكي، كان حيا في المحرم من عام 492هـ / 1099م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 62، ص 15، 46. السبكي: طبقات، ج 7، ص 48.
32. ابن العربي: أحكام، ج 4، ص 7.
33. المصدر نفسه، ج 4، ص 7.
34. المصدر نفسه.
35. للتفصيل أكثر انظر: العسلي: معاهد العلم، ص 46 - 54. الحموشي: القدس، ص 112 - 136.
36. المقدسي، أحسن، ص 179.
37. الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص 350.
38. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 63، ص 176.
39. المصدر نفسه، ج 63، ص 176.
40. مجير الدين الحنبلي: الأنس، ج 1، ص 292.
41. بمصر على: أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون وابنه طاهر وقراءة ورش على أبي عدي عبد العزيز وسمع من أبي بكر محمد بن علي الأدفوي، وقرأ عليه جماعة منهم: موسى بن سليمان اللخمي وأبو بكر محمد بن المفرج ومحمد بن أحمد بن مطرف الكناني. ابن الجزري: غاية النهاية، ج 1، ص 413. اليافعي، مرآة، ج 3، ص 58. الذهبي، معرفة، ج 1، ص 394؛ سير، ج 17، ص 591. ابن تغري بردي: النجوم، ج 5، ص 41. السيوطي: بغية، ج 2، ص 298. الغزي: ديوان، ج 1، ص 78.
42. انظر ترجمته في: ابن الجزري: غاية النهاية، ج 1، ص 413. اليافعي، مرآة، ج 3، ص 58. الذهبي: معرفة، ج 1، ص 394؛ سير، ج 17، ص 591. ابن تغري بردي: النجوم، ج 5، ص 41. السيوطي: بغية، ج 2، ص 298. الفيروز أبادي: البلغة، ص 77. الحميدي: جذوة، ص 351. القاضي عياض: ترتيب، ج 4، ص 737. الأنباري: نزهة الألباء، ص 347. ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص 631 - 633. الضبي: بغية الملتمس، ص 469، ياقوت الحموي: إرشاد، ج 19، ص 167-171. القفطي: إنباه، ج 3، ص 313 - 319. ابن خلكان: وفيات، ج 5، ص 274-277. الذهبي: العبر، ج 3، ص 187؛ معرفة القراء، ص

316 - 317. الصفدي: الوافي، ج26، ص68. اليافعي: مرآة الجنان، ج3، ص57، 58،
ابن فرحون: الديباج، ج2، ص342، 343، ابن الجزري: غاية النهاية، ج2، ص309،
310. ابن تغري بردي: النجوم، ج5، ص41.

43. منها: كتاب التبصر في القراءات السبع، والكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها
وعلاها ومقاييس النحو فيها، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره
وأشعاره وعلومه سبعون جزء، ومشكل إعراب القرآن والرعاية في تجويد القراءة وتحقيق
لفظ التلاوة، والموجز في القراءات، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، الإبانة عن
معاني القراءات، وغريب القرآن، وجزء فيه تعديل التجزئة بين الأئمة في شهر رمضان
في قراءة القرآن في الأشفاق. انظر تلك المصنفات في: الإشبيلي: فهرسة، ص28، 38،
39، 40، 41، 46، 59، 60، 67. أبو شامة: المرشد، ص172. اليافعي: مرآة، ج3،
ص58. الزركشي: البرهان، ج1، ص331. ابن خلكان: وفيات، ج5، ص275 - 277.
ابن حجر: المعجم، ص387. القنوجي: أبجد، ص80. حاجي خليفة: كشف، ج1، ص33،
121، 174، ابن العماد الحنبلي: شذرات، ج3، ص260، 261، البغدادي: إيضاح، ج1،
ص85: هدية، ج2، ص470، 471.

44. الإشبيلي: فهرسة، ص394. الذهبي، معرفة، ج1، ص394. ابن الجزري: غاية، ج1،
ص413.

45. تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، (1405هـ)، عدد
الأجزاء: 2.

46. المرصفي: هداية القاري، ج2، ص732.

47. الذهبي: معرفة القراء، ص301.

48. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج62، ص51. الذهبي: تاريخ، ج30، ص319.

49. محمد بن محمد أبو الغنائم البصري المقرئ المعروف بابن الغراء، سمع بدمشق محمد
بن عبد الرحمن القطان وأبا محمد بن أبي نصر. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55،
ص196 - 198.

50. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص197 - 198.

51. الذهبي: معرفة القراء، ص249.

52. ابن الجزري: غاية، ج1، ص48. الدباغ: بلادنا، ج3، ص149.

53. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج54، ص142.
54. ولد بهراة، سنة (405هـ / 1014م)، ثم سكن دمشق وسمع بها، وقرأ على شيوخ قرائها. انظر المزيد في: ابن منظور: مختصر، ج2، ص70. الذهبي: تاريخ، ج33، ص294. ابن الجزري: طبقات، ج1، ص125. الدباغ: بلادنا، ج3، ص150. ولم تحدد المصادر التي رجع إليها الباحث تاريخ قدوم العالم الهروي إلى القدس، أو المدة التي قضاها فيها.
55. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج51، ص89. الذهبي: تاريخ، ج34، ص133.
56. ولد بالقدس سنة (458هـ / 1065م)، و ذكر أن عمره حين حدثت زلزلة الرملة كان سنتين، وقد وقعت تلك الزلزلة بالقدس سنة (460هـ / 1067م)، وقد سافر إلى دمشق وسمع بها، ثم رجع إلى مسقط رأسه. انظر: ابن القلانسي: ذيل، ص159. السمعاني: التحبير، ج2، ص346. ابن عساكر: تاريخ، ج62، ص41.
57. السمعاني: التحبير، ج2، ص346. ابن عساكر: تاريخ، ج62، ص40. عباس: فصول، ص77.
58. الدير بلوطي: نسبة إلى دير البلوط قرية من أعمال الرملة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص501. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج32، ص363.
59. حدث بدمشق عن أبي زكريا عبد الرحيم بن احمد البخاري، سمع منه أبو محمد بن صابر. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج32، ص363. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص501.
60. لم يذكر ابن عساكر تاريخاً لمولده أو وفاته. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص170.
61. ابن بشكوال: الصلة، ص402.
62. سكن مدينة فاس وأصله من طليطلة، وولد بقرطبة سنة (476هـ)، ونشأ بها، وتصدر لإقراء القرآن بالمسجد المنسوب إليه منها، وحدث وأخذ عنه الناس وعمر وأسن، روى لنا عنه من شيوخنا أبو القاسم بن بقي وأبو زكرياء التادلي، توفي بفاس سنة 569هـ. انظر: ابن الأبار: التكملة، ج3، ص210. الذهبي: تاريخ، ج39، ص348؛ معرفة القراء، ص298.
63. ابن الأبار: التكملة، ج3، ص210. المراكشي: السفر الخامس من كتاب الذيل، ص151. الذهبي: معرفة القراء، ص298.

64. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج17، ص85؛ ج37، ص391، هكذا أورد ابن عساكر، ولم يرد في المصادر فيما يعلم الباحث ما يفيد عنه شيء.
65. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص13. وانظر: ابن خلدون: تاريخ، ج1، ص440.
66. القنوجي: أبجد العلوم، ص6 - 7.
67. ابن يونس: تاريخ، ج2، ص226. الذهبي: تاريخ، ج23، ص612. السيوطي: بغية، ج1، ص253. طبقات المفسرين، ص117. الأدهوي: طبقات المفسرين، ص56.
68. مجير الدين الحنبلي: الأنس، ج1، ص434.
69. للمزيد عن ترجمة الإمام الصابوني، انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج9، ص3-8. ياقوت الحموي: إرشاد، ج3، ص13-16؛ معجم البلدان، ج1، ص508. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص180. الصَّرِيفِينِيُّ: المنتخب، ص138. الذهبي: سير، ج13، ص462؛ تاريخ الإسلام، ج30، ص224. الداودي: طبقات المفسرين، ص78. ابن العماد الحنبلي: شذرات، ج3، ص458-459. ولم تحدد المصادر التي رجع إليها الباحث تاريخ قدوم الإمام الصابوني إلى القدس أو المدة التي قضاها فيها.
70. للمزيد عن ترجمة الشيخ أبو مسلم، انظر: ابن عساكر: تاريخ، ج54، ص361. القفطي: انباه، ج3، ص194. الذهبي: سير، ج13، ص520. السيوطي: بغية، ج1، ص188. الداودي: طبقات، ص442. ابن العماد الحنبلي: شذرات، ج3، ص491.
71. ترجمته في: الذهبي: تاريخ، ج33، ص179؛ سير، ج14، ص123. الصفدي: الوافي، ج19، ص182. ابن رجب الحنبلي: ذيل، ج1، ص161. الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص60. مجير الدين الحنبلي: الأنس، ج1، ص297. ابن العماد الحنبلي: شذرات، ج5، ص369. الأدهوي: طبقات المفسرين، ص143. الزركلي: الأعلام، ج4، ص177. كحالة: معجم المؤلفين، ج6، ص212.
72. ابن العربي، محمد بن عبد الله: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (1419هـ)، ص18.

73. الإشبيلي: فهرسة، ص 59.
74. أبو إسحاق الثعالبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي، المتوفى سنة 427هـ / 1035 م، للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي: سير، ج 13، ص 281 - 282. الأسنوي: طبقات الشافعية، ج 1، ص 159.
75. السمعاني: الأنساب، ج 9، ص 69.
76. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص 7.
77. المصدر نفسه، ص 7. العسلي: الفكر الديني، ج 3، ق 2، ص 451.
78. ابن خلدون: تاريخ، ج 1، ص 440.
79. ابن خلدون: تاريخ، ج 1، ص 441.
80. العسلي: الفكر الديني، ج 3، ق 2، ص 451، 455.
81. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1، ص 260.
82. المصدر نفسه، ج 13، ص 184. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 61، ص 258. ابن الجوزي: المنتظم، ج 12، ص 76 - 78. الذهبي: سير، ج 9، ص 570.
83. محمد بن أحمد بن محمد، أبو جعفر ابن المسلمة السلمي البغدادي، كان نبيلاً، ثقة، كثير السماع، حسن الطريقة، واسع الرواية، رحلة العصر في علو الإسناد، وهو آخر من روى عن الزهري وابن معروف، توفي في سنة 465هـ. ابن الجوزي: المنتظم، ج 16، ص 151. الذهبي: تاريخ، ج 31، ص 182؛ العبر، ج 2، ص 319.
84. ابن القيسراني: المنثور، ص 52.
85. الذهبي: سير، ج 6، ص 285 - 286.
86. العيني: مغاني الأختيار، ج 3، ص 352. المزي: تهذيب، ج 19، ص 442.
87. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 334. العجلي: تاريخ الثقات، ص 334.
88. النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، ص 334.
89. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 7، ص 190.
90. روى عنه فيها: الحديث هناك سعيد بن أبي أيوب المصري، وعبد الله بن وهب. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 7، ص 190.

91. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 38، ص 448.
92. المزي: تهذيب، ج 19، ص 44.
93. المزي: تهذيب، ج 15، ص 286. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 15، ص 222.
94. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 467. ابن حبان: الثقات، ج 6، ص 129. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 11، ص 186. المزي: تهذيب الكمال، ج 4، ص 428.
95. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 467.
96. ابن حبان: الثقات، ج 6، ص 129.
97. المزي: تهذيب الكمال، ج 31، ص 270. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 11، ص 198.
98. الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج 3، ص 28. البيهقي: السنن الكبرى، ج 7، ص 431.
99. المزي: تهذيب الكمال، ج 31، ص 270. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 11، ص 198.
100. المزي: تهذيب الكمال، ج 31، ص 270. وانظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 9، ص 330. الكاشف، ج 2، ص 363. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 11، ص 198.
101. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 29، ص 164. المزي: تهذيب الكمال، ج 15، ص 94. الذهبي: سير، ج 6، ص 531. العبر، ج 1، ص 173. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 5، ص 255.
102. العجلي: تاريخ الثقات، ص 261. الفسوي: المعرفة، ج 2، ص 180. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج 5، ص 83.
103. انظر حول ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير، ج 3، ص 313. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 18، ص 116. المزي: تهذيب الكمال، ج 9، ص 161 - 162. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 4، ص 322. العجلي: تاريخ الثقات، ج 1، ص 461. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 10، ص 188 - 189.
104. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 10، ص 188 - 189.
105. ابن حبان: مشاهير، ج 1، ص 290. أخذ العلم عن أبيه رجاء بن حيوة وجماعة من التابعين غيره. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 5، ص 37. وأخذ روايته عدد من العلماء منهم وكيع بن الجراح. انظر: المزي: تهذيب الكمال، ج 13، ص 483.
106. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 5، ص 37.

107. ابن وضاح: البدع، ج 2، ص 88.
108. انظر: ابن منده: فتح الباب، ص 237. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 6، ص 10. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 20، ص 283.
109. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 20، ص 283. العيني: مغاني، ج 1، ص 38.
110. السمعاني: الأنساب، ج 12، ص 390. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 32، ص 193. ابن نقطة: إكمال، ج 3، ص 366. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 23، ص 629 - 630: سير، ج 11، ص 189.
111. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 23، ص 630.
112. سَمِعَ: أَحْمَدُ بْنُ شَيْبَانَ الرَّمْلِيُّ، ومحمد بن حمّاد الطَّبْرَانِيُّ، وعنه: أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ جُمَيْعٍ، وتَمَامُ الرَّازِيِّ، وأبو عبد الله بن مَنْدَه، وعلي بن محمد الحلبيّ. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 25، ص 457.
113. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 71، ص 132. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 25، ص 457. ابن العديم: بغية، ج 2، ص 749.
114. ابن منده: فتح الباب، ص 495. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 52، ص 139. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 23، ص 639.
115. ابن المقرئ: معجم، ص 40. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 52، ص 139. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 23، ص 639.
116. ابن حبان: الثقات، ج 8، ص 433.
117. المجروحين، ج 1، ص 119.
118. التنوخي: تاريخ همام، ج 1، ص 101. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 13، ص 30-31. ابن العديم: بغية الطلب، ج 5، ص 2295.
119. ابن فرحون: الديباج، ص 316. المقرئ: المقفى، ج 1، ص 218.
120. ابن فرحون: الديباج، ص 316.
121. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 35، ص 135. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 33، ص 336.
122. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 7، ص 284. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 34، ص 89.

123. روى عنه: عمر بن عبد الكريم الدهستاني، وابنه أبو الحسين، وأبو القاسم ابن السمرقندي. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 50، ص 10.
124. السمعاني: التحبير، ج 2، ص 213؛ المنتخب، ص 1585.
125. نفس المصدرين. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 55، ص 116.
126. السمعاني: التحبير، ج 2، ص 213؛ المنتخب، ص 1585.
127. السمعاني: التحبير، ج 2، ص 213؛ المنتخب، ص 1585. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 50، ص 11؛ ج 55، ص 116؛ معجم، ج 2، ص 1021.
128. السمعاني: التحبير، ج 2، ص 213؛ المنتخب، ص 1585.
129. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 20، ص 159.
130. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 14، ص 89. الذهبي: سير، ج 13، ص 93.
131. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 51، ص 132.
132. المصدر نفسه، ج 17، ص 400. ابن بشكوال: الصلة، ص 114.
133. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 1، ص 220.
134. المصدر نفسه، ج 5، ص 230.
135. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 27، ص 393.
136. المصدر نفسه، ج 73، ص 73.
137. المصدر نفسه، ج 29، ص 445.
138. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 31، ص 55.
139. المصدر نفسه، ج 30، ص 172.
140. المصدر نفسه، ج 31، ص 57.
141. المصدر نفسه، ج 31، ص 77 - 78.
142. المصدر نفسه، ج 31، ص 85 - 86.
143. المصدر نفسه، ج 31، ص 103. ابن كثير: طبقات الشافعيين، ص 442.
144. الخطيب البغدادي: الفصل للوصل، ج 2، ص 790.

145. الخطيب البغدادي: السابق واللاحق، ص 221.
146. الحنّائي: الحنائيات، ج 2، ص 905.
147. مالك بن أنس: اموطاً، ج 1، ص 168. الطيوري: الطيوريات، ج 3، ص 1018. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1، ص 415. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 51، ص 233.
148. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1، ص 433. السمعاني: الأنساب، ج 9، ص 66. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 51، ص 235. ابن الجوزي: المنتظم، ج 15، ص 132. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 28، ص 209. ابن كثير: البداية، ج 12، ص 10. ابن تغري بردي: النجوم، ج 4، ص 243.
149. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 21، ص 7. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 51، ص 69 - 70. ابن الجوزي: المنتظم، ج 17، ص 35. ياقوت الحموي: إرشاد، ج 5، ص 2356 - 2358.
150. ابن الجوزي: المنتظم، ج 17، ص 35.
151. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 51، ص 70.
152. المصدر نفسه، ج 51، ص 69. ياقوت الحموي: إرشاد، ج 5، ص 2358.
153. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 51، ص 69.
154. ابن الجوزي: المنتظم، ج 17، ص 150.
155. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 21، ص 21.
156. ابن الجوزي: المنتظم، ج 17، ص 151.
157. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 8، ص 357.
158. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد، ج 21، ص 133. ابن الأكفاني: ذيل، ص 60. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 41، ص 221. ابن الأبار: التكملة، ج 3، ص 177.
159. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 32، ص 201.
160. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 62، ص 15. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 33، ص 346.
161. سمع بها من محمد بن جعفر الميماسي. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 33، ص 346.
162. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 62، ص 15. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 33، ص 346.

المصادر والمراجع:

• أولاً- القرآن الكريم:

ثانياً. المصادر العربية:

1. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: 658هـ / 1260م) : التكملة لكتاب الصلة، المحقق: عبد السلام الهراس، لبنان، دار الفكر للطباعة، (1415هـ / 1995م) .
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت: 630هـ / 1232م) :
- الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، (1415هـ / 1995م) .
- اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، (ب.ت) .
3. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت: 560هـ / 1164م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الناشر: عالم الكتب، بيروت، (1409هـ / 1989م) .
4. الأدهوي، أحمد بن محمد (ت: ق 11هـ) : طبقات المفسرين، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة: الأولى، (1417هـ / 1997م) .
5. الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير اللمتوني الأموي (ت: 575هـ / 1179م) : فهرسة ابن خير الإشبيلي، المحقق: محمد فؤاد منصور، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، (1419هـ / 1998م) .
6. الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ) : طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 2002م.
7. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت: 346هـ / 957م) : المسالك والممالك، بيروت - لبنان، دار صادر، (1425هـ / 2004م) .
8. ابن الأكفاني، هبة الله بن أحمد بن محمد بن هبة الله، أبو محمد، الأمين، الأنصاري الدمشقي (المتوفى: 524هـ) : ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، المحقق: د. عبد الله بن أحمد بن سلمان الحمدن الرياض، دار العاصمة، ط1، (1409هـ) .

9. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري (المتوفى: 577هـ) : نزهة الألباء في طبقات الأدياء، المحقق: إبراهيم السامرائي، الزرقاء - الأردن، مكتبة المنار، ط3، (1405هـ / 1985م).
10. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: 256هـ / 869م) :
- التاريخ الكبير، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (د. ت)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ص) وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (1422هـ / 2001م).
11. البرهان فوري، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهان فوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: 975هـ / 1567م) : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المحقق: بكرى حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، (1401هـ / 1981م).
12. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت: 578 هـ / 1182م) : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، 1374هـ / 1955م.
13. ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَرِي (ت: 387هـ / 997م) : الإبانة الكبرى، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوايل، الرياض، دار الراجعية للنشر والتوزيع، (د. ط).
14. البيهقي، أحمد بن الحسين الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني (المتوفى: 458هـ) : السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ / 2003. المدخل إلى السنن الكبرى، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
15. ابن تغري بردي، أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي الظاهري الحنفي (ت: 874هـ / 1469م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
16. ابن تميم المقدسي: شهاب الدين أبي محمود (ت: 765هـ / 1363م) : مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق: أحمد الخطيمي، بيروت، دار الجليل، 1994م.

17. التنوخي، همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب: تاريخ همام بن الفضل، ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها: الدكتور إحسان عباس، بيروت - لبنان، دار الغرب الإسلامي، (1409هـ / 1988م).
18. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ / 1429م) : غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ، ج. برجستراسر، مكتبة المتنبى، القاهرة، د. ت.
19. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ / 1200م) : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، (1412هـ / 1992م).
20. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت: 327هـ / 938م) : الجرح والتعديل، حيدر آباد الدكن - الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (1271هـ / 1952م).
21. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد التميمي الدارمي البُستي (ت: 354هـ / 965م) :
- الثقات، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند، (1393هـ / 1973).
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي
- حلب، الطبعة: الأولى، (1396هـ / 1976م).
22. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: 852هـ / 1448م) :
- تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، (1326هـ / 1908م).
- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، المحقق: محمد شكور الميادينى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، (1418هـ / 1998م).
23. الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي الميورقي (ت: 488هـ / 1095م) : جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة، دار المصرية للتأليف والنشر، (1966م).
24. الحنائي، الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الدمشقي، أبو القاسم (ت: 459هـ / 1066م) : الحنائيات (فوائد أبي القاسم الحنائي)، تخريج: النخشي، المحقق: خالد

- رزق محمد جبر أبو النجا، أضواء السلف، ط1، (1428هـ / 2007م).
25. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت: 463هـ / 1070م):
- تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، (1417هـ / 1996م).
- السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد، المحقق: محمد بن مطر الزهراني، الرياض - المملكة العربية السعودية دار الصميعي، ط2، (1421هـ / 2000م).
- الفصل للوصل المدرج في النقل، المحقق: محمد الزهراني، دار الهجرة، ط1، (1418هـ / 1997م).
26. ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ / 1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، بيروت - لبنان، منشورات مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، (1391هـ / 1971م).
27. الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي (ت: 387هـ / 997م): مفاتيح العلوم، المحقق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، ط2، (د.ت).
28. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (المتوفى: 1067هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، مكتبة المثنى (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، 1941م.
29. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ / 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت - لبنان، دار صادر، (1317هـ / 1900م).
30. الدائي، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444هـ / 1052م): التيسير في القراءات السبع، عنى بتصحيحه أوتو يرتزل، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (1416هـ / 1996م).
31. الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت 945هـ / 1538م): طبقات المفسرين، ضبطه ووضع حواشيه عبد السلام عبد المعين، بيروت، دار الكتب العلمية،

- ط1، (1422هـ / 2002م).
32. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ / 1347م):
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، (1413هـ / 1993م).
 - سير أعلام النبلاء، دار الحديث - القاهرة، 1427هـ - 2006م.
 - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، (1413هـ / 1992م).
 - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، (1417هـ / 1997م).
33. ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، البغدادي، ثم الدمشقي، السلمي، (المتوفى: 795هـ) : ذيل طبقات الحنابلة، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، (1425هـ / 2005م).
34. الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله بدر الدين (المتوفى: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، (1376هـ / 1957م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صوّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).
35. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (المتوفى: 771هـ) : طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الطلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.
36. ابن سعد، محمد بن سعد الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت: 230هـ / 844م): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، (1410هـ / 1990م).
37. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، أبو سعد (ت: 562هـ / 1166م):

- الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني وآخرون، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (1382هـ / 1962م).
- التحبير في المعجم الكبير، المحقق: منيرة ناجي سالم، بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف، ط1، (1395هـ / 1975م).
- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، (1417هـ / 1996م).
38. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ / 1505م):
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا- لبنان، المكتبة العصرية، (د، ط)، (د، ت).
- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، (1371هـ / 1952م).
- طبقات المفسرين العشرين، المحقق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1396هـ.
39. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت: 665هـ) : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، المحقق: طيار آلتى قولاج، بيروت، دار صادر، (د. ط)، (1395هـ / 1975م).
40. الصَّرْفِينِيُّ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَزْهَرِ الْعِرَاقِيِّ، تَقِيُّ الدِّينِ، الْحَنْبَلِيُّ (المتوفى: 641هـ) : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، المحقق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، (1414هـ).
41. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: 764هـ / 1362م) : الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، (1420هـ / 2000م).
42. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر (ت: 599هـ) : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، دار الكاتب العربي، 1967م.
43. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (ت: 310هـ / 922م) : تاريخ الرسل والملوك، بيروت- لبنان، دار التراث - بيروت، ط2، (1387هـ / 1967م).

44. الطيوري، المبارك بن عبد الجبار الصيرفي (ت: 500هـ / 1106م) : الطيوريات دراسة وتحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، الرياض، مكتبة أضواء السلف، (1425هـ / 2004م) .
45. العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت: 261هـ / 874م): تاريخ الثقات، دار الباز، (1405هـ / 1984م) .
46. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت: 660هـ / 1286م) : بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، بيروت- لبنان، دار الفكر، (د. ت) .
47. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي: - أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ / 2003م.
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص) ، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، (1419هـ) ،
48. عريب بن سعد القرطبي، صلة تاريخ الطبري، بيروت- لبنان، دار التراث - بيروت، ط2، (1387هـ / 1967م) .
49. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571هـ / 1175م) : تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1415هـ / 1995م) .
50. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (1089هـ / 1678م): شذرات الذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، (1406هـ / 1986م) .
51. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين (ت: 855هـ / 1451م) : مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، (1427هـ / 2006م) .

52. الغزي، محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: 1167هـ / 1753م): ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1 (1411هـ / 1990م).
53. أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت: 732هـ / 1331م): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (د. ت).
54. ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (ت: 799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ت)، (د، ط).
55. الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت: 277هـ / 891م): المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط2، (1401هـ / 1981م).
56. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ / 1414م): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، (1421هـ / 2000م).
57. القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: 544هـ / 1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك: جزء 1: تحقيق: ابن تاويت الطنجي، (1965م). جزء 2، 3، 4: تحقيق: عبد القادر الصراوي، (1966 - 1970م). جزء 5: تحقيق: محمد بن شريفة. جزء 6، 7، 8: سعيد أحمد أعراب، (1981 - 1983م)، المحمدية - المغرب، مطبعة فضالة.
58. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: 646هـ / 1248م): إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، (1424هـ).
59. ابن القلانسي، أبو يعلى التميمي حمزة بن أسد (ت: 555هـ / 1160): ذيل تاريخ دمشق، المحقق: د سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، (1403هـ / 1983م).
60. القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: 1307هـ / 1662م): أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط1، (1423هـ / 2002م).
61. القيرواني، مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي: مشكل إعراب القرآن، تحقيق:

حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية، (1405هـ)، عدد الأجزاء: 2.

62. ابن القيسراني، محمد بن طاهر بن علي المقدسي الشيباني، أبو الفضل (ت: 507هـ/ 1113م) : المنثور من الحكايات والسؤالات، المحقق: د. جمال عزون، مكتبة دار المنهاج، ط1، 1430هـ .

63. الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت: 764هـ/ 1362م) : فوات الوفيات، المحقق: إحسان عباس، بيروت - لبنان، دار صادر، (1394هـ/ 1974م) .

64. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ/ 1372م) :

- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، (1408هـ/ 1988م) .

- طبقات الشافعيين»، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ/ 1993م.

65. مالك بن أنس، ابن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: 179هـ/ 579م) : الموطأ، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، أبو ظبي- الإمارات مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط1، 1425هـ/ 2004م.

66. مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد العليمي (ت: 928هـ/ 1521م) : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المحقق: عدنان نباتة، عمان - الأردن، مكتبة دنديس، (1420هـ/ 1999م) .

67. المراكشي، محمد بن محمد (المتوفى: 703هـ) : السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المحقق: إحسان عباس، ط1، 1965م، بيروت - لبنان، دار الثقافة.

68. المرصفي، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المصري الشافعي (المتوفى: 1409هـ) : هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المدينة المنورة، مكتبة طيبة، ط2، (د. ت) .

69. المزي، يوسف بن عبد الرحمن القضاعي الكلبلي (ت: 742هـ/ 1341م) : تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، (1400هـ/ 1980م) .

70. مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ / 874م): المسند الصحيح، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
71. المقدسي، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أبو عبد الله (ت: 380هـ / 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3، 1411هـ / 1991م.
72. ابن المقرئ، محمد بن إبراهيم (ت: 381هـ / 991م): المعجم، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، (1419هـ / 1998م).
73. المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت: 845هـ / 1441م): المقفى الكبير، 8 أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م.
74. ابن منده، محمد بن إسحاق بن محمد (ت: 395هـ / 1004م): فتح الباب في الكنى والألقاب، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الرياض - السعودية، مكتبة الكوثر، ط1، (1417هـ / 1996م).
75. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ / 1311م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دمشق - سوريا، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، (1402هـ / 1984م).
76. ابن ميمون، أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (المتوفى: 240هـ) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، المحقق: علي بن محمد بن ناصر الفهري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1423هـ / 2002م.
77. ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (ت: 842هـ / 1438م): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، (1414هـ / 1993م).
78. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المتوفى: 303هـ): تسمية مشايخ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي وذكر المدلسين

- (وغير ذلك من الفوائد) ، المحقق: الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى 1423هـ.
79. ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، الحنبلي البغدادي (المتوفى: 629هـ) : إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، المحقق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1410هـ.
80. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ / 1277م) : تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
81. ابن وضاح، أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيح المرواني القرطبي (المتوفى: 286هـ) : البدع والنهي عنها، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، القاهرة - مصر، مكتبة ابن تيمية، جدة - السعودية، مكتبة العلم، ط1، (1416هـ).
82. اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: 768هـ / 1366م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، (1417هـ / 1997م).
83. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ / 1228م) :
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء»، المحقق: إحسان عباس، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي، (د. ط)، (1414هـ / 1993م).
- معجم البلدان، بيروت - لبنان، دار صادر، ط2، (1416هـ / 1995م).
84. ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد (ت: 347هـ / 958م) : تاريخ ابن يونس المصري، الناشر: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ.
85. البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين الباباني (ت: 1399هـ / 1978م):
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايأ رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي.

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجيلة في مطبعتها البهية استانبول، (1370هـ / 1951م)، أعادت طبعه بالأوفست: بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي (د.ت).
86. الحموشي، فارس محمد ذنون: القدس في القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل (1999م).
87. الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين، منشورات دار الطليعة لبنان، ط1، 1965م.
88. الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، (ربيع أول 1423هـ / أيار/ مايو 2002م)، الطبعة: الخامسة عشر.
89. أبو زهو، محمد محمد: الحديث والمحدثون، القاهرة، دار الفكر العربي، 1378هـ.
90. أبو شمالة، شريف أمين محمد: فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر 132 - 264هـ / 750 - 878م» إشراف: د. خالد يونس الخالدي، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية - غزة، (1432هـ / 2011م).
91. عباس، إحسان: فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، (1414هـ / 1993م).
92. العسلي، كامل جميل: معاهد العلم في القدس، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، (1402هـ / 1981م).
93. الفضلي، عبد الهادي: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، جدة، دار المجمع العلمي، ط1، (1399هـ / 1979م).
94. كحالة، عمر بن رضا الدمشقي (ت: 1408هـ / 1987م): معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المثني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
95. العسلي، كامل جميل: الفكر الديني: العلوم الإسلامية في فلسطين «، بحث في الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ط1، (1411هـ / 1990م).

**دور المماليك في الصراع
بين أبناء البيت الأيوبي على السلطة
(589-637 هـ / 1193-1239 م) ***

د. جلال حسني سلامة **

* تاريخ التسليم: 11 / 11 / 2014م، تاريخ القبول: 15 / 4 / 2015م.
** أستاذ مساعد/ تاريخ العصور الوسطى/ فرع نابلس/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

يتناول هذا البحث واحدة من القضايا التي تستدعي الدراسة والاستقصاء في الأسباب والعوامل التي جعلت المماليك والرقيق الذين تم شراؤهم وجلبهم من مناطق مختلفة من العالم، سواء أكانوا من أفغانستان أم أوزبكستان أم طاجيكستان أم بلاد الصين وغيرها تجتمع كلمتهم يوماً ما على الرغم من اختلاف جنسياتهم وألسنتهم، وينتقلون من مرحلة الرقيق والعبيد إلى مرحلة السادة، والمشاركة في اتخاذ القرار ثم تتويج نضالاتهم أخيراً بالاستحواذ على السلطة.

فالأيوبيون الذين كانوا رواد وحدة مصر والشام، ثم تتويج هذا الإنجاز السياسي بإنجاز عسكري لم يتوقعه الأوروبيون في بلادهم، والذي تمثل بانتصارهم الكبير في معركة حطين 583هـ / 1187م، سرعان ما دبّت الخلافات بينهم بعد وفاة زعيم الدولة الأيوبية الأول السلطان صلاح الدين الأيوبي واستقوائهم على بعضهم، حيث بدأوا بالسماح للمماليك بالتدخل في حسم هذه الخلافات التي وجدوا فيها فرصة ومدخلاً في حياكة الدسائس والمؤامرات، وإشعال نيران الفتنة بين أفراد البيت الأيوبي، كما هو الحال بين أبناء السلطان صلاح الدين الأيوبي، وعمهم الملك العادل، وبين أبناء الملك العادل وأحفاده، حتى أصبح المماليك أصحاب الأمر والنهي في الدولة، والتدخل في تعيين الشخصية التي يجدون فيها فرصتهم في فرض نفوذهم وقدرتهم على إزاحته عن سدة الحكم في حالة محاولته تنكره لهم، أو استبعادهم، أو إيقاع الخلافات بين المماليك أنفسهم. ولعل ما حدث بين الأخوين الصالح نجم الدين أيوب والعادل - كما سيرى القارئ - يعطي صورة واضحة عن المكانة التي بلغها المماليك، وقدرتهم على التعاطي مع الأحداث التي أوصلتهم في نهاية الأمر إلى تولي زمام الحكم بعد الإطاحة بالدولة الأيوبية.

The Role of Mamluks in the Conflict between the Ayyubids on Ruling (637- 589AH/ 1193- 1239AD)

Abstract:

The aim of this study is to discuss the factors and reasons that enabled Mamluks, the slaves whom had been bought and brought from various regions of the World (Afghanistan, Pakistan, Uzbekistan, Tajikistan, China and other countries) unified despite their different languages and nationalities to unite and to be in high positions, then to participate in decision making and finally to seize power.

The political achievements of the AL- Ayyubid in Egypt and Great Syria were crowned by their military achievement in defeating the Crusades in Heteen Battle in 583/ 1187 which astonished the Europeans. But disputes occurred after the death of Sultan Salah Al- Deen Al- Ayyubid when the Al- Ayyubid started fighting each other and they allowed for the Mamaleek to interfere in solving their problems. Al- Mamluks found a chance to plot against the Ayuby home especially during the conflict between Salah Al- Deen's sons and their grandson of Al- Malek Al- Adel. Conspiracies made them reach the power, appointing whoever they want and intriguing against who opposed them. This high position in the power was demonstrated by what happened between the two brothers, Al- Saleh Najm Al- Deen Ayob and Al- Adel Al- Thany, which is led ultimately to Mamluks' reigned after vanishing the Ayuby state.

مقدمة

تعود عادة جلب المماليك إلى الدولة الإسلامية، سواءً أكانوا عن طريق الأسر في الحروب أم شرائهم من أسواق النخاسة إلى عهد الخليفة العباسي المأمون 198 - 218هـ / 813 - 832م وأخيه الخليفة المعتمد 218 - 227هـ / 833 - 842م⁽¹⁾، وسار على هذا الأمر من بعدهم، ولاة الديار المصرية من الطولونيين، والإخشيديين، والفاطميين⁽²⁾، ثم الأيوبيين، حيث اعتادوا على تشكيل فرق عسكرية منهم تسهم في خوض الحروب والمعارك، وتدعيم نفوذهم، وفرض الأمن والنظام الداخلي.

فقد أولى السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد إطاحته بالخلافة الفاطمية 567هـ / 1171م، وتوليه سدة الحكم في مصر والشام بالمماليك المدربين عسكرياً اهتماماً كبيراً حين توسع في عملية شرائهم وجلبهم من مناطق مختلفة، سواءً أكانوا من بلاد القبجاق⁽³⁾ أم بلاد الترك⁽⁴⁾ أم بلاد جنوب آسيا⁽⁵⁾ بعد أن وجد فيهم الخفة والشجاعة في ممارستهم للفروسية في أثناء تدريبهم عسكرياً وإكسابهم مهاراتها بحذق ودقة⁽⁶⁾. ويبدو أن السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي تعرض لمؤامرات كبيرة ودسائس خطيرة بعد إنهائه الخلافة الفاطمية في مصر، وأسرة آل زنكي في بلاد الشام⁽⁷⁾، قد مال في بداية الأمر إلى استخدامهم في حراسته وحراسة كبار معاونيه، إلى جانب الدفاع عن القصور والقلاع التي كانت تحوي مخازن السلاح والذخيرة⁽⁸⁾ حتى يتأكد له صدق نواياهم وإخلاصهم.

وعندما ثبت للسلطان صلاح الدين صدق ما صدر عنهم من انضباط، والتزام بالتعليمات الصادرة عنه، سواءً أكانوا قبل معركة حطين أم بعد مشاركتهم الفاعلة وانتصار المسلمين فيها 583هـ / 1187م، أخذ يغدق الألقاب والمنح والعطايا الجزيلة عليهم، مكافأة على جهودهم وبلائهم⁽⁹⁾. وكان من جملة الألقاب التي عرف بها مماليكه - على سبيل المثال - ألقاباً عدة ومتنوعة⁽¹⁰⁾ منها «المماليك السلطانية»⁽¹¹⁾ و«المماليك الصلاحية»⁽¹²⁾، وكذلك ألقاب « سيف الدين » و«علاء الدين»⁽¹³⁾، وهي بلا شك ألقاب تحمل معاني الشجاعة والمهارة القتالية التي تحلى بها هؤلاء المماليك، إلى جانب المكانة العالية التي وصلوا إليها على اختلاف جنسياتهم وأصولهم في الدولة الأيوبية.

وإلى جانب تلك الألقاب الرفيعة، حاز بعضهم على امتيازات أخرى، تمثلت بمنحهم إقطاعات وممتلكات واسعة في أنحاء مختلفة من البلاد الواقعة تحت سيادة الدولة الأيوبية⁽¹⁴⁾، ومن بين هؤلاء المماليك - على سبيل المثال لا الحصر - المملوك مجاهد الدين إياز

(15) الذي منح ولاية شهرزور وأعمالها (16)، كما نال المملوك علم الدين قيصر (17) عمل الخليل وغزة والداروم (دير البلح) وعسقلان (18)، ويتولى بدوره إدارتها وتسيير دفة الحكم فيها والدفاع عنها في حال تعرضها لأي خطر أو غزو خارجي (19).

ولا جدال في أن اهتمام السلطان صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه بالممالك قد أعطاهم مزيداً من النفوذ والتوسع في ممارسة الصلاحيات، إلى درجة وصل بهم الأمر إلى الرغبة في الاستئثار في الملك وتقلد السلطة (20). ولا بدّ من التنويه هنا إلى أن الباحث قد تعمّد الوقوف عند تولي الصالح نجم الدين أيوب مقاليد السلطة في مصر، حيث يُعد أكثر ملوك بني أيوب الذين أدركوا الخطر الشديد الذي كان يشكله المماليك في زعزعة أركان الدولة حتى من قبل أكثر المقربين منه (21)، إلى درجة أنه لم يتوان عن مطاردة من لعبوا دوراً أساسياً واعتقال ومصادرة أموالهم وأملاكهم في تمكّ دفة حكم الديار المصرية، واستبدالهم بمماليك أكثر موالاة وطاعة له حين استكثر من شرائهم من بلاد الترك والخطائية، وتقديم المنح والعطايا الوفيرة على وفائهم وإخلاصهم له (22). ولا بدّ أن الصالح نجم الدين أيوب قد وضع عيوناً لمراقبة تحركاتهم، وردّهم عن حياكة الدسائس والمؤامرات الهادفة إلى الإطاحة به، وتقويض حكمه.

المماليك بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي:

استغل المماليك الأسيديّة (23) والصلاحيّة (24) خطوة السلطان الأيوبي صلاح الدين بتقسيمه أملاك الدولة بين أبنائه قبيل وفاته يوم 27 صفر 589هـ/ الموافق 4 مارس (آذار) 1193م (25)، فأخذوا - وإن كانت بصورة خفية وبعيدة عن الأنظار - يشتركون في حياكة الدسائس والمؤامرات بين أبنائه الأفضل نور الدين، والعزیز عثمان، والظاهر غازي إلى درجة أنهم استطاعوا بأساليبهم المختلفة إقناع الملك الأفضل بالعودة عن قراره وقبوله بالتنازل عن السيادة على المدينة المقدسة لأخيه العزيز عثمان والاحتفاظ بها لنفسه (26). وعندما أحس هؤلاء المماليك بفشله في تدبير أموره سياسياً وتوجس أخيه العزيز خيفة من سوء تصرفه، أخذوا يشيرون عليه ببذل الاستعدادات العسكرية كافة، من أجل مواجهته ثم الاستيلاء على أملاكه كلها في بلاد الشام، وبخاصة بعد أن أقدم الأفضل على خطوته التي لم يقدر عواقبها حين استبعد المماليك الصلاحيّة الذين التحقوا في صفوف أخيه العزيز عثمان (27).

ووقف وراء تمرد هؤلاء المماليك خيرة قادتهم وكبار الدولة وفي مقدمتهم الأمير فخر الدين إياز جهاركس، وفارس الدين ميمون القصري (28)، إلى درجة وصف فيها أحد الباحثين المحدثين انضمام مثل هؤلاء القادة كان له وقعه في إضعاف سلطة الأفضل،

وتقوية مركز العزيز عثمان وعلوّ شأنه⁽²⁹⁾ وتحريضه على التوجه إلى دمشق وبسط سيادته عليها⁽³⁰⁾ ويبدو أن العزيز عثمان وقع تحت تأثير هؤلاء المماليك، وبخاصة أنه عندما استعد للخروج من القاهرة باتجاه دمشق 590هـ / 1193م، فإن غالبية فرسانه الذين قدر عددهم بحوالي ألفي فارس كانوا من الأسيديّة والصلاحية،⁽³¹⁾ ولكن عند وصول جيشه إلى أبواب دمشق جاء تدخل الملك العادل - أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي - الذي أنهى الأمر بتوقيع صلح بين الطرفين يقضى بتسليم بيت المقدس للعزيز عثمان، وأن تكون دمشق وطبرية بيد الملك الأفضل⁽³²⁾. ومما يدل على علو المكانة التي وصل إليها المماليك حين انتدب العزيز عثمان الأمير فخر الدين جهاركس من أجل توقيع هذا الصلح نيابة عنه⁽³³⁾.

إن التحاق المماليك بالصلاحية في صفوف العزيز عثمان أحدثت نوعاً من الإرباك والفوضى، حين أظهر المماليك الأسيديّة الموالين له⁽³⁴⁾ عن عدم رضاهم بفعلتهم هذه، إلى درجة وصل الأمر بكبار مستشاريهم إلى اتخاذ قرار خطير يتبين منه حجم النفوذ الكبير الذي بدأ المماليك يمارسونه، حين بدأوا بتدبير مؤامرة تقضي بالانقلاب على العزيز عثمان والتخلص منه⁽³⁵⁾.

ولا شك أن اضطراب الوضع بين أبناء السلطان صلاح الدين الأيوبي ومماليكهم أخذ يصبّ في مصلحة الملك العادل محمد أخو السلطان الأيوبي⁽³⁶⁾ الذي كان يطمع في تقويض حكم أبناء أخيه والاستئثار بالنفوذ والسلطة⁽³⁷⁾، فاستغل الخلافات التي بدأت تتجذر في صفوف أتباعهم من المماليك، حيث أرسل إلى المماليك الأسيديّة سراً تحذيره لهم من إقدام العزيز عثمان على تقديم المماليك بالصلاحية منه⁽³⁸⁾ وفي الوقت ذاته نجده يحذر العزيز من محاولات الأسيديّة تدبير مؤامرات ضده⁽³⁹⁾.

وبالفعل، نجح الملك سيف الدين العادل في تنفيذ خطته السياسيّة، حين عرض عليه الأفضل تقديم ما يستطيع له من عون ماديّ وعسكريّ ضد أخيه العزيز عثمان، الذي بدأ يتأهب من أجل مهاجمة دمشق 591هـ / 1194م⁽⁴⁰⁾، ولعل ذلك يبرز أثر تدخل المماليك في الشؤون الداخلية للدولة الأيوبية وخلافاتها التي وصلت إلى حدّ تمكين الملك العادل من فرض شروطه على الأفضل⁽⁴¹⁾ في حال انتصاره على أخيه، وبموجبها يحصل العادل على ثلث الديار المصرية، وما تبقى يصبح في قبضة الأفضل⁽⁴²⁾. ويبدو أن العادل ظل في محل شك منه، ولهذا تظاهر بضرورة تحقيق مصالحة بين الأخوين وإزالة أسباب الخلافات بينهما كي يخفي رغبته التي تكمن في الاستحواذ على الديار المصرية وانتزاعها من أيدي أبناء أخيه السلطان صلاح الدين، وهذا ما يفسّر سبب توجهه إلى مصر والإقامة فيها⁽⁴³⁾. ومن ناحية أخرى، فإن وجوده في هذا البلد سيمكنه من متابعة الأحداث وما يجري خلالها

من تطورات، عندما لعب المماليك الصلاحية دورهم في إثارة العداء بين الملك العزيز، وابنه ناصر الدين الذي أطلقوا عليه لقب «الملك المنصور» تمهيداً لتنصيبه، ولكن وفاة العزيز 595هـ / 1198م حالت دون تحقيقها⁽⁴⁴⁾.

فبعد وفاته، أعلنت المماليك الأُسدية، عن رفضها تنصيب ولده ناصر الدين خلفاً لأبيه بحجة صغر سنه وعدم قدرته على تسيير أمور الدولة، ولعل ذلك يشير إلى العداء المستحکم بين المماليك الصلاحية والمماليك الأُسدية واختلاف وجهات النظر حول تعيين ناصر الدين، أضف إلى ذلك قدرتهم على فرض آرائهم على حكام الدولة الأيوبية الذين فشلوا في وأد الخلافات الداخلية بينهم، الأمر الذي أعطى المماليك مزيداً من النفوذ والسطوة⁽⁴⁵⁾، حين نجحت طائفة المماليك الأُسدية بفرض الأفضل نور الدين لخلافة أخيه العزيز عثمان في تولي زمام الأمور في الديار المصرية⁽⁴⁶⁾.

إن اعتلاء الأفضل للسلطة في مصر كان مقدمة في تحقيق المصلحة العليا للملك العادل التي تمثلت في التعاون مع المماليك الصلاحية من أجل الإطاحة بحكمه، فتمكنوا من هزيمته⁽⁴⁷⁾ ومطاردة أبناء أخيه السلطان صلاح الدين والقبض عليهم⁽⁴⁸⁾. وبعد أن تم له ما أراد، يبدو أنه شعر بالخطر الكبير الذي بات يتهدهه من المماليك الصلاحية وخشيته من انقلابهم ضده، وبخاصة أن الملك العادل وصف بأنه ذو رأي سديد وعقل ودهاء، حتى إن السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يكن يستغني عن استشارته⁽⁴⁹⁾ ولهذا بدأ يضع الخطط والسبل التي تكفل له إنهاء دورهم السياسي والعسكري في الدولة الأيوبية، حيث تدرّج في القبض عليهم ومصادرة أملاكهم من القلاع والحصون وغيرها⁽⁵⁰⁾.

ويأتي هذا التدرج في تقليص نفوذ المماليك الصلاحية نتيجة عوامل خارجية وأخرى داخلية عميقة قد تؤدي بسلطة الملك العادل في حالة تهوّر باتخاذ قرارات صعبة، ففي الوقت الذي ملك فيه الديار المصرية 596هـ / 1199م، تعرضت أراضي بلاده لهجوم صليبي شديد استمر قرابة أربعة شهور⁽⁵¹⁾ الأمر الذي جعل الملك العادل في هذه الفترة العصبية والحرجة غير قادر على أن يظهر عداءه للمماليك علانية، سواء أكانوا الصلاحية منهم أم الأُسدية، ويعود ذلك - كما يبدو - إلى حاجته الشديدة لجيوش وقوات عسكرية كاملة التدريب والتسليح تمكنه من الصمود والثبات أمام غارات الصليبيين وهجماتهم المتكررة إلى ما بعد وفاته 615هـ / 1218م، سعياً إلى تعميق الخلافات بين الأيوبيين والمماليك من أجل أن يسهل عليهم الاستيلاء على الديار المصرية وبسط نفوذهم فيها⁽⁵²⁾. ومن ناحية أخرى، فإن إعلان العداء للطوائف المملوكية قد يوحد صفوفها في مواجهته، مما يضعف من عزيمته ثم هزيمته وسقوط حكمه، وبخاصة في ظل هذه الظروف الصعبة

التي كانت تعيشها بلاده، والتي لم تمكنه من بناء فرق مملوكية جديدة وتشكيلها يضمن ولاءها وانتصارها له.

المماليك في عهد الملك العادل محمد وأبنائه:

لقد سار الملك العادل قبيل وفاته على خطى أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي في تقسيم أملاك الدولة الأيوبية بين أبنائه في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يشنون غاراتهم على الديار المصرية⁽⁵³⁾. فتولى ابنه وولي عهده الملك الكامل محمد⁽⁵⁴⁾ حكم بلاد مصر. وتولى حكم الشام ابنه المعظم عيسى⁽⁵⁵⁾، وتولى ابنه الملك الأشرف موسى حكم بلاد المشرق وخلاط⁽⁵⁶⁾، في حين حصل أبنائه الآخرون على تولي السلطة في أنحاء مختلفة من الدولة الأيوبية⁽⁵⁷⁾.

وعندما وطد كل واحد منهم سلطته في ملكه وثبت أركانها، أخذ يسعى إلى جلب مجموعات كبيرة من المماليك بهدف تسخيرهم لخدمته، وتدريبهم في معسكراته على خوض الحروب والمعارك، سواء أكانوا ضد القوات الصليبية التي كانت لا تزال تهدد الدولة الأيوبية وحدودها⁽⁵⁸⁾ أم التدخل في حسم الخلافات والصراعات التي كانت تحدث بين الإخوة⁽⁵⁹⁾.

ففي أثناء الخلاف الذي نشب بين الأخوين الملك الكامل والملك المعظم عيسى، سارع الكامل عندما علم من عيونه - كما يبدو - ما يخطط له ممالك والده من وراء إجراء اتصالات علاقات وإقامتها مع أخيه المعظم عيسى تهدف في نهاية الأمر إلى عزله، ودعوة الأخير القدوم إلى مصر وتولي مقاليد الحكم فيها⁽⁶⁰⁾ وظل الخلاف والصراع العسكري بين الأخوين قائماً، فبعد وفاة المعظم عيسى 624هـ / 1226م وتولي ابنه الناصر داود مقاليد السلطة، جهز الملك الكامل 625هـ / 1227م حملته قاصداً مصر للسيطرة عليها من ناحية،⁽⁶¹⁾ ومن ناحية أخرى كان يسعى - كما يبدو - إلى تأديب ممالك أخيه المعظم عيسى الذين شجعوه على مهاجمة مصر وضمها إلى ملكه، الأمر الذي دفع الناصر داود إلى الاستنجاد بعمه الأشرف موسى الذي عرف عنه نشاطه في شراء المماليك وتدريبهم على الأمور العسكرية.

لقد كان الأشرف موسى أكثر إخوته نشاطاً واهتماماً فيما يتعلق بشراء المماليك التي عرفت فيما بعد بالمماليك الأشرفية، حيث بذل في سبيل ذلك أموالاً طائلة، ثم الإشراف على تدريبهم وتربيتهم تربية عسكرية على قدر كبير من الدقة والحكمة⁽⁶²⁾، وإسناد قياداتهم إلى مملوكه عز الدين أيبك المعظمي⁽⁶³⁾، وبلغ من قوة مملكه أن جعل منهم قوة عسكرية

قوية يهدد بهم إخوته، ويطمع في الاستيلاء على البلاد الواقعة تحت نفوذهم وسيطرتهم، فقد اتخذ استعداداته العسكرية كافة من أجل أن يهاجم أخيه الكامل محمد في مصر، دون أن يأبه برد فعل أخيه المعظم عيسى في دمشق الذي أعلن عن استيائه وغضبه من تصرف أخيه هذا⁽⁶⁴⁾. وظلت طائفة المماليك الأشرفية تمتاز بنفوذها وقوتها العسكرية إلى ما بعد تولي الصالح نجم الدين أيوب حكم السلطنة في مصر 637هـ / 1239م، والتي حاولت الإطاحة بسلطته⁽⁶⁵⁾.

وإلى جانب هذه الطائفة والطوائف الأخرى في الدولة الأيوبية، ظهرت طائفة جديدة عرفت بالكاملية وتتبع السلطان الكامل محمد ابن الملك العادل⁽⁶⁶⁾، التي قامت بدورها العسكري في التصدي للحملة الصليبية الخامسة على مصر⁽⁶⁷⁾، وما لعبته من دور كبير وفاعل في مساعدة الكامل في معاركه التوسعية في مكة، واليمن، ومصر، والشام، والجزيرة⁽⁶⁸⁾. ولم يقتصر دور المماليك الكاملية على الجانب العسكري فحسب، بل امتد إلى جانب آخر تمثل في إرساء دعائم الأمن الداخلي، والعمل على استتباب الأوضاع الداخلية، والحد من أعمال الفوضى والاضطرابات وأعمال العنف، وكذلك تأمين حركة التجار والمسافرين من اللصوص، وعمليات السلب والنهب على طول الطرق الخارجية⁽⁶⁹⁾.

ويبدو أن هذه الانتصارات والانجازات سواء أكانت التوسعية منها أم العمل على ترسيخ أسس الأمن والاستقرار الداخلي على أيدي المماليك الكاملية هو ما دفع الملك الكامل محمد بعد أن ثبت له حرصهم الشديد في السهر على مصالح دولته إلى أن يصدر قراره بتعيين الأمير شمس الدين صواب العادلي⁽⁷⁰⁾، حاكماً على حصن كيفا⁽⁷¹⁾، مكافأة على إخلاصه وولائه له، واستمر الأمير العادلي في منصبه لهذه البلدة حتى وفاته 631هـ / 1233م، حيث عين الكامل بعد ذلك ابنه نجم الدين أيوب⁽⁷²⁾. ولعل ذلك يشير إلى الخبرة والدراية السياسية والعسكرية التي تميز بها المماليك في أثناء الحكم الأيوبي، وما تحقق لهم من نفوذ بسبب استمرار الخلافات الأيوبية - الأيوبية في الوقت ذاته.

ويتجلى هذا الخلاف، عندما اتخذ الملك الكامل محمد قراره أن يزحف بجيشه من مصر باتجاه دمشق سعياً لانتزاعها من ابن أخيه الناصر داود⁽⁷³⁾. ويبدو أن الأخير كان عاجزاً عن صد قوات أخيه مما اضطره - على مضض ودون رغبة - إلى الدخول في مفاوضات معه أفضت إلى عقد صلح بين الجانبين، وبموجبه يحتفظ الناصر داود ببصرى⁽⁷⁴⁾ وبعلبك وأعمالها⁽⁷⁵⁾ ويضم الملك الكامل دمشق إلى ملكه⁽⁷⁶⁾، ولكن وفاته التي جاءت بعد فترة قصيرة من ضمه لهذه المدينة أي في عام 635هـ / 1237م سرعان ما أدت إلى ظهور الصراع والتنافس على أشده بين الجانبين الأيوبي والمملوكي⁽⁷⁷⁾.

ففي الوقت الذي وجد فيه الناصر داود فرصته التي كان يتحينها لاستعادة دمشق، انتهز بعض كبار مماليك الملك الكامل محمد وفي مقدمتهم سيف الدين قليج⁽⁷⁸⁾ وعز الدين أيبك وغيرهم من أصحاب السلطة والنفوذ اشتداد الأزمة السياسية داخل البيت الأيوبي، فبادروا إلى عقد اجتماع طارئٍ للتشاور واختيار الشخصية التي تناسب المرحلة القادمة، ولكن يبدو أن اختلاف وجهات النظر بين المجتمعين حالت دون التوصل إلى رأي موحد⁽⁷⁹⁾، فمنهم من مال إلى تنصيب الناصر داود على أن يبادر إلى توزيع أموال أبيه على المماليك⁽⁸⁰⁾، ومنهم من أشار إلى تعيين العادل الثاني ابن الملك الكامل محمد، وهو الرأي الغالب. فمن ناحية يبدو أن الناصر داود قد رفض الاستجابة للعرض الذي تقدموا به. ومن ناحية أخرى هي أن المماليك كانوا قد نجحوا في أقناع الملك الكامل بتولية ابنه العادل الثاني قبل وفاته وتفضيله على ابنه الأكبر نجم الدين أيوب⁽⁸¹⁾.

لم تأت نصيحة كبار المماليك إلى الملك الكامل محمد وأمراء الدولة الأيوبية بتنصيب ولده العادل الثاني خلفاً له، واستبعاد نجم الدين أيوب دون تخطيط ودراسة مسبقة تحفظ هيبته ومكانته في الدولة، وتلبي تدريجياً طموحاتهم الساعية إلى إنهاء الحكم البيت الأيوبي والاستئثار بالسلطة.

فقد عرف عن العادل الثاني انصرافه الشديد في ممارسة اللهو والملذات والإسراف في تبذير الأموال، وعدم أهليته في تولي شؤون الحكم⁽⁸²⁾. في حين تميز أخوه الأكبر نجم الدين أيوب - الذي كان يعتقد أن الأمور ستؤول إليه - بالحنكة السياسية وقدرته على تصريف الأمور بحكمة، فضلاً عما تناهى إلى مسامح كبار المماليك بحكم قربهم من مركز القيادة ومن عيونهم من الأيوبيين عن الخطوات التي بدأ بترتيبها، وتتمثل بصورة أساس في شراء المماليك من بلاد القبجاق⁽⁸³⁾، التي كانت ملاذاً لكثير منهم بعد أن لجأوا إليها هرباً من أعمال القتل والبطش التي ارتكبها غزاة التتار بحقهم⁽⁸⁴⁾، كما عمد الصالح نجم الدين أيوب على شرائهم من بلاد الصين⁽⁸⁵⁾، إضافة إلى جلب أعداد كبيرة منهم من بلاد الترك والروم والأرمن⁽⁸⁶⁾ استعداداً لتسلم زمام الأمور والتصدي للخطر الكبير الذي بات يشكله مماليك والده، وتدخّلهم السافر في شؤون الدولة ومصالحها الداخلية والخارجية⁽⁸⁷⁾.

لقد استطاع المماليك تنفيذ خطتهم التي استندت إلى تعيين العادل الثاني حاكماً جديداً للدولة الأيوبية خلفاً لوالده الملك الكامل محمد، واستبعاد الصالح نجم الدين أيوب صاحب الشرعية في تولي هذا المنصب، من أجل تحقيق مكاسب سياسية وتعزيز مكانتهم في المشاركة في إدارة شؤون الدولة. فلم يكد يمضي على تولي العادل الثاني للسلطة فترة قصيرة حتى أخذ يغدق العطايا والمنح المالية الجزيلة، ويوزع مساحات كبيرة من الأراضي والإقطاعات على مماليكه⁽⁸⁸⁾. ولعل ذلك يشير إلى حجم الخطر الكبير الذي كان يتوقعه

من أخيه الأكبر الصالح نجم الدين أيوب⁽⁸⁹⁾، فأراد - أي العادل الثاني - بسياسته هذه ضمان وقوف ممالك والده إلى جانبه وولائهم له من ناحية، ومن ناحية أخرى كان يرمي إلى زيادة حدة الكراهية والعداء بين ممالكه، وممالك أخيه الذي لن يدخر جهداً في إقصاء ممالك والده وانتزاع سلطاتهم ونفوذهم السياسي.

فما كادت الأمور تستقر للعادل الثاني في مصر، حتى بدأ نجم الدين أيوب يرسم خطته ويبني شبكة من العلاقات مع المصريين المعارضين لسياسة أخيه لزعة الأوضاع الداخلية والإطاحة بحكمه⁽⁹⁰⁾ فغادر حصن كيفا وتوجه نحو دمشق التي نجح في الاستيلاء عليها وانتزاعها من الملك الجواد يونس نائب العادل⁽⁹¹⁾. ولعل ذلك يشير إلى أن نجم الدين أيوب أراد أن يكون أكثر قرباً للاطلاع عما يجري من أحداث وتطورات سياسية على الساحة المصرية، وتنفيذ التدابير اللازمة من أجل ضمان نجاح خطته التي يسعى إليها.

ومما يدفع إلى هذا الاعتقاد، القرار الذي اتخذته نجم الدين أيوب بتعيين ولده المغيـث عمر⁽⁹²⁾ على دمشق نيابة عنه في إدارة شؤونها⁽⁹³⁾، ثم تحركه جنوباً نحو الديار المصرية للاستيلاء عليها وبسط نفوذه فيها⁽⁹⁴⁾، فما كاد يصل نابلس ويستريح مع ممالكه فيها فترة قصيرة من الزمن، حتى تناهى إلى أخيه العادل من عيونه التي كانت تترصد خروج نجم الدين أيوب أخبار تحركاته وأهدافها الخطيرة، ولهذا، سارع - أي العادل - إلى ترتيب خطة بالشراكة مع كبار ممالكه، تقضي بإحباط هذه المؤامرة وإفشالها، حيث أرسل على وجه السرعة إلى أسد الدين شيركوه - صاحب حمص -⁽⁹⁵⁾ يطلب منه شن هجوم على دمشق بعد حصارها وانتزاعها من المغيـث عمر واعتقاله⁽⁹⁶⁾. كما أوعز إلى الناصر داود - صاحب الكرك - بملاقاة نجم الدين أيوب وإلقاء القبض عليه وسجنه⁽⁹⁷⁾.

لقد نجح الناصر داود في مهمته، حيث قبض على الصالح نجم الدين أيوب وزوجه شجر الدر⁽⁹⁸⁾ في ربيع الأول 637هـ / تشرين أول 1239م في الكرك - جنوب الأردن - وأودعهما السجن⁽⁹⁹⁾ مع عدد من ممالكه الذين بلغت عدتهم ما بين سبعين إلى ثمانين مملوكاً⁽¹⁰⁰⁾، وفي مقدمتهم مملوكاً يدعى ركن الدين بيبرس الذي نال من الحظوة والاهتمام الكبيرين عند الصالح نجم الدين⁽¹⁰¹⁾. وعندما علم العادل بنبأ اعتقال أخيه نجم الدين أيوب ومصادرة كل ما كان يحمله من أموال وثروات أصابته الغبطة والسرور⁽¹⁰²⁾، ثم عرض على الناصر داود مبلغاً من المال قدر بحوالي مائة ألف دينار مقابل تسليمه له، إلا أن الأخير رفض الاستجابة لهذا الطلب⁽¹⁰³⁾. ويرى أحد الباحثين المحدثين أن موقف الناصر داود هذا كان يخفي وراءه رغبته في استعادة أملاك أبيه المعظم عيسى في بلاد الشام⁽¹⁰⁴⁾. ويفهم من هذا، أن العادل كان يرغب في سجن أخيه في الديار المصرية من

أجل أن يكون قريباً منه وتحت بصره وحتى يضمن خلاصه من الخطر الذي كان يشكله نجم الدين أيوب وجماعته.

وخلال الفترة التي قضاهها نجم الدين أيوب في سجنه في الكرك أخذ العادل - الذي لم يخف عليه طيلة السنوات الماضية خطر المؤامرات التي كان يشكلها المماليك على أعمامه وإخوته وتدرجهم في الإطاحة بالحكم الأيوبي - يتفرغ للأمرء والمماليك الذين كانوا يناصرونه ووقفوا إلى جانبه في محنته، فبدأ باستبعاد ذوي السلطة والجاه منهم، وقطع رواتبهم⁽¹⁰⁵⁾ وأتى إلى بلاطه بأمرء جدد، إضافة إلى توجيه تعليماته بالاعتناء بالأطفال الذين كانوا يؤسرون في الحروب وعرفوا باسم الترابي⁽¹⁰⁶⁾. ولعل ذلك يشير إلى خطته في بناء جيش موال ومنظم يكفل له الأمن والحماية.

وعندما أحس المماليك بأن العادل مستمر في سياسته هذه تجاههم، وأنه لن يتراجع عنها، وجدوا أنه لا سبيل للاستعجال للتخلص منه سوى مراسلة أخيه الصالح نجم الدين أيوب الذي لم يكن قد مكث في سجنه طويلاً⁽¹⁰⁷⁾. حيث أفرج عنه بعد بضعة أشهر بموجب اتفاق عقد بينه وبين الناصر داود، يقضي بإعادة دمشق للأخير بعد أن يبسط الصالح نجم الدين أيوب سيطرته على الديار المصرية⁽¹⁰⁸⁾. بالتعاون مع مماليكه الذين وضعوا خطة محكمة لإزاحة العادل عن سدة الحكم قبل أن ينجح في تحقيق أهدافه.

ومن أجل هذا الأمر، كان المماليك الأشرفية قد وقفوا في مقدمة منفي الخطة، ثم لم يلبث أن انضمت إليهم طائفة المماليك الكاملية⁽¹⁰⁹⁾ وكانت خططهم جميعاً ترمي إلى دعوة الصالح نجم الدين أيوب إلى مصر وتسلمه زمام السلطة فيها، في الوقت الذي اجتمعت فيه العساكر جميعها تحت قيادة عز الدين أيبك وتوجهها نحو خيمة العادل وحصاره ثم اعتقاله⁽¹¹⁰⁾، وذلك ليلة الجمعة 8 ذي القعدة 637هـ/ حزيران 1239م⁽¹¹¹⁾. بعد فترة حكم قصيرة لم تدم سوى سنة وشهرين وبضعة أيام⁽¹¹²⁾، ليخلفه بعدها الصالح نجم الدين أيوب الذي دخل القاهرة يوم 27 ذي القعدة 637هـ/ حزيران 1240م⁽¹¹³⁾، وفور ذلك أصدر أوامره بزج أخيه العادل في سجنه في قلعة الجبل⁽¹¹⁴⁾، ثم أخذ يكافئ جميع الأمرء وكبار المماليك الذين نجحوا في تنفيذ الخطة⁽¹¹⁵⁾، وظل العادل رهين السجن في قلعة الجبل إلى أن أوعز أخوه الصالح نجم الدين أيوب 645هـ/ 1247م، بقتله على أيدي مماليكه⁽¹¹⁶⁾.

خاتمة:

يخلص الباحث إلى القول إن وجود المماليك في الدولة الأيوبية، وتعاظم نفوذهم فيها يعود بالدرجة الأولى إلى المسؤولية الجسيمة التي أخذها السلطان صلاح الدين الأيوبي

على عاتقه بعد إطاحته بالحكم الفاطمي في مصر 567هـ / 1171م، ومطاردة أتباع المذهب الشيعي وتصديه لمناوئيه وخصومه من آل زنكي في بلاد الشام، إلى جانب الهدف الرئيس وهو متابعة مشروع الجهاد والمقاومة الذي سار عليه أسلافه، وصولاً إلى تحرير بيت المقدس وتقويض أركان المملكة الصليبية اللاتينية.

وكان لزاماً عليه أمام ثقل هذا المشروع والتحديات الداخلية والخارجية الصعبة أن يلجأ إلى استقطاب أكبر عدد ممكن من طائفة مماليك عمه أسد الدين شيركوه التي عرفت بالأسدية، وأن يكسب ولاءهم وطاعتهم له، كما وجد أن الأمر كان يقتضي منه استجلاب مجموعات أخرى جديدة من المماليك ودمجهم في صفوف جنده وقواته الموالية له. ولكي يضمن ذلك فقد منح بعض من صدق في ولاءه وإخلاصه في القتال إلى جانبه ألقاباً ورتباً تشير إلى رفعة مكانته وعلو منزلته ومشاركته في اتخاذ قرارات في الجوانب السياسية والعسكرية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر المملوك مجاهد الدين إيباز الذي منح ولاية شهرزور وأعمالها، والمملوك علم الدين قيصر الذي حاز على عمل الخليل وغزة والداروم «دير البلح»، وغيرهم ممن لم ترد أسماءهم في المصادر التاريخية المتوافرة.

لقد عرفت طائفة المماليك التي نالت حظوتها واهتمامها من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي باسم طائفة المماليك الصلاحية التي أسهمت في ترتيب أوضاع الدولة الأيوبية سياسياً وعسكرياً توج بانتصار القوات الإسلامية على القوات الصليبية الغازية، وتحطيم قوتها في معركة حطين الشهيرة 589هـ / 1193م، واتخاذ خطوته بتقسيم أملاك الدولة الأيوبية بين أبنائه الذي لم ينل رضى كل واحد بنصيبه، مما سمح للطوائف المملوكية على اختلاف جنسياتها وميولها إلى الوقوف إلى جانب كل واحد من الإخوة واستعدادهم على بعضهم بعضاً.

ومما لا شك فيه أن نهج السلطان صلاح الدين الأيوبي في هذه القسمة قد زادت من حدة الخلافات والعداوة والحسد بين الإخوة، فسارع كل منهم إلى كسب ولاء المماليك وطاعتهم بإغرائهم بتقلد مناصب عليا وحساسة في الدولة، ومن ذلك المملوك الذي عرف باسم الأمير فخر الدين جهاركس، حيث ولّاه الملك العزيز عثمان بعد فراره من صفوف الملك الأفضل وظيفته «الاستادار»، وهي وظيفة تطلق على من تولى قبض مال الملك أو الأمير وإنفاقها حسب أوامره كما ورد عند القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ج5، ص439 - ص430.

وإلى جانب ذلك، أغدق ملوك بني أيوب وأمراؤهم أموالاً طائلة في سبيل استجلاب أعداد كبيرة من المماليك ممن عرفوا بدراية الحرب والفروسية، ونسبت كل طائفة منها إلى الملك أو الأمير الذي عكف على شرائها، ونالت منه كل رعاية واهتمام، ومنها - على سبيل

المثال - طائفة الأفضلية التابعة للملك الأفضل نور الدين الابن الأكبر للسلطان الأيوبي صلاح الدين، وطائفة العادلية التي تبعت للملك العادل أخو السلطان الأيوبي، والصالحية نسبة للملك الصالح نجم الدين أيوب، وهكذا..... وكثيراً ما انقلب بعض كبار الأمراء المماليك على الملك أو السلطان التابعين له ليلتحقوا في صفوف آخر، ويثيرون فيه الحقد والكراهية، ويدفعون به إلى محاربتهم، ومن ذلك الأمير المملوكي فارس الدين ميمون القصري، وشمس الدين سنقر الكبير، وغيرهم من الذين فرّوا من ديار الأفضل الشامية إلى العزيز عثمان في مصر، وإشغال نار الحرب بينهما.

ولعل هذا الأمر قد أسهم عن قصد أو غير قصد في انتقال مقاليد حكم الدولة الأيوبية إلى الملك العادل وأبنائه الذين ساروا على خطى أبناء عمهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، حين استعانوا هم الآخرين بالأمراء المماليك في نزاعاتهم وخصوماتهم، الذين وصلوا هذا النهج، كما حصل مع الملك العادل الثاني الذي قدموا له الدعم والمساندة ضد أخيه السلطان الصالح نجم الدين أيوب، ولكن ما لبثوا أن عادوا عن قرارهم هذا ووقفوا إلى جانب الأخير عندما حاول الملك العادل الثاني أن يحد من نفوذهم أو يسعى إلى استبدالهم في محاولة منه ترمي إلى إفشال طموحاتهم في التدرج في إنهاء حكم البيت الأيوبي. ولا شك أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب قد أدرك مدى الخطورة التي بات أمراء الممالك وأتباعهم يشكلونها على الدولة، فعندما استتبت له الأمور أخذ بملاحقتهم ومطاردتهم، حتى أولئك المقربين منه الذين كانت لهم اليد الطولى في تدبير انقلابه على أخيه العادل، وتوليه سدة الحكم في الديار المصرية.

الهوامش:

1. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ / 922م) تاريخ الرسل و، ج8لوك، ج8، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1966م)، ص6. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ / 1505م)، تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، (القاهرة، 1251م)، ص222. ابن تغري بردي، جمال الدين بن يوسف، (ت874هـ / 1465م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص233. العبادي، أحمد مختار. قيام دولة المماليك الأولى، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، د. ت)، ص11. الدوري، عبد العزيز. العصر العباسي الأول، (د. ن، بغداد، د. ط، د. ت)، ص277.
2. الكندي أبو عمر بن يوسف (ت350هـ / 961م) الولاة والقضاة، (طبعة روفن جست، بيروت 1908م)، ص202.
- Lane- Poole. History of Egypt in the middle Ages, (London, 1925) ,p. 60.
العبادي، أحمد مختار، قيام دولة المماليك، ص67 - 73.
3. الكتبي، محمد بن شاکر (ت764هـ / 1362م)، فوات الوفيات، ج1، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1980م)، ص329. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت930هـ / 1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، تحقيق: محمد مصطفى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1982م)، ص288. وبلاد القبجاق: إقليم في حوض الفولغا الواقع في الجنوب الشرقي من روسيا الحالية وشمال البحر الأسود والقوقاز، وكان القبجاقيون يعتمدون في معيشتهم على التنقل والترحال من مكان إلى آخر عن ذلك ينظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت821هـ / 1418م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4 (القاهرة، 1913 1919م)، ص458.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي (ت808هـ / 1405م)، كتاب المبتدأ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، ق1، (دار الكتاب اللبناني، د. ت)، ص806.
5. العيني، بدر الدين محمود، (ت855هـ / 1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك، (648 - 664هـ / 1250 - 1265م)، تحقيق محمد حسين أمين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م)، ص275. ابن الشحنة، عفيف الدين حسين محمد بن محمد (ت916هـ / 1510م). البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت) ص170.

6. جوانفيل. مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، (دار المعارف، مصر، ط1، 1968م)، ص137.
7. لمزيد من التفاصيل عن مثل هذه المؤامرات والدسائس، ينظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ / 1201م) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق محمد علي الطعاني، - رسالة ماجستير غير منشورة - (جامعة اليرموك، 1994م) ص360 - 363. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر عبد الله (ت732هـ / 1331م) ، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، 1972م) ، ص55-58. البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت622هـ / 1225م) سنا البرق الشامي، تحقيق، رمضان شتن، (دار كتاب الجديد، بيروت، 1980م) ، ص29. جبران، نعمان محمود. دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، ط1، 2000)، ص66 - 75. حسن، صفوان طه. تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار الفكر، عمان، الأردن، 1431هـ / 2010م) ، ص52 - 56.
8. جوانفيل. مذكرات، ص137.
9. القلقشندي، أحمد بن علي، (ت821هـ / 1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (دار الفكر، ط1، 1987م) ، ص458.
10. المصدر نفسه، ص458.
11. المصدر نفسه. ص458.
12. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ / 1266م) . كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، (دار الجيل، بيروت، د. ت) ، ص205. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت876هـ / 1471م) . شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، (د. ن، د. ط، د. ت) ، ص121. Lane- Poole. History, p242.
13. القلقشندي. صبح الأعشى، ج5، ص458.
14. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت809هـ / 1406م) . كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق2، (المكتب التجاري، بيروت، 1892م) ، ص19، 83.
15. مجاهد الدين إياز: لم يعثر الباحث على تعريف له.
16. ولاية شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان، ومعنى شهر بالفارسية المدينة، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله،

(ت626هـ/ 1228م)، معجم البلدان ج3، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م)، ص425.

17. علم الدين قيصر: هو أحد مماليك صلاح الدين الأيوبي، لعب دوراً كبيراً في مواجهة الصليبيين (587هـ/ 1191م). عن ذلك ينظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد بن حامد، (ت597هـ/ 1201م)، الفتح القسي في الفتح القدسي. تحقيق محمد محمود صبح، (القاهرة، 1965م)، ص564، 583، 591، 611.

18. الخليل: تقع على بعد 36كم إلى الجنوب من بيت المقدس، ينظر: الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج5، (ط جديدة، دار الهدى، كفر قرع، 1991م)، ص47.

غزة: تقع جنوب غرب فلسطين، يحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق الخليل وبئر السبع ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء ومن الشمال الرملة. ينظر: المرجع نفسه، ج1 ب، ص11.

الداروم (دير البلح): الدار كلمة سامية بمعنى الجنوب، وهي تقع إلى الجنوب من غزة. ينظر: المرجع نفسه، ج1 ب، ص290.

عسقلان: تقع إلى الشمال من غزة. المرجع نفسه، ج1 ب، ص156.

19. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص205.

20. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت637هـ/ 1239م)، الكامل في التاريخ، ج12، (دار صادر، بيروت، 1979م)، ص97. الحنبلي. شفاء القلوب، ص176. العزة، رئيسة عبد الفتاح. نابلس في العصر المملوكي، (دار الفاروق، نابلس، فلسطين، 1420هـ/ 1999م)، ص56.

21. الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك في الدولة الأيوبية 567 - 648هـ/ 1171 - 1250م، رسالة ماجستير - غير منشورة - كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1995م. ص133

22. المرجع نفسه، ص134. عرف المماليك الذين جلبهم الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الصين باسم الخطائية، عن ذلك ينظر: العيني. عقد الجمان ص275. ابن الشحنة، البدر الزاهر، ص170.

23. سميت بالأسدية نسبة إلى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، والذي توفي 564هـ/ 1168م، وتميزت هذه الفرقة بالقوة والشجاعة عن ذلك ينظر: أبو شامة. الروضتين، ج2، ص144. الحنبلي. شفاء القلوب، ص43.

24. سميت المماليك الصلاحية بهذا الاسم نسبة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي. كما سميت بالناصرية نسبة إلى لقبه الملك الناصر. سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ / 1257م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق1، ص279. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت876هـ / 1471م). شفاء القلوب ص67.
25. لمزيد من التفاصيل عن تقسيم الدولة الأيوبية ينظر: ابن الأثير. الكامل، ج12، ص97. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص224 - 225. الحنبلي. شفاء القلوب، ص176. غنيم، حامد. الجبهة الإسلامية في مصر في عصر الحروب الصليبية، (مكتبة الشباب، القاهرة، 1971م)، ص175 - 176. العبادي، أحمد مختار، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار النهضة العربية، بيروت، 1995م)، ص69.
26. يشار هنا إلى أن تنازل الأفضل عن القدس في بادئ الأمر، كان رغبة منه وبتدبير وزيره ضياء الدين ابن الأثير، من أجل حاجتها المستمرة إلى كميات وفيرة من المواد التموينية والعتاد العسكرية للدفاع عنها ضد محاولات الصليبيين احتلالها والاستيلاء عليها ثانية. عن ذلك ينظر: المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت845هـ / 1441م). كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق1، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط2، 1956 - 1970م)، ص115.
27. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص118. أبو شامة، الروضتين، ج2، ص229. المقرئزي. السلوك، ج1، ق1، ص115.
28. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت697هـ / 1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج3، تحقيق جمال الدين الشيال، (جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة، د. ت)، ص11-12. لم يعثر الباحث على تعريف لهاتين الشخصيتين ولكن وصفهما المقرئزي بأنهما من عظماء دولة الأفضل كما وصف فخر الدين جهاركس بأنه من أجل الأمراء الصلاحية المقرئزي. السلوك، ج1، ق1، ص115، ص117.
29. الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك، ص104.
30. ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص14 - ص15.
31. ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص29 - ص30. المقرئزي. ق2، لوك، ج1، ق2، ص116.
32. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت732هـ / 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28، وضع حواشيه محمد أمين ومحمد حلمي محمد، (القاهرة،

- 1412هـ / 1992م)، ص245. غوانمة، يوسف درويش، امارة الكرك الأيوبية، (ط2، دار الفكر، عمان، 1402هـ / 1982م)، ص176.
33. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص228 - ص229. ابن واصل. مفرج الكروب، ج3، ص30 - ص32.
34. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص144. الحنبلي. شفاء القلوب، ص43.
35. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص118. حمدي، حافظ أحمد. الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، (دار الفكر العربي، مصر، 1950م)، ص129 حاشية (1).
36. الملك العادل محمد (540 - 615هـ / 1145 - 1218م)، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، من كبار سلاطين الدولة الأيوبية، كان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين في أثناء غيابه في الشام. ولما صفا له جو الملك قسم البلاد بين أولاده. الزركلي، خير الدين. الأعلام قاموس تراجم، ج6، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980م). ص47.
37. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص155. ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ / 1348م) تتممة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدرابي، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1970م)، ص202. ابن دقماق. الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ج2، تحقيق محمد كمال الدين علي، (عالم الكتب، بيروت، 1985م)، ص26. ابن العماد. عبد الحميد بن أحمد بن محمد، (ت1089هـ / 1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، (دار إحياء التراث العربي، ط جديدة، بيروت، د. ت)، ص65.
38. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص119. المقرئزي. السلوك، 140 ق1، ص123.
39. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص229. المقرئزي. المصدر نفسه، ج1، ق1، ص124.
40. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص118.
41. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص229.
42. المصدر نفسه، ج2، ص230.
43. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص120. ابن خلدون. المبتدأ، ج5، ص724.
44. ناصر الدين محمد بن الملك العزيز عثمان، ولد بالقاهرة 585هـ / 1189م، مات والده وعمره تسع سنوات وأشهر عدة. ينظر: ابن الأثير. الكامل، ج12، ص120، 140. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص141. ابن خلدون. المبتدأ، ج5، ص724.

45. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص140. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص235.
46. ابن الأثير. المصدر نفسه، ج12، ص141. أبو شامة. المصدر نفسه، ج2، ص235.
47. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص155.
48. القيسراني، إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي الخالدي (ت753هـ / 1352م). النور اللائح والدر الصادح في إصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح "أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الناصر قلاوون" (743 - 746هـ / 1342 - 1345م)، تحقيق عبد السلام تدمري، (دار الإنشاء، ط1، 1982م)، ص55. المقرئزي. السلوك، ج1، ق1، ص154.
49. ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ / 1348م). تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدرائي، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1970م) ص202، ابن دقماق. الجواهر الثمين، ج2، ص26، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص65.
50. المقرئزي. السلوك، ج1، ق1، ص147، 175.
51. لمزيد من التفاصيل عن هذا الهجوم الصليبي، ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص258، 261، ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ / 1282م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1977م)، ص75.
52. أبو شامة. الذيل على الروضتين، (دار الجيل، بيروت، ط2، 1974م)، ص111.
53. ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص258 - 259. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، (ت874هـ / 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، (دار الكتب المصرية، 1949م)، ص222.
54. الملك الكامل محمد (576 - 635هـ / 1180 - 1238م) ابن محمد العادل ابن أيوب، ولد بمصر، وأعطاه أبوه الديار المصرية، فتولاها مستقلا بعد وفاته 615هـ / 1165م. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج7، ص28.
55. المعظم عيسى (576 - 624هـ / 1180 - 1227م) بن محمد (الملك العادل) أبي بكر بن أيوب كان له ما بين بلاد حمص والعريش، يدخل في ذلك بلاد الساحل التي في أيدي المسلمين وبلاد الغور وفلسطين والكرك والشوبك، وكان عالما بفقته الخنفية والعربية. ولد في القاهرة وتوفى بدمشق. الزركلي. خير الدين. الأعلام، ج5، ص107 - 108.

56. خلاط: من مدن أرمينيا، الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، (مكتبة لبنان، ط2، 1984م)، ص220.
57. ابن لقلق، كيرلس الثالث (د.ت). تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، (613 - 641هـ/ 1216 - 1243م)، مج4، ج1، نشر: أنطون خاطر وأزولد بورمستر، (مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، 1974م)، ص24. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص351 - 352. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج5، ص76. ابن واصل. مفرج الكروب، ج3، ص229. ابن دقماق، ج12 الجواهر الثمين، ج2، ص26. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص227.
58. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص352.
59. المصدر نفسه، ج12، ص463.
60. غوانمة، يوسف درويش. أضواء جديدة على الملك الناصر داود وتحرير بيت المقدس مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ص96 - 107.
61. ابن الأثير. الكامل، ج10، ص482. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص225 - 226.
62. المصدر نفسه، ج12، ص352.
63. عز الدين أيبك المعظمي: أمير من المماليك يُعرف بصاحب صرخد، كان مملوكاً للملك المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي في دمشق، وأقطع مدينة صرخد من أعمال حوران السورية، ثم أخذ منه الصالح أيوب صرخد، اعتقل في القاهرة إلى أن مات 646هـ/ 1248م. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج2، ص33.
64. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص463.
65. المقرئزي. السلوك، ج1، ق1، ص299. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص320.
- الملك الصالح نجم الدين أيوب: (603 - 647هـ/ 1206 - 1249م) بن محمد الملك الكامل بن أبي بكر العادل بن أيوب، من كبار الملوك الأيوبيين بمصر ولد ونشأ في القاهرة وولي بعد خلع أخيه العادل الثاني 637هـ/ 1196م. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج2، ص38.
66. العيني، بدر الدين محمود (ت855هـ/ 1451م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك "648 - 664هـ/ 1250 - 1265م"، تحقيق محمد أمين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م)، ص264. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص320.

67. الحملة الصليبية الخامسة على مصر: كان البابا إينوسنت الثالث 1198 - 1216م، قد دعا في مجمع لاتيران الرابع في شهر تشرين ثاني 1215م إلى شن حملة صليبية جديدة في المشرق تحت زريعة تحرير الأماكن المقدسة. وكان حنا دي برين الملك الصليبي على عكا قد اقترح على قادة الحملة مهاجمة الاسكندرية أو دمياط في مصر، اعتقاداً منه بأن السيطرة على أي منها سيؤدي إلى إتاحة الفرصة أمامهم للتقدم نحو القدس ومحاولة استعادتها. لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة ونتائجها ينظر: ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج12، ص323 - 331، ابن واصل. مفرج الكروب، ج3، ص258 - 261. يوسف، إفرام عيسى. الحملات الصليبية كما يرويها المؤرخون السريان، ترجمة فخري العباسي، (دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م)، ص250 - 255. سميت، جوناثان رايلي. تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د. قاسم عبده قاسم، (عين للدراسات، ج. م. ع، ط1، 1427هـ / 2007م)، ص200.
68. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص235. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير. (ت911هـ / 1505م). كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج2، (مطبعة الموسوعات مصر، د. ت)، ص37، والجزيرة هي المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات في العراق. عن ذلك ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت626هـ / 1229م)، معجم البلدان، ج2، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م)، ص134.
69. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص156.
70. شمس الدين صواب العادلي هو مقدم جيوش المماليك العادلية، واعتمد عليه كذلك الملك الكامل، توفي بحران 632هـ / 1234م. عن ذلك ينظر: سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي، (ت654هـ / 1257م). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق2، (حيدر آباد الدكن، الهند، 1951 - 1953م)، ص694. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ / 1363م). الوافي بالوفيات، ج16، (دار فرانز شتاين، ط1، 1411هـ / 1991م)، ص339.
71. حصن كيفا: بلدة وقلعة عظيمة تشرف على نهر دجلة. ينظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج2، ص265.
72. سبط ابن الجوزي، ج8، ق2، ص707.
73. الناصر داود ابن المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، ولد 603هـ / 1206م، وتوفي 656هـ / 1258م، وكان قد تولى أمر دمشق بعد وفاة والده، عن ذلك، ينظر: الكتبي.

- فوات الوفيات، ج1، ص419.
74. بصرى: من أعمال دمشق، وهي قصة كورة حوران. ياقوت الحموي شهاب الدين بن أبي عبد الله (ت626هـ / 1239م) معجم البلدان، ج1، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م)، ص522.
75. بعلبك: مدينة لبنانية، أطلق عليها الرومان اسم هيلوبوليس (Heliopolis) وتعني مدينة الشمس. فريحة، أنيس معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، (مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1992م)، ص27.
76. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص228 - 230. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص233. الكتبي. فوات الوفيات، ج1، ص419.
77. ابن لقلق، كيرلس الثالث. تاريخ بطاركة الكنيسة، مج4، ج2، ص79 - 80. ابن الجوزي. مرآة الزمان، ص705. ابن واصل. مفرج الكروب، ج5، ص155. ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت723هـ / 1323م). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، (المكتبة العربية، بغداد، د. ت)، ص107. المقرئزي. كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، طبولاق، 1270هـ / 1853م)، ص88. العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الملكي، (ت1111هـ / 1699م). سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، ج4، (المطبعة السلفية، د. ت)، ص13.
78. سيف الدين بن قليج: لم يعثر الباحث على تعريف له.
79. ابن الجوزي. مرآة الزمان، ص707.
80. المصدر نفسه، ص707. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص303 - 304.
81. ابن تغري بردي. المصدر نفسه، ج6، ص303. ابن واصل. مفرج الكروب، ج4، ص278.
82. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص333. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج2، ص36. الحنبلي. شفاء القلوب، ص366. حسين، حمدي عبد المنعم دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د. ط، 1999م)، ص122. العريني، السيد الباز. الأيوبيون، (دار النهضة العربية، القاهرة، د. ط، د. ت)، ص133. سالم، السيد عبد العزيز. تاريخ الأيوبيين والمماليك، (مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2004م)، ص188.
83. الكتبي. فوات الوفيات، ج1، ص235. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،

- ت764هـ / 1363م). الوافي بالوفيات، ج10، تحقيق أيدير ثابت، (بفيسبادن، دار صادر، بيروت، 1980م)، ص329. ابن اياس. بدائع الزهور، ج1، ق1، ص288.
84. جوانفيل. مذكرات جوانفيل، ص137.
85. عرف المماليك الذين جلبهم الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الصين باسم الخطائية. عن ذلك ينظر: العيني. عقد الجمان، ص275. ابن الشحنة، عفيف الدين حسين محمد بن محمد، (ت916هـ / 1510م). البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت) ص170.
86. ابن خلدون. كتاب المبتدأ، ج5، ق1، ص806.
87. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص278.
88. المقرئزي. الخطط، ج3، ص89. الحنبلي. شفاء القلوب، ص366. القرمانى، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (ت1019هـ / 1610م). أخبار الدول وأثار الأول، (د. ن، د. ط، د. ت) ص196.
89. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص115.
90. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص65.
91. الملك الجواد يونس (000 - 641هـ / 000 - 1243م) بن مودود بن الملك العادل محمد بن أيوب، من أمراء الدولة الأيوبية، ولي دمشق 635هـ / 1237م، بعد موت الكامل. تعرض للاعتقال من قبل الناصر داود في القدس، ويقال أنه هرب إلى عكا وهي بأيدي الصليبيين فأقام معهم، وبذل لهم الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق يؤمئذ مالا وتسلم الجواد منهم واعتقله ثم خنقه. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج8، ص263.
92. المغيث عمر (000 - 642هـ / 000 - 1244م) جلال الدين بن الصالح نجم الدين أيوب، من أمراء الدولة الأيوبية، كان نائب دمشق وتوفى بها. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج5، ص42.
93. ابن الوردي. تتمة المختصر، ج2، ص246.
94. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج5، ص84. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص66. ابن خلدون. المبتدأ، ج5، ص773.
95. أسد الدين شيركوه (الثاني) (569 - 636هـ / 1173 - 1239م) بن محمد بن شيركوه أسد الدين، أبو الحارث، من ملوك بني أيوب، كان صاحب حمص كأبيه وجدته واشتهر بالشجاعة، وتوفى في حمص السورية. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج3، ص183.

96. ابن الوردي. تتمة المختصر، ج2، ص246.
97. أبو شامة. الذيل، ص169. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص66.
98. شجر الدر (ت655هـ / 1257م) أم خليل، الملقبة بعصمة الدين، ملكة مصر. أصلها من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده، وولدت له ابنه خليلاً، فأعتقها وتزوجها. وعندما تولى السلطنة في مصر كانت في بعض الأحيان تدير أمور الدولة عند غيابيه في الغزوات. ولما توفي الملك الصالح سنة 647هـ / 1249م بالمنصورة والمعارك محتدمة بين جيشه والصليبيين أخفت خبر موته. وتقدمت للملك وخطب لها على المنابر وضربت السكة باسمها وتزوجت من عز الدين أيبك، وقيل أنها ماتت خنقاً. الزركلي خير الدين. الأعلام، ج3، ص158.
99. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج5، ص85. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص140. ابن دقماق، الجوهري، ج2، ص33. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص307. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ / 1679م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط جديدة، د. ت)، ص183. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، (ت774هـ / 1372م). البداية والنهاية، ج13، تحقيق أحمد أبو ملح وأخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1987م)، ص153 - 154.
100. المقرئزي. الخطط، ج3، ص90. العيني. عقد الجمان، ص279.
101. هو بيبرس البندقداري الصالحي، أنزل به الصالح نجم الدين أيوب بعد إطلاق سراحه وتوليه زمام السلطة في مصر عقوبة الإعدام بعد انضمامه إلى الخوارجية، (وهم طائفة من التتار) وهو غير الظاهر بيبرس البندقداري الذي تولى السلطة في مصر عقب انتصاره على التتار في معركة عين جالوت، 658هـ / 1260م. ينظر: أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص79. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص322.
102. المقرئزي. السلوك، ج1، ق2، ص289 - 290.
103. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص67. الياضي. مرآة الجنان، ج4، ص94. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص183. ابن العميد، جرجس. أخبار الأيوبيين، نشره وحققه كلود كاهن، (مجلة المعهد العلمي، دمشق، عدد7، 1955 - 1957م). ص147.
104. الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك، ص130.
105. ابن دقماق، الجوهري الثمين، ج2، ص34. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص308.

106. أطلق هذا الاسم في عهد الدولة الفاطمية. بمصر على الأطفال من أسرى الحروب، ثم تتم عملية تدريبهم على استخدام السلاح وأساليب القتال إلى جانب تعليمهم القراءة والكتابة، حتى وصل بعضهم إلى رتبة أمير للخليفة. ينظر: المقرئزي. السلوك، (ج، ق2، ص275).
107. المقرئزي. الخطط، ج3، ص95. الحنبلي. شفاء القلوب، ص373. جبران، نعمان محمود. دراسات في تاريخ الأيوبيين، ص190.
108. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص141. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص68. ابن الوردي. تنمة المختصر، ج2، ص247. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص310.
109. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص183. العبادي، أحمد مختار. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، د. ت)، ص93.
110. ابن لقلق. تاريخ بطاركة، مج4، ج2، ص103. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص141. اليافعي. مرآة الجنان، ج4، ص92. المقرئزي. السلوك، ج1، ق1، ص295. العيني. عقد الجمان، ص263. الحنبلي. شفاء القلوب، ص366.
111. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص68. المقرئزي. الخطط، ج3، ص89.
112. ابن إياس. بدائع الزهور، ج3، ص269.
113. ابن خلكان. الوافي بالوفيات، ج5، ص85. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص141. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، ج10، ص247، ابن خلدون. المبتدأ، ج5، ص774.
114. القرمانى، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (ت1019هـ / 1610م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، (د. ن، د. ط، د. ت)، ص196. وقلعة الجبل تقع بين ظاهر القاهرة وجبل المقطم والفسطاط، في مكان مرتفع. ينظر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص421 - 422. حسن، صفوان طه. تاريخ الأيوبيين، ص129. العبادي، أحمد مختار. في التاريخ الأيوبي والملوكي، ص80.
115. ابن لقلق، تاريخ بطاركة، مج4، ج2، ص104.
116. اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص92. المقرئزي. السلوك، ج1، ق2، ص327. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص332. الحنبلي. شفاء القلوب، ص367.

المصادر والمراجع:

أولاً- مصادر البحث:

1. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت637هـ / 1239م).
- الكامل في التاريخ، ج12، (دار صادر، بيروت، 1979م).
2. الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ / 1201م).
- البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق محمد علي الطعاني، - رسالة ماجستير غير منشورة - (جامعة اليرموك، 1994م).
- الفتح القسي في الفتح القدسي. تحقيق محمد محمود صبح، (القاهرة، 1965م).
3. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت930هـ / 1523م).
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، تحقيق: محمد مصطفى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1982م).
4. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر عبد الله (ت732هـ / 1331م).
- كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، 1972م).
5. البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت643هـ / 1245م).
- سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، ق1، ط1، بيروت، لبنان، 1971م).
6. ابن تغري بردي، جمال الدين بن يوسف، (ت874هـ / 1465م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، (دار الكتب المصرية، 1949م).
7. جوانفيل. مذكرات جوانفيل.
- القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، (دار المعارف، مصر، ط1، 1968م).
8. سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي، (ت654هـ / 1257م).
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق2، (حيدر آباد الدكن، الهند، 1951 - 1953م).
9. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت876هـ / 1471م).
- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، (د. ن، د. ط، د. ت).

10. الحميري، محمد بن عبد المنعم.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، (مكتبة لبنان، ط2، 194م).
11. ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي (ت808هـ / 1405م).
- كتاب المبتدأ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، ق1، (دار الكتاب اللبناني، د.ت).
12. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ / 1282م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1977م).
13. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائي (ت809هـ / 1406م).
- الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ج2، تحقيق محمد كمال الدين علي، (عالم الكتب، بيروت، 1985م).
- كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق2، (المكتب التجاري، بيروت، 1892م).
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ / 1505م).
- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، (القاهرة، 1251م).
- كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج2، (مطبعة الموسوعات مصر، د.ت).
15. ابن الشحنة، عفيف الدين حسين محمد بن محمد (ت916هـ / 1510م).
- البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت).
16. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ / 1266م).
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، (دار الجيل، بيروت، د.ت).
- الذيل على الروضتين، (دار الجيل، بيروت، ط2، 1974م).
17. الصفدي، صالح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ / 1363م).

18. الوافي بالوفيات، ج16، (دار فرانز شتاين، 1411هـ / 1991م).
18. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ / 922م).
- تاريخ الرسل والملوك، ج8، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، القاهرة، ط4، 1966م).
19. العيني، بدر الدين محمود، (ت855هـ / 1451م).
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر السلاطين المماليك، (648 - 664هـ / 1250 - 1265م)، تحقيق محمد محمد أمين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م).
20. العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي، (ت1111هـ / 1699م).
- سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، ج4، (المطبعة السلفية، د.ت).
21. ابن العميد، جرجس.
- أخبار الأيوبيين، نشره وحققه كلود كاهن، (مجلة المعهد العلمي، دمشق، عدد7، 1955 - 1957م).
22. ابن العماد. عبد الحميد بن أحمد بن محمد، (ت1089هـ / 1679م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، (دار إحياء التراث العربي، ط جديدة، بيروت، د.ت).
23. ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت723هـ / 1323م).
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، (المكتبة العربية، بغداد، د.ت).
24. أبو الفداء، إسماعيل بن عماد الدين صاحب حماه، (ت732هـ / 1231م).
- المختصر في أخبار البشر، 4 أجزاء في مجلدين، (ط1، المطبعة الحسينية، د.ت).
25. القلقشندي، أحمد بن علي، (ت821هـ / 1418م).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (دار الفكر، ط1، 1987م).
26. القيسراني، إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي الخالدي (ت753هـ / 1352م).
- النور اللائح والدر الصادح في إصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح "أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الناصر قلاوون" (743 - 746هـ / 1342 - 1345م)، تحقيق

- عبد السلام تدمري، (دار الإنشاء، ط1، 1982م)، ص55.
27. القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (ت1019هـ / 1610م).
- أخبار الدول وأثار الأول، (د. ن، د. ط، د. ت).
28. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، (ت774هـ / 1372م).
- البداية والنهاية، ج13، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1987م).
29. الكندي أبو عمر بن يوسف (ت350هـ / 961م).
- الولاة والقضاة، (طبعة روفن جست، بيروت، 1908م)
30. الكتبي، محمد بن شاكر (ت764هـ / 1362م).
- فوات الوفيات، ج1، تحقيق: إحسان عباس، (دار صاور، بيروت، 1980م).
31. ابن لقلق، كيرلس الثالث (د. وفاه).
- تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية،، ج 113 - 641هـ / 1216 - 1243م)،
مج4، ج1، نشر: أنطون خاطر وأزولد بورمستر، (مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، 1974م).
32. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت845هـ / 1441م).
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق1، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط2، 1956 - 1970م).
- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط بولاق، 1270هـ / 1853م).
33. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت732هـ / 1332م) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28. وضع حواشيه محمد أمين ومحمد حلمي محمد، (القاهرة، 1412هـ / 1992م).
34. ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ / 1348م).
- تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدرابي، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1970م).
35. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت697هـ / 1298م).

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج3، تحقيق جمال الدين الشيال، (جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة، د. ت).

36. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، (ت626هـ / 1228م).

- معجم البلدان ج3، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ / 1990م).

37. اليافعي. محمد أبي عبدالله بن أسعد علي بن سليمان اليمني المكي (ت768هـ / 1366م)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، 4 أجزاء، (مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدرآباد الدكن، 1979م)

ثانياً مراجع البحث:

1. جبران، نعمان محمود.

- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، ط2000)

2. الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك في الدولة الأيوبية (567 - 648هـ / 1171 - 1250م) رسالة ماجستير - غير منشورة - كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1995م.

3. حمدي، حافظ أحمد.

- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، (دار الفكر العربي، مصر، 1950م).

4. حسين، حمدي عبد المنعم.

- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د. ط، 1999م).

5. حسن، صفوان طه.

- تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار الفكر، عمان، الأردن، 1431هـ / 2010م)

6. الدوري، عبد العزيز.

- العصر العباسي الأول، (د. ن، بغداد، د. ط، د. ت).

7. الدباغ، مصطفى مراد.

- بلادنا فلسطين، ج5، (ط جديدة، دار الهدى، كفر قرع، 1991م).

8. الزركلي خير الدين.
- الأعلام قاموس تراجم، ج6، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980م).
9. سميث، جوناثان رايلي.
- تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د. قاسم عبده قاسم، (عين للدراسات، ج. م. ع، ط1، 1427هـ / 2007م).
10. العبادي، أحمد محтар.
- قيام دولة المماليك الأولى، (مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د. ط، د. ت).
11. العزة، رئيسة عبد الفتاح.
- نابلس في العصر المملوكي، (دار الفاروق، نابلس، فلسطين، 1420هـ / 1999م).
12. العريني، السيد الباز.
- الأيوبيون، (دار النهضة العربية، القاهرة، د. ط، د. ت).
13. غنيم، حامد.
- الجبهة الإسلامية في مصر في عصر الحروب الصليبية، (مكتبة الشباب، القاهرة، 1971م).
14. غوانمة، يوسف درويش.
- إمارة الكرك الأيوبية، (ط2، دار الفكر، عمان، 1402هـ / 1982م).
- أضواء جديدة على الملك الناصر داود وتحرير بيت المقدس، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ص96 - 107.
15. فريحة، أنيس.
- معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، (مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1992م).
16. يوسف، إفرايم عيسى.
- الحملات الصليبية كما يرويها المؤرخون السريان، ترجمة فخري العباسي، (دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م).

ثالثاً. المراجع الأجنبية:

1. Lane- Poole. *History of Egypt in the middle Ages*, (London, 1925).

**السياسة الصليبية الإسبانية
تجاه بلاد المغرب بُعيد سقوط غرناطة
(1492-1504 م / 897-910 هـ) ***

د. عامر أحمد قبيج **

* تاريخ التسليم: 6 / 1 / 2015م، تاريخ القبول: 30 / 3 / 2015م.
** أستاذ مساعد / قسم التاريخ / كلية العلوم الإنسانية / جامعة النجاح الوطنية / نابلس / فلسطين.

ملخص:

مثّلت السياسة الإسبانية تجاه بلاد المغرب الإسلامي حلقة مهمة من حلقات الحروب الصليبية المتأخرة، ورغم عودة جذور الأطماع الإسبانية في بلاد المغرب إلى عهود مبكرة من تاريخ الصراع الإسلامي المسيحي؛ إلا أنها قويت بعد ضعف الدولة الموحدية وانهارها في كل من الأندلس والمغرب منذ القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري.

وبلغت السياسة العدائية ذروتها؛ عندما تمكّن الإسبان من إنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس بُعيد سقوط غرناطة؛ آخر المعاقل الإسلامية عام 1492م، وحينها أصبح الطريق ممهداً لنقل الصراع إلى بلاد المغرب، برعاية بابوية، وبتوجيه وتنفيذ مباشر من المؤسسة الدينية والسياسية الإسبانية على حد سواء، لتحقيق أهداف استعمارية، وتنصيرية، وسياسية، واقتصادية، فسيطر الإسبان على بلدي مليلة وغساسة، واتخذوا منهما موطئ قدم للسيطرة على باقي المناطق الساحلية، فمثلت السيطرة عليهما باكورة الإنجازات الاستعمارية الإسبانية في بلاد المغرب خلال القرن السادس عشر.

Crusader Spanish Policy Towards Al- Maghreb After the Fall of Granada from 1492- 1504 A. D. (897- 910 AH)

Abstract:

The Spanish policy towards Islamic Maghreb countries represented an important series of the Christian- Muslim conflict in the structure of the ancient Crusades Wars. The Spanish root- goals in the Maghreb countries refer to the early eras of that history of the conflict, but their echoes were soon carried out on the ground after the weakness and collapse of the Almohad State in Al- Andalus and Maghreb countries at beginning of the 13th A. D.

The aggressive policy reached its climax when the Spaniards eliminated the Islamic rule in Al- Andalus after the collapse of Granada in 1492 A. D. Thus, the way became so easy to shift the conflict to the Maghreb countries under the auspices of the papacy and direct supervision of the Spanish religious and political establishments to control the Maghreb countries and to evangelize its people. The colonialists had other political and economic ambitions, and so they controlled the two towns of Melilla and Ghasasa, which formed the climax of the Spanish colonial achievements in the Maghreb countries, and used them as a foothold to launch and control the rest of the coastal areas during the 16th century.

توطئة:

درج كثير من المؤلفات التاريخية المختصة بالصليبيات على استثناء الحروب التي شنها الإسبان ضد المسلمين في الأندلس والمغرب من دائرة اهتماماتها، وبات مفهوم «الحروب الصليبية» مرتبطاً بوجه حصري بالفعاليات العسكرية الأوروبية الغربية ضد بلاد الشرق الأدنى الإسلامي، خلال الفترة الواقعة من 1095م / 488هـ وحتى 1291م / 690هـ، رغم افتقار ذلك للمصداقية التاريخية، لأن الحروب الصليبية بعد التاريخ الأخير انتقلت من طور إلى آخر، والدليل على ذلك؛ الحملات الصليبية الأوروبية التي سُنت بعده ضد بلاد المشرق والمغرب على حدّ سواء، وما الحروب الإسبانية-البابوية ضد مسلمي الأندلس، إلا حلقة من حلقات الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين، وهذا ما ينطبق على الاستهداف الصليبي الإسباني لبلاد المغرب، ابتداءً من نهاية القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، مروراً بالمرحلة التي أعقبت سقوط غرناطة، وانتهاءً بالحملات الإسبانية ضد مدن بلاد المغرب طوال معظم عقود القرن السادس عشر، فشكّلت الجبهة الإفريقية الشمالية مسرحاً نشطاً لقوى العدوان الإسبانية برعاية بابوية؛ لاعتبارات تاريخية وجغرافية ودينية، وعلى الرغم من أهمية هذه الجبهة وحيويتها في تاريخ الحركة الصليبية؛ إلا أنها لم تلق الاهتمام الكافي من جانب المؤرخين والدارسين.

ومن هذا المنطلق وقع الاختيار على موضوع هذا البحث، والموسوم بـ «السياسة الصليبية الإسبانية تجاه بلاد المغرب بعيد سقوط غرناطة 1492 - 1504م / 897 - 910هـ، والمقصود به: دراسة خلفيات الاستهداف الصليبي الإسباني ودوافعه وملابساته لبلاد المغرب الإسلامي، منذ سقوط غرناطة وحتى السيطرة الإسبانية على بلدتي مليلة وغيصاسة الواقعتين شمال شرق بلاد المغرب الأقصى.

وتكمن أهمية دراسة هذه الفترة التاريخية؛ بتمثيلها لإحدى أهم حلقات تاريخ الصليبيات المتأخرة في الجناح الغربي من العالم الإسلامي، والتي شكّلت القاعدة الرئيسة للمراحل الاستعمارية اللاحقة، مما أدى إلى نجاح الإسبان في السيطرة على معظم أراضي بلاد المغرب الشمالية.

ومما يميز أحداث تلك الفترة؛ ازدياد النزعة الصليبية الإسبانية تجاه مسلمي الأندلس والمغرب على حدّ سواء، وبخاصّة بُعيد سقوط غرناطة، فكانت هذه النزعة بمثابة الرافعة والمحرك الأساس لرحى السياسة الاستعمارية الإسبانية تجاه بلاد المغرب بخاصة، جنباً إلى جنب مع العوامل والدوافع الأخرى، كالعوامل السياسية والاقتصادية والانتقامية،

والدفاعية في وجه حركة الجهاد البحري الإسلامي انطلاقاً من موانئ بلاد المغرب، وللحيلولة دون عودة المنفيين الأندلسيين ثانية إلى بلادهم، ومنع النجيدات المغربية من تقديم يد العون لمن بقي منهم في بلاد الأندلس.

وارتبطت النزعة الاستعمارية الإسبانية تجاه بلاد المغرب بمدى التقدم الذي كانت تحرزه الممالك المسيحية على الجبهة الأندلسية، فكلما امتد النفوذ الإسباني نحو الجنوب؛ تعززت القناعات لدى المؤسسة السياسية والدينية بضرورة استهداف مدن بلاد المغرب، والسيطرة على أراضيه.

وإذا كانت بذور عمليات الاستهداف الإسبانية قد زرعت على خلفية الضعف الذي ألم ببلاد المغرب بسبب هزيمة الدولة الموحدية⁽¹⁾ في معركة العقاب⁽²⁾ عام 1212م/ 609هـ؛ إلا أنها بدأت تؤتي أكلها ابتداءً من نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، حيث كان لهذه الهزيمة أثر كبير في توجيه دفعة الصراع الإسباني نحو بلاد المغرب، من خلال تجريد الحملة تلو الأخرى ضد مدنه الساحلية، بعد أن كانت تلك البلاد مهابة الجانب تحت حكم الموحدين.

ومن أهم هذه الحملات؛ تلك التي جرّدها بيدرو الثالث (1276- 1285م) Pedro III ملك أراغون، في حزيران 1282م/ ربيع أول 681هـ ضد مدينة القالة⁽³⁾، وتكونت من مائة وخمسين سفينة، حملت على متنها خمسة عشر ألف جندي، وذلك بدعم من البابا مارتيانو الرابع (1281- 1285م) Martino IV، مما أدى إلى احتلال المدينة وإحراقها، بعد أن هرب سكانها إلى الجبال، ثم ما لبثت القوات المعتدية أن رحلت عنها في الثالث من آب/ السابع والعشرين من ربيع الآخر من العام نفسه⁽⁴⁾.

كما تعرضت جزيرة جربة⁽⁵⁾ عام 1284م/ 683هـ لهجوم أراغوني عنيف، مما أدى إلى احتلالها، وحرق بيوتها، وقتل الآلاف من أهلها وأسره، واستمر احتلالها عاماً كاملاً، بنى الأراغونيون خلاله قلعة اتخذت فيما بعد قسبة للحكم⁽⁶⁾، وفي عام 1289م/ 688هـ جرد الملك الأراغوني الفونسو الثالث / Alfonso III (1285- 1291م) 690- 684هـ) جيشاً ضد مدينة طرابلس⁽⁷⁾، ولكنه لم يستطع السيطرة عليها، فخرج على مدينة المهديّة⁽⁸⁾ وقام بنهبها⁽⁹⁾.

ونظراً لاستئثار الأراغونيين بهذه الحملات، فقد حرصت مملكة قشتالة على مزاحمتهم؛ بهدف إيجاد موطئ قدم لها على السواحل الإفريقية الشمالية؛ ففي عام 1251م/ 649هـ غزا ملك قشتالة فرناندو الثالث (1217- 1252م) Fernando III مدينة سبتة⁽¹⁰⁾، ولكنه أخفق في السيطرة عليها⁽¹¹⁾.

وفي التاسع والعشرين من تشرين الثاني 1291م / السادس من ذي الحجة 690هـ وقع ملك قشتالة سانشو الرابع (Sancho IV) (1295-1257) وملك أراغون خايمي الثاني (Jaime II) (1327-1291) معاهدة في مدينة مونتيغودو Monteagudo الواقعة شمال شرق إسبانيا، ونصت على ضرورة بذل الجهود المشتركة للسيطرة على بلاد المغرب، بقيام القشتاليين باحتلال الأراضي الواقعة إلى الغرب من نهر ملوية⁽¹²⁾، وقيام الأراغونيين باحتلال الأراضي الواقعة إلى الشرق منه، ومن ثم العمل على ضمها إلى مملكة هسبانيا Hispania، وفق التقليد الروماني القديم⁽¹³⁾.

واستمراراً للسياسة الإسبانية المعادية، فقد تواصلت الهجمات ضد المدن الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري، ففي عام 1354م / 755هـ سيطر الملك الأراغوني بيدرو الرابع (Pedro IV) (1387-1336) على مدينة طرابلس، بمساعدة إيطالية وجنوية، فنُهبت المدينة وقُتل وأُسر كثير من سكانها، ودامت السيطرة المسيحية عليها خمسة شهور⁽¹⁴⁾.

وعادت الحملات المسيحية لتستهدف جزيرة جربة من جديد، ففي عام 1377م / 779هـ قام الصقليون والجنويون بتجريد حملة عسكرية ضدها، مما أدى إلى احتلالها وإلحاقها بصقلية التي كانت حينذاك تتبع التاج الأراغوني، وفي عام 1399م / 801هـ فشل الإسبان في احتلال مدينة عنابة⁽¹⁵⁾؛ نتيجة الدفاع المستميت الذي أبداه أهلها⁽¹⁶⁾، وفي العام نفسه احتلوا مدينة تطوان⁽¹⁷⁾، واستمروا فيها حتى عام 1401م / 803هـ بعد تخريبها وقتل معظم سكانها وأسره، وفي عام 1424م / 827هـ جرد الإسبان حملة عسكرية ضد جزائر قرقرنة⁽¹⁸⁾، مما أدى إلى احتلالها بعد قتل المئات من سكانها وأسره، ولكنهم ما لبثوا أن انسحبوا منها بعد مدة وجيزة⁽¹⁹⁾.

وفي عام 1432م / 835هـ قاد ملك أراغون الفونسو (Alfonso V) (1458-1416) بنفسه حملة عسكرية ضد جزيرة جربة، وفرض عليها حصاراً لمدة سبعة وعشرين يوماً، إلا أنه فشل في السيطرة عليها⁽²⁰⁾، ومن المرجح أن تكون هذه الحملة آخر الحملات التي قام بها الإسبان ضد مدن بلاد المغرب خلال القرن الخامس عشر، لانشغالهم بأزماتهم الداخلية، وبالسعي لاستكمال السيطرة على المدن الأندلسية.

يلاحظ مما سبق بأن معاهدة مونتيغودو قد وقعت في العام ذاته الذي انتهى فيه عصر الحروب الصليبية ضد بلاد المشرق الإسلامي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الحروب الصليبية لم تتوقف، وإنما تبدلت الأزمان والأماكن، وبأن الفكر الصليبي لم يغادر أذهان الساسة، والمفكرين، ورجال الدين الأوروبيين، الذين ظلوا يعملون بجد من

أجل استئنافها، وهذا ما أكد عليه مؤرخو العصور الوسطى في كتاباتهم؛ ومن ذلك الحملات الصليبية التي قامت في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، وعلى رأسها حملة ملك قبرص اللاتيني بييترو دي لوزجنانو (م1365-1359) Pietro di Lusignano ضد مدينة الإسكندرية بمصر عام 1365م/ 766هـ، بالإضافة إلى الحملة الأوروبية ضد الأملاك العثمانية في بلاد المجر، والتي عرفت بحملة نيقوبوليس Crusade of Nicopolis عام 1396م/ 766هـ⁽²¹⁾، وترافق ذلك مع عدد من المشاريع الصليبية التي طرحها عدد من الشخصيات الدينية والسياسية في أوروبا منذ نهاية القرن الثالث عشر، وحتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، مما أسهم في دعم التوجهات التوسعية الإسبانية⁽²²⁾.

ويتضح بأن الحملات التي قامت بها مملكة أراغون ضد بلاد المغرب الإسلامي تعكس الاهتمامات المتوسطية لهذه المملكة، وذلك على النقيض من مملكة قشتالة التي انشغل ملوكها على الدوام بأوضاعهم الداخلية وبمحاربة الأندلسيين، ورغم محاولاتهم مزاحمة الأراغونيين في لعب دور ما على الساحة المتوسطية كما اتضح من خلال معاهدة مونتيجودو، إلا أن القشتاليين لم يتمكنوا من القيام بأي دور على هذا الصعيد حتى النصف الأخير من القرن الخامس عشر.

ومن ناحية أخرى لوحظ أن جميع الهجمات الأراغونية قد استهدفت المدن والجزر الواقعة في بلاد المغرب الأدنى والأوسط، ما عدا تلك التي استهدفت مدينتي سبتة وتطوان في بلاد المغرب الأقصى، مما يدفعنا للاعتقاد أنه بالإضافة إلى النزعة الاستعمارية والتوسعية والدينية الصليبية التي تميزت بها مملكة أراغون، فقد كانت تهدف من وراء تجريد تلك الحملات إلى حماية ممتلكاتها في كل من جزيرة صقلية ومدينة نابولي، وتأمين خطوط التجارة منها وإليها، وكذلك تجنبها الأخطار الناتجة عن الغارات الإسلامية التي كانت تهدد أمنها.

أسباب ودوافع ومقدمات الأطماع الإسبانية في بلاد المغرب:

♦ أهمية الموقع الجغرافي: شكل موقع بلاد المغرب وغنى أراضيه بمختلف الثروات والموارد الاقتصادية، حافزاً كبيراً لدى الإسبان للسيطرة عليه، والانطلاق منه من أجل ضم مزيد من الأراضي لممالكهم.

والمقصود ببلاد المغرب؛ الأراضي الواقعة من إقليم برقة⁽²³⁾ شرقاً حتى سواحل الأطلسي غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً حتى الصحراء الكبرى جنوباً⁽²⁴⁾، وشكلت هذه المنطقة برأي الكثيرين وحدة مستقلة عن باقي أجزاء القارة الإفريقية، مما جعل بعضهم يطلقون عليها اسم «إفريقيا الصغرى»، وذلك لسهولة الانتقال ما بين أقاليمها وأقطارها،

نظراً للعوامل الجغرافية المشتركة فيما بينها، هذا بالإضافة إلى العوامل الوحودية الأخرى كالدين واللغة، والتجانس القبلي المشترك⁽²⁵⁾.

وتقسم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقاليم طبيعية، أولها الإقليم الساحلي الخصب الممتد على ساحل المتوسط والأطلسي، وعلى الرغم من قلة عرضه بصفة عامة و بروز الكتل الصخرية على شواطئه، إلا أن السهول الساحلية الشرقية تتميز باتساعها النسبي، حيث يتراوح عرضها ما بين ثلاثة عشر إلى خمسين ميلاً، ويتخلل السهل الساحلي مجموعة من الخلجان والسبخات⁽²⁶⁾.

أما الإقليم الثاني؛ فهو إقليم التل أو الأطلس الصغير والكبير، وتمتد فيه سلسلتا جبال أطلس بشكل أفقي ومُحاذ للساحل، وتتدرجان في الانحدار من الغرب إلى الشرق حتى تنتهيا في البلاد التونسية، وتتبع منهما بعض الأنهار مختزقة السهل الساحلي لتصب في البحر، وأخيراً الإقليم بالصحراوي، حيث الصحراء الكبرى⁽²⁷⁾.

و درجت المصادر التاريخية والجغرافية الإسلامية على تقسيم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقاليم؛ المغرب الأدنى الذي يعد أول الأقاليم من الناحية الشرقية، ويمتد من برقة حتى مدينة بجاية⁽²⁸⁾، ويسمى في كتب العرب والرومان بأفريقيّة⁽²⁹⁾، ويتميز عن غيره بسهوله الواسعة الخصبة، وموقعه المتوسط، وقربه من أوروبا الجنوبية، وبخاصة جزيرة صقلية الإيطالية، التي لا تبعد عن سواحله سوى ما يقرب من ثمانين ميلاً، فكان هذا الإقليم بمثابة القلب بالنسبة للشطر الغربي من العالم الإسلامي، لذلك ليس من قبيل الصدفة أن يشكل الهدف الرئيس للهجمات الصليبية الأوروبية طوال عدة قرون⁽³⁰⁾.

ويتمثل الإقليم الثاني بالمغرب الأوسط، الذي يمتد من مدينة بجاية شرقاً حتى نهر ملوية غرباً، ويتميز هو الآخر بأهميته من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية لكثرة موانئه، ورواج تجارته⁽³¹⁾، أما الإقليم الثالث فيتمثل بالمغرب الأقصى، الذي تمتد أراضيه ما بين نهر ملوية شرقاً وساحل الأطلسي غرباً⁽³²⁾.

وبصفة عامة، فقد تميزت بلاد المغرب بكثرة ثرواتها الزراعية، لخصوبة أراضيها وبخاصة الساحلية منها، وكذلك غناها بالثروة الحيوانية؛ مما أدى إلى رواج صناعة الجلود والصوف، وخصوصاً بسبب احتكارها لأغنام المارينو التي تميزت أصوافها بجودتها العالية، وتزايد الطلب الأوروبي عليها⁽³³⁾.

ومما زاد من الأهمية الاقتصادية لبلاد المغرب وقوع سواحلها وكثير من مدنها على خطوط التجارة، وبخاصة تلك القادمة من بلاد السودان⁽³⁴⁾، حيث الذهب، والعاج، وريش النعام، والعبيد، ومنها إلى موانئ دول أوروبا الجنوبية، علاوة على اشتغالها على

طرق تجارية أخرى من الشرق إلى الغرب وبالعكس، ولعب تجارها دور الوسيط في التجارة العالمية ما بين دول الشرق والشرق الأقصى والدول الأوروبية، التي كانت تعتمد على موانئ المغرب في الحصول على ما يلزمها من مواد تجارية، مما أدى إلى ازدهار اقتصادها، فتفوقت في هذا المجال على كثير من الدول الأوروبية والمدن التجارية، وبخاصة الإيطالية منها، وهذا ما جعلها محط اهتمام الدوائر الاقتصادية والسياسية الأوروبية على الدوام (35).

♦ ضعف بلاد المغرب خلال القرن الخامس عشر الميلادي / التاسع الهجري: أدى ضعف الدولة الموحدية خلال القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري إلى بروز ظاهرة العصيان القبلي وتمرد الولاة، مما أدى بدوره إلى قيام ثلاثة كيانات سياسية وجغرافية على أنقاضها، ففي بلاد المغرب الأدنى (إفريقية) قامت الدولة الحفصية (1229 - 1574م / 626 - 982هـ)⁽³⁶⁾، وفي بلاد المغرب الأوسط قامت الدولة الزيانية (1235 - 1554م / 633 - 961هـ)⁽³⁷⁾، أما في بلاد المغرب الأقصى فقامت الدولة المرينية (1269 - 1465م / 668 - 869هـ)⁽³⁸⁾، وعلى الرغم من بعض مظاهر الازدهار التي شهدتها هذه الممالك خلال المراحل الأولى من عمرها، إلا أن أوضاعها ما لبثت أن ساءت خلال القرن الخامس عشر الميلادي.

ففي بلاد المغرب الأدنى حاول السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (1435 - 1488م / 839 - 893هـ) المحافظة على وحدة مملكته وقوتها؛ فاهتم بالنواحي العمرانية والحضارية؛ كبناء المدارس والمكتبات والمساجد والزوايا الدينية والأسبلة (39)، ولكنه اضطر لمواجهة حركات التمرد التي قامت بها بعض القبائل العربية والبربرية في نواحي الجزائر (40) وطرابلس خلال الفترة الواقعة بين عامي 1449م / 853هـ و 1463م / 867هـ (41)، ولما عجز عن ذلك اضطر إلى استرضائها بالأموال (42)، ولعبت الخلافات الداخلية الحفصية دوراً كبيراً في تشجيع زعماء القبائل على التدخل لصالح هذا الطرف أو ذاك (43).

وخلال عهد أبي عمرو عثمان، ثار الأمير أبو الحسن بن أبي فارس عبد العزيز (ت 1452م / 856هـ)، وسيطر على مدينة بجاية وخلق بيعة السلطان، ثم حاصر مدينة تونس، إلى أن تمكن السلطان من إخماد ثورته عام 1452م / 856هـ، مما أدى إلى استنزاف كثير من موارد الدولة (44).

وخلال فترة حكم السلطان الحفصي أبي زكرياء يحيى بن المسعود (1488 - 1494م / 893 - 899هـ) ازدادت أحوال البلاد التونسية سوءاً؛ حيث عمت الثورات

وحركات التمرد أرجاء البلاد، وتقلصت أملاك الدولة الحفصية، مما أدخلها في حالة من الضعف والفوضى، ومما زاد الطين بلة؛ حلول وباء الطاعون عام 1494م / 899هـ، وفيه توفي السلطان الحفصي نفسه (45).

وأما الدولة الزيانية في بلاد المغرب الأوسط، فقد تعرضت للأطماع الحفصية؛ وكان الملك الزياني أبو العباس أحمد ابن أبي حمو، المعروف بالعاقل (1430 - 1462م / 834 - 866هـ)، قد تولى الحكم بمساعدة الملك أبي فارس عبدالعزيز الحفصي (1394 - 1434م / 796 - 837هـ) (46)، ورغم محاولات العاقل المتكررة للاستقلال بالحكم؛ إلا أن العاقل انشغل طيلة فترة حكمه بمقاومة الأطماع الحفصية، وتعرض لعدد من القلاقل الداخلية، مما أدى إلى انفصال وهران (47) والجزائر ومليانة (48) وتونس (49) عن الدولة عام 1448م / 852هـ (50).

وثار عليه الأمير أبو عبد الله محمد المتوكل الزياني (1462 - 1485م / 866 - 890هـ) عام 1462م / 866هـ، فاستولى على مستغانم (51) ووهران وتلمسان (52)، وعندما علم الملك الحفصي أبو عمرو عثمان بذلك زحف بجيشه وحاصر تلمسان، فأصبحت تتبع الحفصيين (53).

ونكت المتوكل الزياني بوعوده للحفصيين عام 1464م / 868هـ، ورغم السفارات التي تبادلها الطرفان من أجل رأب الصدع؛ إلا أنها لم تحقق نتائج ملموسة (54)، مما أدى إلى لجوء أبي عمرو عثمان عام 1466م / 870هـ للسيطرة على مدينة المنصورة (55)، ثم تقدم نحو تلمسان وهدم أسوارها مما أدى إلى استسلام المتوكل الزياني للحفصيين، والموافقة على الدعوة لهم، فبقي على ذلك حتى وفاته عام 1485م / 890هـ (56).

وفي عهد السلطان الزياني أبي عبد الله الثابتي (1485 - 1505م / 890 - 910هـ)، شهدت البلاد الزيانية حالة من التقهقر والانحيار بسبب استمرار الثورات الداخلية، مما أدى إلى تقسيم الدولة الزيانية إلى مناطق نفوذ متعددة (57).

وفي بلاد المغرب الأقصى المرينية، لم تكن الأوضاع أحسن حالاً، وبخاصة في نهايات عصر بني مرين؛ فخلال عهد آخر سلاطينهم عبدالحق بن أبي سعيد المريني (1420 - 1465م / 823 - 869هـ)، ضعفت الدولة، وتقاذفتها الأعياب الحجاب والوزراء، ولعل من أهم هؤلاء يحيى بن زيان الوطاسي، الذي قُتل غدرًا على يد الأعراب عام 852هـ / 1448م، ومنهم أيضاً الوزير يحيى بن يحيى الوطاسي، الذي ساءت أوضاع الدولة كثيراً في عهده؛ بسبب ظلمه وتآمره مع الوطاسيين في مدينة أصيلا (58) للانقلاب على الدولة، ولهذا قام السلطان المريني عام 866هـ / 1461م بإعمال القتل في الوطاسيين، وممن

قُتلوا؛ الوزير يحيى بن يحيى، ثم ازدادت الدولة ضعفاً عندما تقلد اليهود وزارتها، فاستغل الإسبان هذه الأوضاع وهاجموا طنجة⁽⁵⁹⁾ عام 869هـ / 1465م، فأسهم كل ذلك في تأجيج مشاعر الناس، وثار أهالي مدينة فاس⁽⁶⁰⁾، وقتلوا السلطان عبدالحق، فانتهت بذلك الدولة المرينية⁽⁶¹⁾.

انتقل الحكم في بلاد المغرب الأقصى للوطاسيين⁽⁶²⁾ بزعامة أبي زكرياء محمد الشيخ المهدي الوطاسي (1472 - 1505م / 876 - 911هـ)، الذي انشغل بتوطيد أركان حكم دولته، وبخاصة بسبب نشوب بعض الثورات الداخلية، التي استغلها البرتغاليون، فسيطروا على عدد من المواقع على سواحل بلاد المغرب الأقصى الأطلسية⁽⁶³⁾.

وفي الوقت الذي كانت فيه بلاد المغرب الأقصى في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي / التاسع الهجري تعيش بدايات عهدا تحت حكم الوطاسيين، كان المغربان الأدنى والأوسط يشهدان حالة من الضعف والتفكك السياسي؛ حيث أصبحت خليطاً من الوحدات السياسية الصغيرة، التي يصعب تحديد حدودها ومعالمها الجغرافية والسياسية بشكل دقيق، وتحول عدد من المدن الساحلية كطرابلس، وجربة، وبجاية، والجزائر، وهران، وشرشال⁽⁶⁴⁾ إلى مناطق نفوذ مستقلة، واستغلت القبائل البدوية هذه الحالة، فقامت بالسيطرة على المناطق الواقعة بين هذه المدن، ولم يعد لملوك بني حفص، وبني زيان سوى حواضرهم والأحواز المحيطة بها⁽⁶⁵⁾.

أدت أوضاع بلاد المغرب آنفة الذكر إلى غياب الاستقرار والأمن، فكان من مظاهر ذلك؛ انتشار العصابات على الطرق، ووقوع المدن ودروب القوافل التجارية تحت رحمة القبائل البدوية، فكثيراً ما كانت القوافل التجارية تضطر للاحتماء بالموظفين الرسميين المكلفين بجمع الضرائب، مما أدى إلى تهقر التجارة والصناعات والحرف⁽⁶⁶⁾، أما على الصعيد الفكري والثقافي؛ فما كاد ينتهي القرن الخامس عشر الميلادي حتى أفقرت البلاد من علمائها، وبخاصة مدينة القيروان⁽⁶⁷⁾، ونضبت حركة التأليف، وانتشرت التكايا والزوايا التي عجت بالمتصوفة والمشعوذين، وحظيت برعاية الحكام أنفسهم⁽⁶⁸⁾، ونظراً لكل ذلك، قيل بأن بلاد المغرب باتت تقدم نفسها بنفسها للمستعمرين الغرباء⁽⁶⁹⁾.

♦ الوحدة الإسبانية وسقوط غرناطة: تعددت الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية، وانشغلت كل واحدة بتوسيع نفوذها على حساب الأخرى، وما أن حل القرن الثالث عشر حتى أصبحت تلك الممالك ثلاثاً؛ وهي أراغون Aragon وقشتالة Castilla والبرتغال Portugal، فانشغلت الأخيرة ببناء استقلالها الذاتي، في حين بدأت المملكتان الإسبانيتان تعملان من أجل تحقيق الوحدة، والعمل المشترك لإنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس⁽⁷⁰⁾.

ورغم ذلك فإنهما لم تنعما بالأمن والاستقرار الداخلي، بسبب سعي كل مملكة للاستحواذ على مزيد من النفوذ الجغرافي والسياسي على حساب الأخرى، وكذلك التدخل المتبادل في الشؤون الداخلية، وبخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تداخل الأنساب والزيجات السياسية، وتمازج الدم بين أمراء الأسر الحاكمة، مما جعل من الصعب في كثير من المراحل على أي من الأطراف حسم الأمور لصالحه (71).

ولكن الأوضاع الداخلية الإسبانية ما لبثت أن بدأت تشق طريقها نحو الهدوء النسبي، عندما بدأت أولى خطوات تحقيق الوحدة بين مملكتي قشتالة وأراغون، والتي تمثلت باقتران الأمير فرناندو (1452 - 1516م) وريث عرش أراغون بالأميرة إيزابيل (1451 - 1504م) وريثة عرش قشتالة عام 1469م، وكان من أهم شروط إتمام الزواج؛ ضرورة العمل المشترك على متابعة الحرب ضد المسلمين (72)، ثم ما لبثت الوحدة الفعلية بين التاجين أن تحققت عام 1479م (73).

فتحت وحدة التاجين الباب على مصراعيه من أجل استئناف الحرب ضد الوجود الإسلامي في الأندلس، ولعبت المؤسسة البابوية دوراً كبيراً في دعم هذا التوجه (74)، وبخاصة من جانب البابا سيستو الرابع (1471-1484م) Sisto IV، الذي عمل على تشجيع الإسبان على وضع الخطط الكفيلة بالسيطرة على ما تبقى من الأندلس، والانتقال للسيطرة على بلاد المغرب أيضاً، ومن أجل تنظيم ذلك دعا البابا الإسبان والبرتغاليين إلى عقد اجتماع برعايته من أجل تقسيم مناطق النفوذ، فتمخض ذلك عن إبرام معاهدة الكاكوفاس Tratado de Alcacovas بين الطرفين، في الرابع من أيلول 1479م، وجاء في أحد بنودها أحقية الإسبان في السيطرة على مملكة تلمسان (بلاد المغرب الأوسط) والأراضي الواقعة إلى الشرق منها، أما البرتغال فلها الحرية في السيطرة على بلاد المغرب الأقصى (75).

ومن جانبهما، استثمر الملكان فرناندو وإيزابيل هذا الدعم البابوي، واستغلا هشاشة الأوضاع الإسلامية الناتجة عن الصراع الداخلي على السلطة، وقاما بتوجيه الحملة تلو الأخرى ضد ما تبقى من مملكة غرناطة (76)، حتى تمت لهما السيطرة على جميع مدنها، ولم يبق سوى عاصمتها؛ مدينة غرناطة (77)، التي تعرضت لحصار مشدد، وقصف مدفعي عنيف، وحرب تجويع وإبادة على مدار سبعة شهور، مما اضطر أعيانها وعلى رأسهم آخر ملوك الأندلس أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن سعد (1487 - 1492م / 892 - 897هـ) للموافقة على تسليم المدينة، فتم ذلك في الثاني من يناير 1492م / الثاني من ربيع الأول 897هـ، ورُفعت فوقها الأعلام المسيحية، ونُصبت الصلبان على قصور الحمراء، إيذاناً بانتهاء الحكم الإسلامي للأندلس، بعد أن دام فيها ثمانية قرون (78).

◆ تنامي النزعة الصليبية والاستعمارية الإسبانية تجاه بلاد المغرب بعد سقوط

غرناطة: حرص الملكان فرناندو وإيزابيلا بعد سقوط غرناطة على تشكيل حكومتها من أكثر القيادات الدينية تطرفاً وحقداً على الإسلام والمسلمين، وكان من أبرز هؤلاء الكاردينال فرانسيسكو خيمينيس دي ثيزنيروس⁽⁷⁹⁾، وسكرتير البلاط الملكي فرناندو دي ثافرا (م1460- 1507)، Fernando de Zafra، الذي كان له دور كبير في صياغة وثيقة تسليم غرناطة، والأسقف إنيغو دي ميندوسا (م1440- 1515)، Inigo de Mendoza، ومطران غرناطة الأب هرناندو دي تالابير (م1428- 1507)، Hernando de Talevera، وتولى هؤلاء مسؤولية رسم السياسات الإسبانية وتنفيذها، وعلى رأسها كتلكة الدولة، ومحو جميع مظاهر الوجود الإسلامي⁽⁸⁰⁾.

ومما أدى إلى تكريس هذه النزعة لدى الإسبان؛ الدعم الكبير الذي لقوه من المؤسسة الدينية في كل من إسبانيا وإيطاليا على حد سواء، وفي إطار الدعم المذكور، وتقديراً منه للدور الذي لعبه الملكان فرناندو وإيزابيلا في محاربة المسلمين والانتصار عليهم، وتشجيعاً لهما على الاستمرار في عمليات السيطرة والغزو خارج شبه الجزيرة الإيبيرية، فقد أصدر البابا اليساندرو السادس (م1492- 1503) Alessandro VI عام 1493م مرسوماً بابوياً قضى بمنحهما لقب "الملكين الكاثوليكين"⁽⁸¹⁾. "Reyes Catolicos".

وعلى الصعيد الخارجي دعت الحكومة الجديدة إلى نقل الصراع إلى بلاد المغرب، وأفادت الأوساط التاريخية الإسبانية أن الملكين لم يكونا أقل حماساً من هؤلاء، إذ كانا يعتقدان بأن محاربة المسلمين في بلاد المغرب تشكل استمراراً للحرب ضد الأندلسيين، وتتويجاً للنصر الذي تحقق لهم بالسيطرة على مدينة غرناطة، ولم يقف طموحهما عند ذلك الحد، وإنما كانا يسعيان للوصول حتى الإسكندرية بمصر، ونشر المسيحية في شمال إفريقيا، ومن ثم الانتقال منها إلى الجناح الشرقي من العالم الإسلامي، لاستعادة القدس من أيدي المسلمين⁽⁸²⁾.

وبرأي بعضهم، فقد كان الملوك الإسبان ينظرون إلى بلاد المغرب أنها كانت في السابق أرضاً مسيحية، ولا بد أن تعود للحكم المسيحي، مما جعلهم يميلون إلى أن الحرب الإسبانية ضد المسلمين في بلاد المغرب؛ ما هي إلا « حرب دينية صليبية ضد الكفرة أصحاب الهلال »⁽⁸³⁾، وهذا ما أكده أيضاً رولان موسيه عندما قال بأن نشر الإنجيل (الديانة المسيحية) في البلاد المفتوحة كان من أهم أولويات الإسبان وأهدافهم⁽⁸⁴⁾، وعلى صعيد آخر، فقد هدف الإسبان أيضاً إلى قطع الصلات بين بلاد المغرب وبين مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة، وذلك من أجل حرمان الأندلسيين من الإعانة المادية والبشرية⁽⁸⁵⁾.

♦ ملاحقة الإسبان للمهاجرين الأندلسيين إلى بلاد المغرب، ومحاربة الجهاد البحري: بدأت موجات المهاجرين الأندلسيين تصل بكثافة إلى بلاد المغرب، وبخاصة بعد أن تزايد سقوط المدن الأندلسية بيد الإسبان منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، ومن أولى الموجات الكبيرة؛ تلك التي قدمت من المناطق الشرقية، وبخاصة بعد سقوط مدينة بلنسية⁽⁸⁶⁾ عام 1238م / 635هـ، ثم توالى الهجرات الأندلسية من تلك المنطقة بعد سقوط مرسية⁽⁸⁷⁾ عام 1243م / 640هـ، أما الموجة الأخرى فكانت قد نزحت من غرب الأندلس بعد سقوط إشبيلية⁽⁸⁸⁾ عام 1248م / 646هـ، ونزل معظم النازحين في تونس وبجاية والمهدية وتلمسان وعنابة وتونس ووهران وهُنَيْن⁽⁸⁹⁾، ومنذئذ وحتى ما بعد سقوط غرناطة عام 1492م / 897هـ، لم يتوقف سيل المهاجرين في التدفق إلى مدن بلاد المغرب، فراراً من القتل والتنصير، وبناء عليه؛ عقد الإسبان العزم على ملاحقة هؤلاء المهاجرين للانتقام منهم، وبخاصة أنهم كانوا يحملون المغاربة مسؤولية الفتح الإسلامي وتبعاته لشبه الجزيرة الإيبيرية⁽⁹⁰⁾.

وكان من الطبيعي أن يمارس المغاربة والأندلسيون الجهاد البحري ضد الإسبان، نتيجة لشعورهم بالظلم التاريخي والجسدي والمعنوي الذي وقع عليهم، ولذلك لجأوا إلى صناعة السفن وتجريد الحملات ضد السفن والتجمعات السكانية الإسبانية الجنوبية والشرقية، مما أسهم في إنجاح عملياتهم معرفتهم بطبيعة السواحل الإسبانية، وتعاون من بقي من مسلمي الأندلس معهم، ولم تكن هذه الحملات البحرية تهدف إلى ممارسة حرب الاستنزاف ضد الإسبان فحسب؛ وإنما هدفت إلى تأمين عمليات نقل الراغبين بالهجرة إلى بلاد المغرب أيضاً⁽⁹¹⁾.

وكثيراً ما أدت هذه الهجمات إلى تخریب عدد المدن الساحلية الإسبانية حتى باتت خالية من سكانها، وذهب عدد من السفن الإسبانية ضحية الأسر بمن كان عليها من بحارة، وتحولوا إلى عبيد استخدم معظمهم في عمليات التجديف على متن السفن الإسلامية، فكان لهذه الهجمات تأثير بالغ على حركة الملاحة في الحوض الغربي من المتوسط، حتى باتت المنطقة الواقعة من جنوب شرق إيطاليا مروراً بجنوة حتى سواحل إسبانيا الشرقية تعيش حالة من الرعب⁽⁹²⁾، ومن الجدير بالذكر أن شواطئ المغرب بطبيعتها الوعرة وخطجانها الكثيرة قد ساعدت على ممارسة الجهاد البحري، وكان حكام الولايات والمدن الإسلامية يشجعون ذلك⁽⁹³⁾.

وفي الوقت الذي كان المسلمون يعدون هذه الهجمات جهاداً في سبيل الله، عدّها الإسبان ومعهم بقية الأمم الأوروبية ضرباً من ضروب القرصنة البحرية، مما أثار استهجان عدد من المؤرخين، الذين عدّوها رداً طبيعياً على أعمال القمع والطرْد التي

حصلت بحق الأندلسيين، بعد أن حكموا الأندلس وعمروها على مدار ثمانية قرون (94)، وقيل بأن المسلمين لم يكونوا هم السباقين في مجال القرصنة، لأن من كانوا كذلك هم الأوروبيون أنفسهم، كاليونانيين والجنوبيين والمالطيين وأهالي سردانيا وغيرهم من الأمم الأوروبية (95).

♦ **الدوافع الاقتصادية:** شهد النصف الثاني من القرن الخامس عشر نهضة اقتصادية أوروبية، رافقها سعي محموم للتوسع فيما وراء البحار والسيطرة على أراضي الغير، لنهب خيراتها في إطار ما يعرف بحركة الكشوف الجغرافية (96)، وبالتزامن مع ذلك سعى الإسبان للسيطرة على موانئ بلاد المغرب الإسلامي الساحلية ومدنه بهدف تحقيق السيادة في البحر المتوسط، والسيطرة على خطوط التجارة الإسلامية ومراكزها، لإضعاف قوة المسلمين اقتصادياً، بدعم من المؤسسة السياسية والكنسية الإسبانية، وقد لاقى ذلك تشجيعاً من الدوائر التجارية الصاعدة في غرب أوروبا، والتي كانت تهدف هي الأخرى للسيطرة على طرق التجارة العالمية ومراكزها، وبذلك اشتركت رغبات الرأسمالية الأوروبية الناشئة مع آمال الكنيسة في السيطرة على بلاد المغرب وسواحلها، حيث يمكن للحركات التبشيرية أن تؤدي دورها في خدمة المسيحية جنباً إلى جنب مع تحقيق الأهداف التجارية (97)، مما يؤكد على جدلية العلاقة بين التجارة والدين وفق مقولة أن «التجارة سارت وراء الصليب، أو لعل التجارة هي التي قادت الصليب» (98).

وفي السياق ذاته، رغبت إسبانيا في الاستحواذ على المنتجات الإفريقية لسد النقص الذي طرأ لديهم، بعد الزيادة التي طرأت على عدد السكان، في ظل التراجع الذي شهده النشاط الزراعي والصناعي، وبخاصة بعد طرد المسلمين من الأندلس، وبالمقابل كانت إسبانيا تتطلع أن تصبح بلاد المغرب سوقاً استهلاكياً لمنتجاتها (99)، كما هدفت إلى احتكار تجارة المناطق الصحراوية الداخلية وبخاصة تلك القادمة من بلاد السودان، هذا بالإضافة إلى سعيهم للسيطرة على تجارة المعادن والتوابل التي كانت ترد إلى الموانئ الإسلامية عن طرق القوافل البرية، أو عن طريق البحر الأحمر من جنوب آسيا، وكذلك لمزاحمة البنادقة والجنوبيين الذين احتكروا تجارة الشرق الأدنى فترة طويلة وأغرقوا بها الأسواق الأوروبية، وأخيراً هدف الإسبان من وراء سعيهم للسيطرة على بلاد المغرب تأمين الطريق البحري بين صقلية الغنية بالحبوب، وبين مدينة إشبيلية الساحلية الشمالية الشرقية (100).

وعليه فقد اتخذت إسبانيا من جميع العوامل المذكورة أسباباً ودوافع ومبررات من أجل غزو بلاد المغرب، والسيطرة على مدنه وموانئه، ووضع حاميات عسكرية على أرضيه، ومن ثم الانطلاق منها إلى داخل البلاد للسيطرة على مزيد من الأراضي، وتحقيق الأهداف التي كان الإسبان يسعون إليها (101).

♦ بداية الخطوات العملية العدوانية الإسبانية ضد بلاد المغرب: بعد سقوط غرناطة، طالب عدد من الشخصيات الدينية والسياسية الإسبانية الملكين الكاثوليكين الإسراع في السيطرة على بلاد المغرب، واتضح ذلك من خلال الرسائل التي رفعت إليهما، والتي كان أهمها رسائل سكرتير البلاط الملكي فرناندو دي ثافرا (102).

وتأكد من خلال هذه الرسائل لجوء الإسبان إلى استخدام الأساليب الاستخباراتية، وإرسال المبعوثين إلى مدن بلاد المغرب، للاطلاع على قدراتها الدفاعية وأحوال أهلها، ونقاط الضعف التي يمكن استغلالها بهدف السيطرة على تلك المدن، ووقف على رأس هؤلاء المبعوثين؛ لورينثو ثافرا Lorenzo Zafra وليثكانو ثافرا Lezcano Zafra وغارثيا دي أراريان Garcia de Arrarian، الذين قاموا بزيارات سرية لبلاد المغرب الأوسط خلال عامي 1493 - 1494 م / 898 - 899 هـ، وبعد عودتهم إلى إسبانيا رفعوا ملاحظاتهم وتوصياتهم للملكين الكاثوليكين، وأهم ما جاء في تقاريرهم: أن جميع دويلات بلاد المغرب تعاني من الضعف الشديد في قدراتها الدفاعية والتحصينية، وتمر بحالة من التفكك والانحيار السياسي والاقتصادي، مما سيجعل السيطرة عليها أمراً يسيراً (103).

ومما شجع البلاط الملكي الإسباني على التسريع بالبداية بمهاجمة مدن بلاد المغرب؛ اشتمال الرسائل المذكورة على مقترحات للخطوات العملية التي من شأنها إنجاح عمليات الغزو، بما فيها أعداد الجند والسفن، والتكاليف والميزانيات اللازمة؛ والتي قدرت بثمانية وعشرين مليون وثلاثمائة وخمسين ألف دينار مرابطي (104)، على أن تتحمل الجزء الأكبر منها المقاطعات الإسبانية الجنوبية والجنوبية الشرقية الواقعة على خطوط المواجهة مع شواطئ بلاد المغرب، كغرناطة ومرسية Murcia لأن هذه المقاطعات كانت على الدوام عرضة للهجمات الإسلامية المنطلقة من موانئ بلاد المغرب (105).

ومن أهم الشخصيات الأخرى التي لعبت دوراً كبيراً في توجيه السياسة الخارجية الإسبانية نحو بلاد المغرب الأسقف انييغو لوبيث دي ميندوسا، الذي اقترح أن تسهم الأقاليم المشار إليها أعلاه بأحد عشر ألف مقاتل، منهم ألف فارس، وثلاثة آلاف وخمسمائة من رماة الأسهم، بالإضافة إلى ألف وخمسمائة من حملة الرماح، وأن يتم تزويد هذه القوات بأسطول من السفن المسلحة بالمدفعية الثقيلة والمتوسطة والخفيفة والذخيرة والبارود (106).

ومما أسهم في دعم التوجهات الاستعمارية الإسبانية وتجسيده؛ قيام البابا أليساندرو السادس بعقد مؤتمر في بلدة تورديسيلاس Tordesillas الإسبانية، في السابع من حزيران 1494م، وتمخض عنه التوقيع على معاهدة تضمنت رسم خريطة قسّم العالم

بموجبها إلى قسمين شرقي وغربي، وذلك بخط يمتد من القطب الشمالي حتى القطب الجنوبي، من نقطة تبعد ثلاثمائة وسبعين فرسخاً إلى الغرب من جزر الرأس الأخضر الأطلسية، وجاء في الاتفاقية أن جميع البلاد الواقعة غربي هذا الخط هي ملك للإسبان، أما البلاد الواقعة شرقيّه فللبرتغال (107).

وتضمنت معاهدة تورديسيلاس بنداً خاصاً حول تقاسم النفوذ بين الدولتين في بلاد المغرب، حيث ضمنت إسبانيا لنفسها الحق في امتلاك المناطق الواقعة إلى الشرق من شبه جزيرة بادس غمارة (108) في بلاد المغرب الأقصى، فيما ضمنت البرتغال لنفسها الحق في السيطرة على بلاد المغرب الأقصى، واتفق الطرفان على نقل الحرب التي وصفها بالمقدسة من إسبانيا إلى شواطئ بلاد المغرب ومدنه، ونشر الديانة المسيحية بين سكانها (109).

♦ السيطرة الإسبانية على بلدة مليلة 1497م / 903هـ: تقع بلدة مليلة غربي نهر ملوية في أقصى الساحل الشمالي الشرقي لبلاد المغرب الأقصى، على حدود المنطقة الفاصلة مع بلاد المغرب الأوسط، وكانت قد بنيت على رأس خليج قبالة مدينة المرية (110)، ولم تذكر المصادر الجغرافية أو التاريخية عدد سكانها في نهاية القرن الخامس عشر، إلا أن دورها بلغت نحو ألفين (111).

ومن ناحية أخرى، فقد أتت المصادر التاريخية على الأسباب التي دعت الإسبان لاختيار بلدة مليلة كأولى المواقع المرشحة للسيطرة، فمن الناحية الاستراتيجية، شكلت البلدة حداً فاصلاً بين مملكتي تلمسان وفاس، مما سيجعل السيطرة عليهما أمراً سهلاً إذا ما تمت السيطرة على هذه البلدة، وذلك من خلال تحويلها ومينائها إلى قاعدة انطلاق للأسطول الإسباني، وحتى تتخذ منها السفن التجارية والحربية ملاذاً آمناً خلال الأنواء البحرية (112).

وأما من الناحية التجارية؛ فقد تمتع موقع مليلة بأهمية كبرى، بسبب موقعها الساحلي الذي شكل حلقة وصل بين المناطق الداخلية في إفريقيا وبين أوروبا، وبالمقابل فإنه مما شجع الإسبان على اتخاذ القرار بالسيطرة عليها؛ النقص الشديد الذي طرأ على عدد سكانها، بسبب انتشار وباء الطاعون في بلاد المغرب الأقصى خلال تلك الفترة، حيث كان يموت في اليوم الواحد ألفان، مما جعل المنطقة برمتها قليلة السكان (113).

وبالإضافة إلى ذلك، كانت هذه البلدة من أكثر المدن الساحلية تأثراً بالصراعات والحروب التي لطالما نشبت بين ملوك الدولتين الزيانية والمرينية، ولذلك كانت تارة تتبع لمملكة تلمسان، وتارة أخرى لمملكة فاس، وفي كثير من الأحيان كانت تتمتع بشيء من

الاستقلال الذاتي، وكان الفاسيون قد أهملوا تحصين أسوارها وأبراجها خوفاً من قيام التلمسانيين باتخاذها قاعدة للسيطرة على مملكتهم⁽¹¹⁴⁾، هذا بالإضافة إلى الأحوال السياسية الداخلية المتردية التي كانت تسود بلاد المغرب الأقصى، وانشغال محمد الشيخ الوطاسي في حروبه مع القبائل البربرية غربي تلك البلاد⁽¹¹⁵⁾.

وما أن بات مشروع الغزو جاهزاً؛ حتى تصدّى دوق مدينة شذونة Medina- sidonia⁽¹¹⁶⁾ خوان ألونسودي غوزمان⁽¹¹⁷⁾ (م Juan Alonso de Guzman (1492- 1507) لقيادة قوات الحملة بنفسه وفق مرسوم ملكي خاص، وبخاصة أنه كان من أكثر رجال الدولة المتحمسين لاحتلال بلدة مليلة، « انسجاماً مع رغبته في محاربة المسلمين في بلاد المغرب خدمة للرب والملكين الكاثوليكين»⁽¹¹⁸⁾.

وبعد أن تكفل الملكان الكاثوليكيان بدفع تكاليف الحملة كافة؛ بدأ غوزمان بالتحضيرات اللازمة، ومنها إيفاده بعثة استكشافية سرية من أجل الاطلاع على أحوال البلدة، وعندما وصلت إلى هناك لم يشعر الأهالي بها، فطافت حول الأسوار، واستطلعت أحوالها من حيث قوة تحصينها وقوام حاميتها، وما هي المواد الواجب جلبها من إسبانيا من أجل ترميم أسوارها وحصينها بعد السيطرة عليها، ومن ثم عادت أدراجها إلى إسبانيا، وهناك قدمت تقريراً إلى الدوق أفادت فيه أن معظم أسوارها مهدّمة وحصيناتها خربة، وأفادت في تقريرها أيضاً أن عملية الإعمار والحصين تحتاج إلى ستمائة من الأيدي العاملة⁽¹¹⁹⁾.

وبناء على تعليمات الملك فرناندو؛ قام غوزمان باستدعاء بيدرو استوبينان Pedro de Estopinan (أصبح حاكماً لمليلة خلال 1498 - 1500م)، حاكم مدينة سان لوكار San lucar الواقعة أقصى جنوب غرب إسبانيا، وذلك من أجل استشارته حول أفضل الطرق الواجب اتباعها لاحتلال البلدة، وما المواد الضرورية اللازمة من أجل إعادة إعمارها، وكذلك من أجل إشراكه في هذه الحملة، فأبدى استوبينان حماسه لهذه الفكرة، وأبدى ملاحظاته أيضاً⁽¹²⁰⁾.

بناء على ذلك كله، أصدر الدوق أوامره لخمسة من القادة العسكريين القيام بالتحضيرات من أجل تجريد الحملة، وتم إرسال بعض سفن الكارافيل⁽¹²¹⁾ Caravel، بالإضافة إلى سفن أخرى إلى مضيق جبل طارق حتى تكون جاهزة لنقل القوات، وتم تجهيز سلاح المدفعية والذخائر وعدة الحرب، بالإضافة إلى مواد الترميم وأدواته؛ كالمجاريف والأقواس المصلبة، وكميات ضخمة من الجير والخشب اللازمين لإعادة بناء القلعة، وحصين الأسوار، وجيء أيضاً بالمواد التموينية التي اشتملت على كميات كبيرة من الدقيق، والنبيد، ولحم الخنزير المجفف، والزيت⁽¹²²⁾.

وفي الوقت الذي صممت المصادر التاريخية عن عدد سفن الحملة، إلا أنها ذكرت أن عدد القوات قد بلغ خمسة آلاف من الفرسان والمشاة⁽¹²³⁾، وفي رأي آخر ثلاثة آلاف⁽¹²⁴⁾، ومن جهته اكتفى لورينثو دي باديا بالقول بأن قوات الحملة قد اشتملت على ستمائة من الأيدي العاملة، من أجل القيام بإعمار المدينة وتحصين مرافقها⁽¹²⁵⁾.

وما أن اكتملت الاستعدادات اللازمة، حتى انطلق الأسطول المسيحي من ميناء مدينة سان لوكار في أيلول 1497م بقيادة دوق مدينا سيدونيا نفسه، يرافقه بيدرو أستوبينان حاكم المدينة المذكورة⁽¹²⁶⁾، وذكر خيرونيمو ثوريتا بأن سكان مليلة والقبائل العربية المجاورة قد علموا بأمر هذه الحملة قبل وصولها إلى سواحل مدينتهم، ومن أجل مواجهة القوات الغازية حشدوا مائتي فارس وثلاثة آلاف راجل من القبائل البدوية القريبة المجاورة⁽¹²⁷⁾.

ومما لا شك فيه أن المعرفة المسبقة من جانب أهالي مليلة والقبائل المجاورة بأمر هذه الحملة تعكس مدى يقظتهم وإدراكهم لطبيعة النوايا الإسبانية، ولكنهم كانوا على قناعة بأن إمكانياتهم الذاتية أضعف من أن تواجه الأسطول والجيش الإسباني، ولذلك سارعوا إلى طلب النجدة من السلطان محمد الشيخ الوطاسي، فلبى طلبهم رغم ظروفه الداخلية الصعبة، وأرسل لنجدتهم ألفاً من الفرسان، وتزامن وصولهم مع وصول القوات الإسبانية إلى مليلة، وما أن وصلت قوات الأسطول الإسباني إلى المياه الإسلامية قبالة البلدة؛ حتى بدأت بعملية النزول إلى البر⁽¹²⁸⁾.

وقد انفرد باديا بالقول؛ أنه عندما بدأت القوات الإسبانية بالنزول، اندلعت اشتباكات عنيفة بينها وبين القوات الإسلامية، إلا أن الهجوم الإسباني الساحق لم يمكن المدافعين من الاستمرار، فهربوا إلى الجبال، ومنهم من لجأ إلى بلدة غساسة، مما مكن الإسبان من السيطرة على مليلة⁽¹²⁹⁾.

وعلى الرغم من تأكيد لورينثو دي باديا على استبسال الأهالي في الدفاع عن مواقعهم، إلا أن بعض المؤرخين قالوا بأن البلدة قد استسلمت دون قتال، ومن هؤلاء؛ ميدينا الذي أفاد بأنه عندما وصل الأسطول الإسباني قبالة البلدة، أشار بيدرو أستوبينان على الدوق بعدم الاقتراب من البر، والبقاء في البحر بعيداً عن الشواطئ المغربية، والانتظار حتى يجنّ الليل من أجل القيام بعملية الإنزال، حتى لا يقوم المسلمون بمحاولة منع ذلك، وخلال الليل قام الإسبان بعملية الإنزال دون أن يشعر الأهالي بهم، ومن ثم شرعوا في نصب الألواح الخشبية والسلالم على الأسوار، ومع طلوع الفجر بدأت القوات الإسبانية بالصعود فوق الأسوار، مما شكل مفاجأة لأهالي البلدة، فاستسلموا دون قتال⁽¹³⁰⁾.

وقيل بأن الأهالي فضلوا الفرار عن بلدتهم قبل وصول النجدة الوطاسية، ولم تحصل أية مقاومة من جانبهم، فوجد الإسبان البلدة خالية من سكانها، مما مكنهم من احتلالها بكل سهولة، وذلك في أيلول 1497م / محرم 903هـ⁽¹³¹⁾، وانفرد الوزان بالقول أنه عندما وصلت قوات النجدة الوطاسية إلى مليلة قامت بإضرام النار في منازلها عقاباً لأهلها على فرارهم، ونكاية بالمسيحيين⁽¹³²⁾.

يستشف مما سبق أن التناقضات التي برزت خلال التطرق لتفاصيل السيطرة على مليلة، قد تمحورت حول وجهتي نظر اثنتين؛ الأولى: بأن الأهالي وبالتعاون مع قوات النجدة الفاسية قد تمكنوا من جمع أربعة آلاف ومائتي مقاتل من أجل الدفاع عن البلدة، وأن اشتباكات عنيفة قد حصلت بين الجيش الإسباني المهاجم والقوات الإسلامية المدافعة، إلا أن الأخيرة لم تتمكن من الاستمرار، ربما بسبب قوة الهجوم الإسباني المفاجئ الذي تم خلال الليل، مما جعل عنصر المفاجأة يسهم في حسم نتائج المعركة لصالح الإسبان، على الرغم من أن أيّاً من المصادر التاريخية لم يتطرق إلى التفاصيل الدقيقة لعملية الاقتحام، ولم تأت على ذكر أية أرقام حول الخسائر البشرية، أو المادية في صفوف الجانبين خلال ذلك.

وأما وجهة النظر الثانية: فمالت إلى قيام الإسبان بالسيطرة على البلدة دون مقاومة، إما بسبب هروب أهلها عنها قبل قدوم القوات الإسبانية، أو بسبب استسلامهم للأمر الواقع، عندما رأوا أن الإسبان قد باتوا فوق الأسوار، وهذا يدل أن الروايات التاريخية القائلة بخلو البلدة من سكانها قبل وصول المسيحيين قد تكون هي الأقرب إلى الحقيقة، وأن الرواية اليتيمة التي صدرت عن لورينثو دي باديا المقرب للبلاط الملكي الإسباني تعمدت الحديث عن المقاومة الإسلامية حتى تظهر بطولات الإسبان، الذين آثروا ألا يسجل الآخرون عليهم أنهم استأسدوا على مدينة خالية من السكان.

وبعد أن أحكم قبضته على المدينة، اهتم الدوق غوزمان وبيدرو إستوبينان بتحسين الأسوار، وإنشاء أبراج المراقبة تحت إشراف أفضل الخبراء والمهندسين، تحسباً لأي هجوم إسلامي محتمل، وقام الدوق غوزمان بتعيين الفارس غوميس سواريس Gomez Suarez (1497- 1498م) قائداً لقلعة مليلة⁽¹³³⁾.

وبعد أن أقام الدوق في البلدة لمدة شهرين، أشرف خلالها على سير عمليات الإعمار والتحصين للأسوار والأبراج والقلعة، غادر إلى إسبانيا بعد أن ترك فيها حامية تكونت من مائة فارس، بالإضافة إلى الأيدي العاملة التي جلبها معه، من أجل الاستمرار في إعادة الإعمار⁽¹³⁴⁾، وفي رأي آخر قيل إنه ترك لحمايتها ثلاثمائة من المشاة وتسعين من الفرسان وبعض ضباط المدفعية⁽¹³⁵⁾.

وتم الإبراق إلى الملكين فرناندو وإيزابيلا لزف البشرى بهذا الإنجاز الكبير، وطلب الدوق منهما ضرورة إرسال ما يلزم لإعمار المدينة وتحصينها وحمايتها من الهجمات الإسلامية، فأبديا سعادتهما بسماع هذه الأخبار، وقاما بكيال المديح للدوق على صنيعه الذي تميز بالشجاعة والبراعة على حد تعبيرهما، لأنهما كانا يأملان أن يشكل هذا الإنجاز باكورة الجهود الإسبانية للسيطرة على بلاد المغرب، ونشر الديانة المسيحية فيها، والتزما بمنح الدوق غوزمان مليونين وثمانمائة ألف دينار مرابطي سنوياً من أجل دفع مرتبات الجند والعمال، كما تم منح الحامية الإسبانية هناك كميات كبيرة من القمح من أجل مساعدتها على البقاء والصمود، ولمواصلة الحرب ضد المسلمين⁽¹³⁶⁾.

وفي رسالتها المؤرخة في الثامن عشر من تشرين الأول 1497م، والموجهة إلى دوق مدينا سيدونيا أكد الملكان فرناندو وإيزابيلا على أهمية مليلة بالنسبة للعالم المسيحي، ودعيها هو واستوبينيان للمحافظة على هذا الموقع المهم، حتى لا تتعرض المصالح المسيحية في شمال إفريقيا للخطر، واستخدم الملكان العبارات الدينية لاستثارة عواطف الدوق، الذي أبدى حرصاً كبيراً على ضرورة الالتزام بالتعليمات الملكية⁽¹³⁷⁾.

وفي الثالث عشر من نيسان 1498م اتفق الملكان معه على جميع الميزانيات والاحتياجات اللازمة للحفاظ على المدينة، وتم تحرير وثيقة بهذا الصدد في مدينة الكالا دي هيناريز Alcala de Henares، الواقعة شمال شرق مدريد، ووقع عليها كل من الملكين والدوق، والتزم فيها الملكان بالاستمرار في عملية التمويل، بينما التزم الدوق هو الآخر بالإبقاء على المدينة تحت سلطة التاج الملكي⁽¹³⁸⁾.

ووفاءً من التاج الملكي بهذه الالتزامات، فقد وجه الملك فرناندو من سرقسطة⁽¹³⁹⁾ Zaragoza رسالة في السادس من أيلول 1498م إلى الدوق، تضمنت وصفاً للاحتياجات والمتطلبات التي أعدها بهدف إرسالها إلى مليلة، ولم تقتصر الالتزامات الملكية على الاحتياجات الدفاعية والعسكرية فحسب، وإنما تعهد الملك فيها أيضاً بتوفير كل المتطلبات الضرورية للحياة العادية، كالحرفيين، والصناع، والمهنيين⁽¹⁴⁰⁾.

وفي وقت لاحق أرسل البلاط الملكي الإسباني إلى مليلة قوة تعزيزية تكونت من مائة من حملة الرماح، ومائة من حملة البنادق، بقيادة مانويل دي بينابيداس Manuel de Benavidas، ومعه أيضاً خمسمائة من الأيدي العاملة والمزارعين، بالإضافة إلى الموظفين، والأطباء، بهدف تدعيم الحامية الإسبانية، واستكمال عملية الإعمار⁽¹⁴¹⁾، وفي عام 1500م، تم استقدام الفارس الإشبيلي غونزالو دي ريبيرا Gonzalo de Ribera (ت. 1520م)؛ صاحب السجل الحافل في الحروب ضد مسلمي الأندلس، ليكون حاكماً وعمدة لبلدة مليلة، فحكمها من العام المذكور حتى عام 1510م⁽¹⁴²⁾.

ومن ناحية أخرى خشي ملك فاس الوطاسي أن تشكل السيطرة الإسبانية على مليلة مقدمة للسيطرة على عاصمته وغيرها من المدن المغربية، ومن أجل تجنب ذلك؛ عمل على تعزيز سيطرته على بلدة غساسة المجاورة، فأرسل إليها ألفين وخمسمائة من الجند، وبدورهم عمل شيوخ غساسة على مد جسور علاقاتهم مع القبائل المجاورة من أجل منع الإسبان من الخروج من مليلة إلى باقي المناطق⁽¹⁴³⁾.

♦ السيطرة الإسبانية على بلدة غساسة (1497 - 1504 م / 903 - 910 هـ) : بعد أن تم للإسبان إحكام سيطرتهم على مليلة، انشغلوا بالتصدي للثورات الإسلامية في جبال البشترات وحي البيازين في غرناطة (1499 - 1501 م / 904 - 906 هـ)⁽¹⁴⁴⁾، والتي تأججت على خلفية سياسة القتل، والتنصير، والتهجير التي اتبعتها الملكان الكاثوليكيان ضد من تبقى من مسلمي الأندلس، بتنفيذ مباشر من أسقفية طليطلة⁽¹⁴⁵⁾، وعلى رأسها الكاردينال فرانسيسكو خيمينيس دي ثيزنيروس، وفي الوقت ذاته حملت إسبانيا مسلمي بلاد المغرب مسؤولية تشجيع الأندلسيين ومساعدتهم على الثورة، مما عزز من قناعة الملكين بضرورة الاستمرار في مهاجمة المدن الإسلامية هناك واحتلالها⁽¹⁴⁶⁾.

ونظراً للأهمية التي أولاها الإسبان لبلدة غساسة، فقد صدرت التعليمات من قبل دوق مديناسيدونيا إلى حاكم مليلة غونزالو دي ريبيرا للقيام باحتلالها، ومن أجل المساعدة على إنجاز هذه المهمة؛ وصلت من ميناء مالقة⁽¹⁴⁷⁾ الإسباني بعض السفن الحربية وعلى متنها عدد من الرجال، وعندما وصل دي ريبيرا إلى غساسة حاول أهلها الدفاع عنها، ولكن القوات الإسبانية استخدمت المدافع في دك أسوارها وحصونها، وخلال ذلك شارفت الذخيرة وقذائف المدفعية على النفاذ، حينها قام الدوق بإنجاد القوات الإسبانية المحاصرة، مما مكن الإسبان من كسر المقاومة الإسلامية والسيطرة على البلدة وقلعتها، فتم شحنها بالرجال، والعتاد، والمدفعية، والمواد التموينية⁽¹⁴⁸⁾.

وعلى العكس مما قيل بأن الهجوم الإسباني قد جوبه بمقاومة ضارية من قبل أهالي غساسة، أفاد بعضهم بأنه عندما وصلها دي ريبيرا استطاع التفاهم مع سكانها، فاستسلموا دون مقاومة⁽¹⁴⁹⁾، وقيل أيضاً؛ بأنه عندما وصلها وجدها خالية من سكانها، بعد أن فروا عنها بأرواحهم ومتاعهم خوفاً من القتل، فاحتلها دون عناء⁽¹⁵⁰⁾.

وفي الوقت الذي لم تأت فيه معظم المصادر التاريخية على ذكر العام الذي سقطت فيه غساسة بيد الإسبان، إلا أن إحدى الوثائق أفادت أنه وبسبب جهود جوان الفونسو دي

غوزمان، والتي تمخضت عن احتلال غساسة فقد كافأه الملكان فرناندو وإيزابيل في الرابع من تشرين الأول 1504م، بمنحه لقب ووسام «مركيس غساسة Marques de la Cazaza»، تقديراً له على جهوده في فتح هذه البلدة القوية والحصينة⁽¹⁵¹⁾، مما يدعو للاعتقاد بأن المدينة ربما تكون قد سقطت في ذلك العام أو قبله بقليل، إلا أن المؤرخ الإسباني بيرنالديز أشار بأن غساسة قد احتلت في العام الذي سقطت فيه مليلة، ثم عاد ليذكر في موضع آخر من كتابه أن مدينة غساسة قد سقطت في نيسان من عام 1506م⁽¹⁵²⁾، كما أفاد خيرونيمو ثوريتا بأنها سقطت في التاريخ الأخير⁽¹⁵³⁾.

على أية حال فقد اتضح أن السياسة التوسعية الإسبانية لم تقف عند حدود مليلة فحسب، بل تعدتها إلى المناطق المجاورة، فسيطرت على بلدة غساسة معتقدة أن بقاءها وقلعته بيد المسلمين يشكل خطراً كبيراً على الوجود الإسباني في مليلة، وتجدر هنا الإشارة، أن ارتباكاً كبيراً قد ساد المصادر التاريخية حيال تحديد العام الذي احتلت فيه بلدة غساسة، ولذلك تهزبت المراجع التاريخية الحديثة من تحديده خشية الوقوع في الخطأ على ما يبدو، واكتفت بالقول بأن غساسة قد احتلت بعد أن تم للإسبان السيطرة على مليلة، وإزاء هذا الاشكال؛ يبدو بأن غساسة قد احتلت خلال الفترة الواقعة ما بين 1500م و 1504م، مع ترجيح العام الأخير أو قبيله بقليل، ومما يدعم هذا الرأي؛ بأن من قام بالسيطرة على غساسة هو حاكم مليلة غونزالو مارينو دي ريبيرا، الذي كان قد استلم الحكم في مليلة عام 1500م، وكذلك ما ورد في الوثيقة المشار إليها من أن البلاط الإسباني قد منح دوق مديناسيدونيا لقب مركيس غساسة عام 1504م.

وتأكيداً على استراتيجيات السياسة الخارجية الإسبانية تجاه المسلمين؛ لم تغفل الملكة إيزابيلا أمر بلاد المغرب، حتى وهي تصارع الموت، حينما كتبت وصيتها، والتي دعت فيها زوجها الملك فرناندو وابنتها خوانا القشتالية Juana de Castilla (م1555- 1479) ملكة قشتالة وزوجها الأمير فيليب الأول (م1506- 1478) Felipe I؛ إلى ضرورة الاستمرار في غزو بلاد المغرب، لتنصير أهله، ورفع شارة الصليب فوق أراضيهِ بدلاً من الهلال، فتقاطعت وصيتها تلك مع طموحات الملك، وكبار رجال الدولة، وكان لهذه الوصية أثرٌ كبيرٌ في إلهاب حماسهم الروحي، للاستمرار بالحرب المقدسة ضد مسلمي بلاد المغرب، بدعم من المؤسسة البابوية في روما⁽¹⁵⁴⁾، فشكل كل ذلك أرضيةً صلبةً، انطلقت منها السياسة الإسبانية تجاه بلاد المغرب خلال الفترات اللاحقة.

نتائج البحث:

بعد كتابة هذا البحث وإنجازه، يمكن استخلاص عدد من النتائج، أهمها:
لم تقف الحروب الصليبية في حدودها الزمانية عند تاريخ 1291م، ولم تنحصر
مكانياً ببلاد الشرق الإسلامي الأدنى، ولكنها انتقلت إلى أطوار وأماكن جديدة، وما
السياسة العدوانية الإسبانية المدعومة من البابوية تجاه مسلمي كل من الأندلس والمغرب،
إلا جزءاً من تلك الحروب وامتداداً لها، ولذلك فإنه من الإجحاف المنطقي والتاريخي إخراج
تلك السياسة من دائرة مفهوم «الحروب الصليبية»، كما يحلو للبعض أن يفعل.

وأشارت تفاصيل البحث بشكل واضح إلى جدلية العلاقة التاريخية، والدينية،
والحضارية، والسياسية ما بين الأندلس والمغرب، ولعل من أهم مظاهر ذلك؛ أن انهيار
الوجود الإسلامي في الأندلس ما لبث أن أثر سلباً على واقع بلاد المغرب، فوقعت الأخيرة
بعد ذلك مباشرة ضحية للسياسة الصليبية، والاستعمارية الإسبانية، والتي تعد استمراراً
للسياسة الإسبانية تجاه مسلمي الأندلس.

وشكّلت الفترة الواقعة ما بين 1492 و 1504م، وما تخللها من تزايد للنزعة
الاستعمارية الصليبية في إسبانيا القاعدة التي أسست لحركة الاستعمار الصليبية في بلاد
المغرب، والتي لا تزال نرى ذيولها على صورة الجزر والمواقع المغربية المحتلة بما فيها
مليلة، التي لا تزال ترزح تحت نير السيطرة الإسبانية إلى يومنا هذا.

وأخيراً؛ بين البحث أهمية الوحدة الداخلية للمجتمعات والكيانات السياسية
في مواجهة الأخطار الخارجية، وبالمقابل خطورة الضعف الداخلي على بقاء الدول
ومنعتها وديمومتها.

الهوامش:

1. الدولة الموحدية: دولة إسلامية قامت في بلاد المغرب، وعاصمتها مراكش، أسسها المهدي محمد بن تومرت (1121 - 1130 م / 515 - 524 هـ)، ويناها ووطد أمرها خليفته عبد المؤمن بن علي الكومي (1130 - 1163 م / 524 - 558 هـ)، وبقيت هذه الدولة تحكم معظم بلاد المغرب إلى أن ضعفت وبادت عام 1269 / 668 هـ، للاطلاع على تاريخها، انظر: الزركشي، أبا عبد الله، محمد بن إبراهيم (كان حياً عام 1488 م / 894 هـ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م.

2. معركة العقاب: حدثت بين الإسبان بقيادة الملك القشتالي ألفونسو الثامن -Alfonso VIII (1158- 1214 م / 553- 611 هـ) والموحدين بقيادة الخليفة محمد الناصر (1198 - 1213 م / 594 - 610 هـ)، في موضع يقال له العقاب شرقي الأندلس عام 1212 م / 609 هـ، ودارت الدائرة فيها على الموحدين، انظر: المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت. 1631 م / 1040 هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (د. ط)، دار صادر، بيروت، 1988 م، ج4، ص383.

3. القالة: مدينة تقع على بعد ما يقرب من خمسة وستين ميلاً إلى الغرب من مدينة عنابة، على ساحل البلاد الجزائرية، انظر: ابن حوقل، أبا القاسم بن حوقل النصيبي (ت. 990 م / 380 هـ): صورة الأرض، (د. ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979 م، ص76.

4. Marceir, Ernest: Histoire L'Afrique Septentrional, 3vols. , Ernest Leroux, Paris, 1868, II, pp. 219- 220.

5. جزيرة جربة: تقع في الجزء الجنوبي من خليج قابس التونسي، وعلى بعد خمسة وثلاثين ميلاً من مدينة قابس الساحلية، يفصلها عن اليابسة برزخ قليل العرض، أرضها رملية، وتكثر فيها أشجار النخيل والكروم والزيتون، انظر:

Marmol, Carvajal, Luis del (1520- 1600) : L'Afrique, 3vols. , T. Tolly, Paris, 1667, II, p. 539.

6. Zurita, Jeronimo (1512- 1580) : Anales de la Corona de Aragon, ed. de A. C. Lopez Zaragoza, 1967- 1977, Lib. IV: Cap. XLIX.

7. طرابلس: مدينة ساحلية على بعد ما يقرب من أربعمئة ميل جنوب شرق مدينة تونس، وكانت قد بنيت في سهل رملي مليء بالأشجار وخاصة النخيل، انظر: الإدريسي، محمد

- بن محمد (ت560هـ / 1164م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزءان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ج1، ص297 و299.
8. المهديّة: مدينة ساحلية شرقي البلاد التونسية، على بعد ستين ميلاً جنوب شرق مدينة القيروان، وسميت بالمهديّة نسبة لبانيها عبيد الله المهدي (909 - 934م / 297 - 322هـ)، يحيط البحر بها من ثلاث جهات، ولها سور وحصن منيعين، وميناء حسن، انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت. 1495م / 900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (د. ط.)، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص172.
9. Marceir, Op. cit, p. 233.
10. سبتة: مدينة ساحلية تقع شمال بلاد المغرب الأقصى، على مضيق جبل طارق، قبالة الجزيرة الخضراء، يحيط بها سور، وإلى الغرب منها يقع جبل موسى، نسبة للوالي موسى بن نصير (ت. 97هـ)، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص303.
11. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت. 1405م / 808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 7 أجزاء، (د. ط.)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1971م، ج7، ص178.
12. نهر ملوية: أحد أنهار بلاد المغرب الأقصى، ينبع من جبال تازا الواقعة في شرقيها، ومن روافده نهري زين وسجلماسة، ويصب في البحر المتوسط عند بلدة غساسة، انظر: المراكشي، عبدالواحد (ت. 1249م / 647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه: محمد العريان ومحمد العلمي، (د. ط.)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1949م، ص364.
13. Acero, Beatriz Alonso: Oran y Mazalquivir en la Política Norteafricana de España 1589- 1639, Tesis Doctoral, Departamento de la Historia Moderna, Facultad de Geografía e Historia, Universidad Complutense de Madrid, 1997, p. 2.
14. الزركشي، المصدر السابق، ص94.
15. عنابة: مدينة ساحلية جزائرية، على بعد مائة وعشرة أميال شرقي مدينة جيجل، بنيت على سفح منحدر، وكانت تدعى خلال الفترة الرومانية باسم هيبون Hippon، انظر: Nicolay, Nicolas de (1517- 1583) : Les Navigations, Peregrinations et Voyages Faicts en la Turquie, G. Silvius, Anvers, 1576, p. 23

16. ابن القنفذ، أبو العباس، أحمد بن حسين (ت. 1407م / 810هـ): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد النيفر وعبدالمجيد التركي، (د. ط) الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ت)، ص 196.
17. تطوان: مدينة مغربية تقع على بعد واحد وثلاثين ميلاً جنوب غرب مدينة سبتة الساحلية، انظر: سرهنك، إسماعيل: حقايق الأخبار عن دول البحار، جزآن، ط 1، بولاق، القاهرة، 1312هـ، ج 1، ص 273.
18. جزائر قرقنة: جزيرتان صغيرتان تقعان في الجزء الشمالي من خليج قابس، قبالة الساحل الشرقي للبلاد التونسية، على بعد عشرة أميال شرقي مدينة صفاقس، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت. 1229م / 626هـ): معجم البلدان، 8 أجزاء، تقديم: محمد المرعشلي، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، ج 7، ص 35.
19. الزركشي: المصدر السابق، ص 126 - 127.
20. المصدر نفسه، ص 129.
21. عمران، محمود سعيد: الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين على مصر 1218 - 1221م / 615 - 618 هـ، ط 2، دار المعارف، الإسكندرية، 1985م، ص 369.
22. للاطلاع على المشاريع الصليبية التي طرحت منذ نهاية القرن الثالث عشر، انظر: حسين، ممدوح ومصطفى، شاكر: الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري 668 - 792هـ / 1270 - 1390م، ط 1، دار عمار للنشر، عمان - الأردن، 1998م، ص 385.
23. برقة: مدينة كبيرة تقع بين على حدود الصحراء الغربية المصرية، وتبعد عن البحر ستة أميال، وتتميز بتربنتها الرملية الحمراء الخصبة، وتشتهر بصناعة الجلود وزراعة القطن، ويسمى إقليمها باسمها، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 91.
24. الإصطخري، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد (ت. 950م / 339هـ): مسالك الممالك، طبعة ليدن، دار صادر، بيروت، 1927م، ص 36 - 37: المقدسي، شمس الدين، أبي عبد الله محمد (ت. 1000م / 390هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، دار صادر، بيروت، 1909م، ص 216.
25. أحمد، مصطفى أبو ضيف: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبنو مرين، ط 1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م، ص 26.
26. حسين، المرجع السابق، ص 52.

27. صلاح العقاد: المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص9.
28. أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن محمد (ت. 1332م / 732هـ): تقويم البلدان، (د. ط)، دار صادر، بيروت، 1840م، ص122. بجاية: مدينة على ساحل البحر المتوسط، على بعد مسير أربعة أيام شرقي مدينة الجزائر، انظر: البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت. 1339م / 739هـ): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3 أجزاء، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج1، ص330. وعلى بعد ستة وثلاثين ميلاً إلى الغرب من مدينة جيجل، انظر:
- Davity, Pierre (1573- 1635) : Description Generale de l'Afrique, 1st. ed. , C. Sonnius, Paris, 1637, p. 191.
29. القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي (ت. 1418م / 821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د. ط)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، (د. ت) ، ج5 ص100، أفريقية: سميت بهذا الاسم نسبة لأفريقش بن أبرهة ملك اليمن بعد أن غزاها، وقيل أن معنى أفريقية «صاحبة السماء»، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص47.
30. حسين، المرجع السابق، ص54.
31. الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (1483 - 1550م / 888 - 957هـ): وصف إفريقيا، جزآن، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- الرباط، 1983م، ج2، ص33، ص58.
32. أبو الفداء، المصدر السابق، ص122.
33. Elliott, J.: Imperial Spain 1469- 1716, 1st. ed. , Penguin Group, London, 1963, p. 33.
34. بلاد السودان أو أرض السودان: هي البلاد الواقعة جنوب صحراء بلاد المغرب، وشكلت على الدوام معبراً للتجار القادمين من مملكة تنبكتو، انظر: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص29.
35. يحيى، جلال: تاريخ المغرب الكبير، 4 أجزاء، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ج3، ص4-5.

36. للإطلاع على تاريخ المملكة الحفصية، انظر: ابن الشماع، أبا عبد الله، محمد بن أحمد (ألف كتابه عام 1457م / 861هـ): الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، (د. ط)، دار العربية للكتاب، طرابلس، 1984م؛ المطوي، محمد العروسي: السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، (د. ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
37. للمزيد انظر: التنسي، محمد بن عبدالله (ت. 1494م / 899هـ): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، د. ط، موقف للنشر، الجزائر، 2011م.
38. للإطلاع على نشأة وتاريخ الدولة المرينية انظر: الفاسي، علي بن أبي زرع (ت. 1340م / 741هـ): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، (د. ط)، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م؛ الحريري، محمد عيسى: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.
39. السراج، محمد بن محمد الأندلسي (ت. 1736م / 1149هـ): الحلل السندسية في الأخبار التونسية، 3 أجزاء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ج2، ص195 - 198. وللمزيد عن واقع حركة التصوف في بلاد المغرب خلال القرن الخامس عشر، انظر: Marceir, Op. cit. , III, pp. 12- 14.
40. الجزائر: وتسمى أيضاً جزائر بني مزغنة، نسبة لإحدى القبائل التي سكنتها، لها مرسى كبير، ويتصل بها فحص متيجة، وتبعد عن شرشال سبعين ميلاً، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص163.
41. الزركشي، المصدر السابق، ص150 - 154.
42. السراج، المصدر السابق، ج2، ص196.
43. العامري، محمد الهادي: تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون، (د. ط)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974م، ص145.
44. الزركشي، المصدر السابق، ص137 - 146، ولمزيد من الاطلاع على الثورات التي انطلقت من بجاية، انظر: المطوي: المرجع السابق، ص621 - 624.
45. ابن أبي الضياف، أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، 4 أجزاء، تحقيق: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، (د. ط)، دار العربية للكتاب، تونس، 1999م، مج1، ج2، ص189 - 190.

46. الزركشي، المصدر السابق، ص 129.
47. وهران: مدينة ساحلية في بلاد المغرب الأوسط، على بعد مائة وأربعين ميلاً إلى الشمال الشرقي من مدينة تلمسان، واشتهرت منذ القدم بحيوية أسواقها وكثرة صنائعها ورواج تجارتها وكثرة بساطينها وثمارها، انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 252.
48. مليانة: مدينة جزائرية تقع على بعد خمسة وعشرون ميلاً جنوب مدينة شرشال الساحلية، وصفت بأنها مدينة قديمة وحسنة البناء، وتنتشر حولها المزارع، انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 253.
49. تنس: مدينة جزائرية مسورة حصينة، تقع على بعد ما يقرب من مائة وخمسين ميلاً غرب مدينة الجزائر، بني بعضها على سفح جبل، وبني البعض الآخر في السهل، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 138.
50. المزاري، أبو إسماعيل بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق: يحيى بو عزيز، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص 194 - 195.
51. مستغانم: مدينة ساحلية مسورة في المغرب الأوسط، تقع إلى الغرب من مدينة الجزائر وإلى الشرق من مدينة وهران، بنيت بين مصب واديين مشهورين هما: مصب وادي الشلف في الشمال الشرقي منها ومصب وادي المقطع في الجنوب الغربي منها، انظر: الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 32.
52. تلمسان: قاعدة بلاد المغرب الأوسط، وهي مدينة مسورة لها خمسة أبواب، وبالقرب منها يجري نهر سطفسييف، وتشرف على سهل طوله خمسة وعشرون ميلاً، وإلى الشمال الشرق منها تقع مدينة وهران، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 135.
53. الزركشي، المصدر السابق، ص 152 - 153.
54. Barges, l'Abbe J.: Complement de l'Histoire des Beni- Zeiyan, Rois de Tlemcen, Ernest Leroux, Paris, 1887, p. 353.
55. المنصورة: مدينة اختطها الملك يوسف بن يعقوب المريني (1286 - 1306 م / 685 - 706 هـ) بجانب مدينة تلمسان خلال حصاره للأخيرة، فاكتمل بناؤها عام 1302 م / 702 هـ وشيّد فيها قصوراً ودوراً وحمامات ونزل ومشافي، انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 221.
56. Barges, Op. cit. , pp. 355- 356.
57. Ibid. , p. 403.

58. أصيلا: مدينة ساحلية مسورة تقع شمال غرب بلاد المغرب الأقصى، بنيت في سهل كثير الخصب، وعليها خمسة أبواب، ولها مرسى حسن، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص42.
59. طنجة: مدينة ساحلية تقع شمال بلاد المغرب الأقصى، بينها وبين سبتة ثلاثون ميلاً، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص396.
60. فاس: قاعدة بلاد المغرب الأقصى، وهي عبارة عن مدينتين يفصل بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس، ويحيط بالمدينة سور كبير، وكانت فاس قد تأسست على يد الأدارسة في الربع الثاني من القرن الثاني الهجري، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص434.
61. الناصري، أبو العباس، أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 8 أجزاء، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، د. ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج4، ص95 - 99؛ انظر أيضاً: الحريري، المرجع السابق، ص185 - 187.
62. الوطاسيون: ملوك الدولة الوطاسية (1465 - 1554م / 869 - 961هـ) التي قامت على أنقاض دولة بني مرين في بلاد المغرب الأقصى، ولمزيد من المعلومات عنها، راجع: أبو دياك، صالح: دولة بني وطاس ودورها السياسي والحضاري في المغرب، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1982م.
63. الناصري، المصدر السابق، ج4، ص119 - 124.
64. شرشال: مدينة في المغرب الأوسط على بعد سبعين ميلاً غربي مدينة الجزائر، اشتهرت بغنى محيطها بالأشجار والمياه، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص340.
65. العروي، عبدالله: تاريخ المغرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977م، ص227.
66. المرجع نفسه، ص238 - 239.
67. القيروان: مدينة تونسية تقع على بعد مائة ميل جنوب مدينة تونس، بناها الفاتح المسلم عقبة بن نافع الفهري (622 - 683م / 1 - 63هـ) عام 670م / 50هـ، انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص7.
68. علي بك، محمود إدريس: طرابلس الغرب منذ الهجرة الهلالية إلى بداية العصر العثماني، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1998م، ص356.
69. العروي، المرجع السابق، ص227.

70. عنان، محمد عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، وهو العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987م، ص 85 - 88.

Zurita, Anales, Op. cit. , Lib. XI: Cap. IX. 71

Ibid. , Lib. XVIII: Cap. XXVI. 72

Fredet, Peter: Modern History From the Coming Christ and the Change of the Roman Republic Into an Empire to the Year of Our Lord 1850, 10th. ed. , Charles Dolman Com, London, 1853, p. 347.

Strayer, Joseph R. and Munro, Dana C.: The Middle Ages, 4th. ed. , Ap. 74 pleton- Century- Crofts, New York, 1959, p. 511.

.Acero, Op. cit. , p. 3. 75

وللاطلاع على كامل بنود معاهدة الكاكوفاس، انظر:

Davenport, F. and Paullin, C.: European Treaties Bearing on the History, Lawbook E. , New- Jersey, 2004, pp. 35- 48.

76. مملكة غرناطة: اشتملت على الأراضي الواقعة جنوبي نهر الوادي الكبير، وتضمنت ثلاث ولايات: غرناطة والمرية ومالقة، انظر، ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (1374م / 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، 4 أجزاء، تحقيق: محمد عبدالله عنان، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ج 1، ص 16.

77. غرناطة: أو أغرناطة، عاصمة مملكة غرناطة، وتقع جنوبي البلاد الأندلسية ضمن أعمال البيرة، وهي مدينة مسورة تقع على وادي حدرة المتفرع من نهر شنيل؛ أحد روافد نهر الوادي الكبير، وتبعد عن مدينة وادي آش أربعين ميلاً، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 45.

Zurita, Anales, Op. cit. , Lib. XX: Cap. XCII. 78

ولمزيد من التفاصيل حول مراحل السيطرة الإسبانية على مدينة غرناطة، انظر:

Bernaldez, Andres (1450- 1513) : Historia de los Reys Catolicos, 2Vols. , Liberia de D. Jose M. Zamora, Granada, 1856, I, pp. 214- 230.

Irving, Washington: The Works of Washington Irving, G. P. Putnam, New York, 1852, XIV, pp. 481- 527.

79. الكاردينال فرانسيسكو خيمينيس دي تيزنيروس: ولد بقرشالة عام 1436م، درس الفلسفة والتوحيد ودخل سلك الرهبنة، وأصبح من أقرب رجال البلاط للملكين فرناندو وإيزابيل، شغل منصب رئيس أساقفة طليطلة خلال (1495 - 1517م) شديد العداء

للإسلام والمسلمين في الأندلس والمغرب، ولما مات الملك فرناندو في الثالث والعشرين من كانون الثاني عام 1516م، تولى خيمينيس مهمة تسيير شؤون الدولة حتى قبيل وفاته عام 1517م، ولمزيد من الإطلاع على سيرته، انظر:

Baudier, Michel (1589- 1645) : Histoire de l'Administration du Cardinal Ximenes Grand Ministre d'Etat en Espagne, S. Cramoisy, Paris, 1635, pp. 1- 20.

Zurita, Jeronimo (1512- 1580) : Historia del Roy Don Fernando el Catolico, 2Vols. , de las Empresas, y Ligas de Italia, Zaragoza, 1580, I, P. 209.

Davila, Gil Gonzalez (1578- 1658) : Teatro Eclesiastico de las Iglesias Metropolitanas, y Catedrales de los Reynos de las Dos Castillas, P. de Horna y Villanueva, Madrid, 1547, II, p. 279.

Zurita, Historia, I, P. 209. .82

Housley, Norman: The Later Crusades 1274- 1580, From Lyons to Alcazar, 1st. ed. , Oxford Univesity Press, New York, 1992, p. 305. .83

.84 موسنيه، رولان: تاريخ الحضارات العام، القرنان السادس عشر والسابع عشر، إشراف موريس كروزيه، ترجمة يوسف أسعد داغر وفريد م. داغر، ط2، منشورات عويدات بيروت - باريس، 1987م، ج4، ص424.

.85 الغنيمي، عبد الفتاح مقلد: موسوعة تاريخ المغرب العربي، 6 أجزاء، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م، ج6، ص87.

.86 بلنسية: عرفت بمدينة التراب، تقع على ضفة المتوسط شرقي بلاد الأندلس، وكانت تتبع لها مناطق أخرى، انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص386.

.87 مرسية: مدينة في كورة تدمير بالشرق الأندلسي، ولها نهر يسمى باسمها، وتبعد عن بلنسية خمس مراحل، انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص557 - 559.

.88 إشبيلية: مدينة تقع على نهر الوادي الكبير، معنى اسمها المدينة المنبسطة، وهي من بناء الرومان، ويطل عليها جبل الشرف، واشتهرت بالزيتون والقطن وقصب السكر، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص58 - 60.

.89 هنين: مدينة ساحلية تبعد ما يقرب من أربعة وثلاثين ميلاً إلى الشمال من مدينة تلمسان، وثلاث وتسعين ميلاً إلى الغرب من مدينة وهران، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص597.

90. سعيدوني، ناصر الدين: مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ص44.
91. Currey, E. :; Sea- Wolves of the Mediterranean, J. Hurrey, London, 1910, p. 30.
92. Ibid.
93. Manesson- Mallet, A. (1630- 1706) : Description de l'Univers, 5 vols. , D. Thierry, Paris, 1683, III, pp. 22- 25.
94. Kumrular, Ozlem: El Duelo Entre Carlos V y Soliman El Magnifico (1520- 1535) , Doctoral Thesis, Departamento de Historia Medieval, Moderna, Universidad de Salamanca, Espana, 2004, p. 122.
95. عنان، المرجع السابق، ص383.
96. للإطلاع على حركة الكشوف الجغرافية، انظر: شاكر، محمود: الكشوف الجغرافية، دوافعها- حقيقتها، ط2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1988م.
97. الراقد، محمد: الغزو العثماني لمصر ومطلع العهد العثماني فيها، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 1968م، ص146 - 147.
98. عمران، محمود سعيد: تاريخ الحروب الصليبية 1095 - 1291م، د. ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000م، ص347.
99. المنصوري، عثمان: التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2001م، ص265.
100. فارس، محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث منذ الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979م، ص14.
101. الحاميات العسكرية: المواقع والتجمعات العسكرية الإسبانية المسماة Presidios ومفردتها Presidio، واشتق هذا الاسم من الكلمة اللاتينية praesidia، وتعني الحصن المسور والمخصص لإيواء المجرمين من المحكوم عليهم بالسجن لفترات طويلة، ويتم تشغيلهم بأعمال تعود بالنفع على الدولة، وكان هذا النمط من الحصون أو السجون قد شاع خلال العصور الوسطى، أما الإسبان فاستخدموا هذا المصطلح للإشارة إلى مستعمراتهم المشتتة على حاميات عسكرية، كما كان عليه الحال في بلاد المغرب، انظر:
- Pike, Ruth: Panal Servitude in Early Modern Spain, University of Wisconsin press, Madison, 1983, p. 41.

102. Zafra, Fernando de (1460- 1507) : Carta de Fernando de Zafra a los Senores Reyes Catolicos, Granada 12 Febrero 1494, Archivo General de Simancas (A. G. S.) , legajo num. 1315, C. f. , Real Academia de la Historia: Coleccion de Documentos Ineditos Para la Historia de Espana (CODOIN) , 112 vols. , Imprenta de la Viuda de Calero, Rafael Marco y Vinas, Miguel Ginesta, Madrid, 1842- 1895, LI, 1867, pp. 78- 83.

103. Zafra, carta de Fernando de Zafra a Los Reyes Catolicos, Malaga 2 Abril 1494, A. G. S. , legajo num. 1315, C. f. , CODOIN, Op. cit. , XIV, pp. 480- 481.

104. الدينار المرابطي: وحدة نقد ذهبية أو فضية استخدمت في إسبانيا منذ الفترة المرابطية وحتى القرن التاسع عشر الميلادي، انظر:

Sedillot, Rene: Toutes les Monnaies du Monde, R. Sirey, Paris, 1955, pp. 170- 171.

105. Zafra, Copia de Minuta Enmendada Por Fernando de Zafra, del Pre-supuesto de la Gente y Dinero Para la Espedicion de Africa (sin fecha) , A. G. S, legajo num. 1315, C. f. , CODOIN, Op. cit. , LI, p. 108.

106. Zurita, Historia, II, P. 25.

107. Ibid. , I, pp. 30- 32.

108. جزيرة بادس غمارة: شبه جزيرة صخرية تكونت بفعل امتداد لسان بري داخل البحر في الساحل الشمالي من المتوسط، في المنطقة الواقعة على بعد أربعة وسبعين ميلاً جنوب شرق مدينة سبتة، وتتميز بعلو تضاريسها ووعورتها الشديدة؛ بحيث لا يمكن الوصول إلى قماتها إلا عبر ممر ضيق لا يستطيع تسلكه سوى شخص واحد، ولها ميناء حسن يحوي داراً لصناعة السفن، انظر: Marmol, Op. cit. , II, p. 252.

109. Zurita, Historia, I, p. 48.

وحسب رأي البعض فقد اعتبرت معاهدة تورديسيلاس أول عملية تقسيم استعمارية للعالم برعاية بابوية، انظر: نجيه، جان بير، وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام، جزءان، ترجمة: وجيه البعيني، ط 1، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 1995م، ج 1، ص 244. ولمزيد من الإطلاع على علاقة البابا أليساندرو السادس مع الملكين الكاثوليكين ومدى الدعم الذي منحه لهما، انظر:

Miralles, Alvaro Fernandez de Cordova: Alejandro VI y Los Reyes Catolicos, Relaciones Politico- Eclesiasticas (1492- 1503) , Thesis ad Doctoratum in Theologia, Facultas Theologiae, Pontificia Univirsitas Sanctae Crucis, Romae, 2005, passim.

110. المريّة: مدينة أندلسية ساحلية تقع جنوب شرق بلاد الأندلس، بناها الخليفة عبدالرحمن الثالث (912 - 961 م / 300 - 350 هـ) عام 955 م / 344 هـ، مرساها من أهم مراسي بلاد الأندلس، واشتهرت بالصناعات المعدنية، والنسيجية وخاصة الحريرية منها، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 537 - 538.
111. Davity, Op. cit. , p. 527.
112. Medina, Pedro de (1493- 1567) : Cronica de Los Doques de Medina Sidonia, Condes de Niebla, Marqueses de Cazaza en Africa, 1561, in CODOIN, Op. cit. , XXXIX, pp. 317- 318.
113. Zafra, Copia de Minuta de Fernando de Zafra a Los Reyes Catolicos, sobre la Impresa de Africa, 25 Abril 1494 (A. G. S, legajo num. 1315) , C. f. , CODOIN, Op. cit. , LI, p. 89- 91.
114. Bernaldez, Op. cit. , II, p. 16.
115. الوزان: المصدر السابق، ج 1، ص 341.
116. شذونة: تقع جنوب الأندلس، على مقربة من ساحل الأطلسي، وبالقرب منها جبل يدعى الواسط، وتشتهر بغنى مياهها بسمك التونة، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 339.
117. خوان ألونسو دي غوزمان: ولد في مدينة إشبيلية في شباط 1464م، تبوأ العديد من المناصب في إسبانيا أهمها الكونت الأول لمدينة نبله Niebla الإسبانية، والدوق الثالث لمدينة شذونة منذ عام 1492م حتى وفاته عام 1507م، انظر: CODOIN, Op. cit. , XXXVI, P. 490.
118. Medina, Op. cit. , p. 318.
119. Padilla, Lorenzo de (1483- 1540) : Cronica de Felipe I llamado El Hermoso, Escrita Por Don Lorenzo de Padilla y Dirigida al Emperador Carlos V, CODOIN, Op. cit. , VIII, pp. 49- 50.
120. Medina, Op. Cit. , pp. 318- 319.
121. الكارافيل: سفينة نقل شرعية حربية سريعة، فرنسية الطراز، كانت في الأصل معدة لنقل الخيول، ثم تطورت لتصبح سفينة نقل عامة، انظر: ابن اشنهو، عبد الحميد بن أبي زيان: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، (د. ط)، (د. ن)، الجزائر، 1972م، ص 104.
122. Medina, Op. Cit. , pp. 318- 319.
123. Bernaldez, Op. cit. , II, p. 16.

- Zurita, Historia, I, P. 136. .124
- Padilla, Op. cit. , p. 50. .125
- Medina, Op. Cit. , p. 319. .126
- Zurita, Historia, Op. cit. , I, P. 136. .127
- Padilla, Op. cit. , p. 51. .128
- .129 غساسة: بلدة على بعد عشرين ميلاً إلى الغرب من مدينة مليلة، وكانت أسوارها وقلعتها وتحصيناتها تتمتع بقدر كبير من القوة والمنعة، بالإضافة إلى صلاحية مينائها لرسو السفن، حيث كانت تقصده السفن التجارية من أجل المتاجرة مع أهل فاس، انظر: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص342.
- Medina, Op. Cit. , p. 319. .130
- Davity, Op. cit. , p. 527. .131
- .132 الوزان، المصدر السابق، ج1، ص341.
- Medina, Op. Cit. , p. 320. .133
- Padilla, Op. cit. , p. 51. .134
- Davity, Op. cit. , p. 527. .135
- Medina, Op. Cit. , p. 321. .136
- .137 Fernando II y Isabel I, Reyes: Carta Original de Los Reyes Catolicos al Duque de Medina sidonia, 18 Octubre 1497, Archivo del Excmo, Senor Duque de Medina sidonia, C. f. , CODOIN, Op. cit. , XXXVI, pp. 468- 469.
- .138 Asiento Hecho Con la Real Hacienda Por D. Juan Alonso de Guzman, Duque de Medina Sidonia, Sobre la Tenencia y Guarda de la Ciudad de Melilla, en Africa, Alcalá de Henares 13 Abril 1498, Archivo del Excmo- Senor Duque de Medina sidonia, C. f. , CODOIN, Op. cit. , XXXVI, pp. 469- 483.
- .139 سرقسطة: عاصمة الثغر الأعلى الأندلسي، وتسمى المدينة البيضاء، وتقع على نهر إيبرو شمال شرق البلاد، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص317.
- .140 Fernando II, Rey, Carta Original del Rey Catolico al Duque de Medina Sidonia, Disposiciones Para que no Falten Viveres en Melilla, Zaragoza 6 Setiembre 1498, Archivo del Excmo, Senor Duque de Medina Sidonia, C. f. , CODOIN, Op. cit. , XXXVI. , pp. 483- 484.
- Padilla, Op. cit. , p. 51. .141
- Medina, Op. Cit. , p. 321. .142
- Zurita, Historia, I, p. 136. .143

144. للاطلاع على تفاصيل هذه الثورات، انظر: Baudier, Op. cit. , pp. 22- 27.
145. طليطلة: عاصمة الثغر الأوسط الأندلسي، تقع على نهر التاج، وإلى الشمال منها تقع جبال الشارات، وكانت قبل الفتح الإسلامي عاصمة دولة القوط، وتبعد عن مدينة قرطبة تسع مراحل، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص394.
146. Padilla, Op. cit. , pp. 55- 58.
147. مالقة: مدينة ساحلية، تقع أقصى جنوب غرب بلاد الأندلس، وتبعد عن أرسذونة ما يقرب من ثمانية وعشرين ميلاً، انظر: الحميري، المصدر السابق، ص25.
148. Medina, Op. Cit. , p. 322
149. Bernaldez, Op. cit. , II, p. 120.
150. الوزان، المصدر السابق، ج1، ص342.
151. Fernando II, Isabel I, Reyes, Conquista de Cazaza por el doque de Medina sidonia, Medina del Campo 4 Octubre 1504, Archivo del Excmo, Senor Duque de Medina Sidonia, C. f. , CODOIN, Op. cit. , XXXVI, pp. 489- 492.
152. Bernaldez, Op. cit. , II, p. 120.
153. Zurita, Historia, II, P. 53.
154. Bernaldez, Op. cit. ,II, p. 117.

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر الأجنبية:

أ- المصادر:

1. Baudier, Michel (1589- 1645) : *Histoire de l'Administration du Cardinal Ximenes Grand Ministre d'Etat en Espagne*, S. Cramoisy, Paris, 1635.
2. Bernaldez, Andres (1450- 1513) : *Historia de Los Reys Catolicos*, 2vols. , Liberia de D. Jose M. Zamora, Granada, 1856.
3. Davila, Gil Gonzalez (1578- 1658) : *Teatro Eclesiastico de las Iglesias Metropolitanas, y Catedrales de los Reynos de las Dos Castillas*, P. de Horna y Villanueva, Madrid, 1547.
4. Davity, Pierre (1573- 1635) : *Description Generale de l'Afrique*, 1st. ed. , C. Sonnius, Paris, 1637.
5. Manesson- Mallet, A. (1630- 1706) : *Description de l'Univers*, 5vols. D. Thierry, Paris, 1683.
6. Marmol Carvajal, Luis del (1520- 1600) : *L'Afrique*, 3vols. , N. Perrot d'Ablancourt, T. Tolly, Paris, 1667.
7. Medina, Pedro de (1493- 1567) : *Cronica de Los Doques de Medina Sidonia, Condes de Niebla, Marqueses de Cazaza en Africa*, 1561, in CODOIN, XXXIX, 1861.
8. Nicolay, Nicolas de (1517- 1583) : *Les navigations, peregrinations et voyages faicts en la Turquie*, G. Silvius, Anvers, 1576.
9. Padilla, Lorenzo de (1483- 1540) : *Cronica de Felipe I llamado El Hermoso, Escrita Por Don Lorenzo de Padilla y Dirigida al Emperador Carlos V*, in CODOIN, VIII, 1846.
10. Real Academia de la Historia: *Coleccion de Documentos Ineditos Para la Historia de Espana (CODOIN) 112 vols. , Imprenta de la Viuda de Calero, Rafael Marco y Vinas, Miguel Ginesta, Madrid, 1842- 1895.*
11. Zurita, Jeronimo (1512- 1580) :
 - *Anales de la Corona de Aragon*, ed. de A. C. Lopez, Zaragoza, 1967- 1977.
 - *Historia del Rey Don Fernando El Catolico, de Las Empresas, y Ligas de Italia*, 2 vols. ,

12. *Domingo de Portonariis, y Ursino Impresor de la Sacra, Real, y Catolica Majestad, y del Reino de Aragon, Zaragoza, 1580.*

بـ المراجع:

1. *Acero, Beatriz Alonso: Oran y Mazalquivir en la Politica Norteafricana de Espana 1589- 1639, Tesis Doctoral, Departamento de la Historia Moderna, Facultad de Geografia e Historia, Universidad Complutense de Madrid, 1997.*
2. *Barges, l. ,: Complement de l'Histoire des Beni- Zeiyan, E. Leroux, Paris, 1887.*
3. *Currey, E. ,: Sea- Wolves of the Mediterranean, The Grand Period of the Moslem Corsairs, J. Hurrey, London, 1910.*
4. *Davenport, F. and Paullin, C. ,: European Treaties Bearing on the History, Lawbook E. , New- Jersey, 2004.*
5. *Elliott, J. ,: Imperial Spain 1469- 1716, 1st. ed. , Penguin Group, London, 1963.*
6. *Fredet, P. ,: Modern History From the Coming Christ and the Change of the Roman Republic Into an Empire to the Year of Our Lord 1850, 10th. ed. , Charles Dolman Com, London, 1853.*
7. *Housley, N. ,: The Later Crusades 1274- 1580, From Lyons to Alcazar, 1st. ed. , Oxford Univesity Press, New York, 1992.*
8. *Kumrular, Ozlem: El Duelo Entre Carlos V y Soliman El Magnifico (1520- 1535) , Doctoral Thesis, Departamento de Historia Medieval, Moderna, Universidad de Salamanca, Espana, 2004.*
9. *Marceir, E. ,: Histoire l'Afrique Septentrionale (Berberie) , 3 vols. , Ernest Leroux Editeur, Paris, 1868.*
10. *Miralles, de Cordova: Alejandro VI y Los Reyes Catolicos, Relaciones Politico- Eclesiasticas (1492- 1503) ,Thesis Doctoratum in Theologia, Facultas Theologiae, Pontificia Univirsitas Sanctae Crucis, Romae, 2005.*
11. *Pike, R. ,: Panal Servitude in Early Modern Spain, University of Wisconsin Press, Madison, 1983*
12. *Sedillot, R. ,: Toutes les Monnaies du Monde, R. Sirey, Paris, 1955.*
13. *Strayer, J. and Munro, D. ,: The Middle Ages, 4th. ed. , Appleton- Century- Crofts, New York, 1959.*
14. *Tassy, L. ,: Histoire du Royaume d'Alger, H. du Sauzet, Amstredam, 1725.*

ثانياً المصادر العربية:

أ- المصادر:

1. الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت. 1163م / 558هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزءان، ط1، عالم الكتب، الرياض، 1989م.
2. الإصطخري، أبو إسحاق، إبراهيم (ت. 950م / 339هـ): مسالك الممالك، طبعة ليدن، دار صادر، بيروت، 1927م.
3. البغدادي، صفي الدين، عبدالمؤمن (ت. 1339م / 739هـ): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، 3 أجزاء، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.
4. التنسي، محمد بن عبدالله (ت. 1494م / 899هـ): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، د. ط، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.
5. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت. 1229م / 626هـ): معجم البلدان، 8 أجزاء، تقديم: محمد عبد المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م.
6. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت. 1495م / 900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (د. ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
7. ابن حوقل، أبو القاسم (ت. 990م / 380هـ): صورة الأرض، (د. ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.
8. ابن الخطيب، لسان الدين، محمد بن عبدالله (1374م / 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، 4 أجزاء، تحقيق: محمد عبدالله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974.
9. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت. 1405م / 808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 7 أجزاء، (د. ط)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1971م.
10. الزركشي، أبو عبد الله، محمد (كان حياً عام 1488م / 894هـ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.
11. السراج، محمد بن محمد (ت. 1736م / 1149هـ): الحلل السندسية في الأخبار التونسية، 3 أجزاء، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

12. ابن الشماخ، أبو عبد الله، محمد (ألف كتابه عام 1457م / 861هـ) : الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر المعموري، (د. ط) ، دار العربية للكتاب، طرابلس، 1984م.
13. الفاسي، علي بن أبي زرع (ت. 1340م / 741هـ) : الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، (د. ط) ، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.
14. أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل (ت. 1332م / 732هـ) : تقويم البلدان، (د. ط) ، دار صادر، بيروت، 1840م.
15. القلقشندي، أبو العباس، أحمد (ت. 1418م / 821هـ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د. ط) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت).
16. ابن القنفذ، أبو العباس، أحمد (ت. 1407م / 810هـ) : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد النيفر وعبدالمجيد التركي، (د. ط) ، دار التونسية للنشر، تونس، (د. ت) .
17. المراكشي، عبدالواحد (ت. 1249م / 647هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه: محمد العريان ومحمد العلمي، (د. ط) ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1949م.
18. المقرئ، شهاب الدين، أحمد (ت. 1631م / 1040هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، (د. ط) ، دار صادر، بيروت، 1988م.
19. الوزان، الحسن بن محمد (ت. 1550م / 957هـ) : وصف إفريقيا، جزآن، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت - الرباط، 1983م.

بد المراجع العربية والمعربة:

1. أحمد، مصطفى أبو ضيف: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبنو مرين 524 - 876 هـ / 1130 - 1472 م، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م.
2. ابن أشنهو: عبد الحميد: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، (د. ط) ، (د. ن) ، الجزائر، 1972م.

3. الحريري، محمد عيسى: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية، 1987م.
4. حسين، ممدوح ومصطفى، شاكر: الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري 668 - 792هـ / 1270 - 1390م، ط1، دار عمار للنشر، عمان - الأردن، 1998م.
5. أبو دياك، صالح: دولة بني وطاس ودورها السياسي والحضاري في المغرب، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1982م.
6. الراقد، محمد: الغزو العثماني لمصر ومطلع العهد العثماني فيها، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1968م.
7. سعيدوني، ناصر الدين: مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
8. سرهنك، إسماعيل: حقايق الأخبار عن دول البحار، جزءان، ط1، بولاق، القاهرة، 1312هـ.
9. شاكر، محمود: الكشوف الجغرافية، دوافعها - حقيقتها، ط2، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1988م.
10. ابن أبي الضياف، أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، 4 أجزاء، تحقيق: لجنة وزارة الشؤون الثقافية، (د. ط)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م.
11. العامري، محمد الهادي: تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول، (د. ط)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974م.
12. العروي، عبد الله: تاريخ المغرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977م.
13. العقاد، صلاح: المغرب العربي - الجزائر تونس المغرب الأقصى - دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م.
14. علي بك، محمود إدريس: طرابلس الغرب منذ الهجرة الهلالية إلى بداية العصر العثماني، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1998م.
15. عمران، محمود سعيد:
- الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين على مصر 1218 - 1221م /
615 - 618هـ، ط2، دار المعارف، الإسكندرية، 1985م.

- تاريخ الحروب الصليبية 1095 - 1291م، (د. ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م.
16. عنان، محمد عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، وهو العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987م.
17. الغنيمي، عبد الفتاح: موسوعة تاريخ المغرب العربي، 6 أجزاء، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.
18. فارس، محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث منذ الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1979م.
19. المزاري، أبو إسماعيل بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
20. المطوي، محمد العروسي: السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، (د. ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
21. المنصوري، عثمان: التجارة بالمغرب في القرن السادس عشر، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2001م.
22. موسنيه، رولان: تاريخ الحضارات العام، القرنان السادس عشر والسابع عشر، إشراف: موريس كروزيه، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 1987م.
23. الناصري، أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 9 أجزاء، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، (د. ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.
24. نجيه، جان بير، وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام، جزآن، ترجمة: وجيه البعيني، ط1، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 1995م.
25. يحيى، جلال: تاريخ المغرب الكبير، (د. ط)، 4 أجزاء، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.

**العساكر السباهية ودورهم العسكري
والاقتصادي في فلسطين خلال القرنين العاشر
والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر
والسابع عشر الميلاديين ***

د. زهير غنايم عبد اللطيف غنايم **
د. معتصم حسن أحمد الناصر ***

* تاريخ التسليم: 2014 /3 /31م، تاريخ القبول: 2014 /8 /16م.
** أستاذ مشارك/ رئيس قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة القدس/ فلسطين.
*** أستاذ مساعد/ عميد كلية الآداب/ جامعة القدس/ فلسطين.

ملخص:

يتناول هذا البحث العساكر السباهية في فلسطين في القرنين العاشر، والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ومهامهم العسكرية والأمنية كالحروب وحفظ الأمن في المناطق التي يقيمون فيها، ومرافقة قافلة الحج الشامي إضافة إلى التصدي لغارات القبائل البدوية.

كما يتناول الموارد المالية التي حصلوا عليها من الأراضي التي اقطعتها الدولة لهم، ودورهم في جباية أموال الوقف والتيمار والجزية، والوظائف التي تولوها وبخاصة خاص التولية على أوقاف التكية العامرة في القدس.

كما يتتبع البحث الأنشطة التجارية التي مارسها بعض السباهية والمهن والحرف التي عملوا بها، والعقارات التي تمكنوا من امتلاكها وبخاصة الدور والداكين، وما وقفوه منها على أنفسهم وذريتهم من بعدهم، وأثر ذلك على عملهم الأساس وهو المشاركة في الحروب التي تخوضها الدولة العثمانية.

Al- Sbahiya soldiers and their military and economic role in Palestine in the 11-12 H. D centuries , 16-17 A. D centuries

Abstract:

This research deals with "Al- Asaker Al- Sibahiya" in Palestine in the tenth and eleventh centuries A. H/ sixteenth and seventeenth centuries A. D and their military and security duties such as wars, security in the areas they reside in, escorting the Syrian pilgrims convoy and rebuffing Bedouins tribes raids. The research mentioned the financial resources they obtained from the land which had been given to them by state, and their role in collecting money for the state such as taxes taken from Christian and Jews (Jizya) . They had done other jobs, particularly the free feeding of people (Al- Takiya Al- Amiriyay) in Jerusalem. The paper discusses the business activities and professions Al- Sibahiya practiced, their properties such as houses and shops and the participation and roles of their offspring played in the Ottoman Empire.

مقدمة:

بعد سيطرة العثمانيين على بلاد الشام عام 921هـ/ 1516م، قاموا بتقسيمها إدارياً إلى ثلاث إيالات (ولايات) هي: ولاية الشام، ولاية حلب، وولاية طرابلس. أما فلسطين فكانت تتبع ولاية الشام، وقد قسموها إلى خمسة سناجق (ألوية) هي: القدس، وغزة، ونابلس، وصفد، واللجون. وفي عام 1023هـ/ 1614م، استحدث العثمانيون ولاية صيدا التي ألحق بها لواء صفد من ألوية فلسطين، بينما بقيت الألوية الأربعة الأخرى تتبع ولاية الشام.

واعتمدت الدولة العثمانية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، الميلاديين على فئتين من القوات العسكرية: الأولى، وهي الجنود الإنكشارية الذين كانوا يقيمون في القلاع، ويتلقون الرواتب من الدولة. والجنود السباهية (الفرسان) الذين منحوا التيمارات (الإقطاعات العسكرية) وحصلوا على الموارد المالية من الأراضي الجارية في هذه التيمارات بدلاً من دفع الرواتب لهم.

ويتناول هذا البحث الدور العسكري، والأمني، والاقتصادي الذي قام به السباهية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وأثر ذلك على المجتمع الذي يعيشون فيه في ضوء المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

إن الدراسات التاريخية التي تناولت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين في القرنين العاشر، والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ما تزال محدودة، ولعل من أهم الأبحاث التي تناولت هذه الفترة البحث الذي قام به إبراهيم ربابعة بعنوان "العسكر السباهية وأهل الريف في لواء القدس الشريف خلال القرن السابع عشر الميلادي" والمنشور في مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 21، عدد 3، كانون الأول 2007م/ ذو القعدة 1428هـ.

وقد تناولت بعض الدراسات الأخرى السباهية تناولاً عاماً مثل محمد اليعقوب في كتابه ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ وفاضل البيات في كتابه الدولة العثمانية في المجال العربي، وكتاب إبراهيم ربابعة تاريخ القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق العثمانية خلال القرن السابع عشر 1600 - 1700م.

أولاً - السباهية:

يقصد بالسباهية الجنود الخيالة في الدولة العثمانية، والذين اقطعوا الأراضي

مقابل اشتراكهم في الحروب، وحفظ الأمن مع عدد من الجنود يقومون بتجهيزهم مقابل الأموال التي يحصلون عليها من التيمارات (الاقطاعات) الممنوحة لهم، وكان السباهية على فئتين تبعاً لعائدهم المالي من الأراضي المقطعة لهم، الأولى وهي الزعماء وهم أصحاب الإقطاع الذي تتراوح عائدهم المالية ما بين (19.999 - 99.999) آقجة⁽¹⁾، أما الفئة الثانية فهي التيمارية الذين تتراوح عائدهم من إقطاعه ما بين (6000 - 19.999) آقجة⁽²⁾.

وقد أقام السباهية في المدن التابعة للألوية التي تتواجد فيها تيماراتهم، فذكر سنان بن عبدالله من أعيان السباهية بمدينة الرملة⁽³⁾ ومصطفى آغا الزعيم بالقدس⁽⁴⁾، وقد يكون السباهي مقيماً في خارج فلسطين وتيماره فيها، فذكر محمد أفندي الزعيم بقرية بيت ليد⁽⁵⁾ وأحد الكتاب بالباب العالي⁽⁶⁾ ودرويش آغا أحد المتفرقة⁽⁷⁾ بالباب العالي، والزعيم بالقدس،⁽⁸⁾ ومحمد آغا من المتفرقة بالباب

العالي، والزعيم بالقدس،⁽⁹⁾ ومحمد جاويش بن محمد من جاويشيان⁽¹⁰⁾ الشام من السباهية بلواء غزة⁽¹¹⁾. وقد يكون أحد السباهية موظفاً عند كبار الوزراء، فذكر قدوة الأكابر درويش آغا كتحذا⁽¹²⁾ الوزير الأعظم سنان باشا الجارية قرية بتير⁽¹³⁾ في زعامته⁽¹⁴⁾.

وكان يساعد السباهية ولا سيما الزعماء منهم عدد من الأشخاص في إدارة تيماراتهم كالصوباشي والتابع والضابط⁽¹⁵⁾، فذكر يونس بن أحمد الصوباشي على زعامته حسين آغا الزعيم بالقدس،⁽¹⁶⁾ وأحمد بن عبدالله صوباشي زعامته قدوة الأمراء درويش آغا،⁽¹⁷⁾ ومحمد بك تابع إبراهيم آغا من الزعماء بلواء اللجون،⁽¹⁸⁾ وإبراهيم بشه الضابط لقرى دولار آغا الزعيم بمدينة نابلس⁽¹⁹⁾.

ويقوم هؤلاء بمتابعة الشؤون المتعلقة بالتيمار من فصل،⁽²⁰⁾ ومقاطعة،⁽²¹⁾ وتأجير وجباية، ففي إحدى الحجج أن محمد بن عبدالله الصوباشي على زعامته محمد آغا من المتفرقة بالباب العالي، والزعيم بالقدس تسلّم من سفر بن عبدالله صوباشي الزعامته سابقاً واحداً وسبعين مد⁽²²⁾ حنطة بالكيل⁽²³⁾ القدسي و800 قطعة مصرية⁽²⁴⁾ ثمن 100 مد حنطة⁽²⁵⁾، وفي حجة أخرى أنه استقر لمصطفى بك الزعيم بلواء القدس بمباشرة صوباشيه محمد جلبي بن حسن في زمة خليل بن إبراهيم، وحسن بن ناصر الدين وعبد العزيز بن أحمد الجميع من فلاحي قرية بقيق الضان⁽²⁶⁾ أربع غرائر⁽²⁷⁾ حنطة ومثلها شعير⁽²⁸⁾.

وتعود حاجة السباهية لهؤلاء المساعدين ولا سيما الزعماء منهم إلى اتساع الإقطاعات الممنوحة لهم، وحاجتهم لمن يساعدهم في إدارتها لا سيما أن بعضاً منهم قد يكون مقيماً بعيداً عن تيماره أو حاجته لمن يدير التيمار عندما يكون مشاركاً في إحدى المهمات المطلوبة منه ولا سيما الحروب، ففي إحدى الحجج أن أحمد صوباشي بن عبدالله المتكلم على زعامة درويش آغا قاطع على ما يتحصل من محصول قرية بيت ساحور النصارى الجارية في زعامة درويش آغا وهو نصف الزيت المستخرج في سنة تاريخه بمبلغ (30) سلطاني⁽²⁹⁾ ذهب⁽³⁰⁾.

ثانياً - تشكيلات السباهية العسكرية:

كان الجنود السباهية على عدة فئات تبعاً لتنظيمهم العسكري على النحو الآتي:

1. الالاي بيك:

وهو قائد السباهية في اللواء حيث كان هناك الالاي بيك في كل لواء من ألوية فلسطين، فكان الالاي بيك في لواء صفد، وآخر في لواء القدس، ومثلهما في كل من لواء اللجون وغزة، ومهمة الالاي بيك قيادة السباهية في اللواء وقت الحرب⁽³¹⁾، فذكر محمد آغا الالاي بيك مدينة نابلس⁽³²⁾ ومفخر السباهية علي بك بن عبدالله الالاي بك في لواء القدس⁽³³⁾.

ويقوم الالاي بك بمتابعة شؤون السباهية التابعين له، ففي إحدى الحجج أنه حضر للمحكمة الشرعية في نابلس كل من مفخر الأكابر والأعيان محمد آغا الالاي بك مدينة نابلس وجماعة من أرباب التيمار فيها وأظهروا إقراراً سلطانياً من مضمونه رفع البدلية⁽³⁴⁾ عنهم، وعن جميع أرباب التيمار بلواء نابلس كونهم متقيدين في خدمة الحجاج والزوار المتوجهين لزيارة القدس والخليل⁽³⁵⁾.

2. الميرالاي: وهو قائد البلوك⁽³⁶⁾ من السباهية، فذكر فخر الأعيان كنعان آغا بن عبدالله ميرالاي بيك السباهية بلواء اللجون⁽³⁷⁾ وحسن آغا ميرالاي مدينة نابلس سابقاً⁽³⁸⁾.

3. الصوباشي: وهو من ضباط السباهية، وكان على رأس كل بلوك صوباشي⁽³⁹⁾، ووفقاً لسجلات المحاكم الشرعية في فلسطين كان هناك صوباشية في المدن، وآخرين في النواحي، وصوباشية تابعون لأمرأء الأولوية والزعماء، فذكر محمد بن عبدالله صوباشي قدوة الأمرأء علي بك أمير لواء عجلون⁽⁴⁰⁾، وأحمد بن عبدالله صوباشي قدوة الأكابر والأعيان درويش آغا الزعيم بالقدس⁽⁴¹⁾، ويوسف بن عبدالله صوباشي اللد،⁽⁴²⁾ وإبراهيم

صوباشي القدس،⁽⁴³⁾ وعلي صوباشي ناحية بني زيد⁽⁴⁴⁾، والحاج غنيم صوباشي ناحية مردا من جبل نابلس⁽⁴⁵⁾.

4. أمير العلم (مير العلم) (البيدقدار) :

ومهمته رفع العلم أمام السباهية وقت الحرب، وكان يمنح إقطاعاً من فئة التيمار⁽⁴⁶⁾، فذكر فخر الأماجد حسين بك بن ناصف جاويش مير علم بالقدس،⁽⁴⁷⁾ ومحمد بك بن حمدان مير علم مدينة نابلس⁽⁴⁸⁾.

5. الجري باشي:

ومهمته حراسة المدن وقت السلم، وحصر السباهية والإشراف عليهم، وكان يمنح إقطاعاً من رتبة التيمار⁽⁴⁹⁾ أو الزعامة، فذكر السباهي علي بن فروخ بك جري باشي الجارية قرية بيت سوريك⁽⁵⁰⁾ في زعامته⁽⁵¹⁾، ويوسف بك جري باشي في نابلس⁽⁵²⁾.

6. الجاويش:

وهو من الضباط المسؤولين عن الجنود السباهية، فكان لكل بلوك منهم جاويش⁽⁵³⁾، فذكر حسين بك بن افتخار الأماجد نصوح جاويش السباهي بلواء القدس⁽⁵⁴⁾، ويمنح الجاويش إقطاعاً من فئة التيمار⁽⁵⁵⁾، فذكر حسين جلبي بن نصوح جاويش السباهي على قرية دير بزيع⁽⁵⁶⁾ بلواء القدس⁽⁵⁷⁾، وكان هناك جاويش يتبع أمراء الألوية، فذكر فخر الأماثل والأقران جاويش باشي أمير الأمراء سليمان باشا حافظ⁽⁵⁸⁾ البلاد الشامية⁽⁵⁹⁾.

وكانت مهمة الجاويش التابع لأمير الأمراء مساعدته في إدارة اللواء، فكان يقوم بإحضار الأوامر السلطانية⁽⁶⁰⁾، وقد كان هناك جاويش لحفظ الأمن في النواحي، فذكر علي شقرا جاويش قرى بني زيد⁽⁶¹⁾.

ثالثاً - الموارد المالية للسباهية:

كانت الموارد المالية للسباهية تأتي من الرسوم والضرائب التي تجبى من الأراضي الجارية في تيماراتهم، والتي تشمل العشر،⁽⁶²⁾ والخراج،⁽⁶³⁾ والقسم،⁽⁶⁴⁾ ورسوم الأغنام،⁽⁶⁵⁾ ورسوم النحل،⁽⁶⁶⁾ والبادهوا⁽⁶⁷⁾، فقد كانت الموارد المالية لعلي بن مصطفى السباهي على قرية دير السد⁽⁶⁸⁾ تشمل ما يخصه من الغلال الشتوية والصيفية، وعداد الأشجار، ورسوم النحل، والأغنام والبادهوا⁽⁶⁹⁾. كذلك العائدات المالية لمصطفى آغا الزعيم بقرية كفر اللبد⁽⁷⁰⁾ وتوابعها من قرى سبسطية⁽⁷¹⁾ والجربة⁽⁷²⁾ ودير حميد⁽⁷³⁾ تشمل العشر، والحنطة، والشعير، والكرسنة، والعدس، وعداد الأغنام، والخراج والرجالية،

(74) وفتح المنجل (75). ويبين الجدول التالي عائدات الزعيم على قرية قوصين (76) من أعمال لواء نابلس سنة 1099هـ / 1688م بالقروش (77).

نوع الرسم	الحنطة	الشعير	الذرة	الفول	الرجالية	الخميسية	العدس	عداد الأغنام	خراج الزيتون
المقدار/ القروش	50	13	10	12	20	25	12	5	32

وإذا كانت القرية الجارية في تيمار أحد السباهية وفقاً فإن نصيب السباهي من مواردها المالية يقتصر على العشر فقط، فقد كان نصيب السباهي من قرية كفر عقب (78) من أعمال القدس والجارية في وقف المدرسة الحسنية يقتصر على العشر وهو ثلاثة سلطاني (79) فقط (80).

أما الجدول التالي فيوضح العائدات المالية لعدد من أصحاب الزعامة والتيمار وفقاً لدفتر 131 العائد للفترة ما بين سنتي 932هـ - 938هـ / 1525 - 1532م من قرى لواء القدس ققط (81).

الرقم	السباهي	العائد بالآقجة
1	أحمد جلبي بن والي الدكري (زعامت)	20.520
2	مصطفى صولاق (زعامت)	12619
3	جعفر بك (زعامت)	16265
4	موسى بن والي الدكري (تيمار)	5125
5	سليمان بن أحمد الخلوتي (تيمار)	7090
6	يعقوب بن طرخان (تيمار)	4279

إن عائدات السباهية لم تقتصر على الموارد المالية من تيماراتهم بل كان بعضهم يحصل على الأموال من مصادر أخرى مثل مال الاحتساب (82)، فذكرت إحدى الحجج أنه استقر في ذمة أحمد بن إبراهيم أبي سلطان الخليلي لقاسم بن أحمد السباهي بمدينة الخليل مبلغ ستون سلطانياً ذهباً من محصولات احتساب مدينة الخليل (83) وكان بعضهم يحصل على العادة المعتادة (84) من أديرة القدس، ففي إحدى الحجج أن أحمد بيك بن كريم بيك ادعى على ابن عمه مصطفى بك بن مراد الزعيم قائلاً إن من المنتقل إليهما من جدهما محمد مراد جميع العادة المعتادة المرتبة على أديرة الإفرنج والروم والأرمن في القدس، شهرية في رأس كل سنة ستة قروش أسدي (85) من كل منهم في كل

شهر قرشين أسدي ما يتبع ذلك من الشمع في كل شهر ست شمعات ومن الجوخ في كل سنة في رمضان ثلاثة ضاللق (86).

ولم يقيم السباهية بجمع مواردهم المالية من تيماراتهم بأنفسهم، وإنما قاموا بإقطاعها وتأجيرها لآخرين على أن يقوم المقطعون والمستأجرون بجباية هذه الموارد على أن يدفعوا المبلغ المقرر للسباهي بعد أن يحصلوا على نسبة لهم من عائدات السباهي مقابل قيامهم بذلك.

وقد يكون الحاصلون على المقاطعة من شيوخ القرى أو شيوخ النواحي أو من السباهية، فقد ادعى مصطفى بن عبدالله السباهي على كل من عوض ومحمد ابني صالح وعمر بن فريد والجميع من قرية البيرة أنه قاطعهم على ما يعود له من نصف محصولات القرية بمبلغ (95) سلطاني (87)، بينما قاطع علي بن مصطفى السباهي بلواء القدس خليفة بن خضر على ما يتحصل له من قرية دير السد من الغلال الصيفية والشتوية، وعداد الأشجار، والنحل، والأغنام، والبادهوا، وغير ذلك عن واجب سنة 977هـ / 1570م (88).

وفي حجة أخرى تصادق كل من مصطفى بك الزعيم بلواء القدس مع كل من نيا ب بن الحاج إبراهيم، وقاسم بن يوسف من مشايخ قرية الولجة (89) الجارية في تيمار مصطفى بك على أن ما يستحقه في ذمة الموكلين مبلغ (100) سلطاني ذهب نظير ما فصله عليهما من استحقاقه من جميع محصولات القرية من الحنطة، والشعير، والكرسنة عن واجب سنة 965هـ / 1558م وأنه يستحق في ذمتها خمسة قناطير (90) زيت منقولة إلى منزله (91). بينما قاطع كل من حسن آغا، ورجب آغا التيماريين على قرية كفر قدوم (92) من أعمال نابلس الحاج عامر والشيخ شحادة المتكلمين على أهالي القرية على ما يتحصل لهم من الرجالية، وعداد الأغنام بمبلغ (35) قرشاً (93).

وقد يمنح السباهية المقاطعة لأحد شيوخ القرى الذي يقوم بدوره بإقطاعها لشخص آخر، فقد قاطع فخر المشايخ محمود بن عمر من قرية جماعين (94) حسين جوربجي بن محمد الشافعي على ما هو جار في مقاطعته من حسين بك الوكيل الشرعي عن محمد بك التيماري بقرية روجيب (95) وذلك عن جميع (2600) عثماني (96) الجارية في تيماره من الغلال الصيفي والشتوي، والقسم، ورسم عداد الأغنام، وجميع العوائد المعتادة (97).

وقد يكون الحاصلون على المقاطعة من السباهية أنفسهم، فقد قاطع طرخان بن بكر بن عبدالله السباهي بالقدس محمد بن أبي بكر بن الحاج مراد من أعيان الزعماء بلواء الشام على ما يتحصل له من محصولات قرية كفر اشوع الجارية في تيماره (98).

ويقوم المقاطع بتحصيل عائدات السباهي وتسليمها له، فقد أقر محمد بن عبدالله التيماري بقرية المسعدة الواقعة بلواء اللجون أنه قبض من أحمد وعلي ولدي يوسف بن محمد الشامية مال مقاطعة الحصة الجارية في تيماره وقدرها (2000) قرش عن مدة ثلاث سنوات هلايات أولها سنة 1066هـ / 1655م⁽⁹⁹⁾.

كما قام السباهية بتأجير تيماراتهم على أن يقوم المستأجرون بجمع عائداتهم منها، فقد استأجر الشهابي بن أحمد بن يزيد وهو من أرباب التيمار والأمين على خواص القدس لنفسه من محمد جاويش ابن محمود من جاويشيان الشام ومن السباهية بلواء غزة ما هو جار في تيماره جميع أرض مزرعة الخضر بالقرب من بيت حانون (100) لمدة ثلاث سنوات كوامل هلايات أولها سنة 978هـ / 1570م بأجرة مقدارها (36) سلطاني⁽¹⁰¹⁾. وفي حجة أخرى أن علي بن مصطفى التميمي الوكيل عن علي بك بن عبدالله التيماري بقرية بزاريا⁽¹⁰²⁾ الجارية القرية في تيماره أجر القرية لفخر المشايخ زين بن مصطفى جرار العرابي لسنتي 1098هـ / 1687م و1099هـ / 1688م⁽¹⁰³⁾.

بينما استأجر كنعان بن بشه بن نصر الله البشتاوي الوكيل الشرعي عن الشيخ مقلد بن داود الجيوسي والشيخ زين بن مصطفى جرار العرابي من مصطفى بن أحمد اليسرجي الوكيل عن أحمد آغا الزعيم ما هو جار في تيماره وهو قرية بيت وزن⁽¹⁰⁴⁾ لمدة سنة بأجرة مقدارها (350) قرش عديدة⁽¹⁰⁵⁾.

رابعاً - مهمات السباهية وأعمالهم:

تنوعت المهمات التي كلف بها السباهية مقابل حصولهم على موارد الأراضي الجارية في تيماراتهم بين القتال في المعارك والحروب التي تخوضها الدولة إضافة إلى حفظ الأمن في المناطق التي توجد فيها تيماراتهم، ومرافقة قافلة الحج الشامي، والتصدي لغارات القبائل البدوية على المدن والقرى.

1. القتال:

فرض على السباهية المشاركة في الحروب والمعارك التي تقوم بها الدولة العثمانية، ولذلك كان على السباهية تجهيز عدد من الجنود للمشاركة في القتال معهم، وكان عدد هؤلاء الجنود يختلف تبعاً لدخل التيماري من إقطاعه، فالسباهي صاحب الإقطاع من نوع الزعامة كان مطالباً بتجهيز جندي خيال عن كل (5000) آقجة يحصل عليها من إقطاعه، أما صاحب التيمار فكان مطالباً بتجهيز جندي خيال عن كل (300) آقجة من ريع تيماره، وكان تخلف السباهي عن الحرب كافياً لعزله عن التيمار⁽¹⁰⁶⁾.

وقد شارك سباهيو فلسطين في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية، فمثلاً شاركوا في الحملة العثمانية على اليمن عام 1568/976م، وفي الحملة على قبرص عام 979هـ/1571م⁽¹⁰⁷⁾. ولكن يظهر أن بعضاً منهم تقاعسوا عن المشاركة فيها، فقد جاء في إحدى الوثائق الواردة في دفاتر المهمة العثمانية " أن الزعماء وأرباب التيمار الذين صدر الأمر فيما سبق بمشاركتهم في حملة اليمن لم يغادروا أماكنهم " (108).

وقد ذكرت السجلات الشرعية من محكمة نابلس الشرعية أسماء بعض السباهية الغائبين عن تيماراتهم في السفر الهمايوني⁽¹⁰⁹⁾ (الحرب) من أجل المشاركة في الحرب، فذكر إسماعيل بك الرومي القادم من سفر همايون⁽¹¹⁰⁾ وسليمان بك بن قراجا المتوجه للسفر السلطاني⁽¹¹¹⁾، ومراد آغا بن عبدالله الغائب بالسفر السلطاني⁽¹¹²⁾ وياسين من أولاد شقيش الغائب في سفر همايون في بغداد⁽¹¹³⁾.

2. حفظ الأمن:

وكان من مهمات السباهية الأخرى حفظ الأمن، والعمل على تأمين الطرق، وحراسة المسافرين، والتصدي لهجمات القبائل البدوية، فقد جاء في حكم إلى أمير القدس " نظراً لكون حفظ وحراسة اللواء المذكور في الوقت الحالي لازماً، فقد أمرت أن تالزم أنت سنجقك مع سباهي السنجق، وذلك عند صدور أمر يقضي بالالتحاق بالكلركي (الوالي) أو التوجه إلى أحد الأرجاء " (114) وجاء في رسالة موجهة إلى كلركي الشام: " سبق أن أرسلت رسالة تذكر فيها أنه قد عرض السدة العليا ن البدو الموجدين في لواء عجلون التابع لولاية الشام هم على التمرد بشكل مستمر، فصدر الأمر بالتنكيل بهم وطلب من أمراء سنجق القدس الشريف وصفد وحمص ونابلس.....القدوم بسباهيتهم..." (115).

ويظهر مما أوردته إحدى الحجج من محكمة نابلس الشرعية أن من مهمات السباهية حراسة الحجاج والزوار المتوجهين للأماكن المقدسة في القدس والخليل، وفيها أنه حضر كل واحد من محمد آغا الآي بك مدينة نابلس، وجماعة من الزعماء، وأرباب التيمار بالمدينة وأظهروا أمراً سلطانياً برفع البدلية عنهم وعن جميع أرباب التيمار بلواء نابلس لكونهم متقيدين في خدمة الحجاج والزوار المتوجهين لزيارة القدس الشريف وخليل الرحمن، ويؤكد على ذلك مكاتيب من حضرة غازي باشا محافظ لواء الشام برفع البدلية وإنهم يدفعون عن ذلك (1800) قرش⁽¹¹⁶⁾.

وفي إحدى وثائق المهمة العثمانية وهي رسالة موجهة إلى كلركي الشام وقاضي القدس ويظهر أن من مهمات السباهية حماية مقام النبي موسى والطرق المؤدية إليه وجاء فيها " أرسل أهالي القدس يبلغوا أن القبر الشريف للنبي موسى عليه الصلوات والسلام يقع

على مقربة من القدس الشريف في منطقة صحراوية مقفرة.....ولهذا صدرت الأوامر ومنذ عهد السلاطين السابقين بأن يقوم أمير السنجق (سنجق القدس) إلى جانب سباهي القدس بالذهاب إلى المزار الشريف والإقامة حوالي ثمانية أيام بقربه لحماية المسلمين الراغبين في الزيارة على أن يعفى السباهيون من القيام بأي خدمة أخرى... " (117).

وقد يكلف أحد السباهية بحراسة أحد المزارات والأضرحة الدينية، فكان أحد السباهية يتناول ريع أربعة قراريط من عشر قرية برج العرب (118) مقابل حراسته ضريح الشيخ (119) الصامت (120).

كما كان السباهية مكلفون بمرافقة قافلة الحج الشامي فقد جاء في إحدى الرسائل الموجهة إلى بكركي الشام "...أنه صدر أمر شريف يقضي بقيام عدة أشخاص من سباهي السناجق التابعة لبكركية الشام بالذهاب إلى الحج الشريف.. " (121).

وفي حكم إلى بكركي الشام " أرسلت رسالة تذكر فيها أن مراد أمير سنجق غزة الحالي أرسل إليك رسالة يبلغك فيها أن جميع سباهي غزة جاءوا يذكرون أنه صدر أمر شريف يقضي بقيام عدة أشخاص من سباهي السناجق التابعة لبكركية الشام بالذهاب كل سنة إلى الحج الشريف وبالشرط التالي: تقوم بخدمة المحمل الشريف المتوجه من الشام، ولهذا فقد أمرت أن تقوم كل سنة بتعيين خمسة أشخاص من السباهية الذين يرغبون في الذهاب بالحج الشريف على أن يقوموا بخدمة المحمل في المراحل والمنازل (122).

وقد جاء في إحدى الحجج من محكمة القدس الشرعية أن الحاكم الشرعي نبه على السادة السباهية بالقدس، وعلى متسلم مدينة القدس بأنهم يخرجون إلى ملاقاته الحاج في أي ظرف يأتون منه ويحرسونهم على العادة القديمة من قطاع الطريق ومن اللصوص (123).

3. جباية الأموال:

شارك السباهية في جباية الأموال سواء أكانت تلك الموقوفة أم الجارية في التيمار، كما شاركوا في جباية الجزية من أهل الذمة، وهذا ما يتبين من إحدى الوثائق الواردة في دفاتر المهمة وفيها: "أرسل دفتر دار الشام (124) إلى سدة سعادتني يبلغ فيها أنه أعتيد استخدام بعض الزعماء وأرباب التيمار وطائفة الانكشارية (125) لتحصيل المال من النواحي وغيرها من ولاية الشام لأن معظم رعايا النواحي على التمرد والتعنّت، ولهذا لا يمكن تحصيل المال دون تولى أشخاص مقتدرين وأقوياء على ذلك... " (126).

كما شارك السباهية عن طريق المقاطعة والتأجير في جباية أموال الوقف، فقد قاطع كل من زكريا بن سيدي والحاج اويس بن علي الخلوتي المتوليان على وقف المدرسة الميمونية (127) بالقدس كلاً من محمود بك بن عبدالله السباهي بمدينة نابلس وأحمد بن

محمد النابلسي على ما يتحصل للوقف من قرية بيت دجن⁽¹²⁸⁾ من جبل نابلس من غلال، وحبوب صيفي وشتوي، وزيت زيتون، وعداد، وخراج وغير ذلك مما هو مستخرج في سنة تاريخه بمبلغ (60) سلطاني⁽¹²⁹⁾.

وفي حجة أخرى أن الشيخ جار الله بن أبو بكر بن أبي اللطف المتولي على وقف المدرسة الجوهريّة⁽¹³⁰⁾ بالقدس قاطع محمود آغا من الزعماء بلواء غزة على ما يتحصل للوقف من قرية بيت زيتون⁽¹³¹⁾ ونصف قرية كوفيا⁽¹³²⁾ من الغلال، والحبوب الصيفي والشتوي، والعداد، والخراج، وغير ذلك بمبلغ (40) سلطاني⁽¹³³⁾، وفي حجة أخرى أن مصطفى آغا الزعيم ومصطفى أفندي نقيب الأشراف بالقدس قاطعا متولي الصخرة على ما يتحصل للوقف من (14) قيراطاً من قرية بيت سقايا⁽¹³⁴⁾ من الغلال الصيفي والشتوي، وعداد الزيتون عن سنة 1105هـ/ 1694م بمبلغ (100) قرش⁽¹³⁵⁾.

وقد يقاطع السباهي سباهي آخر لجباية ما يعود إليه من القرية الجارية في تيماره، فقد قاطع خليل بن إبراهيم الينكجري⁽¹³⁶⁾ المقيم بدمشق مقبول بن عبدالله السباهي على ما يتحصل له من غلال ستة قراريط من قرية البيرة⁽¹³⁷⁾ الجارية في وقف أحمد بن والي عن سنة 1020هـ/ 1611م بمبلغ (30) قرش⁽¹³⁸⁾.

كما شارك السباهية في استئجار أراضي الوقف لجباية مواردها المالية، فقد أجر علاء الدين بن محمد فتح الدين الصايغ من أولاد قطيبا لا يغر بن اسكندر السباهي (12) قيراطاً من أراضي قرية عجول⁽¹³⁹⁾ لمدة سنتين كاملتين⁽¹⁴⁰⁾، بينما أجر الشيخ أبو السعود محمد الغزي لسنان بن عبدالله الشهير بقلقس ما هو جار في وقف المدرسة الزمنية⁽¹⁴¹⁾ وهو (6) قراريط من أراضي قرية كفر جنس⁽¹⁴²⁾ من أعمال الرملة لمدة ثلاث سنوات بمبلغ (70) سلطاني ذهب⁽¹⁴³⁾.

ويظهر أن قيام السباهية بجباية الأموال جعلتهم يمتنعون عن المشاركة في الحملات العسكرية، وهذا ما يتضح من إحدى الرسائل الموجهة إلى بكربكي (والي) الشام والدفتردار فيها "أنت بصفتك بكربكي أرسلت رسالة إلى سدة سعادتني أبلغت فيها إنه يوجد في الشام (دمشق) بين سبعين إلى ثمانين زعيماً، غير أن كل واحد منهم يتولى عملاً فمنهم من أصبح أميناً أو عاملاً أو متولياً أو مستأجراً وعند حدوث أمر مهم يتطلب مشاركتهم في حملة عسكرية أو إرسالهم للمحافظة على مكان ما لا يلبون الطلب بحجة أنهم يتولون أمانة أو إجازة أو غيرها من المسائل، وليست غايتهم تحصيل الأموال، وإنما مجرد الاستمرار في الخدمة، كما أنهم مطالبون بما يترتب عليهم من الأمانات لمدة تتراوح بين خمس وعشر سنوات" (144).

كما أسهم السباهية في جباية الجزية من أهل الذمة، فذكرت إحدى الحجج محمد بك السباهي بلواء الشام الأمين⁽¹⁴⁵⁾ على الخراج⁽¹⁴⁶⁾ من ذمة القدس والرملة وغزة⁽¹⁴⁷⁾، وفي حجة أخرى أن حسن بك الينكجري بدمشق الشام قبض من بيرام جاويش بن مصطفى الزعيم بالقدس مبلغ (163) سلطاني و (20) قطعة فضة سليمانية⁽¹⁴⁸⁾ وهو بقية الخراج الذي قبضه بيرام جاويش بالوكالة عن محمد صوباشي الموكل في جمع الخراج عن سنة 960هـ/ 1553م⁽¹⁴⁹⁾.

كما شارك السباهية بجباية أموال الخاص الهمايوني⁽¹⁵⁰⁾ فتولى بعضهم وظيفة الأمين على خواص القدس، ففي إحدى الحجج أن الشهابي أحمد بن أبي يزيد السباهي بلواء غزة والأمين على خواص القدس الشريف قبض من إبراهيم بن محمد بن خصيب مبلغ (339) قطعة فضة سليمانية نظير مقاطعة قبان القطن⁽¹⁵¹⁾ في القدس الجاري في الخاص الشريف عن مدة أولها محرم سنة 978هـ/ حزيران 1570م وآخرها نهاية جمادي الأولى 978هـ/ أيلول 1570م⁽¹⁵²⁾.

بينما التزم إبراهيم بك بن حسن بك أحد الزعماء بمدينة غزة ما يتحصل للخاص الهمايوني من القدس والخليل وما يتبعهما⁽¹⁵³⁾، وذكر خسرو ومحمود الزعماء في قضاء صفد أميني الخواص السلطانية الواقعة في نواحي صير وشقيف وطبريا بقضاء صفد⁽¹⁵⁴⁾.

خامساً - نشاط السباهية الاقتصادي:

عمل بعض السباهية في التجارة ولا سيما في تجارة الصابون والزيت والحيوانات، فقد باع سنان ابن عبدالله من أعيان السباهية بلواء القدس لزوجته زليخة ابنة عبد الرحيم بن علاء الدين ابي الحسن علي الخلوتي عشرة قناطر صابون وأنواع مختلفة من الذهب⁽¹⁵⁵⁾.

وفي حجة أخرى إنه كان لتاج الدين خليفة على الأخوين قلندر وعلي ولدي مصطفى السباهي ثمن (13) قنطار رز ابتاعاه منه سابقاً⁽¹⁵⁶⁾، بينما أقر علي جلبي بن مصطفى أن في ذمته لفصوح بك ابن طرخان السباهي بلواء القدس (350) سلطاني ثمن عشرين قنطاراً ونصف زيت وثمان عشرة قناطر قلي بوزن القدس ورهن مقابل ذلك جميع طبخة الصابون الكائنة بمصبنة حمزة أفندي قاضي القدس سابقاً⁽¹⁵⁷⁾، بينما ادعى قيطاس جلبي بن برويز بك التيماري على جاويش بن أحمد التيماري أنه باعاه قنطار صابون بثمان (37) سلطاني⁽¹⁵⁸⁾، بينما قبض الشمسي محمد بن مصطفى قيقوب التيماري بالقدس من الأخوين عبد الرحمن وعبد الحق وغيره من القصابين بالقدس مبلغ (1025) قرش ثمن (500) رأس من الغنم المباعة لهم سابقاً⁽¹⁵⁹⁾.

وتوسع بيرام بن مصطفى الزعيم في القدس في تجارة الحبوب والأغنام والجواميس والصابون، ففي إحدى الحجج أن محمد بن عبد القادر كاتب الخاص الشريف بلواء نابلس قبض من بيرام جاويش ابن مصطفى مبلغ (1031.5) سلطاني ثمن الزيت المباع لبيرام جاويش من محصولات الخاص الشريف بلواء نابلس عن سنة 957هـ/ 1550م⁽¹⁶⁰⁾، وفي حجة أخرى أن بيرام جاويش بن مصطفى أقر أن في ذمته مبلغ⁽²⁴⁸⁾ سلطاني لمحمد وموسى وشرفية أيتام موسى بن سيدي أبي الخير ثمن (9) قناطر و (55) رطلاً⁽¹⁶¹⁾ وثمانية أواق صابون⁽¹⁶²⁾، بينما ادعى جوهر آغا بن عبدالله أن لسيدة بيرام جاويش بن مصطفى مبلغ (75) سلطاني في ذمة أحمد بن حسن ثمن عشرة رؤوس جاموس⁽¹⁶³⁾.

وعمل بعض السباهية في تجارة القهوة، فذكرت إحدى الحجج أنه حضر إلى المجلس الشرعي كل من علي بن عزام وعلوي بن عبد الرزاق وصلاح بن مصلح ونصر الله بن أحمد وفرج بن عميرة من قرية المالحه⁽¹⁶⁴⁾ ظاهر القدس وأقروا أنهم اشتروا من عبيد بن أحمد السباهي بالقدس (45) رطل قهوة بالوزن القدسي بثمن (135) قرش أسدي⁽¹⁶⁵⁾.

وقد يرابح أحد السباهية بالمال النقدي الموقوف، ففي إحدى الحجج أنه ترتب لوقف محمد آغا الموقوف على المؤذنين بالصخرة ووضع ماء الورد بالقدم⁽¹⁶⁶⁾ الشريف بالصخرة في ذمة علي بك بن أحمد ارناوط السباهي بالقدس مبلغ (30) قرشاً أصلاً و (4.5) قرش ثمن عبادة⁽¹⁶⁷⁾ يحل عليه المبلغ لمضي سنة من تاريخه ورهن مقابل ذلك جميع الحصة وقدرها الربع ستة قراريط من جميع الدار القائمة بالقدس⁽¹⁶⁸⁾.

وفي حجة أخرى أنه ترتب في ذمة صالح جلبي جرى باشي لجهة وقف الحاج قاسم (11) سلطاني ما هو أصل مال الوقف (10) سلطاني وبقية ذلك سلطاني واحد ثمن كتاب في التصوف اشتراه وتسلمه منه⁽¹⁶⁹⁾.

إن ممارسة السباهية للتجارة والبيع والشراء أدى إلى وقوعهم في مشكلة الديون، فقد أقر فرهاد ابن عبدالله السباهي بالقدس أن في ذمته لمحمد بن محمد الاستنبولي مبلغ (21) سلطاني⁽¹⁷⁰⁾ و (13) سلطاني أخرى لشرف الدين القاضي⁽¹⁷¹⁾، بينما أقر محمد بن علي السباهي في لواء القدس أن في ذمته لطاهر بن أحمد مبلغ (18) سلطاني⁽¹⁷²⁾، بينما ادعت فاطمة بنت عبدالله محمد الرومي أن لها في ذمة زوجها الحاج علي بن يوسف السباهي مبلغ (35) سلطاني قرض شرعي⁽¹⁷³⁾، وكان الحاج إبراهيم بن مراد بك الأي بك بالقدس مديوناً للحرمة خديجة بنت خسرو بمبلغ (661) سلطاني⁽¹⁷⁴⁾.

ويظهر أن عجز السباهية عن سداد ديونهم دفعهم لتعيين الدائنين وكلاء ومتكلمين على تيمارتهم، فقد قام محمد بن علي السباهي بلواء القدس بتوكيل طاهر بن أحمد في

التكلم على تيماره في القدس وهو قرية بيت ظلماً⁽¹⁷⁵⁾ ومزرعة صرنتا وعشر محصولات قريتي القمر الشرقية والغربية⁽¹⁷⁶⁾ عن واجب سنة 965هـ / 1558م⁽¹⁷⁷⁾ ، بينما استدان إبراهيم بن سندر السباهي بلواء القدس من أحمد بن نوح مبلغ (40) سلطاني ومقابل ذلك وكله في التكلم على تيماره وقبض محصولاته وخصم مبلغ الدين من عائدات التيمار⁽¹⁷⁸⁾ .

وفي الوقف نفسه قام السباهية بتقديم القروض للآخرين، فقد ادعى برويز بك بن عبدالله من أعيان الزعماء في القدس على محمد بن يزيد الهليس أنه اقترض منه سابقاً مبلغ (130) سلطاني⁽¹⁷⁹⁾ ، بينما استدان محمد جاويش ناظر الحرمين الشريفين لصالح الحرمين مبلغ (40) سلطاني من جاويش بن فرج التيماري⁽¹⁸⁰⁾ ، بينما قبض بيرام جاويش بن مصطفى من عبد الرحمن أفندي قاضي القدس مبلغ (50) سلطاني وهو ما كان استقرضه منه سابقاً⁽¹⁸¹⁾ .

سادساً - وظائف السباهية:

تولى السباهية ولا سيما الزعماء منهم عدداً من الوظائف التي لا علاقة لها بالتيمار، فذكر مفخر الأعيان الفخام مصطفى آغا الزعيم بالقدس متسلم مدينة غزة⁽¹⁸²⁾ وعبد الكريم باشا الزعيم بمدينة القدس والمتولي على أوقاف التكية العامرة⁽¹⁸³⁾ بالقدس⁽¹⁸⁴⁾ وطورد آغا المتولي على أوقاف العمارة العامرة⁽¹⁸⁵⁾ وبيرام جاويش بن مصطفى المتكلم على العمارة العامرة،⁽¹⁸⁶⁾ وفي حجة أخرى بيرام جاويش المتكلم على قمامة (كنيسة القيامة) في القدس⁽¹⁸⁷⁾ .

ويظهر أن بعض الزعماء من الذين عملوا في وظيفة التولية على أوقاف العمارة العامرة استغلوا منصبهم واستولوا على الأموال العائدة للوقف، وهذا ما يظهر من إحدى الوثائق الواردة في دفاتر المهمة العثمانية وفيها " أرسل المتولي الحالي للقدس الشريف (متولي العمارة العامرة) طورغود آغا رسالة يبلغ فيها إنه أعيد النظر في محاسبة متولي العمارة العامرة بيرام جاويش....وعند التقصي عنه تبين أنه قبض (5593) ذهباً⁽¹⁸⁸⁾ و (25.5) بارة من زوائد الأوقاف وظهر أن بذمته (160) ذهباً من قيمة الزيت الذي تم الحصول عليه سنة 963هـ / 1556م وقام ببيعه عن طريق التواطؤ، فضلاً عن تسع زهبات من قيمة القمح الذي قام بزراعته في قرى الوقف...أي أنه ظهر بذمته ما مجموعه (5760) ذهباً... " ⁽¹⁸⁹⁾ .

كما تولى السباهية وظائف أخرى مثل قراءة القرآن والتولية على أوقاف الجوامع والمدارس، فذكر علي بك السباهي المتولي على أوقاف الجامع العمري الكائن بمحلة

اليهود⁽¹⁹⁰⁾، وفي حجة أخرى أن الحاكم الشرعي قرر كل واحد من الأخوين مفخر الزعماء الكرام محمد آغا وعبدالله جلبي ابني مفخر الأعيان الحاج مراد آغا في وظيفة قراءة ما تيسر من كلام الله تعالى الموقوف على ذلك جميع الدار في القدس⁽¹⁹¹⁾، بينما تفرغ عبد القادر خلوتي بن أحمد جلبي الخلوتي عما هو مستقر باسمه وهو وظيفة التولية والنظارة والمشيخة والبوابة والفراشة بالمدرسة الحنبلية⁽¹⁹²⁾ لحسين بك الزعيم بالقدس بما للوظيفة من المعلوم عثمانى ونصف في كل يوم⁽¹⁹³⁾.

وانضم بعض السباهية إلى الطوائف الحرفية، فذكرت إحدى الحجج العائدة لعام 1079هـ/ 1669م الحاج موسى بن يوسف والحاج شاهين بن موسى الزعيماني في القدس بأنهما من طائفة الدباغين في القدس،⁽¹⁹⁴⁾ وذكرت حجة أخرى ثلاثة من الزعماء بأنهم من طائفة الدباغين بالقدس⁽¹⁹⁵⁾.

سابعاً - أملاك السباهية:

لقد استطاع السباهية بما جمعه من أموال امتلاك الدور والمصابن والغراس والأراضي في المدن التي أقاموا فيها، فقد اشترى بيرام جاويش جميع الدار الواقعة بالقدس المشتملة على مساكن علوية وسفلية وإيوانيين،⁽¹⁹⁶⁾ وطباق،⁽¹⁹⁷⁾ وقاعات،⁽¹⁹⁸⁾ ومطبخ، وإسطبل، وساحة سماوية مفروشة بالبلاط المجلي، وصهريجين معدين لجمع ماء الشتاء بمبلغ (250) من الذهب⁽¹⁹⁹⁾ القبرصي⁽²⁰⁰⁾.

وقد يشتري السباهي نسبة معينة من الدار وليس جميعها، فقد اشترى ارطوغدي بن يوسف المعروف بقرمان التيماري بالقدس جميع الحصة الشائعة وقدرها سبع قراريط في جميع الدار بمحلة باب العمود بمبلغ (17.5) سلطاني⁽²⁰¹⁾، بينما اشترى الحاج علي بن خدوردي السباهي جميع البيت العامر بمحلة الحبله في نابلس⁽²⁰²⁾، واشترى رجب بن عبدالله الزعيم جميع الحصة وقدرها (4) قراريط في الدار العامرة بمحلة الحبله في المدينة نفسها بمبلغ (100) قرش أسدي⁽²⁰³⁾.

كما استثمر السباهية أموالهم في شراء الغراس المثمرة، فقد اشترى بيرام جاويش بن مصطفى من جلال بن مكي جميع الحصة الشائعة وقدرها الربع من غراس العنب، والتين، والزيتون، واللوز الواقعة في قرية دير السعنة⁽²⁰⁴⁾ بثمن (3) سلطاني⁽²⁰⁵⁾ وفي حجة أخرى أنه اشترى من محمد بن زين الدين الخطيب ما هو جار في ملكه جميع الحصة الشائعة وقدرها (6) قراريط من جميع غراس العنب، والتين القائم أصوله بأرض قرية بيت لحم⁽²⁰⁶⁾، بينما تقاسم الأخوان أحمد ومحمد ولدا رجب بن محمد الزعيم بلواء القدس ما هو جار في ملكهما جميع غراس العنب، والتين، والزيتون، والسويد القائم أصوله بأرض

البيمارستان الصلاحي ظاهر القدس⁽²⁰⁷⁾، وكان حمزة بن يوسف السباهي يمتلك غراس العنب، والتين، والرمان القائم أصوله بأرض الجسمانية ظاهر القدس⁽²⁰⁸⁾.

كما امتلك السباهية الطواحين، فكان الحاج علي بن الياس السباهي يملك طاحونتين الأولى في مزرعة شبكية والأخرى في قرية فرج التابعتين لعكا⁽²⁰⁹⁾، بينما كان أحمد السباهي من صفد يمتلك الربع من الطاحونة الواقعة في مزرعة صنبر و (6) قراريط من الطاحونة الواقعة في وادي الصلاحية وحمام العنبري في صفد⁽²¹⁰⁾.

وقد قام بعض السباهية بوقف بعض من أملاكهم العينية والنقدية على أنفسهم وذريتهم من بعدهم، فقد وقف سنان صوباشي التيماري في الرملة معصرتي سيرج، ودكانتين، وحصص مختلفة في (4) دكاكين، وطاحونتين، وبيوت في الرملة على نفسه ومن بعده على أولاده وأولاد أولاده⁽²¹¹⁾، بينما كان من الجاري في وقف طورد آغا الزعيم ومتولي وقف العمارة العامرة بالقدس جميع المصبتين في عقبة الظاهرية في القدس⁽²¹²⁾. كما أنه وقف مبالغ من النقود كان يربح بها⁽²¹³⁾ وداراً في حارة باب الناظر في القدس⁽²¹⁴⁾، بينما وقف سليمان بك بن محمد السباهي بلواء القدس (100) سلطاني وداراً في باب حطة⁽²¹⁵⁾.

واشتهر بيرام جاويش بن مصطفى الزعيم في القدس بكثرة أوقافه وتنوعها، فقد كان من الجاري في وقفه نصف المصبنة الكائنة بالقدس بباب العمود⁽²¹⁶⁾ إضافة إلى قريتي صبحان⁽²¹⁷⁾ وبيت طفا⁽²¹⁸⁾، ففي إحدى الحجج أن عبدالله بن محمد الخلوتي قبض لموكلته ست الدنيا ابنة بيرام جاويش الناظرة على وقف والدها من نور الدين علي بن أمين مبلغ (44) ديناراً من الذهب السلطاني ثمن غلال قرية صبحان الجارية في الوقف عن حاصل سنة 976هـ / 1568م⁽²¹⁹⁾، وفي حجة أخرى قبض عبدالله بن الحاج محمد الخلوتي من الفقيه نور الدين علي بن أمين مبلغ (13) سلطاني و (34) قطعة سليمانية من محصولات قرية بيت طفا الجاري (14) قيراط منها في وقف بيرام جاويش بن مصطفى عن محصول سنة 976هـ / 1568م⁽²²⁰⁾.

ووفقاً لدفتر 342 العائد لسنة 970هـ / 1562م، فإن أوقاف بيرام جاويش بن مصطفى كانت تشمل حصصاً مختلفة من غراس العنب، والتين في خمسة مواقع في بيت لحم، وحصصاً مختلفة في مصبنة، وحوش، ودار في القدس وستة قراريط من أراضي قرية دير بني شجاع، ومثلها في مزرعة بحص التابعة للقرية و (14) قيراطاً في مزرعة بيت طفا التابعة لغزة ودار الوكالة في غزة⁽²²¹⁾ كما وقف بيرام جاويش بن مصطفى على الرباط⁽²²²⁾ الذي أنشأه في القدس مبلغ (50) ألف درهم عثماني⁽²²³⁾.

ونظراً لما تمتع به السباهية من ثراء وما جمعه من أموال فقد حظوا ولا سيما الزعماء منهم بمكانة رفيعة في المدن التي عاشوا فيها، وقد ظهر ذلك من خلال الألقاب التي أطلقت عليهم، منها قدوة الأعيان والأماجد مستجمع المقاصد والمحامد مولانا عبد الكريم باشا الزعيم بلواء القدس (224)، وفخر الزعماء والأماجد بيرام جاويش من أعيان الزعماء بلواء القدس (225)، وقدوة الأعيان والأماجد حاوي الكمالات والمحامد محمد بن بكر من أعيان الزعماء بلواء الشام (226)، وفخر الأماجد والأعيان عمدة الفرسان والشجعان علي آغا طوقلي زاده الزعيم على قرية بيت أمرين من أعمال نابلس (227).

بينما حظي التيمارية بألقاب أقل من تلك التي حظي بها الزعماء، فذكر فخر الأمائل وزين الأكارم سنان بن عيسى السباهي بلواء الرملة (228)، وقدوة الأمائل حسين بن افتخار الأماجد نصوح جاويش من سباهي لواء القدس (229)، وفخر الأمائل سنان بن عبدالله الشهير بقلقس من أعيان السباهية بمدينة الرملة (230) وفخر أمثاله علي بك بن عبدالله التيماري بقرية بزاريا (231) من أعمال نابلس (232) وفخر الأعيان محمد بك التيماري بقرية روجيب (233) من أعمال نابلس (234).

وقد أطلق لقب الأمير على بعض السباهية وبخاصة السباهية من أسرة ابن أبي والي (235)، فقد ذكر فخر الأقران الأمير أبو العون بن فخر السباهية الأمير بن أبي والي السباهي بالقدس (236)، والأمير عبد النبي بن والي السباهي بلواء القدس (237) وفخر الأمائل عيسى بك بن قدوة الأمراء الكرام أحمد بن المقر العالي الأميري الزيني والي الدكري من أعيان السباهية بلواء القدس (238).

ولم يعيش السباهية كفتنة عسكرية منعزلة عن باقي الفئات الاجتماعية بل اندمجوا مع هذه الفئات عن طريق الزواج والمصاهرة مع بعضهم بعضاً أو مع فئات أخرى، فذكرت ست الدنيا خاتون بنت فخر الزعماء والأماجد بيرام جاويش من أعيان الزعماء بلواء القدس زوجة قدوة الأمائل حسين بك ابن افتخار الأماجد نصوح جاويش السباهي بلواء القدس (239).

ويلاحظ ظاهرة التزاوج بين السباهية وأصحاب الوظائف الدينية، فذكر العلامة المحقق الفهامة شيخ الإسلام مفتي الأنام الشيخ شرف الدين أبي الضيا موسى الديري العبسي إمام الصخرة وزوجته فاطمة خاتون بنت علي جلبي الزعيم بالقدس (240) وسنان بن عبدالله من أعيان السباهية بلواء القدس وزوجته فخر المخدرات زليخة خاتون ابنة شيخ الشيوخ علاء الدين أبي الحسن علي الخلوتي (241)، بينما تزوج فخر المكرمين زبدة

المدققين الفخام سلالة العلماء الأعلام الشيخ فخر الدين بن قدوة العلماء الأعلام الشهير
نسبه المبارك بابن المصري من فخر المخدرات أكليلة المحصنات الست صالحة بنت فخر
الأكابر والأعيان حسن آغا الای بك سابقاً (242).

ونتيجة لهذه المكانة الاجتماعية والثراء الذي تمتع به السباهية فقد استعان بعضهم
بالأجراء والمستخدمين لمساعدتهم في أعمالهم، فقد أجر الزيني صالح بن محمود الشهير
بقرمازه نفسه لفخر الأماثل والأقران أحمد جليبي بن محمد الشهير بشنجي السباهي بمدينة
الرملة لينتفع المستأجر المذكور منه في قضاء مصالحه وسقي دوابه لمدة خمس سنوات
بمبلغ (55) سلطاني (243)، بينما استأجر فخر أقرانه الجمالي يوسف بن محمد بن سنان
السباهي بالقدس من عمرو بن فريج الهيتمي من عرب البراغشة الوصي على شقيقته حمدية
القاصرة عن البلوغ لتخدم أهله مدة عشرين سنة بأجرة مقدارها عشرين قرشاً حساباً عن
كل ستة قرش وأذن المؤجر للمستأجر أن يصرفها في نفقة شقيقته وكسوتها (244)، إضافة
إلى أن بعضاً منهم كان يملكون العبيد، ففي إحدى الحجج أن محمد بك بن حسن من أعيان
السباهية بلواء القدس ملك لزوجته ناجية خاتون بنت محمد جميع العبد المدعو علي بن
عبدالله الهندي (245).

كل ذلك جعل السباهية يتقاعسون عن أداء المهمات الأساسية الموكلة إليهم وهي
المشاركة في القتال، وحفظ الأمن في المناطق التي يتواجدون فيها بسبب انشغالهم
بمتابعة شؤون تيمارتهم ومصالحهم التجارية والمالية، وهذا ما يفسر الإشارات العديدة
التي وردت في المصادر التاريخية المختلفة عن تخلف هؤلاء عن المشاركة في الحملات
العسكرية وحفظ الأمن في الأولوية التي يتواجدون فيها (246).

الخلاصة:

شكل السباهية إلى جانب الجنود الإنكشارية القوات العسكرية العثمانية في فلسطين،
وقد قامت الدولة العثمانية بمنح السباهية التيمارات (الإقطاعات العسكرية). أي أن يقوموا
بجباية الضرائب والرسوم من الأراضي الجارية في تيماراتهم، ويحصلون عليها بدلاً من
أن تدفع الدولة الرواتب لهم مقابل أن يقوموا بالخدمة العسكرية عندما تطلبها الدولة منهم.
لكن دور السباهية في فلسطين لم يقتصر على الخدمة العسكرية والمحافظة على الأمن
في المناطق التي يقيمون بها، بل قاموا بأعمال أخرى؛ فتولوا الوظائف ومارسوا التجارة
وجبوا الجزية من أهل الذمة من يهود ونصارى.

لقد استطاع السباهية بما جمعه من أموال سواء أكان من التيمارات العائدة لهم أم من الأموال التي حصلوا عليها من جباية الأموال من أراضي الوقف والتيمار تكوين الثروات المالية التي استغلوها في العمل في التجارة وشراء الدور، والدكاكين، والغراس المثمرة في المدن والقرى المقيمين فيها؛ مما أدى إلى تحول السباهية إلى فئة اجتماعية ثرية حظيت بمكانة اجتماعية مهمة في المجتمع كما ظهر من الثروات والأموال التي استطاعوا الحصول عليها، ومن الألقاب التي أطلقت عليهم، ومن عمليات المصاهرة التي تمت بينهم وبين الأسر المحلية. ومقابل ذلك بقيت أوضاع الفلاحين تزداد سوءاً لكثرة الضرائب المفروضة عليهم وتنوعها.

وقد أدت التطورات التي آلت إليها أوضاع السباهية إلى انشغال السباهية بالتيمارات، والزراعة، وأعمالهم من تجارة وبيع وشراء، وبالتالي ضعف نشاطهم العسكري وابتعدوا عن المهمة الرئيسية لهم ألا وهي الخدمة العسكرية.

الهوامش:

1. الآقجة، عملة عثمانية أصدرها السلطان أورخان سنة 726هـ / 1326م، محمود، النقود العثمانية، ص 31 - 36؛ باموك، التاريخ المالي، ص 71 - 75.
2. أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 399 - 401؛ الحمود، العسكر، ص 55 - 61. ربايعة، القدس، ص 120 - 122؛ العسكر، ص 839 - 840.
3. سجلات محكمة القدس الشرعية، س ش ق، س 27، ص 21، 3 ربيع الأول 963هـ / 3 كانون الثاني 1556م. وسيشار إليه فيما بعد، س ش ق.
4. س ش ق، 194، ص 142، أواسط شعبان 1104هـ / 20 نيسان 1693م.
5. بيت ليد، تقع إلى الجنوب الشرقي من طولكرم، وقف الغرسي خليل بن أبي مشاق سنة 861هـ / 1456م ثمانية قراريط من أراضيها على نفسه وذريته؛ سجلات محكمة نابلس الشرعية، س 1، ص 119، 6 ربيع الأول 1067هـ / 7 كانون الثاني 1656م وسيشار إليه فيما بعد، س ش ن؛ البخيت، نابلس، ص 136 - 139.
6. س ش ن، س 1، ص 31، 16 جمادي الثاني 1066هـ / 10 أبريل 1656م.
7. المتفرقة: الجنود الذين يشكلون حرس السلطان أو الأمير، صابان، المعجم، ص 72.
8. س ش ق، س 75، ص 143، 8 ذي الحجة 1000هـ / 14 تشرين الثاني 1592م.
9. س ش ق، س 75، ص 220، 14 جمادي الأولى 1001هـ / 15 شباط 1593م.
10. الجاويش: ومهمته مساعدة الوالي أو الأمير اللواء في إدارة اللواء، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 316؛ س ش ق، س 75، ص 37، 24 رجب 999هـ / 17 أيار 1591م.
11. س ش ن، س 2، ص 164، أواخر جمادي الأولى 1100هـ / 20 آذار 1689م.
12. الكتخذا: من يعمل نائباً أو قائماً بالأعمال عن الوزراء وأمراء الألوية. صابان، المعجم، ص 188.
13. بتير، تقع إلى الجنوب الغربي من القدس، وكانت وفقاً على المدرسة المعظمية الحنفية، وكانت تضم سنة 945هـ / 1538م - 1539م اثني عشر خانة دفتر 1015، ص 244؛ اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 15.
14. س ش ق، س 75، ص 435، أواخر ذي الحجة 1001هـ / 28 آب 1593م.

15. الضابط: يتضح من سياق الحجة أنه مسؤول عن القرى الجارية في التيمار من حيث الأمن ومراقبة المزارعين فيها.
16. س ش ق، س 75، ص 249، 10 رجب 1001هـ / 11 نيسان 1593م.
17. س ش ق، س 75، ص 426، أواسط ذي الحجة 1001هـ / 11 أيلول 1593م.
18. س ش ن، س 1، ص 12، 12 جمادي الأولى 1066هـ / 8 آذار 1656م.
19. س ش ن، س 1، ص 94، 6 جمادي الثاني 1068هـ / 10 آذار 1658م.
20. الفصل (المفاصلة): تحديد حصة السباهي أو الوقف من محصول القرية بالاتفاق مع شيوخ القرى. س ش ق، س 152، 8 ربيع الأول 1068هـ / 15 كانون الأول 1657م؛ س ش ق، س 71، ص 12، 15 رجب 994هـ / 3 تموز 1586م.
21. المقاطعة: منح جباية موارد التيمار أو الوقف إلى شخص ما على أن يقوم المقاطع بدفع المبلغ دفعة واحدة أو على دفعات تبعاً لمدة المقاطعة، صابان، المعجم، ص 216، س ش ق، س 37، 13 ربيع الأول 996هـ / 13 شباط 1553م؛ س ش ق، س 72، ص 470، أواسط جمادي الثاني 999هـ / أواسط نيسان 1591م.
22. المد: أحد المكاييل المستخدمة في فلسطين في العصر العثماني بأشكال وأحجام مختلفة والمد الرسمي يعادل (20) كيلة استانبول، هنتس، المكاييل، ص 75، 76.
23. الكيل (الكيلة)، وحدة وزن خاصة بالحبوب يختلف مقدارها من مدينة إلى أخرى ومن محصول إلى آخر، وكانت كيلة القمح تحسب رسمياً (25.6056) كغم وكيلة الشعير (22.25) كغم هنتس، المكاييل، ص 72، 73.
24. القطع المصرية: وهي العملة الفضية البارة، كانت متداولة أيام المماليك باسم المدين ثم اتخذت اسم البارة، وكان الدينار السلطاني يساوي (40) قطعة فضة مصرية، أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 663: خليل اينالجبك، دونالد كواترت، التاريخ الاقتصادي، ج 2، ص 753.
25. س ش ق، س 75، ص 220، 14 جمادي الأولى 1001هـ / 15 شباط 1593م.
26. بقيق الضان: تقع إلى الشرق من القدس، كانت وقفاً على التكية العامرة، وكانت تضم عام 970هـ / 1562م تسع خانات، دفتر 516، ص 464، 465؛ اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 16.
27. الغرارة: مكيال للحبوب يختلف مقداره من مدينة إلى أخرى، فغرارة القدس تعادل ثلاثة

- غرائر من غرائر دمشق وتساوي غرارة القدس (613.5) كغم، هنتس، المكايل، ص 64:
اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 150.
28. س ش ق، ص 27، ص 185، 17 جمادي الثاني 960هـ / 30 أيار 1553م.
29. السلطاني: عملة ذهبية بدأ العثمانيون بسكها في سنة 882هـ / 1477م. وقد ذكرت في السجلات الشرعية باسم السلطاني الذهبي والسلطاني السليماني التام الوزن والعيار وبأسماء السلاطين الآخرين الذين سكت في عهدهم. س ش ق، ص 27، ص 252، 3 محرم 961هـ / 9 كانون الأول 1553؛ س ش ق، ص 75، ص 46، 1 ربيع الأول 1000هـ / 18 كانون الأول 1591م؛ باموك، التاريخ المالي، ص 123 - 125.
30. س ش ق، ص 75، ص 143، 8 ذي الحجة 1000هـ / 14 أيلول 1592م.
31. بيات، بلاد الشام، ص 179، 180 (13 ع)؛ ربايعة، القدس، ص 95 - 96.
32. س ش ق، ص 1، ص 31، 16 جمادي الثاني 1066هـ / 11 نيسان 1656م.
33. اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 212.
34. البدلية: (بدل تيمار، بدل جيلو) وهو مبلغ من المال يدفعه السباهية من عائدات تيمارتهم عند عدم مشاركتهم في الحملات العسكرية العثمانية، وكان هذا المال يُخصص لتمويل قافلة الحج الشامي، رافق، قافلة الحج، مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن الجامعة الأردنية، ع 6، تشرين الأول 1981م، ص 11، ؛ أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 401.
35. س ش ن، ص 1، ص 31، 16 جمادي الثاني 1066هـ / 11 نيسان 1656م. انظر: ربايعة، العسكر، ص 842 - 843.
36. البلوك: وتعني السرب أو الفوج، ويتراوح عدد السباهية في البلوك الواحد ما بين سباهي إلى سبعة، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 220؛ الأنسي، الدراري، ص 117.
37. س ش ن، ص 1، ص 231، أوائل محرم 1099هـ / 6 تشرين الثاني 1687م.
38. س ش ن، ص 2، ص 235، أوائل جمادي الثاني 1099هـ / 2 نيسان 1688م.
39. أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 388؛ ربايعة، القدس، ص 99 - 100.
40. س ش ق، ص 75، ص 433، 19 ذي الحجة 1001هـ / 15 أيلول 1593م.
41. س ش ق، ص 75، ص 433، 19 ذي الحجة 1001 / 15 أيلول 1593م.
42. س ش ق، ص 75، ص 136، 15 ذي القعدة 1000هـ / 21 أيلول 1592م.

43. س ش ق، س 75، ص 139، 13 ذي القعدة 1000هـ / 19 أيلول 1592م.
44. س ش ق، س 27، ص 3، 15 رجب 960هـ / 26 حزيران 1553م.
45. س ش ن، س 1، ص 45، أوائل شعبان 1066هـ / 25 أيار 1656م.
46. اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 213، صابان، المعجم، ص 69، أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 400.
47. س ش ق، س 75، ص 408، 17 ذي القعدة 1001هـ / 14 آب 1593م.
48. س ش ن، س 1، ص 227، أوائل ذي الحجة 1071هـ / 27 تموز 1611م.
49. اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 217؛ ربايعة، القدس، ص 97.
50. بيت سوريك: تقع إلى الشمال الغربي من القدس، كانت تضم عام 945هـ / 1538 - 1539م تسع خانات وأصبحت في عام 970هـ / 1562م تضم (21) خانة، دفتر 1015، ص 261؛ دفتر 516، ص 401، 402؛ اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 18.
51. س ش ق، س 53، ص 609، 6 رجب 978هـ / 28 تشرين الثاني 1570م.
52. س ش ن، س 2، ص 128، 15 رجب 1098هـ / 26 أيار 1687م.
53. أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 400؛ ربايعة، القدس، ص 98.
54. س ش ق، س 53، ص 332، 10 محرم 978هـ / 13 حزيران 1570م.
55. اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 217.
56. دير بزيع: تقع إلى الشمال الغربي من القدس، كانت وقفاً على المدرسة المالكية في القدس، وكانت تضم عام 970هـ / 1562م، ثلاثين خانة، دفتر 516، ص 391، 392؛ اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 23.
57. س ش ق، س 37، ص 61، 7 ربيع الثاني 967هـ / 5 كانون الثاني 1560م.
58. حافظ أو محافظ، من ينوب عن الوالي عند خروجه في إحدى المهمات خارج الولاية كالمشاركة في الحروب أو صد هجمات القبائل البدوية، بيات، بلاد الشام، ج 3، ص 170، وثيقة (90ع)، 2 ذي القعدة 978هـ / 28 آذار 1571م.
59. س ش ق، س 75، ص 37، 24 رجب 999هـ / 17 أيار 1591م.
60. اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 216، 217.
61. س ش ق، س 53، ص 332، 10 محرم 978هـ / 13 حزيران 1570م.

62. العشر: وهو ما تجبیه الدولة العثمانية عن الحبوب كالقمح والشعير والسّمسم والعدس والفلّ، إحسان أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 640 – 641؛ دفتر 427 ص 178، 181، 427.

63. الخراج: ما فرضه العثمانيون على الأشجار المثمرة كالزيتون والنخيل والكرّوم والتين والتوت وكان يسمّى أحياناً بأسماء الأشجار المثمرة مثل عداد الأشجار وعداد الكروم وعداد الزيتون، كوندوز، التشريع الضريبي، ص 59 – 65، ؛ أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 640 – 641؛ س ش ق، س 53، ص 239، 11 شوال 977هـ/ 28 آذار 1570م.

64. القسم: هو نسبة من المحصول قد تكون النصف أو الربع أو الثلث، ويجبى من أراضي التيمار والوقف والملك الخاص على اعتبار أن الأرض تعود ملكيتها إلى بيت المال (الدولة). ويعمل الفلاحون فيها كمستأجرين، ويدفعون القسم مقابل زراعتهم للأرض. دفتر مفصل 427، ص 66 – 71؛ دفتر 289، ص 277، 279، 285، 287.

65. رسوم الأغنام، عادت الأغنام، عداد الأغنام، وهي رسوم تُجبى عن الحيوانات وتسمى بأسماء الحيوانات التي تجبى عنها مثل الأغنام والأبقار والجواميس والماعز، كوندوز، التشريع، ص 22، دفتر 427، ص 101، 102.

66. رسوم النحل، ويُجبى عن عسل النحل الذي يربى في الأراضي الميرية، دفتر 427، ص 196 و 206، و 269 و 280؛ كوندوز، التشريع، ص 59 – 6؛ أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 640، 641.

67. البادهوا: وهي من الرسوم التي تفرض عند الزواج وعند فرض العقوبات وإلقاء القبض على العبيد الهاربين، كوندوز، التشريع، ص 75 – 78، أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 645، دفتر 1015، ص 159.

68. دير السد: تقع إلى الشمال الشرقي من القدس، كانت وقفاً على المدرسة الحنفية في القدس وكانت تضم في عام 970هـ/ 1562م تسع خانات، دفتر 516، ص 253. دفتر 427، ص 170، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 23.

69. س ش ق، س 53، ص 239، 11 شوال 977هـ/ 18 آذار 1570م.

70. كفر اللبد: تقع إلى الشرق من طولكرم، كانت تضم عام 1005هـ/ 1596م سبعة وخمسين خانة. لوباني، معجم، ص 236؛

Wolf – Dieter Hutteroth, Kamal Abdulfatah, Historical Geografy , P. 146.

71. سبسطية: تقع إلى الشمال الغربي من نابلس، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م
عشرين خانة. لوباني، معجم، ص 123؛ 129: Hutteroth, Historical, P.
72. الجربة: تقع إلى الجنوب الغربي من جنين، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م تضم
إحدى عشر خانة، لوباني، معجم، ص 60؛ 129: Hutteroth, Historical, P.
73. دير حميد، من قرى نابلس، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م ثلاثة عشر خانة.
Hutteroth, Historical, P. 129
74. الرجالية: من الضرائب العرفية التي كانت تجبى من سكان القرى في لواء نابلس،
ولم توضح السجلات مبررات جبايتها وأسباب ذلك. س ش ن، س 2، ص 212، وأخر
ربيع الأول 1099هـ / 1 شباط 1688 / س ش ن، س 2، ص 203، وأخر ربيع الثاني
1099هـ / 2 آذار 1688م.
75. س ش ن، س 2، ص 218، أوائل جمادي الأولى 1099هـ / 3 آذار 1688م.
76. قوصين: تقع إلى الشمال الغربي من نابلس، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م خمسة
عشر خانة. Hutteroth, Historical, P. 129
77. س ش ن، س 2، ص 203، وأخر ربيع الأول 1099هـ / 1 شباط 1688م.
78. كفر عقب: من قرى القدس إلى الشمال منها وإلى الجنوب من رام الله. دفتر 427،
ص 266، دفتر 1015، ص 238، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 31.
79. 9 س ش ق، س 91، ص 78، 17 رجب 1099هـ / 3 تشرين الثاني 1610م.
80. كامل جميل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، عمان، الجامعة الأردنية، ط 1، 1989م،
ص 166، وسيشار إليه فيما بعد، العسلي، وثائق.
81. الاحتساب: أي رسوم الحسبة. وهي الرسوم التي تجبى عن السلع التي تباع في الأسواق
وتوزن بالقبان، وعن الخضروات. دفتر 342، ص 60-70: اليعقوب، ناحية، ج 1،
ص 140؛ س ش ق، س 53، ص 418، 19 صفر 978هـ / 22 تموز 1570م.
82. س ش ق، س 27، ص 79، 16 ربيع الثاني 960هـ / 31 آذار 1553م.
83. العادة المعتادة، رسوم كانت تجبى من سكان القرى والمدن ومن الرهبان في الأديرة
تحت اسم العادة المعتادة أي ما اعتادوا دفعه سابقاً، س ش ق، س 170، ص 59،
13 رمضان 1079هـ، س ش ق، س 207، ص 291، أواسط جمادي الثاني 1124هـ؛
س ش ق، س 27، ص 21، 5 شعبان 960هـ / 6 تموز 1553م، العسلي، وثائق،
ص 121، 168، 169.

84. القرش الأسدي: وهو الدينار الهولندي ويسمى بالأسدي لأنه يحمل نقشاً لأسدين، وقد استخدم في فلسطين في العصر العثماني، س ش ق، ص 140، ص 130، 8 جمادي الثاني 1052هـ / 3 أيلول 1642م؛ س ش ق، ص 146، ص 465، 18 ذي القعدة 1016هـ / 5 آذار 1608م؛ باموك، التاريخ المالي، ص 190.
85. لواء القدس الشريف من دفتر، ص 164 – 228.
86. س ش ق، ص 53، ص 122، 6 شعبان 978هـ / 2 كانون الثاني 1571م.
87. جماعين: قرية إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس. لوباني، معجم، ص 65.
88. اللوجة: قرية تقع إلى الجنوب الغربي من القدس، كانت تضم عشرة خانات في عام 932هـ / 1526م. دفتر 427، ص 221؛ لوباني، معجم، ص 279.
89. القنطار: يساوي من حيث الأساس (100) رطل. ويختلف الرطل من مدينة إلى أخرى، ففي دمشق كان يساوي 185 كغم. هنتس، المكاييل، ص 51.
90. س ش ق، ص 37، ص 622، أوائل صفر 967هـ / 1 تشرين الثاني 1559م.
91. كفر قدوم: تقع إلى الغرب من نابلس، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م تسعة عشر خانة، لوباني، معجم، ص 234؛ P. 133 Hutteroth, Historical.
92. س ش ق، ص 2، نابلس، ص 106، أواسط جمادي الآخرة 1098هـ / .
93. جماعين:
94. روجيب: تقع إلى الجنوب الشرقي لمدينة نابلس، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م ستة عشر خانة، لوباني، معجم، ص 122؛ P. 135 Hutteroth, Historical.
95. عثماني، العملة الفضية العثمانية الآقجة، اينالجب، التاريخ الاقتصادي، ج 2، ص 807.
96. س ش ق، ص 37، ص 151، 9 صفر 997هـ / 24 حزيران 1569م؛ س ش ق، ص 53، ص 73، ختام رجب 977هـ / 8 كانون الثاني 1570م؛ باموك، التاريخ المالي، ص 71 – 77.
97. س ش ن، ص 2، ص 253، أواسط رجب 1099هـ / 15 أيار 1688م.
98. س ش ق، ص 53، ص 417، 28 صفر 978هـ / 31 تموز 1570م.
99. س ش ن، ص 2، ص 364، أواخر جمادي الأولى 1100هـ / 20 آذار 1689م.
100. بيت حانون، تقع إلى الشمال الشرقي من غزة، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م ست وثلاثين خانة، لوباني، معجم، ص 34؛ P. 147 Hutteroth, Historical.

101. س ش ق، س 53، ص 332، 10 محرم 978هـ / 14 حزيران 1570م.
102. بزاريا: تقع إلى الشمال الغربي من نابلس، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م ست وعشرين خانة. لوباني، معجم، ص 22، Hutteroth, Historical, P. 129
103. س ش ن، س 2، ص 361، أواسط جمادي الأولى 1100هـ / 7 آذار 1689م.
104. بيت وزن، تقع إلى الشمال الغربي من نابلس، كانت تضم عام 1005هـ / 1596م اثنين وخمسين خانة، لوباني، معجم، ص 44: 136، Hutteroth, Historical, P. 136
105. س ش ن، س 2، ص 112، شهر ربيع الأول 1099هـ / 4 كانون الثاني 1688م.
106. أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 399، الحمود، العسكر، ص 55-61.
107. بيات، بلاد الشام، ج 2، ص 188-190، 18 ربيع الأول 976هـ / 10 أيلول 1568م.
108. بيات، بلاد الشام، ج 3، ص 185، 186، 17 ذي الحجة 978هـ / 12 أيار 1571م.
109. السفر الهمايوني: الحرب، الأنسي، الدراري، ص 297.
110. س ش ن، س 2، ص 4، ربيع الثاني 1097هـ / شباط 1686م.
111. س ش ن، س 2، ص 5، أوائل ربيع الثاني 1097هـ / 24 شباط 1686م.
112. س ش ن، س 2، ص 45، 27 جمادي الأولى 1097هـ / 20 نيسان 1686م.
113. س ش ن، س 2، ص 286، أواسط شوال 1095هـ / 24 أيلول 1684م.
114. بيات، بلاد الشام، ج 1، ص 127، 27 رجب 967هـ / 23 نيسان 1560م.
115. بيات، بلاد الشام، ج 2، ص 75، 76 (ع 1) غرة صفر 975هـ / 17 آب 1565م.
116. س ش ن، س 1، ص 31، 16 جمادي الثاني 1066هـ / 11 نيسان 1656م..
117. بيات، بلاد الشام، ج 1، ص 233، وثيقة (171ع)، 26 جمادي الأولى 976هـ / 16 تشرين الثاني 1568م.
118. برج العرب: مزرعة تقع ظاهر القدس، كان (20) قيراط وقف على الشيخ جمال الدين بن عبدالله الصامت القادري، دفتر 427، ص 277، دفتر 1015، ص 218.
119. الشيخ الصامت: جمال الدين بن عبدالله الصامت القادري من أكابر الصالحين ت 836هـ / 1432م. كان موقوفاً عليه (24) قيراط من أراضي قرية قبالا و (20)

- قيراط من أراضي قرية برج العرب. دفتر 427، ص 277، 278، العليمي، ، الأنس
الجليل، ج 2، ص 168، 223.
120. عبله سعيد المهدي، سجل محكمة القدس الشرعية رقم 1، عمان، الجامعة
الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، الطبعة الأولى، 1431هـ / 2010م.
ص 140، 141، س 1.
121. بيات، بلاد الشام، ج 1، ص 320، 321، (209ع) 6 جمادي الأولى 973هـ / 6
كانون الأول 1565م؛ الحمود العسكر، ص 101 – 107.
122. بيات، بلاد الشام، ج 1، ص 320، 321 (209ع) ، 16 جمادي الأولى 973هـ / 9
كانون الأول 1565م.
123. س ش ق، س 155، ص 27، 20 شعبان 1064هـ / 5 تموز 1654م.
124. دفتردار: المسؤول المالي في الدولة العثمانية وكان هناك دفتردار مسؤول عن
الشؤون المالية في كل ولاية من الولايات ومنها ولاية الشام عوض، الإدارة
العثمانية، ص 90، 91؛ صابان، المعجم، ص 113.
125. الانكشارية: القوات الجديدة وهي فيالق تكونت من أبناء رعايا الذين تم جمعهم من
أبناء الولايات العثمانية في أوروبا. صابان، المعجم، ص 41؛ اليعقوب، ناحية، ج 1،
ص 220، 221.
126. بيات، بلاد الشام، ج 3، ص 216 (132ع) ، 24 صفر 979هـ / 18 تموز 1571م.
127. المدرسة الميمونية، أنشأها ووقف عليها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن
عبدالله القصري في القدس سنة 755هـ / 1354م، العليمي، الأنس، بيروت، ج 2،
ص 48؛ اليعقوب، ناحية، ج 2، ص 340.
128. بيت دجن: تقع شرقي مدينة نابلس على بعد (10) كم منها. لوباني، معجم، ص 35.
129. س ش ق، س 75، ص 316، 10 شعبان 1001هـ / 11 أيار 1593م.
130. المدرسة الجوهريّة، أنشأها ووقفها جوهرة القنقباي الخازندار زمام الادر الشريفة
سنة 844هـ / 1440م على دراسة الفقه على المذاهب الأربعة. عبد المهدي، المدارس،
ج 2، ص 140 – 147، المدارس؛ اليعقوب، ناحية، ج 2، ص 341، 342.
131. بيت زيتون، من قرى غزة كانت تضم عام 1005هـ / 1596م ثلاثة وعشرين خانة.
Hutteroth, Historical, P. 145

132. كوفيا، من قرى غزة كانت تضم عام 1005هـ / 1596م خمسة وخمسين خانة.
Hutteroth, Historical, P. 145
133. س ش ق، س 75، ص 96، 14 شعبان 1000هـ / 25 أيار 1592م.
134. بيت سقايا: من قرى القدس، كانت تضم عام 970هـ / 1562م احدى وخمسون خانة، دفتر 516، ص 258.
135. س ش ق، س 194، ص 202، أواخر شوال 1105هـ / 22 حزيران 1694م.
136. الينكجري: وهو من ضباط الجنود الانكشارية، أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 385.
137. البيرة: تقع إلى الشمال من القدس، كانت تضم عام 970هـ / 1562م ثمانية وثلاثين خانة، دفتر 516، ص 347، دفتر 1015، ص 264. لوباني، معجم، ص 48، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 20، 21.
138. س ش ق، س 91، ص 98، 17 رجب 1019هـ / 3 تشرين الثاني 1610م.
139. عجول: تقع إلى الشمال من رام الله، كانت تضم عام 970هـ / 1562م ثمانين خانة. دفتر 516، ص 367، 368. اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 27.
140. س ش ق، س 1، حجة 330، ص 89، 16 جمادي الثاني 939هـ / 12 كانون الثاني 1538 (المهتدي)، ص 292.
141. المدرسة الزمنية: أنشأها ووقف عليها الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن الدمشقي سنة 881هـ / 1476م. عبد المهدي، المدارس، ج 2، ص 153 - 155؛ اليعقوب، ناحية، ج 2، ص 327.
142. كفر حبس، من قرى الرملة كانت تضم عام 1005هـ / 1596م، (18) خانة.
Hutteroth, Historical, P. 156
143. س ش ق، س 37، ص 21، 23 ربيع الأول 966هـ / 2 كانون الثاني 1559م.
144. بيات، بلاد الشام، ج 3، ص 174، 175، وثيقة 95ع، 7 ذي الحجة 978هـ / 12 أيار 1571م.
145. الأمين: أطلق على من يلتزم (يقاطع) على جباية الأموال العائدة للخاص الهمايوني (السلطاني). س ش ق، س 53، ص 352، 18 محرم 978هـ / 21 حزيران 1571م. س ش ق، س 27، ص 65، 6 ربيع الثاني 960هـ / 21 آذار 1553م.

146. استخدم السجل الشرعي مصطلح الخراج مرادفاً لمصطلح الجزية.
147. س ش ق، س 27، ص 54، 7 رجب 960هـ / 18 حزيران 1553م.
148. الفضة السليمانية: عملة فضية حيث كان الدينار الذهبي السلطاني يساوي (40) قطعة فضة سليمانية، س ش ق، س 53، ص 549، 550، ربيع الآخر 978هـ / أيلول 1570م؛ س ش ق، س 27، ص 252، 3 محرم 961 / 22 آب 1563م.
149. س ش ق، س 53، ص 547، 15 جمادي الأولى 978هـ / 13 تشرين الثاني 1570م.
150. الخاص الهمايوني: الأراضي والرسوم والضرائب المختلفة التي تكون جارية في الخاص الهمايوني أي خاص السلطان العثماني. س ش ق، س 53، ص 364، 27 محرم 978هـ / 29 حزيران 1570م. دفتر 131، ص 25 - 27، وص 159 - 161، دفتر 312، ص 29، 30.
151. قبان القطن: وكان قبان القطن يوجد في خان القطنين في القدس حيث يحمل القطن الوارد للقدس ويوزن لتفرض عليه رسوم الحسبة. س ش ق، س 53، ص 418، 19 صفر 978هـ / 22 تموز 1570م؛ اليعقوب، ناحية، ج 2، ص 140.
152. س ش ق، س 53، ص 539، 11 جمادي الأولى 978هـ / 10 تشرين الأول 1570م.
153. س ش ق، س 75، ص 82، 23 رجب 1000هـ / 4 أيار 1592م.
154. بيات، بلاد الشام، ج 3، ص 147، وثيقة 170ع، 23 رمضان 970هـ / 18 شباط 1571م.
155. س ش ق، س 37، ص 665، 9 ربيع الأول 967هـ / 8 كانون الأول 1559م.
156. س ش ق، س 53، ص 366، 28 محرم 978هـ / 1 تموز 1570م.
157. س ش ق، س 27، ص 205، ختام ذي القعدة 960هـ / 6 تشرين الثاني 1553م.
158. س ش ق، س 75، ص 149، 13 ذي القعدة 1000هـ / 20 آب 1592م.
159. محمود عطاالله، وثائق الطوائف الحرفية، ص 104، وثيقة 488، أواخر شعبان 1009هـ / 4 آذار 1601م. و
160. س ش ق، س 27، ص 8، أواخر رجب 960هـ / 10 تموز 1553م.
161. الرطل: وحدة وزن اختلف مقدارها من منطقة إلى أخرى، ففي القدس كان يساوي (2) (5) كغم أما في دمشق فكان يساوي (1.85) كغم، هنتس، المكابيل، ص 22 - 33.
162. س ش ق، س 27، ص 150، 18 جمادي الأولى 960هـ / 1 أيار 1553م.

163. س ش ق، س 37، ص 249، 12 رجب 966هـ / 19 نيسان 1559م.
164. المألحة: تقع إلى الجنوب الغربي من القدس، كان ثمانية قراريط من أراضيها وقف على الحرم الإبراهيمي في الخليل، وكانت تضم عام 970هـ / 1562م اثنين واربعين خانة. دفتر 1015، ص 255، دفتر 516، ص 396، 397؛ اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 31، 32.
165. س ش ق، س 155، ص 79، 16 ربيع الأول 1068هـ / 21 كانون الثاني 1657م.
166. يقصد به المكان الذي وقف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على الصخرة في رحلة الإسراء والمعراج.
167. كانت السجلات تذكر ربح النقود الموقوفة مقروناً بسلعة اشتراها صاحب النقود ممن يرابح بهذه النقود.
168. س ش ق، س 155، ص 29، 1068هـ / 1657م.
169. س ش ق، س 75، ص 361، 28 شوال 1001هـ / 27 تموز 1593م.
170. س ش ق، س 37، ص 98، 8 جمادي الأولى 966هـ / 17 آذار 1559م.
- س ش ق، س 37، ص 22، 4 ربيع الأول 966هـ / 14 كانون الأول 1558م
171. س ش ق، س 37، ص 150، 29 جمادي الثاني 966هـ / 7 نيسان 1559م.
172. س ش ق، س 37، ص 152، 17 جمادي الأولى 966هـ / 24 شباط 1559م.
173. س ش ق، س 53، ص 1، 14 جمادي الأولى 977هـ / 24 تشرين الأول 1569م.
174. العسلي، وثائق، ج 3، ص 64، 65، وثيقة 25.
175. بيت ظلماً: من قرى القدس كانت في عام 945هـ / 1538م - 1539م تضم خمسة خانات، وانخفض عدد الخانات فيها عام 970هـ / 1562م إلى ثلاث خانات فقط. دفتر 1015، ص 226، دفتر 516، ص 354.
176. القمرا الشرقية والغربية: من المزارع التي كانت تتبع قرية أبو ثور وكلتاها كانت وقفاً على الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن جمال الدين عبدالله بن عبد الجبار المقدسي المشهور بأبي ثور. دفتر 427، ص 276، 277، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 36.
177. س ش ق، س 37، ص 152، 17 جمادي الأولى 966هـ / 24 شباط 1559م.
178. س ش ق، س 37، ص 156، 29 جمادي الثاني 966هـ / 7 نيسان 1559م.

179. س ش ق، س 53، ص 319، 3 محرم 978هـ / 6 حزيران 157م.
180. س ش ق، س 75، ص 441، 13 محرم 1002هـ / 7 تشرين الثاني 1593م.
181. س ش ق، س 27، ص 215، 8 ذي الحجة 960هـ / 14 تشرين الثاني 1553م.
182. س ش ق، س، س 194، ص 142، أواسط شعبان 1104هـ / 20 نيسان 1693م.
183. العمارة العامرة (التكية العامرة)، التكية التي أنشأتها خاصكي سلطان (روكسلانة) زوجة السلطان سليمان القانوني في القدس سنة 960هـ / 1552م، وكانت تقدم الطعام والمأوى لفقراء المدينة، المهتدي، أوقاف القدس، ص 506 - 516: اليعقوب، ناحية، ج 2، ص 363-364: س ش ق، س 163، ص 14، أواسط شعبان 1003هـ / أواخر نيسان 1692م.
184. س ش ق، س 53، ص 596، 16 جمادي الثاني 978هـ / 20 نيسان 1693م.
185. س ش ق، س 53، ص 312، أواخر ذي الحجة 977هـ / 3 حزيران 1570م. بيات، بلاد الشام، ج 1، ص 143، 144 (وثيقة 35ع) 15 شوال 966هـ / 21 تموز 1559م.
186. س ش ق، س 27، ص 88، 14 ربيع الثاني 960هـ / 29 آذار 1553م. س ش ق، س 27، ص 241، 13 ذي الحجة 960هـ / 19 تشرين الثاني 1553م.
187. س ش ق، س 27، ص 84، 20 ربيع الثاني 960هـ / 4 نيسان 1553م.
188. الذهب: العملة الذهبية السلطاني.
189. بيات، بلاد الشام، ج 1، ص 143، 144، وثيقة 35ع، 15 شوال 966هـ / 2 تموز 1559م.
190. س ش ق، س 75، ص 374، 8 ذي القعدة 1001هـ / 5 آب 1593م.
191. س ش ق، س 155، ص 82، 20 ربيع الأول 1068هـ / 25 كانون الأول 1657م.
192. المدرسة الحنبلية: أنشأ المدرسة ووقفها بيدمر الخوارزمي في سنة 781هـ / 1378م. عبد المهدي، المدارس، ج 2، ص 89 - 90.
193. س ش ق، س 207، ص 6، 18 ربيع الأول 1143هـ / 5 أيار 1711م.
194. عطاالله، وثائق، ج 1، ص 141، أوائل شعبان 1079هـ / 4 كانون الثاني 1669م.
195. عطاالله، وثائق، ج 1، ص 143، وثيقة رقم 149، أواخر جمادي الثاني 1097هـ / 23 أيار 1686م.

196. الايوان: وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاث حوائط من ثلاث جهات والجهة الرابعة تكون مفتوحة، محمد أمين، ليلي علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص17.
197. الطباق: الوحدات السكنية المتشابهة التي تقع بجوار بعضها البعض، أمين، المصطلحات، ص74.
198. القاعة: وحدة معمارية داخل الدار تكون بالدور السفلي أو العلوي وتستخدم للاستقبال، أمين، المصطلحات، ص78.
199. الذهب القبرصي، عملة ذهبية استخدمت في المعاملات المالية العثمانية، س ش ق، س 27، ص 168، 16 جمادي الثاني 960هـ / 29 أيار 1553م، س ش ق، س 27، ص 80، 1 ربيع الثاني 960هـ / 16 آذار 1553م.
200. س ش ق، س 27، ص 5، 6، أواخر رجب 960هـ / 10 تموز 1553م.
201. س ش ق، س 75، ص 96، 17 شعبان 1000هـ / 28 أيار 1592م.
202. س ش ن، س 1، ص 292، 5 جمادي الثاني 1068هـ / 9 آذار 1658م.
203. س ش ن، س 1، ص 99، 7 محرم 1067هـ / 25 تشرين الأول 1656م.
204. دير السعنة، من قرى القدس، كانت تضم عام 945هـ / 1538 - 1539م سبعة عشر خانة، دفتر 1015، ص228.
205. س ش ق، س 23، ص 3، 16 رجب 960هـ / 27 حزيران 1553م.
206. س ش ق، س 27، ص 258، 1 محرم 961هـ / 6 كانون الأول 1553م.
207. س ش ق، س 53، ص 227، سلخ شوال 977هـ / 5 نيسان 1570م.
208. دفتر 342، ص 157 - 176.
209. دفتر 312، ص 100.
210. دفتر 312، ص 139.
211. دفتر 312، ص 342.
212. س ش ق، س 53، ص 543، 23 جمادي الأولى 978هـ / 22 تشرين الأول 1570م.
- س ش ق، س 53، ص 118، 24 شعبان 977هـ / 31 كانون الأول 1530م.
213. س ش ق، س 53، ص 312، أواخر ذي الحجة 977هـ / 3 حزيران 1570م.

214. س ش ق، س 49، 8 ذي القعدة 971 / 17 حزيران 1564 نقلاً عن غوشة القدس، ص 236.
215. س ش ق، س 54، ص 49، 28 رمضان 979 عن غوشة، القدس، ص 239.
216. س ش ق، س 53، ص 522، 9 جمادي الأولى 978 هـ / 8 تشرين الأول 1570 م.
217. صباحان، من قرى غزة. Hutteroth, Historical, P. 146.
218. بيت طفا (بيت عفا) من قرى غزة، تقع إلى الشمال الشرقي لمدينة غزة. Hutteroth, Historical, P. 144 لوباني، معجم، ص 39، وفقاً لدفتر 427 فإن قريتي صباحان وبيت طفا كانتا وقف تاج الدين بن عبد الوهاب بن حرازه على مكتب الأيتام في القدس، السواريه، الحياة الاقتصادية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م 3، ع 3، 2009 م، ص 64 وص 67.
219. س ش ق، ص 549، 550، ربيع الآخر 978 هـ / أيلول 1570 م.
220. س ش ق، ص 549، 17 جمادي الأولى 978 هـ / أكتوبر 1570 م.
221. دفتر 342، ص 143 - 145.
222. أنشأه بيرام جاويش بن مصطفى سنة 947 هـ / 1540 م قرب عقبة الست. اليعقوب، ناحية، ج 2، ص 351.
223. العسلي، وثائق، ج 3، ص 122، وثيقة 90، سجل 17، ص 127، 15 جمادي الأولى 952 هـ / 24 تموز 1545 م.
224. س ش ق، س 53، ص 596، 16 جمادي الثاني 978 هـ / 14 تشرين الثاني 1570 م.
225. س ش ق، س 53، ص 332، 10 محرم 978 هـ / 13 حزيران 1570 م.
226. س ش ق، س 53، ص 417، ثامن عشري صفر 978 هـ / 21 تموز 1570 م.
227. س ش ن، س 1، ص 186، 9 شوال 1067 هـ / 20 تموز 1651 م.
228. س ش ق، س 37، ص 93، وص 77، 4 جمادي الأولى 966 هـ / 11 شباط 1559 م.
229. س ش ق، س 53، ص 312، 10 محرم 978 هـ / 13 حزيران 1570 م.
230. س ش ق، س 37، ص 21، 3 ربيع الأول 966 هـ / 13 كانون الأول 1558 م.
231. بزاريان: تقع إلى الشمال الغربي لمدينة نابلس. لوباني، معجم، ص 22.
232. س ش ن، س 2، ص 157، شهر ربيع الثاني 1099 هـ / 5 شباط 1688 م.

233. روجيب: تقع إلى الجنوب الشرقي لمدينة نابلس، لوباني، معجم، ص122.
234. س ش ن، س2، ص253، أواسط رجب 1099هـ / 15 أيار 1688م.
235. ذكرت المصادر التاريخية الأمير والي بن نصر بن حسين بن موسى الدكري، توفي في حدود سنة 940هـ / 1533م ودفن في تربة الساهرة في غزة، كان ابنه أحمد أميرالاي في غزة، كما كانت قرية المالحه التابعة للقدس جارية في تيمار موسى بن والي الدكري، كانت حصص متفاوتة من قرى بيت سوسين وكفر مالك والبييرة وقلنديا والرام وجبع وحزما وبيت ساحور النصارى جارية في الوقف على الأمير والي بن نصر الدكري. ويظهر أنها وقفت في بداية الحكم العثماني لفلسطين. دفتر 1015، ص206، 255؛ دفتر 427، ص263؛ دفتر 516، ص300، 345، 348؛ محمد غوشه، القدس في العهد العثماني / عمان، وزارة الثقافة، 1430هـ / 2009م، ص221..
236. س ش ق، س53، ص274، 12 ذي الحجة 977هـ / 17 أيار 1570م.
237. س ش ق، س53، ص333، 9 محرم 978هـ / 12 حزيران 1570م.
238. س ش ق، س539، 13 ذي الحجة 966هـ / 15 أيلول 1559م.
239. س ش ق، س53، ص332، 10 محرم 978هـ / 13 حزيران 1570م.
240. س ش ق، س53، ص228، 28 978هـ / 1570م.
241. س ش ق، س37، ص665، صفر 978هـ / تموز 1570م.
242. س ش ق، س93، 18 ربيع الأول 1068هـ / 23 كانون الأول 1657م.
243. س ش ق، س75، ص416، 13 ذي الحجة 1001هـ / 9 أيلول 1593م.
244. عطاالله، وثائق، ج2، ص250، 251.
245. س ش ق، س53، ص307، غاية ذي الحجة 977هـ / 3 حزيران 1570م.
246. بيات، بلاد الشام، ج2، ص233، وثيقة (171ع)، 26 جمادي الأولى 976هـ / 16 تشرين الثاني 1568م، ج3، ص174، وثيقة (95ع)، 7 ذي الحجة 978هـ / 2 أيار 1571م؛ ربابعة، العسكر، ص852.

المصادر والمراجع:

أ- سجلات المحاكم الشرعية.

1. سجلات محكمة القدس الشرعية، سجل 27، 37، 53، 75.
2. سجلات محكمة نابلس الشرعية، سجل 1، 2.

ب- دفاتر الطابو العثمانية.

1. لواء القدس الشريف من دفتر التحرير (945 1015 T. D / 1538 - 1539 م)، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السواريه، عمّان، الطبعة الأولى 1429هـ / 2008م.
2. لواء القدس الشريف من دفتر مفصل صفد وغزة من دفتر (932- 934 427 T. D / 1528 - 1525 م)، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود، لندن، مؤسسة الفرقان، الطبعة الأولى 2005م.
3. لواء القدس الشريف من دفتر 289 أس (961هـ / 1553 - 1554 م)، دراسة وترجمة محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السواريه، عمّان 1431هـ / 2010م.
4. لواء القدس الشريف من دفتر التحرير (932 - 938 131 T. D / 1525 - 1532 م)، دراسة وترجمة محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا السورية، عمّان، الطبعة الأولى 2007م.
5. لواء القدس الشريف، دفتر مفصل 516 (970هـ / 1562 م)، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السواريه، عمّان، الطبعة الأولى 1432هـ / 2011م.

المراجع:

1. إبراهيم ربايعه، تاريخ القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق العثمانية خلال القرن السابع عشر 1600 - 1700م، حيفا، مكتبة كل شيء، الطبعة الأولى.
2. إبراهيم ربايعه، العسكر السباهية وأهل الريف في لواء القدس الشريف خلال القرن السابع عشر الميلادي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد 21، عدد 3، كانون الأول 2007م / ذو القعدة 1428هـ، ص 817 - 864.

3. أحمد اق كوندرز، التشريع الضريبي عند العثمانيين، ترجمة عن التركيّة فاضل بيّات، عمّان، لجنة تاريخ بلاد الشام، الطبعة الأولى 2004م.
4. اكمال الدّين إحسان أوغلي، الدولة العثمانيّة تاريخ وحضارة، الجزء الأوّل، نقله إلى العربيّة صالح سعادوي، استانبول، الطبعة الأولى 1999م.
5. سيّد محمّد محمود، النقود العثمانيّة، تاريخها، تطورها، مشكلاتها، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 2003م.
6. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانيّة التاريخيّة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الطبعة الأولى 2000م.
7. شوكت باموك، التاريخ المالي للدولة العثمانيّة، ترجمة عبد اللطيف الحارس، بيروت، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2005م.
8. عبد الجليل عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبيّ والمملوكيّ، عمّان، مكتبة الأقصى، الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م.
- 9.

10. عبد الكريم رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في التاريخ العثماني، مجلة دراسات تاريخية، الجامعة الأردنية، العدد 6 تشرين الأول 1981م.
11. عبله سعيد المهدي، أوقاف القدس في زمن الانتداب، عمّان، الطبعة الأولى 2005م.
12. عبله سعيد المهدي، سجل محكمة القدس الشرعية، رقم 1، عمّان، الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، الطبعة الأولى 1431هـ / 2010م.
13. فاضل بيّات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة، ج 2، 975 - 977هـ / 1567 - 1570م، عمّان، الجامعة الأردنية، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الطبعة الأولى 2006م.
14. فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمّان، الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى 1970م.
15. كامل جميل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، عمّان، الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى 1989م.
16. محمّد أمين، ليلي علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، القاهرة، دار النشر بالجامعة الأمريكية، الطبعة الأولى 1990م.
17. مجير الدّين عبد الرحمن العليمي، الأّنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، بيروت، دار الجيل، 1973م.
18. محمّد عدنان البخيت، نابلس ونواحيها في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي على ضوء الوقفيات التي تحتفظ بها سجلات الدولة العثمانية (كتاب دراسات في تاريخ بلاد الشام) فلسطين، عمّان، أمانة عمّان الكبرى، الطبعة الأولى 2007م.
19. محمّد سليم، اليعقوب، ناحية القدس الشّريف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، عمّان، البنك، البنك الأهلي، الطبعة الأولى 1999م.
20. محمد علي الأنسي، الدرادي اللامعات في منتخبات اللغات، بيروت، مطبعة جريدة بيروت، 1318هـ / 1900م.
21. محمود علي عطا الله، وثائق الطوائف الحرفية، نابلس، مركز الوثائق والمخطوطات والنشر، الطبع الأولى 1413هـ / 1912م.
22. نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر

الميلاديين، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م.
23. نوفان رجا الحمود، الحياة الاقتصادية في ناحية غزة في النصف الأول من
القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، المجلة الأردنية للتاريخ، مجلد3،
العدد3، 2009م.

Wolf- Dieter Hutteroth, Kamal Abdululfatah, Historical ceograty of.
24 Palestine, Tran, Jordan, and southern Syria In late 16 the century,
Erlangen, 1977.

9. References should follow rules as follows:

- (a) If the reference is a book, then it has to include the author name, book title, translator if any, publisher, place of publication, edition, publication year, page number.
- (b) If the reference is a magazine, then it has to include the author, paper title, magazine name, issue number order by last name of the author.

10. References have to be arranged in alphabetical order by last name of the author.

11. The researcher can use the APA style in documenting scientific and applied topics where he points to the author footnotes.

Guidelines for Authors

The Journal of Al-Quds Open University For Research & Studies Publishes Original research documents and scientific studies for faculty members and researchers in Alquds Open University and other local, Arab, and International universities with special focus on topics that deal with open education. The Journal accepts papers offered to scientific conferences.

Researchers who wish to publish their papers are required to abide by the following rules:

1. Papers are accepted int both English and Arabic.
2. each paper should not exceed 30 pages or 7000 words including footnotes and references.
3. Each paper has to add new findings or extra knowledge in its field.
4. Papers have to be on a “CD” or “E-mail” accompanied by three hard copies. Nothing is returnable in either case: published or not.
5. An abstract of 100 to 150 words has to be included. The language of the abstract has to be English if the paper is in Arabic and has to be Arabic if the paper is in English.
6. The paper will be published if it is accepted by at least two revisers. The Journal will appoint the revisers who has the same degree or higher than the researcher himself.
7. The researcher should not include anything personal in his paper.
8. The owner of the published paper will receive one copy of the Journal in which his paper is published.

GENERAL SUPERVISOR PROFESSOR

Younis Amro

President of the University

Journal Editorial Board

EDITOR - IN - CHIEF

Hasan A. Silwadi

Dean of Scientific Research & Graduate Studies

EDITORIAL BOARD

Abdul Nasser Qasim Al- Farra

Faisal Husain Gawadrah

Mohamed Mohamed Al-shalash

Naji Mutlaq Al Dahoudi

Hani Hussein Abu AL-rob

Rushdi Yousef Al-Qawasmah

Imad Abd Al-Lateef shtayeh

Mutasem Tawfiq Al-Khader



**Journal of Al-Quds Open University
for Research & Studies**

A Scientific Refereed Journal Published Every Four Months

Vol. 2 - No. 38 - June 2016

ISSUED BY:

**Deanship of Scientific Research & Graduate Studies
Al-Quds Open University**

ALL CORRESPONDENCE SHOULD BE ADDRESSED TO:

Editor - In - Chief

**Deanship of Scientific Research & Graduate Studies
Al-Quds Open University**

Al-Masyoun- Ramallah\ Palestine

P.O. Box: 1804

Tel: +970 - 2 - 2984491

+970 - 2 - 2952508

Fax: +970 - 2 - 2984492

Email: hsilwadi@qou.edu

sprgs@qou.edu

DESIGN & PRODUCTION:

**Deanship of Scientific Research & Graduate Studies
Al-Quds Open University**

Journal of
Al-Quds Open University
for Research & Studies